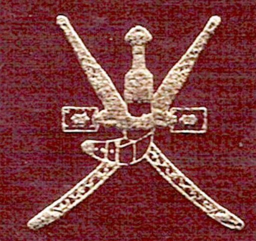
سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة



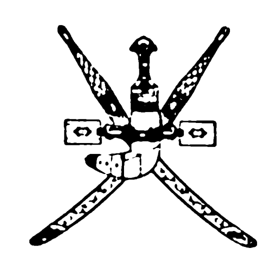
هيميان الزاد إلى دار المعاد

للعالم الحجة
محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي

الجزء الحادي عشر

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة

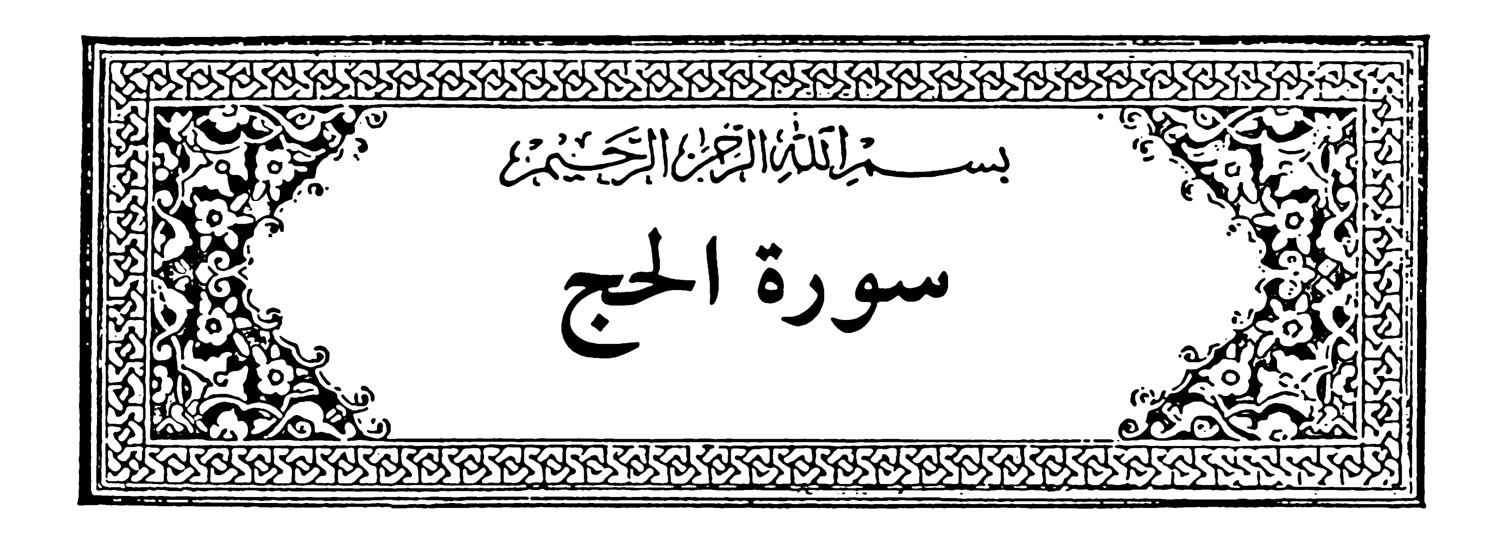


هميان الزاد إلى دار المعاد

للعالم الحجة
محمد بن يوسف الوهبي الاباضي المصعبي

الجزء الحادي عشر

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الحج

مكية الا ست آيات ﴿ هذان خصمان ﴾ إلى ﴿ صراط الحميد ﴾ وقيل الا ﴿ ومن الناس من يعبد الله ﴾ الآيتين.

وقال ابن عباس ومجاهد: الا ﴿ هذان خصمان ﴾ الآيات الثلاث.

وقيل: كلها مكية.

وقيل: مدنية كلها.

وقيل: مدينة الا أربع آيات ﴿ وما أرسلنا من رسول ولا نبي الا ﴾ إلى قوله: ﴿ عذاب يوم عقيم ﴾ وهو له.

قتادة وغيره والذي قبله قول الضحاك وغيره والجمهور على ان فيها مدنياً ومكياً.

وذكر بعضهم ان المدني من راس خمس وعشرين إلى ثلاثين.

والليلي من أولها إلى راس خمس.

والنهاري من راس خمس إلى تسع.

والسفري من راس تسع إلى راس اثنتي عشرة.

والحضري من راس العشرين كذا قال وذكر ان قوله عز وجل: ﴿ قل يا أيها الناس انما انا لكم نذير مبين ﴾ منسوخ بآية السيف وكذا ﴿ فان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون ﴾ منسوخ بآية السيف ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده ﴾ منسوخ بقوله ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾.

وانها من أعاجيب السور فيها مكي ومدني وحضري وسفري وليلي

ونهاري وحربي وسلمي وناسخ ومنسوخ وانها ثمان وسبعون عند الكوفيين وخمس وسبعون عند البصرين واربع وسبعون عند الشاميين.

وقيل: ست وسبعون وقيل: سبع وسبعون.

وكلمها ألف ومائتان واحدى وتسعون وحروفها خمسة آلاف وخمسة وسبعون.

وعنه ﷺ من قرأها اعطي حجة وعمرة بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي.

وقالوا من كتبها في جلد غزال وجعلها في صحن مركب جاءه الربح وإذا كتبت ومحيت ورش بمائها موضع سلطان جائر فانهُ لا يهنأ بعيش وتراه قلقاً خائفاً حذراً إلى أن ينتقل منه باذن الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾ احذروا عقابه **﴿ ان زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾** لا تقدرون عليه فكيف تقدرون على عقابه؟ اي ان الحركة الشديدة التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها الذي هو قرب الساعة شيء عظيم في ازعاج الناس الذي هو نوع من العذاب.

واضافة الزلزلة بمعنى الحركة إلى الساعة اضافة مصدر لفاعله اسند الحركة للساعة مع انها للأرض لمجاورة الساعة للزلزلة وقربها ولانها من أشراط الساعة وذلك مجاز في الاسناد ويسمى مجازاً عقلياً ومجازاً حكمياً.

ورده السكاكي إلى الاستعارة التبعية.

وان قلنا : ان الساعة هي ساعة وقوع الزلزلة سواء قلنا هي ساعة قيام القيامة أو قبلها فقد اسند الفعل إلى زمانه تجوزاً في الاسناد كقولك : (نهاره صائم) وهو كقولك : (الساعة تزلزلت) أو الاسناد حقيقي والاضافة للزمان من حيث وقوعها فيه لا من حيث انها فعله.

فأصل الكلام ان زلزلة الأرض في الساعة وكذلك الكلام إذا جعلنا الزلزلة بمعنى التحريك الشديد أي ان تحريك الساعة الأشياء.

ووقتها عند الحسن يوم القيامة.

وقال علقمة والشعبي : قبيل طلوع الشمس من مغربها.

وعلى الأول يكون بها قيام الساعة وهو قول ابن عباس وهو قول من يقول : النفخ نفختان.

والثاني : هو قول الجمهور القائلين ان النفخات ثلاث (وان) وما بعدها تعليل جملي علل التقوى بعظم هول الساعة وذكرها ليتصوروها كأنها حاضرة ويعلموا انهم انما ينجون بالتقوى.

وقد روي ان الآيتين نزلتا ليلاً في غزوة بني المصطلق فقرأها صلى الله عليه وسلم فلم ير باكياً أكثر من تلك الليلة فلما أصبحوا وقد مشوا الليل يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدراً وكانوا بين حزين وباك ومفكر وأعني بالآيتين هذه والتي قبلها.

وروي انهما نزلتا ليلا في تلك الغزوة فأمرهم ان يحثوا المطي فحثوها حتى كانوا حوله ﷺ فقرأهما (إلى آخره) ما مر ثم قال أي يوم ذلك فقالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث ببعث النار.

وفي رواية يقول الله عز وجل (يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك فينادي بصوت ان الله يأمرك ان يخرج بعث النار من ذريتك فقال

يارب وما بعث النار،فقال:من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحوامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم فقال تكمل العدة بيأجوج ومأجوج والمشركين والمنافقين والواحد منكم وانتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الابيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الاسود.

وفي رواية ابشروا فما انتم في الناس الا كالرقمة في ذراع الحمار يعني موضعا ابيض أو اسود في ذراعه أو كالشامة في جنب البعير وانكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء الا كثرتاه يأجوج ومأجوج بفتح المثلثة نقلا من الضم للدلالة على الغلبة فيكون متعديا .

ذكر ابن هشام اي مثله اي غلبتاه في الكثرة .

قال : واني لارجو ان تكونوا ربع أهل الجنة فكبروا ثم قال ثلثهم فكبروا ثم قال نصفهم فكبروا وقال يد،خل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب فقال عمر : سبعون الفا قال : نعم ومع كل واحد سبعون الفا .

وفي رواية يحط الكبير إلى ثلاث وثلاثين وعن ابي سعيد نفخة الفزع يوم الجمعة في النصف من شهر رمضان فتمر الجبال مر السحاب وترتج الارض وتضع الحوامل وتشيب الولدان ويولي الناس مدبرين ويأتي كلام في ذلك ان شاء الله ﴿ يوم ﴾ متعلق بتذهل ﴿ ترونها ﴾ اي الساعة أو الزلزلة ورؤيتها عبارة عن حضورهما بمشاهدة اثرهما.

﴿ تذهل ﴾ تشتغل بسببها وتغفل المدهشة * ﴿ كل ﴾ وقرىء ببناء (تذهل) للمفعول وقرىء (تذهل) بضم التاء وكسر الهاء ونصب كل اي (تذهل الساعة) أو (الزلزلة) كل ﴿ مرضعة ﴾ بالفعل لا بالقوة والامكان ولذا قرىء بالتاء مع ان الارضاع يختص بانثى ﴿ عما ارضعت ﴾ ما

(مصدرية) اي (عن ارضاعها) ويضعف جعل ما موصولاً اسمياً لوقوعها على العالم * ﴿ **وتضع كل ذات** ﴾ صاحبة ﴿ **حمل** ﴾ جنين وكذا حمل الشجرة بفتح الحاء واما ما يحمل في الظهر فبالكسر ﴿ **حملها وترى الناس** ﴾ يا محمد لو كنت حاضراً أو ليرد حقيقة الرؤية لكن أراد تهويل الأمر أو الخطاب لكل من تمكن منه الرؤية وقرىء بضم التاء وفتح الراء من ارى الثلاثي المتعدي لثلاثة الأول ضمير نائب والثاني الناس والثالث سكارى وقرىء كذلك مع رفع (الناس) من راى الثلاثي المتعدي لاثنين الأول الناس النائب والثاني سكارى وأنث الناس على هذه القراءة لأنهم جماعة ويصح على القراءة الثانية كونه ارى الرباعي المبني للمعقول الشائع تفسيره بالظن المبني للفاعل أو للمفعول أي يجعل ظانا وقرىء بضم التاء وكسر الراء أي الساعة أو الزلزلة وانما قال هنا ترى وقال هناك ترونها لأن الزلزلة يراها الجميع واثر السكر يراه كل على غيره ﴿ **سكارى** ﴾ لشدة الخوف ﴿ **وما هم بسكارى** ﴾ من الشرب أو تراهم كأنهم سكارى وما هم بسكارى حقيقة.

وقراءة حمزة والكسائي ﴿ **سكرى وما هم بسكرى** ﴾ بفتح السين واسكان الكاف لأن السكر من العلل، كالجرب والصرع والبرص فانه علة لتغير العقل وقرا الاعمش بضم السينين واسكان الكافين وهو غريب ﴿ **ولكن عذاب الله شديد** ﴾ ازال تمييز عقولهم لعظمه حتى انها لتضع ثديها في فم ولدها فترى الزلزلة أو الساعة نزعته وذهلت عن الولد.

قال الحسن: تدهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام.

وروي لغير عام وذلك ان كان في الدنيا فحقيقة وتقوم الساعة بعد ذلك وليس فيهم الا بالغ كافر وان كان ذلك قيام الساعة فالمراد تعظيم الامر

بحيث لو كان هناك رضيع لغفلت عنه امه أو جنين لاسقط.

﴿ **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم** ﴾ نزلت في النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط وجماعة؛ قالوا: الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين وانكروا البعث ومنهم ابيّ بن خلف وأبو جهل.

وقيل نزلت في النضر وابيّ.

وقيل في ابي جهل ثم هي عامة في كل من يقول ذلك ويتعاطى الجدال فيما لا يجوز على الله من فعل أو صفة ككونه يرى في الآخرة ولا يرجع إلى علم واضح ولا يعض فيه بضرس قاطع يقلد السلف والآباء ويخبط خبط عشواء ﴿ **ويتبع كل شيطان مريد** ﴾ مستمر والمراد شياطين الانس الرساة في الدعاء للكفر أو شياطين الجن بالوسوسه.

والمريد من المرد بمعنى التجرد من الخير شجن مرداه عارية من الورق والمراد بالاتباع الاتباع في الشر مطلقا أو في الجدال ﴿**كتب عليه**﴾ قضي على ذلك الشيطان قاله قتادة واجيز رجوع الضمير للمجادل ويصح ان يقال الكتابة بمعنى الكتابة بالقلم استعارة كأنه كتب في جسمه وذلك لظهور الاضلال في حاله ﴿**انه**﴾ أي الشان أو المجادل أو الشيطان ﴿**من تولاه**﴾ اتبعه ﴿**فانه يضله**﴾ الشيطان أو المجادل أي يتسبب في ضلالته.

وقال الكلبي: يضله الله ومن شرطية وانه يضله في تاويل مصدر خبر لمحذوف أي فشأنه الاضلال والمجموع جوابها أو موصولة وهو خبرها والجملة خبر لان الاولى ويقدر الكون نائبا لكتب وقرىء بكسر همزة إن الاولى فيكون مجموع الكلام اسما بتأويل اللفظ أي كتب عليه هذا اللفظ الذي هو انه من تولاه إلى السعير كقولك: كتبت ﴿ **إنَّا فتحنا لك فتحا مبينا** ﴾ أي هذا الكلام وكتبت (ان الله هو الغني الحميد).

وقيل: أو بتقدير القول أي كتب عليه القول انه من تولاه.

وقدر بعض قيل: فيكون النائب لفظ عليه أو الكسر لتضمين (كتب) معنى قيل.

وزعم بعض ان (فانه يضله) معطوف على انه الاولى وفيه نظر لانه يستلزم العطف قبل التمام وبقاء (من) بلا جواب أو بلا خبر الا ان قدر احدهما ويستلزم عطف ان ومعموليها على ان واسمها.

وقرىء بكسر الثانية وقرأ أبو عمرو بكسرهما.

﴿ويهديه إلى عذاب السعير﴾ النار قال جار الله: وما أرى رؤساء أهل الاهواء والبدع والحشويةالا داخلين تحت كل هذا دخولا أوليا بل هم أشد الشياطين اضلالا واقطعهم عن طريق الحق حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوا اشياعهم تلقينا وكأنهم ساطوه بلجومهم ودمائهم.

اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته لملائكتك في سمواتك ولانبيائك في ارضك وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

﴿ياايها الناس ان كنتم في ريب﴾ في شك ﴿من البعث﴾ من امكان البعث واتيانه.

ومن للابتداء متعلقة بمحذوف نعت لريب أو بمعنى (في) متعلقة بريب.

وقرىء بفتح العين كالجلب والطرد باسكان اللام والراء وفتحهما.

﴿**فانا خلقناكم من تراب**﴾ أي ان ارتبتم في البعث فمزيل ارتيابكم ان تنـظروا في بدء خلقكم وقد مر الكلام على خلقنا من تراب ﴿**ثم من نطفة**﴾ ان اريد خلق الناس من الاغذية التي هي من تراب فلا تقدير وان أريد خلقنا اباكم من تراب فالتقدير (ثم خلقنا ذريته من نطفة) كذا قيل واصل النطفه: (الماء القليل) والنطف (الصب) وقيل: النطفه (الماء القليل أو الكثير) ﴿**ثم من علقة**﴾ قطعة الدم الجامدة وذلك ان النطفة تصير دما غليظا وادعى بعضهم جواز ان يراد بالعلقة الدم المصاحب للنطفة وفيه انه ليس كل نطفة مقرونة بدم بل هذا قليل الا ان اراد المجموع الحكمي وفيه ايضـا ان ثم تنـا في الاقـتران الا ان جعلها للترتيب في الاخبار ﴿**ثم من مضغة**﴾ اللحمة الصغيرة قدر ما يمضع ﴿**مخلقة وغير مخلقة**﴾.

قال ابن عبـاس رضي الله عنه عنهما: تامة الخلق وغير تامة يقال: (خلق زيد العود إذا سواه وملسه) وصخرة خلقا أي (ملساء) يخلق الله بعض الناس املس من العيوب كامل الخلقة وبعضا على غير ذلك فيتقارب الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وهو قول مجاهد.

قال بعضهم: التشديد للمبالغة.

وقيل: المعنى مصورة وغير مصورة وهي السقط.

وفي رواية عن مجاهد كلاهما السقط يسقط مصورا وغير مصور والكل يسمى خلقا.

وعنه ﷺ «ان خلق احدكم يجمع في بطن امه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب رزقه واجله

وعمره وشقي ام سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالله الذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» و(حتى) في الموضعين للابتداء غير منصوب ما بعدها ولذا دخلت على ما النافية.

وروي ان النطفة إذا استقرت في الرحم اخذها ملك موكل بالرحم فيقول اي ربي مخلقة أو غير مخلقة فان قال:غير مخلقة قذفها الرحم دما وان قال مخلقة قال أي ربي ذكر أم انثى؟ شقي أم سعيد؟ ما الاجل؟ وما العمل؟ وما الاثر وما الرزق وبأي أرض يموت؟ فيقال له: اذهب إلى ام الكتاب تجد فيه ذلك فينسخه فلا يزال معه حتى يأتي على آخر صفته.

وعن ابي ذر: إذا مكث في الرحم اربعين يوما اتاه ملك القدس فيعرج به في راحته ويقول يارب عبدك ذكر ام انثى فيقضي الله فيه ما هو قاض من شقاوة أو سعادة يعني بظهر ذلك للملك ويكتب الملك ما هو لاق بين عينيه ثم قرء أبو ذر من أول سورة التغابن خمس آيات.

﴿لنبين لكم﴾ متعلق بمحذوف أي فعلنا ذلك التدريج لنبين لكم كما قدمنا وحكمتنا لتستدلوا بابتداء الخلق على اعادته فان من قدر على خلق البشر من ذلك قدر على تحول صفة إلى اخرى مباينة لها اقدر على الاعادة في القياس بل قدرته على الاشياء سواء وحذف المفعول اعلاما بان هذه الافعال تبين من قدرته ما لا يحيط به الوصف.

وقرأ ابن ابي عبلة بالمثناة التحت على طريق الالتفات اي (الله).

وقدر بعضهم لنبين لكم ما تاتون وما تذرون وما تحتاجون في

العبادات ﴿ونقر﴾ استئناف * ﴿في الارحام﴾ نثبت فيها * ﴿مانشاء﴾ ان نثبتـه بلا ان تسقطه أو تمجه (وما) واقعة على الانسان لانه إذ ذاك كغيره مما لا يعقل أو تغليبا لحال بدئه (نطفة وعلقة ومضغة) لم يكن فيه روح مع معونة انه في البطن كسائر الحيوان ومع انه بالنسبة إلينا مجهول الحال انسان أو ريح أو غير ذلك.

﴿إلى أجـل مسمى﴾ وقت الوضع. وادناه تمام ستة أشهر ولا غاية لاكثره وقد بقي حمل في البطن نيفا وعشرين عاما ثم ولد حيا.

وقيل: اكثره اربع سنين وقرىء بنصب (نقر) عطفا على نبين أي لنبين قدرتنا ولنقره في الرحم وقتا اقتضت الحكمة ان يولد بعد تمامه ويحيا ويبلغ التكليف وقرأ ابن ابي عبلة (ويقر) بالتحتية والرفع.

وقـرأ بعض بها وبالنصب وقرأ يعقوب بضم القاف من (قر الماء) إذا صبه وقرىء بضم التحتية وفتح القاف ﴿ثم نخرجكم﴾.

وقـرىء بالنصب وقـرأ ابن أبي عبلة بالتحتية والرفع وقرأ بعض بها وبالنصب ﴿طفلاً﴾ أفرد لان المراد الجنس أو لان المعنى (نخرج كل واحد منكم طفلا) أو لانه في الاصل مصدر وهذا مع ما بعده دليل على ان (ما نشاء) المراد به (من يولد ويحيا).

وقيل: يجوز ان يراد مطلق الجنين من يسقط ومن يكمل ويخرج حياً فيصرف ذلك وما بعده إلى من يكمل ويخرج حيا.

﴿ثم لتبلغوا اشدكم﴾ كمال القوة والعقل قيل: (وهو ما بين الثلاثين والاربعين بل تمام الاربعين داخل لام التعليل على تبلغون يعضد نصب نقر ونخرج.

﴿ومنكم من يتوفى﴾ يتوفاه الله كما قرىء بالبناء للفاعل والمراد التوفية قبل الاشد أو فيه أو بعده بدون ان يبلغ ارذل العمر

﴿ومنكم من يرد إلى ارذل العمر﴾ أخسه وهو الهرم والخرف وقرأ أبو عمرو باسكان الميم * ﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيئا﴾ وذلك انه يكون كالولد ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم كثير النسيان إذا علم شيئا نسيه وسئل عنه من ساعته يقول لك من هذا فتقول: فلان فما يلبث الا قليلا الا سألك عنه وفي ذلك بيان انه كما قدر ان يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه التمام قدر ان يحطه حتى ينتهي إلى الحالة السفلى.

قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يصر بتلك الحالة ولو كثرت سنينه ﴿وترى الارض هامدة﴾ يابسة ساكنة، شبه انباتها بتحركها؛ وخلوها من النبات بسكونها * ﴿فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت﴾ تحركت بالنبات.

اما من قولك: (قام زيد لفعل كذا) ولو كان الفعل مما لا يحتاج إلى القيام اي قصده أو شرع فيه.

واما من الاهتزاز الذي هو نوع من التبختر أو الرقص شبه انباتها بالتبختر أو الرقص.

واما بمعنى الحركة فان النبات لا ينبت الا بعد تحرك ما تلاه من الارض وتفسحه عنه ولو كان لا يرى متحركا * ﴿وربت﴾ انتفخت وارتفعت ارتفاعاً يصدر عن التحرك المذكور أو المراد ارتفاعها بالنبات فانه منها وبعضها؛ سلمنا انه ليس بعضها لكن اسند الارتفاع اليها لارتفاع النبات فيها.

أو المراد شأنها أو تشبيهها بالمترفع المتكبر و(ربأ) بمعنى ارتفع ولو كان مهموزا لكن يجوز قلب همزة الفاء فتحذف وقد قرىء ربأت بالهمز *

﴿وانبتت﴾ اسند الانبات إليها مع انه فعل له تعالى لوقوعه فيها * ﴿من كل زوج﴾ صنف قيل: (من) زائدة بناء على جواز زيادتها في الايجاب.

ويجوز كونها غير زائدة متعلقة بمحذوف نعت لمفعول محذوف أي نباتا من كل زوج.

وقيل: (من) مفعول بناء على ان من التبعيضية اسم مضاف ﴿بهيج﴾ حسن يسر الناظرين احمر واخضر واصفر وأبيض وغير ذلك.

وفي اهتزاز الارض دليل على البعث ﴿ذلك﴾ المذكور من بدء خلق الانسان اطوارا واحياء الارض بالانبات وذا مبتدأ خبره ﴿بان الله هو الحق﴾ الثابت الموجود الدائم والباء سببية * ﴿وانه يحيي الموتى﴾ والا لم يقدر على احياء النطفة والارض * ﴿وانه على كل شيء قدير﴾ ومن قدر على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء الكلأ إذ هو قادر لذاته قدرة مستوية في الاشياء ﴿وان الساعة آتية لاريب فيها﴾.

وان قلت: ما وجه سببية اتيان الساعة لبدء خلق الانسان اطوارا واحياء الارض؟ قلت: وجهه ان التغيير يؤذن بالانصرام * ﴿وان الله يبعث من في القبور﴾ بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف.

﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ تكرير للتأكيد ولما تعلق به من الدلالة على انه لاستداله من استدال او وحى بقوله * ﴿ولا هدى ولا كتاب منير﴾ مزيل لظلمة الجهل والعلم والعلم الضروري بدليل عطف الهدى والكتاب عليه.

وقيل: الاولى في (المقلِّدين) بكسر اللام والثانية في (المقلَّدين) بفتحها ﴿ثاني﴾ أي (لاوي) حال من ضمير يجادل ﴿عطفه﴾ عنقه إلى يمين أو شمال وذلك كناية عن التكبر والخيلاء أو عن الاعراض عن الحق استخفافا به أو العطف مطلق الجانب فانه يلوي عنقه ويصعر خده.

وقرأ الحسن بفتح العين أي مانع تعطفه أي لا ينعطف إلى الخير بل يعرض عنه أو هو قاس لا يرحم * ﴿ليضل﴾ الناس * ﴿عن سبيل الله﴾ وقرأ.ابن كثير وأبو عمرو وورش بفتح الياء واللام متعلقة بمجادل للتعليل على القراءة الاولى والصيرورة على الثانية وذلك لان اعراضه المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج إلى الضلال من الهدى والضلال من حيث هو مراده كأنه غرض باعث على الجدال * ﴿له في الدنيا خزي﴾ قتل يوم بدر * ﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾ النار ﴿ذلك﴾ المذكور من الخزي والاذاقة ﴿بما قدمت يداك﴾ بسبب شركك ومعاصيك التي قدمتها واسند التقديم إلى اليدين لان أكثر الاشياء تفعل بهما وفي الآية التفات من الغيبة للخطاب زيادة في التوبيخ والتهديد أو تقدير القول أي يقال له ذلك بما قدمت يداك ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ انتفى عنه الظلم انتفاء بليغا أو ليس بظلم أو غير ذلك مما ذكرته في غير هذا المحل مثل ان يقال: (ان العبيد كثيرة ولو كان بظلم) ولو قليلا لحصل له ظلم عظيم فنفى ذلك الظلم العظيم بدون أن يعتبر مفهوم الكلام وهو بقاء ظلم قليل والعطف على ما أي وبان ذلك هو العدل فيك بجرائمك.

وقيل: الوقف على (يداك) ويقدر المبتدأ بعد الواو أي والامر ان الله الخ *

﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ طرف من الدين لا ثبات له فهو في شك واضطراب لا في وسط الدين وقلبه كالذي يكون على طرف جبل أو كالذي يكون على طرف العسكر ان احسّ بظفر وغنيمة (قر وإلا فر) كما قال عز وعلا ﴿فان اصابه خير اطمأن﴾ رضي وسكن * ﴿به﴾ وقال انا منكم الخير المال والصحة في النفس والولد * ﴿وان اصابته فتنة﴾ ابتلاء في

مال أو نفس أو ولد ﴿انقلب على وجهه﴾ رجع إلى الكفر؛ شبه الارتداد بالانكباب على الوجه.

قيل: نزلت هذه الآية في أعاريب قدموا المدينة فكان أحدهم إذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرءته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته فقال: ما اصبت مذ دخلت في ديني الا خيرا واطمئنان وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب.

وعن أبي سعيد الخدري ان رجلا من اليهود اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي ﷺ فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت.

والاول قول ابن عباس ﴿خسر الدنيا والآخرة﴾ فعل ومفعول وفاعل مستتر اما خسران الدنيا فبذهاب نعمته واما خسران الآخرة فلعدم صبره فيثاب ولحبوط عمله بالارتداد قال ابن هشام وفيها قراءة غريبة وهي ﴿خسر الدنيا والآخرة﴾ بخفض (الآخرة) عطفا على الدنيا المخفوض على اضافة خسر إليه على ان خسر صفة مشبهة كفهم وفطن منصوب على الحال لا ماض مبني على الفتح.

وقرأ الاعرج (خاسر الدنيا والآخرة) بالخفض على اضافة اسم الفاعل.

وقرأ بعض (خاسرا) بالتنوين ونصب ما بعده وبعضهم (خاسر) بالرفع والاضافة على انه فاعل انقلب وضعا للظاهر موضع المضمر أو خبر لمحذوف أي هو (خاسر الدنيا ولآخرة) فليس فيه ذلك الوضع ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾ إذ لا خسران مثله ووجه (الخسران) ماعداه من الخسران كاللاخسران لعظمه ﴿يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه﴾ يعبد

جمادا لا يضر ان لم يعبده ولا ينفعه إذا عبده ﴿ذلك﴾ الدعاء ﴿هو الضلال البعيد﴾ عن الحق أصل الضلال النية عن الطريق في الارض استعير لاخطاء دين الله سبحانه وتعالى ﴿يدعو﴾ تأكيد لفظي ليدعو الاول والوقوف عليه والفصل بين التوكيد والمؤكد وارد على انه قد يقال لافصل بل يدعو مع محذوف توكيد لجميع قبله أي يدعو ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد فحذف ماعدا يدعو.

﴿لمن ضره﴾ اضاف الضر إليه لانه يكون بعبادتهم اياه وهو القتل في الدنيا وعذاب الآخرة اللام لام الابتداء ومن متبدا واقعة على الضم كأنه عاقل لنسبه الضر إليه وعبر عنه بها قيل هذا ليفي الضر والنفع عنه وضره مبتدا ومضاف إليه ﴿أقرب﴾ خبر ضر والجملة صلة من ﴿من نفعه﴾ أي من نفعه الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل به إلى الله * ﴿لبئس﴾ اللام في جواب قسم محذوف أو لام الابتداء لجوازها في الفعل الجامد ﴿المولى﴾ الناصر هو والقسم وجوابه أو لام الابتداء وما بعده خبر من ﴿ولبئس العشير﴾ الصاحب هو قال ابن هشام قيل مفعول يدعو هو من زيدت فيه اللام ورد بان زيادة هذه اللام في غاية الشذوذ فلا يليق تخريج التنزيل عليه وقيل هي لام الابتداء وهو الصحيح وقيل مقدمة من تأخير والاصل يدعو من لضره أقرب من نفعه.

فمن مفعول (يدعو) ولضره اقرب من نفعه صلة (من) وهذا بعيد لان لام الابتداء لم يعهد لها التقديم عن موضعها.

وقيل: انها في موضعها وهو الصحيح فقيل لا مفعول ليدعو وانه توكيد ليدعو والوقف عليه وفي هذا القول دعوى خلاف الاصل مرتين لان الاصل عدم التوكيد والاصل ان لا يفصل المؤكد من توكيد لاسيما التوكيد اللفظي.

وقيل: ذلك مفعول ليدعو عليه على ان ذلك موصول وهو الضلال البعيد صلته أي يدعو الذي هو الضلال البعيد وهذا الاعراب لا يستقيم عند البصريين لان ذا لا تكون موصولة عندهم الا إذا وقعت بعد ما ومن الاستفهاميتين .

وقيل: مفعوله محذوف أي (يدعوه) والجملة حال أي ذلك هو الضلال البعيد مدعو.

وقيل: مفعوله الجملة بعده.

وقيل: يدعو بمعني يقول فيقع على الجملة.

وقيل: هو مضمن معنى فعل القلب فقيل معناه (يظن) لان أصل معنى يدعو يسمي مكانه قيل: يسمي من ضره أقرب من نفعه الها ولا يصدر ذلك عن يقين فكأنه قيل: (يظن) فالمفعول الثاني محذوف كما قررنا.

وقيل: معناه يزعم والزعم قول مع اعتقاد ولبئس المولى على القولين مستأنف.

وقيل من ضره أقرب من نفعه هو الرؤساء المقتدى بهم في الكفر والمعاصي وقرأ ابن مسعود من ضره أقرب من نفعه باسقاط اللام **﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾** الفرض والنفل **﴿جنات تجري من تحتها الانهار﴾** فهو المستحق للعبادة إذا كان ينفع العابد ويضر العاصي **﴿ان الله يفعل ما يريد﴾** من اهانة العاصي أو تعذيبه واكرام العابد واثباته ألّا رادّ لفعله **﴿ من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة ﴾** الهاء لرسول الله ﷺ وفي الكلام حذف اي ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حساده واعدائه ان الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه انه لا يظفر بمطلوبه **﴿فليمدد﴾** يده **﴿بسبب﴾** حل.

وقـال ابن هشـام: (سبب) مفعـول (يمدد) زيدت فيه الباء ﴿إلى السـماء﴾ سماء بيتـه مثـلا وهـو سقفـه والسـماء كل ما علاك واظلك أي فليستمض وسعـه في ازالة غيظه وجزعه بان يفعل ما يفعله الممتلىء غيظا وجزعا حتى يعلق حبلا في عال كسقف وشجرة ﴿ثم ليقطع﴾ نفسه بحبس مجاريه بذلـك الحبـل فيمـوت أو من قطع اللازم بمعنى اختنق وهو قول الجمهور والخليل وسكن غير ورش وابن عامر وابي عمرو (اللام) وقيل المعنى ليقطع الحبل بعد الاختناق ﴿فلينظر هل يذهبن كيده﴾ في عدم نصرة رسول الله ﷺ وسمي فعله المذكور كيدا وضعا له موضع الكيد إذ لم يقدر على غيره أو استهـزء لانه لم يكد به محسوده انما كاد نفسه ﴿ما يغيظ﴾ ما مصدريه والمصدر مفعول يذهب أو هي المفعول به على انها اسم موصول اي ما يغيظه وهـو نصر رسـول الله ﷺ والمعنى مت يا حاسد محمد كمدا فانه لا محالة منصور والا فانه لا يمكنه قطع الحبل وتصور اذهاب الغيظ وعدمه في نفسه بعد اختناقه وموته وما ذلك الا كالمثل السائر (دونك الحبل فاختنق).

وروي انها نزلت في نفر من بني أسد وغطفان قالوا: نخاف ان ينصر محمد فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من يهود من المنافع.

وروي انه ﷺ دعاهم إلى الاسلام وقالوا لا يمكننا لانا قد حالفنا اليهود فنخاف ان لن تنصر.

وادعى بعضهم ان الروايتين دليل لتفسير الآية بما مر فقال مجاهد: نزل ذلك في قوم مؤمنين اشتد غيظهم وحنقهم على المشركين واستبطوا النصر

وقيل: فيهم وفي قوم مشركين يريدون اتباعه ويخشون ان لا يثبت امره.

وقيل: المعنى فليمدد إلى سماء الدنيا ما يتوصل به إليها فيجتهد في دفع نصره وقطع الوحي عنه أو يعجل النصر الذي استبطاه.

وقيل: النصر الرزق والهاء لمن أي الرزق بيدي الله لا ينال الا بمشيئته ولابد للعبد من الرضى فمن ظن ان الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام فليخف نفسه جزعا أو يبلغ السماء الدنيا في تحصيل الرزق وقضية بني اسد وغطفان المذكورة تدل لهذا وهي رواية عن مجاهد ﴿وكذلك﴾ واي مثل ذلك الانزال أو انزالا ثابتا كذلك الانزال أو متعلق بما بعده * ﴿أنزلناه﴾ أي القرآن الباقي اي انزلنا باقيه مثل انزال تلك الآيات النازلات كلها فانزلنا بمعنى ننزل أو المعنى انزلنا هذه الآيات مثل انزال سائر الآيات التي انزلنا وسمي بعض القرآن قرانا لانه اسم لكل الكتاب الكريم واسم لبعضه * ﴿آيات﴾ حال ﴿بينات﴾ واضحات * ﴿وأن الله يهدي من يريد﴾ يهدي من اراد في الازل هدايته لو ثبت المؤمن الذي اراد تثبيته على إيمانه.

قال بعضهم: العطف على هاء انزلناه فالمصدر قدر منصوبا

وقيل: قدر لام التعليل فالمحل نصب أو جر قولان أي ولان الله والعطف على كذلك.

وقيل: يتعلق بمحذوف اي انزله كذلك لان الله ﴿ان الذين آمنوا والذين هادوا﴾ سموا (يهود) التهودهم عند قراءة التوراة.

وقيل: لقوله انا هدنا اليك اي تبنا وقيل: لاتباعهم يهود ابن يعقوب وفيه نظر لانهم امة موسى.

والظاهر ان هذا لاسم اطلق عليهم بعد مبعث موسى عليه السلام ويهودا متقدم بزمان طويل ﴿والصابئين﴾ من صبا يصبو صرف (العلة) لا يهمز ويهمزة قلبت حرف علة وحذف وقرىء بالهمز من صبأ بالهمز وهم طائفة من اليهود وقيل: من النصارى وقيل: من المجوس.

وعن ابن عباس بين اليهود والنصارى اخذوا من التوراة والانجيل.

وقيل: بين اليهود والمجوس. هم يعبدون الملائكة ويقرأون الزبور ويصلون إلى القبلة ويقولون تكونت الاشياء من نور وظلام وسموا بذلك لانهم يصبئون من دين إلى دين.

وقيل: لانهم لما أخـذوا من التـوراة والانجيل ما شاءوا قالـوا اصبنـا (الصـائبين) اسم فاعل صاب لا اسم فاعل اصاب لان قيل انه اسم فاعل صاب الثلاثي بعد قلب الباء إلى موضع الالف وفي القاموس الصائبون يزعمون لانهم على دين نوح عليه السلام وقبلتهم من مهب الشمال عند منتصف النهار ﴿**والنصارى**﴾ يأتي وجه تسميتهم ان شاء الله ﴿**والمجوس**﴾ عبدة النار والشمس والنهر والنجوم وينكحون ذوات المحارم ويأكلون ميتات البهائم وهو اسم لا.

رئيسهم الـذي وضع لهم ذلك الدين القبيح ومعناه بالفارسية كثير شعر الاذنين واصله بالفارسية مكئوس بيمرة واو بعدها واو حذفت الهمزة أو الواو الاولى تخفيفا وكان ذلك الرئيس كذلك.

وقيل: معنـاه صغير الاذنين وكان كذلك ﴿**والذين اشركوا**﴾ عبدة الاصنام ﴿**ان الله يفصل بينهم يوم القيمة**﴾ بادخال من آمن وعمل صالحا الجنة وادخال هؤلاء الاخساء الكفرة النار أو المراد يفصل بين كل فريق وآخر وبين هذا وهذا من فريق واحد والمراد يدخل كلا المحل المعد له (وجيىء) بان في خبر ان الاولى زيادة في التأكيد كقول جرير: *

ان الخليفة ان الله سربلة ... سربال ملك به ترجي الخواتيم

﴿**ان الله على كل شيء شهيد**﴾ فهو عالم باحوالهم فيجازيهم عليها ﴿**الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض**﴾ اي الم تعلم ان الله يخضع له من في السموات ومن في الارض لا يخرج واحد عن حكمه فيرد الاسقام إذا جاءته أو المكاره أو يعجل ما يحب قبل اجله.

﴿والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب﴾ ذكر ذلك اما استعمالا (لمن) العقلاء فقط فلم تشمل ذلك وإما عطفا لخاص على عام بان استعمل (من) في العاقل وغيره وهذا لشهرة هذه الافراد فيما قيل قبل واستبعاد ذلك منها؟ قلت: انما يستبعد منها سجود الانحناء لا عدم الامتناع عن حكمه تعالى في ذاتها قبل شبه مطاوعة الاشياء بالسجود الذي كل خضوع دونه ومن اجاز الجمع بين الحقيقة والمجاز ومن اجاز بين معنييه اجاز ان المراد بالسجود سجود الانحناء في جانب الملائكة والمؤمنين سجود خضوع الاجساد في جانب الذوات. وما قبلها والمشركين فان اجسادهم خاضعة في ذاتها ولو كانوا يستعملونها في المعاصي وكانت القلوب كافرة بل قد روي ان الارواح كلها تسجد غير روح الجنب ولك ان تريد بالسجود القدر الموجود في سجود الانحناء وهو الخضوع في جانب الساجد وخضوع غير الساجد والكل سجود بمعنى خضوع.

وقرىء و(الدواب) بترك التشديد كراهة للتضعيف والجمع بين الساكنين.

وقيل: سجود تلك الاشياء تحول ظلالها.

وقيل: ما في السماء نجم الا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعه وكان الحسن لا يعد السجود الا من المسلمين.

وعن مجاهد يسجد المؤمن طوعا والكافر كرها ﴿وكثيرٌ من الناسِ﴾ هم المؤمنون عطف خاص على عام الحزبية سواء قلنا السجود فيما ذكر سجود مطاوعة وعدم الامتناع عما اراد الله في الذوات أو الخضوع العام لهذا المذكور وللخضوع الواقع بالانحناء أو خضوع الارواح أو جمعا بين الحقيقة والمجاز

أو بين معنيين ولك ان تجعل (كثير) فاعلا لمحذوف أو مبتدأ وخبره محذوف اي ويسجد له كثير من الناس سجود الانحناء أو كثير يسجد له أو كثير من الناس (ثياب) ويدل لهذا * ﴿وكثير حق﴾ وقرىء بالبناء للمعفول * ﴿عليه العذاب﴾ وقرىء حقا عليه العذاب أي حق العذاب عليه حقا.

ويجوز كون (كثير) الثاني معطوفا على الاول وما بعده خبر الاول والعطف للمبالغة فمن حق عليه العذاب وهم الكفرة.

ويجوز عطف (كثير) الثاني على ما تقدم بالمعنى العام في السجود اعني مطلق الخضوع للجسم وعدم الامتناع فيكون (حق) الخ صفة له *

﴿ومن يهن الله﴾ بالشقاوة ﴿فماله من مكرم﴾ بالاسعاد وقرىء بفتح الراء على انه مصدر ميمي بمعنى الاكرام.

﴿ان الله يفعل ما يشاء﴾ من الاكرام والاهانة ﴿هذان﴾ وشدد ابن كثير النون ومكن حرف العلة قبله وكذا في و(اللذان) بأتيانها وفي ان (هذان) وفي هاتين وفي ارنا اللذين ﴿خصمان﴾ اي فريقان يختصمان فالتثنية نظرا للفظ وجمع في قوله ﴿اختصموا في ربهم﴾ نظرا للمعنى ولو عكس لصح.

وقرأ ابن ابي عبلة اختصما والخصم في الاصل مصدر.

وروي عن الكسائي خصمان بكسر الخاء والمراد (المؤمنون والكافرون اختصموا في دين ربهم أو ذاته وصفاته).

وروي ان اليهود، قيل: والنصارى قالوا للمؤمنين: نحن أحق بالله منكم واقدم كتابا ونبيا وقال المؤمنون: نحن أحق بالله آمنا بمحمد وبنبيكم وبما أنزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا وكفرتم بهما حسدا.

وروي انهم قالوا: نحن أحق بالله كتابا ناسخا لكتابكم ونبينا خاتم النبيين فقضى الله ـ جل وعلا ـ للمؤمنين بقوله إلى (الله يدخل الذين آمنوا) الخ وعلى الكفار بقوله (فالذين كفروا) إلى آخره.

قال الشيح هود رحمه الله قال بعضهم: نزلت في ثلاثة من المؤمنين وثلاثة من المشركين تبارزوا يوم بدر فاما المؤمنون فعبيدة بن الحارث وحمزة وعلي واما المشركين فعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبه.

قلت: روى قومنا عن قيس بن عمار انه سمع ابا ذر يحلف انها نزلت في الستة وحلف على انه أول من بحثوا يوم القيامة للخصومة وأول ما يقضى به يوم القيامة بين الناس الدماء وأول مبارزة وقعت في الاسلام مبارزة علي واصحابه فهي أول خصومه يوم القيامة.

قال ﷺ:«نحن الآخرون في الدنيا والاولون في القضاء يوم القيامة».

روى انه خرج عتبة بن ربيعة وابن اخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ودعوا للمبارزة فخرج فتية من الانصار عوف ومعاذ ابنا الحارث واسم امهما عفراء وعبدالله بن رواحة فقالوا من انتم؟ فقالوا: رهط من الانصار فقالوا: مالنا بكم من حاجة ثم نادى مناديهم يامحمد اخرج الينا اكفياءنا من قومنا فقال ﷺ:قم ياعبيدة بن الحارث قم ياحمزة قم ياعلي ولما دنوا منهم قالوا من انتم؟ فتسموا لهم فقالوا نعم اكفاء كرام فبارز عبيدة وكان لسن القوم عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة وبارز علي الوليد وقتله فقتله وقال في فتح الباري بارز حمزة عتبة وعبيدة شيبة وعلي الوليد قتله وقتل حمزة عتبة واختلف عبيدة وشيبة بضربتين وقعت الضربة في ركبة عبيدة ومال حمزة وعلي عليه فقتلاه واحتملا عبيدة بل اعاناه على قتله.

وروى ابو داود من علماء الاندلس ان حمزة لعتبة وعلي لشيبة وأثخن كل من عبيدة والوليد صاحبه أي اكثر جراحته ومال حمزة وعلي إلى الوليد فقتلاه واحتملا عبيدة وصح بعضهم ان عليا للوليد بانهما شابان والاربعة شيوخ.

وروى ان عبيدة قطعت رجله فقال يارسول الله بعد ما جاءوا به إليه والدم يسيل الست شهيدا؟ فقال: بلى؛ فقال عبيدة: لو كان أبو طالب حيا لعلم اني احق بها قال منه حيث قال:

ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن ابنائنا والحلايل

وقبله ابيات منها متصلا به *

كذبتم وبيت الله نبري محمدا ... ولما نطاعن دونه ونناضل

وبعده ابيات منها متصلابه قال:

وينهض قوم في الحديد إليكم ... نهوض الوفايا تحت ذات الصلاصل

وزعم البخاري وغيره ان الخصمين الجنة والنار.

عن أبي هريرة عنه ﷺ تحاجت الجنة والنار قالت النار أوترت بالمتكبرين والمتجبرين فقالت الجنة فمالي لا يدخلني الا ضعفاء الناس فقال الله لها انت رحمتي ارحم بك من اشاء وقال للنار انما انت عذابي اعذب بك من اشاء ولكل كما ملاها ﴿**فالذين كفروا قطعت**﴾ التشديد للمبالغة.

وقرىء بالتخفيف ﴿**لهم ثياب من نار**﴾ تجعل النار محيطة بهم كما يشتمل الثوب على لابسه.

وقيل: تجعل لهم ثياب من نار على قدر اجسادهم ويجوز انه اراد لكل واحد منهم ثيابا بعضها فوق بعض من النار.

وقال سعيد بن جبير: ثياب من نار وثياب من نحاس مذاب وليس من الآنية شيء إذا احمى اشد حرا منه ولما كان من نحاس النار.

قيل: من النار أو لانه محمي بالنار أو لانه احر كالنار ﴿**يُصَبُّ من فوق رؤوسهم الحميم**﴾ الماء الحار غاية.

عن ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها ﴿**يصهر**﴾ يذاب وقيل: ينضج ﴿**به ما في بطونهم والجلود**﴾ وقيل: يكشط

ويسلت بذلك الحميم ما في بطنه حتى تبلغ قدميه من امعاء واحشاء وكذا جلده فهو يؤثر في الظاهر كالباطن وجملة (يصب) الخ خبر ثان أو حال من هاء لهم وجملة (يصهر) الخ حال من الحميم أو ضمير (هم) وقرأ الحسن (يصهّـر) بتشديد الهاء للمبالغة ﴿ولهم مقامع﴾ جمع (مِقمع) بكسر الميم الاولى أي آلـة القمـع اي الضرب والمـراد سياط ﴿من حديـد﴾ يضرب رؤوسهم فتخـرق بالضرب فيصب فيهـا الحميم ويغـلي مخهم ويندفق في جوفهم لو اجتمع الثقلان على مقمع ما رفعوه من الارض يضرب به الشقي فيهبط سبعـين ألف عام ﴿كلما ارادوا ان يخرجـوا منهـا﴾ من النار (من) للابتداء ﴿من غم﴾ يلحقهم.

قال ابن هشام: (من) للتعليل متعلق ان بـ (يخرجوا) ويجوز كون هذه ايضا للابتداء على ان (من غم) بدل اشتمال من قوله (منها) والرابط محذوف أي من غمها أو من غم لها ﴿اعيدوا فيها﴾ قيل: فخرجوا اعيدوا فيها لان الاعادة بعد الاخراج ولا ينا في كونهم لا يخرجون لان المراد انهم لا يخرجون بلا عود فيها وهكذا يقال والحق ان لمعنى كلما ارادو الخروج فبدوا في مقدماته بالانتقال من مكان إلى آخر مثل أن يرتفعوا إلى اعلى اعيدوا في الموضع الذي كانوا فيه منها أو أسفل.

وقد قيل عن الحسن: ان النار ترفعهم بلهبها حتى إذا كانوا في علاها قرب البـاب ضربـوا بالمقـامـع فهووا فيها سبعين خريفا ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾ أي وقالت لهم الملائكة ذوقوا والحريق النار المبالغة بالاحراق.

وقرأ الاغمش كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم ردوا فيها وهذا تمام الحكم على الخصم الكافر يليه الحكم للخصم المؤمن

وقيل: الحكمان هما نفس الفصل في قوله تعالى ان الله يفصل ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون

﴿فيهـا من اساور من ذهب ولؤلؤاً﴾ غير الاسلوب حيث لم يعطف جملة على جملة إذ لم يقل والذين آمنوا إلخ عطفا على قوله الذين كفروا واسند الادخال إلى الله تعالى واكده بانه تعظما للمؤمنين والتشديد في (يحلون) المتعدية.

قالوا: ومفعول أول نائب عن الفاعل ومن اساور متعلق بمحذوف نعت لمفعول محذوف ومن للتبعيض أي حليا ثابتا من اساور او للابتداء ومن اجاز زيادة (من) في الاثبات اجاز كون (من) زايده واساور مفعول والحلي يصدق على القليل والكثير يقال حليت زيدا كذا اي البسته اياه واساور جمع اسور وأسورة جمع سوار.

وقرىء (يَحْلَون) بفتح الياء واسكان الحاء وفتح اللام يقال حلي زيد كذا أو بكذا أي لبسه وتزين به.

وقيل: المخفف والمشدد سواء معنى وتعدية لواحد فقط (ومن ذهب) نعت اساور و(من) للبيان.

وقد يجوز كونها للتبعيض و(لؤلؤ) معطوف على (حليا) المحذوف أو على (اساور) بناء على زيادة (من) أو مفعول لمحذوف أي ويؤتون (لؤلؤ).

وقـرأ غير نافع وعاصم بجره عطفا على (اساور) لا على (ذهب) لانه لم يعهد السوار من ذهب الا ان اريد المرصعة به كذا.

قيل:قلنا بل روى سعيد بن مسيب ليس أحد من أهل الجنة الا وفي يديه ثلاثة أسورة: سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من اللؤلؤ.

وقال في آية أخرى:﴿ وحلوا اساور من فضة ﴾ وعنه ﷺ «ان الرجل من أهل الجنة إذا بدا سواره يغلب ضوؤه على ضوء الشمس».

وعن ابي سعيد قال ﷺ:«ان عليهم التيجان ادنى لؤلؤة منها لتضيىء ما بين المشرق والمغرب».

وعنه ﷺ «من لبس الحرير في الدنيا من الرجال لم يلبسه في الآخرة ومن تركه لله لبسه في الآخرة».

وكما قال: ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ غير الاسلوب اشارة إلى ان الحرير هو لباسهم المعتاد أو للمفاضلة وأبو عمرو وأبو بكر يخففان الهمزة الاولى وحمزة إذا وقف سهل الهمزتين وهشام يسهل الثانية بغير نصب والباقون يخففونها وبعضهم يخففونهما وكذا في غير هذا الموضع.

وقرىء و(لولو) بقلب الثانية واوا ولؤليا بقلبهما واوين وقلب الواو الثانية ياء وكسر ما قبلها ففي قراءة الجر يقال لول كـ (أدل) جمع دلو اصله ادلو بفتح الهمزة واسكان الدال وضم اللام قلبت الصمة كسرة والواو ياء وحذفت لالتقاء الساكنين لان حركتها إذا كانت ضمة أو كسرة تنقل فتخذف و(لولو) بقلبهما واوين ,و(ليليا) بقلبهما يائين فيقال جر لول وليل و(الولؤ) الجوهر.

قال ابن عباس:لا تشبه أمور الدنيا أمور الآخرة الا في الاسماء واما الصفات فمتباينة * ﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾ في الدنيا وهو لا اله الا الله.

وقيل: المراد في الآخرة.

وقيل: يقولون في الجنة لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله.

وقيل: القرآن.

وقيل: قولهم الحمدلله الذي صدقنا وعده.

وقيل: ذكر الله مطلقا وما يجري بينهم من حديث طيب فانه لا تسمع فيها لاغية * ﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ أي إلى دين الله المحمود نفسه أو المحمودة جنته أو المحمودة هو الصراط اضيف الصراط إلى الحميد على ان الاصل إلى صراط هو الحميد.

وقيل: من اضافة الموصوف إلى الصفة والاصل الصراط المحمود وذلك بالدنيا اليق * ﴿ان الذين كفروا ويصدون﴾ الناس اي يمنعونهم أو من الصد اللازم أي يعرضون ﴿عن سبيل الله﴾ والمضارع للاستمرار ولذا حسن عطفه على الماضي كقولك: (زيد يعطي) أي الاعطاء عادته وليس يريد يعطي الآن أو سيعطي.

وقيل: (الواو) للحال وصاحب الحال (واو) كفروا وفيه نظر لان المضارع المثبت لا يقرن بواو الحال الا ان اريد وهم يصدون وخبر (ان) محذوف يدل عليه (نذقه من عذاب اليم) يقدر بعد أليم أو بعد البادي أي معذبون أو نذيقهم أو خسروا أو هلكوا ﴿والمسجد الحرام﴾ عطف على سبيل.

وقيل: على اسم (الله) فيكون المعنى وعن سبيل المسجد الحرام ﴿الذي جعلناه للناس﴾ متعلق بجعلناه أو حال من الهاء أو من الذي ﴿سواء العاكف﴾ المقيم مبتدا خبره سواء والجملة مفعول ثان لـ (جعل) ﴿فيه﴾ متعلق بالعاكف ويقدر مثله لسواء أو بالعكس ﴿والبادِ﴾ الطارىء باثبات الباء وصلا عند ورش وابي عمرو وحذفها الباقون.

ويجوز كون (الناس) متعلقا بمحذوف مفعول ثان والجملة بعده حال من الضمير المستتر في (للناس) أو من (الذي) أو من (الهاء).

وقرأ حفص بنصب (سواء) على انه مفعول ثان وان جعلنا المفعول الثاني (للناس) فسواء حال من (الذي) أو (الهاء) أو (الناس) والعاكف فاعل سواء

وقرىء بجر العاكف بدلا من الناس (بدل كل) باعتبار عطف البادي والمراد العموم أي حاضر وباد ومقيم وطارىء ومكي وغيره.

والآية نزلت عام الحديبية حين صدوا النبي ﷺ واصحابه.

وقال أبو حنيفة واصحابة :المسجد الحرام مكة والحرم واستدلوا بقوله : (سواء العاكف فيه والبادي) بان بيع دور مكة واجارتها لا يجوزان ولا يخفى ما في تفسير (المسجد الحرام) بمكة من الضعف مع ان ذلك معارض بقوله : (الذين اخرجوا من ديارهم) فنسبة الديار إليهم دليل على انها ملكهم واشترى عمر دار السجن فيها باربعة آلاف درهم من غير ان ينكر عليه وهو في ظهور وقدرة ولولا انها ملك لصاحبها لانكروا عليه لانه يؤدي إلى منع اصحاب الدور دورهم الا بنحو البيع .

ومذهب الشافعي جواز البيع والاجارة ودليله ما ذكر وقوله ﷺ يوم الفتح «من اغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن» فنسب الديار إليهم وهو قول طاوس وعمرو بن دينار والتسوية انما هي في تعظيم المسجد وقضاء النسك وهو قول مجاهد والحسن .

وعن جبير بن مطعم عنه ﷺ «يابني عبد مناف لا تمنعوا احدا الطواف والصلاة بهذا البيت ليلا أو نهارا»

وقول أبي حنيفة منسوب لابن عباس وابن جبير وقتادة وابن زيد من سبق إلى منزل فهو أحق به حتى يقضي حاجته .

قال عبد الرحمن بن سابط كان الحجاج إذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة أحق بمنزلة منهم كان عمر ينهى الناس ان يغلقوا ابوابهم في الموسم ووجه ذلك انه ﷺ ملك مكة والحرم من غير قتال وجعلها في سبيل الله .

ومذهبنا معشر الاباضية ان الاجرة على دور مكة مكروهة وجازت بلا كراهة على نحو الخشب والبيع كالاجارة .

وقيل : الكراهة للمنع من الاقامة ﴿ومن يرد فيه﴾ في المسجد الحرام ﴿بالحاد﴾ مصدر منون واحدى شكلتي الدال تصور كالميم اشعارا بان التنوين يقرأ إلى جهة الميم لمجيء الباء بعده .

قال ابن هشام: والباء زائدة في المفعول به والالحاد الشرك وعبادة غير الله. وقيل: كل منهيّ عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم.

وقيل: دخول الحرام بغير إحرام وقتل صيد وقطع شجر ونحو ذلك.

وقيل:ادخار الطعام بمكة وهو قول ابن جبير.

ورواية عن ابن عباس وعنه ﷺ «احتكار الطعام في الحرم الحاد فيه».

وقيل: الالحاد منع الناس من عمارته وقيل: الكذب.

قال مجاهد: تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات وذلك كله ظلم للنفس وبعضه ظلم للغير ايضا كما قال ﴿بظلم﴾ متعلق بالحاد.

وعن ابن عباس (الالحاد بالظلم) ان تقتل فيه من لا يقتلك أو تظلم فيه من لا يظلمك * ﴿نذقه من﴾ للتبعيض أو زائدة عن بعض أو للابتداء ﴿عذاب اليم﴾ عن ابن مسعود وجماعة لو ان رجلا همّ بخطيئة لم تكتب عليه حتى يفعلها وان همّ بقتله بمكة كتب عليه قتله واذاقه الله من عذاب اليم.

قال السدي: (الا ان تاب)

وكان عبدالله بن عمر يضرب فسطاطا في الحرم وآخر في الحل وإذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فسئل عن ذلك قال: كنا نعد من الالحاد فيه قول الرجل كلا والله وبلى والله.

وعن عطاء (الالحاد) قول الرجل في المبايعه:لا والله وبلى والله وكان بعض لا يقضي حاجة الانسان الا في الحل.

وقيل: البـاء في (بـالحاد) غير زائدة فاما لان مفعولا يرد مقدار أي معصية أو تركا يتناول كل متناول واما لتضمينه معنى الاهتمام أي ومن اهتم بالحاد وهو قول ابن العربي.

وقرىء بالفتح للباء من الورود أي باءت بالحاد.

وقيل: بالحاد وبظلم حالان أو بظلم بدل من بالحاد * ﴿وإذ﴾ وإذكر إذ * ﴿بوأنا لابراهيم مكان البيت﴾ جعلنا لابراهيم مكان البيت مباءة أي مرجعا يرجع إليه للعمارة والعبادة.

روي ان البيت رفع للسماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله ابـراهيم عليه السلام مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم ولذا قال (مكان البيت).

وروي ان الاس تكلم (ياابراهيم ابن علي)

وقد فسر بعضهم (بوانا) ببينا.

قيل: وكان حوله حجارة سوداء.

وقيل: انطمس مكان البيت ايام الطوفان فبينته الريح.

وقيل: (بوأنا) انزلنا) (وإبراهيم) مفعول زيدت فيه اللام ومكان ظرف مكان وفيه ضعف لزيادة اللام من غير ان تكون في معمول عامل ضعف عمله بالتخير أو بكـونه فرعا في العمل ﴿ان لا تشرك بي شيئا﴾ ان تفسيريه ووجه كون النهي عن الاشراك والامر بتطهير البيت تفسيرا المتبوئة ان التبوئة مقصودة من أجل العبادة لله وحـده فكـأنه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا له (لا تشرك بي شيئا) واجاز بعضهم كونها مصدرية موصولة بالنهي فقدم لام التعليل قبلها ﴿وطهر بيتي﴾ من الاصنام والاقذار والانجاس وما لا يليق ان يحضر حوله وقرىء ان لا يشرك بالتحتية وزعم الصفاقضي ان تفسير لقول محذوف وان التقدير قائلين: (لا تشرك) ويرده ان التفسيرية تكون مع ما فيه معنى القـول لا حرفه وانه لا تكون على هذا التقدير تفسيرية قال أو يقدر موبخين له (لا تشرك) ويرده ان هذا المقام لا يناسبه التوبيخ.

وعن عائشة كسوة البيت على الامراء.

وسكن الياء غير نافع وحفص وهشام ﴿للطائفين﴾ به ❊ ﴿والقائمين﴾ المقيمين به للذكر والقراءة ﴿والركع السجود﴾ جمعا راكع وساجد والمراد المصلون ولكنه والله اعلم عبر عن الصلاة باركانها للدلالة على ان كلا منها مستقل باقتضاء التطهير مما ذكر فكيف وقد اجتمعت.

وقيل: المراد بالقائمين (من قام مصليا) فيكون خص من اركان الصلاة اعظمها القيام والركوع والسجود ﴿وأذّن في الناس بالحج﴾ نادى فيهم به.

وقرأ ابن محيصن واذن

وكل من التاذين والايذان الاعلان قل: (حِجُّوا أو عليكم بالحج).

قال ابن عباس: اراد بالناس أهل القبلة.

وقيل: أهل القبلة وغيرهم بناء على تكليف المشركين بفروع الشريعة وهو الحق وروي ان ابراهيم عليه السلام قال (يارب وما يبلغ صوتي؟ فقال الله جل جلاله عليك الأذان وعليّ الابلاغ) فقام ابراهيم على المقام وصار كاطول الجبال وادخل اصبعيه في اذنيه واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال: (يا ايها الناس الا ان ربكم قد بنى بيتا وكتب عليكم الحج فاجيبوا ربكم) فاجابه كل من يحج من اصلاب الآباء وارحام الامهات (لبيك اللهم لبيك).

قال ابن عباس: أول من اجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجا.

وروي انه صعد ابا قبيس فقال: (ياايها الناس حجوا بيت ربكم) وانما اجابه من سبق في علم الله انه يحج وقيل: اجابه في ذلك الوقت كل شيء من جماد أو غيره.

وذكر الطبري انه نادى في المقام وطال كأرفع جبل وجمعت له الارض سهلها وجبلها وبرها وبحرها وانسها وجنها وانه بدء بالشق اليمين.

وانه قيل لما قيل له اذن قال كيف أقول؟ قال: قل: (ياايها الناس اجيبوا ربكم ثلاث مرات) واثر الله قدميه في المقام آية.

قال: افلا تراهم يقولون لبيك اللهم لبيك؟ فمن اجاب مرة حج مرة أو مرتين فمرتين أو ثلاثا فثلاثا وهكذا ومن سبق في علم الله انه لا يحج لم يجب.

وعن الحسن ان الخطاب لرسول الله ﷺ امر ان يقول ذلك في حجة الوداع عن أبي هريرة «خطبنا رسول الله ﷺ فقال: يا ايها الناس قد فرض عليكم حج هذا البيت فحجوا» وروي انه (لما امر بالتأذين ابراهيم خفضت الجبال رؤوسها ورفعت له القرى) * ﴿يأتوك رجالا﴾ حال من الواو جمع راجل أي مشاة على ارجلهم كـ (قائم وقيام).

وقرأه رجال بضم الراء مخفف الجيم ومشددها

وقرأ ابن عباس (ورجالي) بضم الراء وتخفيف الجيم وبالف التانيث بعد اللام (كعجالي) وقدم المشاة لفضلهم وهو قول ابن عباس ﴿وعلى كل ضامر﴾ متعلق بحال محذوفة معطوفة على (رجالا) اي (وراكبين أو ركبانا على كل ضامر) والجار لغو على الضحيح.

وقيل: مستقر وهي من المسائل الواقعة بين السعد والسيد.

وان قدرنا الحال كونا عاما فالجار مستقر والضامر البعير المهزول ذكرا أو أنثى وانما هزل لان السفر اتعبه.

وقيل: الضامر الناقة المهزولة.

وقيل: يطلق على كل دابة مهزولة واستظهره ابن عرفة ﴿يأتين﴾ نعت لضامر ولو كان ضامر مفردا لانه بواسطة اضافة كل إليه في معنى الجمع أو نعت لكل.

وقرىء (يأتون) نعت للحالين ومانع نعت الصفة يجعله مستانفا.

قال ابن العربي: قوله تعالى (ياتين) فيه فيرد الضمير إلى الابد تكرمة لها لقصدها الحج مع اربابها ﴿من كل فج﴾ طريق واسع ﴿عميق﴾ بعيد كالصين فانه قد دخله الاسلام وكالاندلس.

وقرأ ابن مسعود (معيق) والمعنى واحد * بير بعيدة العمق والمعق أي القعر * وعميقة ومعيقة بعيد القعر * ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ ليحضروا منافع ثابتة لهم دنيوية وأخروية والتنكير لارادة منافع مخصوصة لا توجد في غير ذلك.

وكان أبو حنيفة يفاضل بين العبادات قبل ان يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص وذلك قول مجاهد وابن العربي.

وقال ابن عباس: المراد المنافع الدنيوية من التجارات ونسب للاكثرين

وقال أبو جعفر محمد بن علي: المراد (المنافع الاخروية) وهو الظاهر لورود النهي عن قصد التجارة في الحج وبقول مجاهد يقول الشيخ هود لقوله عز وجل ﴿ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم﴾ أي بالتجارة في موسم الحج.

قال الغزالي التجارة تمنع فضلة الحج ولا سيما ان كان متجرا بنفس الحج بان يحج لغيره بآخره فيطلب الدنيا بعمل الآخره.

وقد كره الورعون وارباب القلوب ذلك الا ان كان قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا باس ان يأخذ ذلك على هذا القصد لا يتوصل بالدين إلى الدنيا بل بها إلى الدين وعند ذلك ينبغي ان يقصد زيارة بيت الله تعالى واعانة اخيه المسلم باسقاط الفرض عنه وفي مثله ينزل قوله ﷺ «يدخل الله تعالى بالحجة الواحدة الجنة ثلاثة الموصي بها والمنفذ لها والخارج بها عن اخيه»

﴿ويذكروا اسم الله في ايام معلومات﴾ في العشر الأوائل من ذي الحجة عند الاكثرين وسميت معلومات للحرص عليها لوقت الحج في آخرها .

وعن ابن عباس انها ايام عرفة والنحر والتشريق .

وقيل : يوم النحر وثلاثة بعده والاول قول ابي حنيفة وقتادة والحسن .

وقال مالك : يوم النحر واليومان بعده * ﴿على مارزقهم من بهيمة الانعام﴾ الابل والبقر والغنم التي تنحر في يوم العيد وما بعده من الضحايا والهدايا والبهيمة تطلق على كل ذات اربع ولذا بينت بالانعام علق الذكر بما رزقهم وبين مارزقهم بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضى الذكر والمراد ذكر الله عند اعداد البهيمة وذبحها.

وقيل : كني عن النحر والذبح بذكر اسم الله لان أهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه إذا نحروا أو ذبحوا وفيه تنبيه على ان الغرض الاصلي فيما يتقرب إلى الله به ان يذكر اسمه والجمع بين ذكر اسم الله والرزق حسن الكلام تحسنا واضحا ولو قال لينحروا في ايام معلومات بهيمة الانعام لخلا عن الحسن .

وقالوا : ان في ذكر الايام دليلا على ان الذبح في الليل لا يجوز وهو مذهب اصحاب الرأي .

قال الشيخ هود ـ رحمه الله ـ : الاضحى يوم النحر ويومان بعده ويوم النحر أفضلها .

وقيل:هذا بمكة توسيعا لمن لم يجد واما في غيرها فيوم النحر وبسط ذلك في قوله قال بعضهم وفي الآية دليل على ان الايام المعلومة يوم النحر وايام التشريق لان التسمية على بهيمة الانعام عند نحرها ونحر الهدايا يكون في هذه الايام * ﴿فكلوا منها﴾ من لحومها وشحومها إذا كانت غير واجبة والامر للاباحة وكانت الجاهلية تحرج ان تأكل منها فاباح الله لنا الاكل منها لنخالفهم أو للندب لما فيه من مواساة الفقراء ومساواتهم ومن استعمال التواضع .

وقيل: الوجوب ايجابا لمخالفتهم.

قيل: اتفق العلماء انه لا يمتنع الاكل من المتطوع به لما روى عن جابر بن عبدالله في قصة حجه الوداع قال وقدم عليّ من اليمن ببدن وساق رسول الله ﷺ ثلاثا وستين بدنة ونحر عليّ ما غبر واشركه في بدنة ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر وطبخت فاكل من لحمها وشرب من مرقها * ﴿واطعموا البائس﴾ اي صاحب الباس اي الشدة كالأبن لصاحب اللبن ﴿الفقير﴾ اي المحتاج نعت توكيد أو تفسير.

وقيل: المراد بهما معا الشديد الفقر.

وقيل: البائس المريض وهذا الامر للوجوب.

عن جعفر بن محمد عن ابيه اطعم البائس الفقير ثلثا والقانع والمعتر ثلثا واطعم اهلي ثلثا.

وعن ابن مسعود انه بعث بهديه مع علقمة فامره ان يأكل هو اصحابه ثلثا وان يبعث إلى أهل عتبة بن مسعود ثلثا وان يطعم المساكين ثلثا

وعن سعيد بن المسيب والحسن انه لا يأكل منها الا ربعا ويجوز الاكل قبل الطعام وبعده واستحب بعضهم التصدق بالاكثر ويجوز له ادخار ثلث وان عطب هدي التطوع قبل بلوغ محله خلى بينه وبين الناس ولا يأكل منه ولا رفقتـه وان أكل فعليه قيمة ما أكل عند ابن مسعود وابن عباس وعلي وجماعة من التابعين.

وقيل: عليه بدله كله وإذا بلغ الحرم فقد بلغ محله.

وقيل: إذا بلغ مكة.

وقيل: منى ولا يأخذ من الهدي الواجب شيئا عند الشافعي.

وقيل: يأخـذ الاجزاء الصيد والنذور وفدية الاذى وهو قول مالك

وقيل: يأخذ من هدي المتعة وهدي القرآن.

وقال ابن عمر: لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل من هدي افساد الحج والاحصار عنه وفواته وهو قول أحمد واسحاق.

﴿ثم ليقضوا﴾ وسكن اللام غير ورش.

وقيل: وابن عامر وابي عمرو * ﴿تفثهم﴾ اوساخهم وشعثهم كطول الظفر وشعر الابط والعانة والشارب.

وقيل: التفث ما ذكر ورمي الجمار.

وقيل: حلق الرأس.

وقال عطا: الشعر والاظفار وقضاء ذلك ازالته.

وقدر بعضهم: (ثم ليقضوا ازالة تفثهم) والازالة للوسخ تكون بما ذكر وبالدهن وبالتطيب ولبس الثياب.

وقال أبو عمرو وابن عباس: (التفث) مناسبك الحج * ﴿وليوفوا﴾ وكسر ابن ذكوان اللام.

وقرأ بعضهم بفتح الواو وتشديد الفاء * ﴿نذورهم﴾ مانذروا به على انفسهم في الحج من اعمال البر.

وقيل: مواجب حجهم.

وقيل: الهدي.

وقيل: المراد وليخرجوا من الحج والهدي بالوفاء بهما * ﴿وليطوفوا﴾ وكسر ابن ذكوان اللام * ﴿بالبيت العتيق﴾ أي القديم لانه أول بيت وضع قاله مجاهد وغيره وهو رواية عن الحسن.

وقال ابن عباس والحسن وابن الزبير وقتادة والحسن بن مسلم اعتق من الجبابرة وما قصده جبار للخراب الاهلك.

وفي رواية عن مجاهد اعتق عن ان يملكه أحد.

وعنه اعتق من الغرق بالطوفان لانه رفع إلى السماء.

وقيل: معنى (العتيق) الكريم من قولهم عتاق الخيل والطير.

وان قلت تسلط عليه الحجاج فلم يمنع؟ قلت لم يقصد خرابه واهانته بل قصد تزيينه أو تحصن به ابن الزبير فاحتال لاخراجه ثم بناه وانظر قصة ابرهة في سورة الفيل ترى ما وقع له إذ قصده بخراب والمراد طواف الافاضة وهو طواف الزيارة يوم النحر بعد الرمي والحلق وهو من اركان الحج وبه يتم ويدل على انه المراد قضاء التفث.

وقيل: المراد طواف الصدر وهو طواف الوداع ولا رخصة لتاركه ان فارق مكة فمن تركه وفارقها لوطنه أو بعيدا لزمه دم ورخص للحائض تركه واما طواف القدوم يطوفه من قدم مكة ولارمل في الطواف عندنا.

وقال قومنا: وبعض اصحابنا المشارقة يرمل في طواف الوداع في ثلاثة اشواط من الحجر إلى ان ينتهي إليه ويمشي اربعة وانه سنة لا شيء على تاركها ويركع ركعتين ويخرج للصفا والمروة والرمل في الثلاثة مروي عن عمر وابن مسعود وفعله النبي ﷺ لكنه عندنا منسوخ وهو قول ابن عباس ذكر له ذلك فقال: صدقوا وكذبوا فقيل له: فقال: صدقوا انه ﷺ وكذبوا في قولهم انه سنة لا يجوز تركها وانما فعله ﷺ واصحابه لكي يرى المشركون ان بهم قوة وقد بلغهم انهم في ضعف وشدة جوع ولا رمل على النساء باتفاق واجاز عطاء الطواف الواجب ليلا ﴿ذلك﴾ خبر لمحذوف أي الامر ذلك وهو وامثاله يطلق للفصل بين كلامين كما يقدم الكاتب جملة من كتابه ثم اذا اراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا فان كان الانتقال إلى المقصود مع رعاية المناسبة لما سبق سمي تخلصا أي خروجا أو مع عدم المناسبة سمي اقتضابا ومنه ما يقرب من التخلص كقولك بعد الحمد والصلاة والسلام ما بعد وقوله عز وجل (هذا وان للطاغين لشر مآب) * وقوله هذا ذكر.

(وان للمتقين لحسن مآب).

ومن ذلك قول زهير:

هذا وليس كمن يعيى بخطبته وسط النداء إذا ما ناطق نطقا

وقدر بعضهم (فرضكم ذلك) أو (الواجب ذلك) أو (امتثلوا ذلك) ﴿**ومن يعظم حرمات الله**﴾ ما لا يحل انتهاكه من واجب أو محرم والتعظيم بعد الواجب وترك المحرم.

وقيل: الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف.

وقال زيد بن اسلم الحرمات خمس: الكعبة الحرام، والمسجد الحرام، والبلد الحرام، والشهر الحرام، والمحرم ﴿**فهو**﴾ اي التعظيم ولو لم يتقدم لدلالة الفعل عليه أو الضمير لمن على حذف مضاف أي فتعظيمه ﴿**خير له عند ربه**﴾ اي نفع له في الآخرة أو المراد؛ الخير الذي هو اسم تفضيل أي أفضل ثوابا ﴿**واحلت لكم الانعام**﴾ احل لكم أكلها بعد الذبح أو النحر ﴿**الا ما يتلى عليكم**﴾ من قوله: (حرمت عليكم الميتة) الخ وليس بحرام ما تحرمونه انتم كالبحيرة والسائبة.

والمضارع للاستمرار باعتبار تكرارية المائدة في الالسن أو باعتبار انزال ما يدل عليها من غير اخرك وان نزلت آية المائدة بعد هذه الآية فهو الاستقبال والاستثناء منقطع ويجوز كونه متصلا والتحريم لما عرض من الموت ونحوه ﴿**فاجتنبوا الرجس من الاوثان**﴾ (من) للبيان أي الرجس الذي هو الاصنام امر باجتنابها كما تجتنب الانجاس وينفر عنها وذلك على التشبيه أي الاوثان التي هي كالرجس أي النجس وبولغ في التنفير عنها وعن تعظيمها بحذف اداة التشبيه فجعلت نفس الرجس وبينت كلمة الرجس بالاوثان وذلك قول ابن عباس وابن جريج والجمهور.

ويجوز ان تكون (من) لابتداء الغاية إذ مبدأ الرجس من الاوثان فان عبادتها جامعة لكل فساد.

وقال ابن هشام: انكر قوم مجي (من) لبيان الجنس وجعلوها في الآية للابتداء اي فاجتنبوا من الاوثان الرجس وهو عبادتها وهذا تكلف. والظاهر انه لا تكلف فيه ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ وهو الشرك وغيره مما هو زور وكانوا يشركون بالله في تلبيتهم وغيرها يقولون لبيك لا شريك لك الا شريكا تملكه وماملك وذلك تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور لان المشرك يزعم ان الوثن تحق له العبادة كأنه قيل: فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله وما قبح شيئا عبادة الاوثان من قبيلة واتبع تعظيم الحرمات باجتناب الاوثان وقول الزور لان توحيد الله ونفي الشركاء وصدق القول اعظم الحرمات.

وقيل: قول الزور شهادة الزور وعنه ﷺ «عدلت شهادة الزور الاشراك بالله قاله ثلاثا وتلا الآية» قال ذلك بعد ما سلم من الصبح وقام واستقبل الناس وهو قول ابن مسعود وهو راوي الحديث المذكور ورواه حزيم بن فاتك وايمن حزيم.

واصل الزور بالضم الزور بالفتح وهو الانحراف ويجوز ان يقال قول الزور قولهم في التحليل والتحريم ما لم يقل الله ﴿حنفاء لله﴾ مخلصين له.

وقيل: (حجاجا لله)

وقيل: (مسلمين عادلين) عن كل دين سوى دينه. والحنيف يستعمل في الاستقامة وفي الميل وقد فسر بعضهم حنفاء بمستقيمين ﴿غير مشركين به﴾ (غير وحنفاء) حالان من الواو والثانية مؤكدة ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء﴾ سقط منها شبه الايمان في علو شأنه بالسماء في علو مكانها فمن ترك

الايمان كمن سقط من السماء ﴿فتخطفه الطير﴾ تأخذه بسرعة شبه الاهواء المؤذية الموزعة لافكاره بالطير المخططفة لما تقدر عليه ويخف عليها فتسرع به ووزن (تختطف) تفتعل اصله تخططف نقلت فتحت التاء للخاء وابدلت طاء وادغمت في الطاء وفتحت الطاء تبعا وتخفيفا واصلها الكسر أو تتفعل فحذفت احدى التائين وهو اولى قال ابن عمر والداني وقرأ غير نافع باسكان الخاء وتخفيف الطاء.

وقرىء بكسر الطاء والخاء وبكسرهما مع كسر التاء وهي قراءة الحسن ووزنه على القرائتين تفتعل أصله تختطف نقلت فتحة التاء للخاء وابدلت طاء وادغمت في الطاء وبقيت الطاء مكسورة وكسرت الخاء لتوافق الطاء وكسرت التاء ايضا في قراءة الحسن اما موافقة واما لغة من يكسرون حرف المضارعة * ﴿أو تهوي به﴾ تسفل به * ﴿الريح في مكان سحيق﴾ بعيد لا يرجى خلاصه ولا يرى له اثر شبه الشيطان الذي يهوى به في اودية الضلال بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة و(أو) للتخيير أي شبه المشرك بما شئت من الخار من السماء فتخطفه الطير أو من الخار منها فتهوي به الريح في مكان سحيق أو للاباحة أو التنويع فان من المشركين من لا خلاص له أصلا ومنهم من يمكن بالتوبة لكن على البعد.

وان قلت التخيير شرطه الطلب وعدم الجمع؟ قلت: اللفظ خبر ومعناه الطلب كما رايت وما تخطفته الطير لا تهوي به الريح فقد امتنع الجمع

وان قلت: الاباحة شرطها الطلب وامكان الجمع؟ قلت: الطلب موجود كما رايت ويعتبر الجمع بامكان ان تخطفه الطير ثم تلقيه فتهوي به الريح كما تجالس الحسن ثم تجالس ابن سيرين مع ان التحقيق أن لا يشترط ما ذكر في التخيير والاباحة ويجوز ان تجعل الآية من التشبيه المركب فالمعنى

من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا يشبه اهلاك احد الهالكين ﴿ذلك﴾ الامر ذلك المنكر ذلك أو اتركوا ذلك.

﴿ومن يعظم شعائر الله﴾ الهدايا فانها شعار لله ودينه ومنه الحج وتعظيمها ان تختار عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة واهدى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال الغزالي: انبه عبدالله ناقة طلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله ﷺ ان يبعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه فقال بل اهدها.

واهدى رسول الله ﷺ مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه ابرة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بثياب بيض رقاق من كتان تتخذ بمصر فيتصدق بلحمها وجلالها يعتقدون ان اهداء العظام السمان الحسان امر لابد من الاقامة به واما الضحية فالافضل فيها الكبش والمعز نظرا لحلاوة اللحم.

وقيل: الابل فالبقر فالغنم كافي الهدايا وهو مذهبنا نظرا للغلاء ويجزي الثني فصاعدا في الهدايا باتفاق وجذع الضأن يجزي في الضحايا والهدايا.

وعن ابن عمر لا يجزي في الهدايا الا الثني من كل جنس.

وقيل: شعائر الله جميع دينه.

وقيل: بيته.

والاول وهو كونها الهدايا لابن عباس ووجه تسمية الهدايا شعائر ما مر.

وقيل: انه يجعل عليها علامة تعرف به.

وقال ابن زيد والحسن وابن عمر ومالك الشعاير مواضع الحج كالبيت والمسجد ومنى ومزدلفة وعرفة والصفا والمروة وغير ذلك ﴿فانها من تقوى

القلوب﴾ الضمير الشعاير على حذف مضاف اي فان تعظيمها ويقدر مضافان بعد من أي افعال ذوي تقوى القلوب و(إذا جعلنا) خبر (من) الشرطية هو جوابها فالرابط اشتماله على ظاهر عام للمبتدا ولك ان تقول (الفاء) للتعليل والجواب محذوف أي فانه تقوى القلب وان جعلنا (من) للابتداء لا للتبعيض لم يقدر شيء فان التعظيم ناشىء من تقوى القلوب واضاف التقوى للقلب لانه منبعها والامر بها كما انه منبع الفجور والامر به ❊ ﴿**لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق**﴾ هذا دليل قوي على ان الشعائر الهدايا ومن لم يقل هذا فانما يرجع الضمير للهدايا المدلول عليها بالسياق السابق واللاحق والمنافع درها ونسلها وصوفها ووبرها وشعرها وظهرها لتنفع بذلك منها ويركب ظهرها للحج وللتجارة ويحمل عليها كذلك وله التصديق بذلك منها.

وانما يعتد بالمنافع الدينية تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والاجل المسمى وقت نحرها ينتفع بها ما لم تنحر ومحلها مكان حل نحرها ومعنى (إلى البيت) إلى ما يلي البيت والمراد الحرم كقولك بلغت البلد وانما شارفته وقاربته والمحل زمان ميمي اي زمان وجوب نحرها أو مصدر ميمي أي وجوب نحرها وهو مبتدا و(إلى البيت) خبر أي منته إلى البيت.

وقيل: (إلى) بمعنى عند وذلك أولى مما قيل محلها معطوف على منافع (وإلى البيت) حال من المضاف البيت أي ثم وقت نحرها منتهية إلى البيت وأصل (ثم) التراخي في الوقت كما مر التفسيرية ويجوز ان تكون قد استعيرت هنا للتراخي في الرتبة اي لكم فيها منافع دنيوية أو أخروية إلى وقت النحر وبعده منافع دينية محضة اعظم منها كذا فهمت من كلام بعض.

وفيه ان فيها منفعة دنيوية بعده لجواز الأكل منها على ما مر أو الكلام على تفسير الشعائر بدين الله أو فرائض الحج أو نحو ذلك متصل بحديث

الانعام والضمير في (فيها) لها أو المراد على تفسيرها بدين الله ان لكم فيها منافع تنفعون بها إلى أجل مسمى هو الموت ثم محلها إلى البيت الذي ترفع إليه الاعمال ويكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور أو الجنة.

وعلى تفسيرها بفرائض الحج لكم فيها منافع التجارة في الاسواق إلى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية إلى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة.

وعن مالك الاجل المسمى الرجوع إلى مكة لطواف الافاضة ثم آخر هذا كله إلى طواف الافاضة فالمراد بالبيت على هذا ونحوه هو نفس البيت.

وعن عطا عن ابن عباس الاجل المسمى ان تقلد البدن وتشعر وكذا قال مجاهد ينتفع بها حتى تقلد ورأى رسول الله ﷺ رجلا يسوق بدنة فقال: «اركبها قال: انها بدنة قال: اركبها ويحك في الثانية والثالثة».

وعن جابر بن عبدالله عنه ﷺ يقول «اركبها بالمعروف حتى تجد ظهرا».

وعن هشام بن عروة عن ابيه إذا احتاج سائق البدنة ركبها غير قادح وشرب من فضل فصيلها.

وقال قتادة والضحاك: الاجل المسمى المنتهي فيه الانتفاع وقت تقليدها واشعارها كما قال مجاهد.

وفي رواية عن عطا؛ الاجل المسمى ان تنحر وقول مالك والشافعي واحمد واسحاق يجوز الحمل عليها والركوب من غير اضرار وقول أصحاب الرأي لا تركب الا ضرورة.

ونسب للجمهور واجاز ركوبه من غير ضرورة قول أهل الظاهر واستظهر بعضهم المنع لانها متقرب به إلى الله.

والخلاف في هدي الواجب والتطوع ومذهبنا جواز الانتفاع به لغير المضطر ما لم تقلد أو تشعر.

وقيل : إذا نوى الهدي لم ينتفع به والاشعار بالجرح يكون قبل الاحرام وبغيره وهو التقليد قبله أو بعده والتقليد ان يجعل في عنقه حبلا يعلق به نعلان أو نعل والاشعار ان يشق في الجانب الايسر من نحو الرقبة إلى المؤخرة بعد ان يقول بسم الله والله أكبر ويجلله ان شاء للحر والذباب ولا يلزم صدقة الجلال ويستحب التوجيه به إلى القبلة حين التقليد والاشعار.

وروى ان رسول الله ﷺ صلى الظهر بذي الحليفة ودعا ببدنة فاشعرها في صفة سنامها وسلت الدم وقلدها نعلين وفي ذلك رد على ابن عبدالعزيز في منعه الاشعار لانه مثلة.

ومذهب الربيع ـ رحمه الله ـ انه في الجانب الايسر من السنام.

وقيل: في جانب السنام الايمن وهو ما رواه ابن عباس من فعل النبي ﷺ.

وقيل: من الاذن إلى المؤخر في الجانب الايسر.

والتقليد والاشعار سنة البقر والجمال وتقلد الغنم ولا تشعر.

وقال الربيع : لا تشعر ولا تقلد وإذا قلد أو أشعر وجب عليه الاحرام ولو لم يصل الميقات ويجوز الرجوع في الهدي ما لم يتكلم بانه هدي أو يقلد أو يشعر ويجوز ابداله ما لم يكن ذلك.

ورجح بعض اصحابنا جواز الانتفاع به بلا ضرورة ما لم يكن ذلك لا بعده الا ضرورة.

وسنة الهدي ان يساق من الحل وان اشتراه من مكة وقف به عرفة وان لم يقف به ابدله وكذا يقف به ان ساقه من الحل وذلك قول مالك والليث وهو قول ابن عمر.

وقال الشافعي وجماعة: الوقوف به سنة ولا هدي على تاركه ساقه من حل أو حرم وهو قول عائشة.

ومحل الهدي مكة ومن نحر في الحرم قبلها اجزاه عندنا.

وقيل: لا يجزيه.

وقيل: يجوز حيث شاء الا هدي القرآن وجزاء الصيد ففي الحرم لا قبله.

ومن نحر في منى اجزاه اجماعا وهدي المحصر عند أكثر المخالفين محله حيث احصر ولـو في الحل وعن مجاهد عن ابن عباس من أكل من هدي التطوع ابدل ما أكل ولا ينحر هدي التطوع أو التمتع الا في ايام النحر.

وقال الابدلاني: يجوز نحر هدي التطوع قبل يوم النحر ولا يجزي عندنا قبله هدي المتعة والقرآن والاحصار وان عطب.

ومذهب مالك جواز الأكل قبل بلوغ المحل وبعده مما وجب لنقص في حج أو عمرة كهدي التمتع والقران وكذا هدي الفساد على المشهور ومنعه قبـل وبعد فمن نذر المساكين المعين وجوازه قبل لا يعد من جزاء الصلاة وفدية الاذي ونذر المساكين غير المعين وجوازه بعد لا قيل من هدي التطوع وما يجوز الاكل منه جاز اطعام الغني منه والذمي وما لا يجوز الاكل منه فانما المسلم الفقير الذي لا تلزمه نفقته وهو كلام مقبول عندنا ﴿ولكل امة﴾ لكل أهل دين قبلكم من المؤمنين أو المراد مطلق الامم مؤمنة أو مشركة فالمؤمنة نفعها نسكها والمشركة ان نسكت لم ينفعها ﴿جعلنا منسكا﴾ مصدر ميمي أي عبادة أو تقربا إلى الله بقربان يذبحونه أو حجا.

وقرأ حمزة والكسائي بكسر السين على انه اسم مكان اي موضع طاعة وعبادة أو موضع ذبح أو حج وموضع الحج مكة ويجوز تفسير المفتوح بالمكان ايضا بل الفتح فيه هو القياس لان مضارعه مضموم العين فتح عين الماضي أو ضم ولم يرد مصدره الا بالفتح على القياس وظاهر بعض ورود الكسر فيه ﴿ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الانعام﴾ عند النحر أو الذبح هذا دليل على كون المنسك في امر الحج وخص الانعام لان غيرها لا يجوز في الحج ولا في قرابين الاولين.

قيل: سميت البهيمة بهيمة لانها لا تتكلم وفي التعليل اشعار بان المقصود من المناسك تذكر المعبود.

﴿فالهكم اله واحد﴾ فلا تذكوا على الذبح الا اسمه ولا تعبدوا سواه ﴿فله أسلموا﴾ اخضعوا واخشعوا وانقادوا واخلصوا التقرب والذكر فانه الرازق لا غيره أو (اسلموا) بمعنى آمنوا وتعديته باللام لما مر ﴿وبشر المخبتين﴾ المتواضعين لله بالطاعة والاخلاص والخشوع والاطمئنان بالايمان و(الخبت) المطمئن من الارض بانخفاض واستواء.

وعن الحسن (المخبت) الخاشع وقال عمر وابن أويس: (المخبتون) الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ خافت قلوبهم هيبة لاشراف جلاله عليها ومراقبة لربهم وقوة في اليقين ﴿والصابرين على ما اصابهم﴾ من البلايا والتكاليف يصبرون على فعل الطاعة وترك المعصية والمصائب في الاموال والانفس والاولاد والاعراض وغير ذلك من الله بلا واسطة مخلوق أو منه بواسطته مع ان لهم ان ينتصروا من المخلوق ﴿والمقيمي الصلاة﴾ المحافظون عليها وقتا وطهارة وخشوعا والمراد صلاة الفرض.

و(المقيمي) جمع مذكر سالم حذفت نونه للاضافة فيائه للساكن بعدها ولو ثبت في الخط.

وقرىء بنصب الصلاة على ان النون حذفت لمجرد التخفيف لا للاضافة.

كما قرأ ابن مسعود (والمقيمين الصلاة) باثبات النون ونصب (الصلاةَ) ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ في وجوه الخير.

وقيل: المراد الزكاة وعليه جرى الشيخ هود رحمه الله.

روى المخالفون ان الآية (وبشر المخبتين) إلى (ينفقون) نزلت في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وذلك من عطف الصفات لموصوف واحد كقولك: (جاء زيد العالم والجواد والشجاع) ويجوز ان يراد بكل واحدة موصوف لم يرد بالاخرى مع ان تلك الصفات كلها في كل واحد ولكن ذكر كلا بالصفة التي بالغ فيها * ﴿والبدن﴾ مفرده بدنة وأصله ضم الدال سكنت تخفيفا كذا قيل.

والصحيح؛ إن الاسكان اصل لا انتقال عن ضم.

وقرأ الحسن بضم الدال كالباء كثمرة وثمر.

وقرأ ابن ابي اسحاق كذلك وبتشديد النون على لفظ الوقف فان من العرب من يقف بالتشديد فيقول: (جاء خالد) باسقاط التنوين وتشديد الدال والنصب على الاشتغال واختير لتقدم الفعل في قوله: (ولكل أمة جعلنا منسكا).

وقرىء بالرفع على الابتداء والمراد الابل وسمي الجمل والناقة بدنة لعظمها لقول: (بدن زيد) أي عظم بدنه وسمن ولما الحق النبي ﷺ البقر بالابل في الاجزاء عن سبعة وكانت كالابل في الاجزاء شاع تسميتها باسم الابل وهو البدن ويدل على ان البدن اسم للابل خاصة قوله ﷺ: «تجزي البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة» وقول جابر بن عبدالله: اشتركنا مع الرسول ﷺ في الحج والعمرة فنحرنا معه عام الحديبية البدنة عن سبعة البقرة عن سبعة.

والاصل في العطف التغاير.

وقال عطا وغيره: ان البدنة تعم الابل والبقر لغة وشرعا.

ويحتمل اختلاف اللغات وذلك الاشتراك ثابت عندنا وعند الحنفية والجمهور وهو قول ابن عمر وانس وابن عباس وعطا والحسن وطاووس.

ومنع بعضهم ذلك ولا يجزي للصيد إذا لزمت له الاّ بدنة تامة له وما تقدم من الاشتراك فانما هو في المسنة فصاعداً من البقر والثنية فصاعداً من الابل وجذعتها عن خمسة وجذعة البقر عن ثلاثة وثنيتها عن خمسة واقل من ذلك لاشركة فيه ﴿جعلناها لكم من شعائر الله﴾ اي اعلام دينه وأضيفت إلى الله تعظيما لها ﴿لكم فيها خير﴾ فيه ما في قوله : (لكم فيها منافع) ومن شأن الحاج ان يحرص على ما فيه منفعة دينيه وخير ديني بشهادة الله وكان لبعض السلف تسعة دنانير لم يملك غيرها فاشترى بها بدنة فقيل له : فقال : سمعت ربي يقول (لكم فيها خير) ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ عند نحرها أو ذبحها ﴿صواف﴾ قائمة على ثلاثة معقولة اليد اليسرى .

وقيل:اليمنى وذلك سنة أو (صواف) المصطفة وكل واحدة قد صففت يديها ورجليها .

والصحيح ما ذكرت من عقل اليسرى لئلا تمشي فتضر الناس بالدم وعقلها يمنع مشيها لضعفها بالنحر والذبح يضعفه .

وقد قرأ ابن مسعود وابن عباس وابن عمر (صوافن) من صفن الفرس قام على ثلاث ورفع الاخرى قليلا بل وقف على طرف مقدمها وبين وقوف الفرس كذلك وعقل يسري البدنة شبه .

وقرأ عمر بن عبيد (صوافنا) بالتنوين لجواز صرف مفاعل في السعة أو بنون عوضا عن حرف الاطلاق عند الوقف زائدة عن نون (صوافن) .

وقرأ الحسن (صوافي) اي خوالص لوجه الله بفتح الياء وقرى باسكانها على لغة من يسكن الياء في النصب كالرفع والجر في السعة ومنه في الشعر:

يا باري القوس بريا لست تحسنها لا تفسدنها واعطي القوس باريها

واستحب عطاء النحر والذبح في حال البروك لئلا تؤذي الناس بالدم وراى بعضهم ابن عمر ينحرها باركة وكل ذكر لله يجزي .

وذبح ﷺ كبشين وجههما للقبلة وقال: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وقال ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وانا من المسلمين بسم الله والله اكبر اللهم منك ولك».

وعن محمد وامته وقوله وأنا من المسلمين ليس من الآية واستحب بعض ان يمسح على ظهر الضحية ويقول: اللهم هذا قرباني وهذه ضحيتي فاقبلها مني ثم يذبح ويسحب ان يلي الانسان ذبح ضحيته وكان أبو موسى الاشعري يأمر بناته ان يذبحن اضاحيهن بايديهن ولا باس بذبح الغير لها ويكره ان يذبحها كتابي ويزال الجلال لئلا يختضب بالدم.

ووقت ذبح الضحية من وقت صلاة العيد إلى الزوال من اليوم الرابع.

وقيل: إلى غروبه وهو قول الشافعي.

ومن ذبح قبل الصلاة فلحم قدمه لاهله ولا صلاة عيد على أهل منى.

وقيل: وقته يوم النحر الا ما كان بمعنى فوسعوا له إلى الزوال من اليوم الثالث ان لم يجد الغنم أو تسعرت عليه.

وقيل: يوم النحر ويومان بعده وهو قول مالك وأبي حنيفة واحمد.

والخلف في جواز الذبح في الليل من تلك الايام ايضا على الاختلاف فيها.

وعن بعضهم يصدق ثلث الضحية للارحام ويجوز لغيرهم ويؤكل ثلث ويدخر ثلث.

واوجبت الظاهرية صدقة ثلث وأكل ثلث وادخار ثلث.

وعن بعض العلماء لا بد من كل شيء منها ويصدق الباقي أو يدخر بعضه.

ومن سرقت ضحيته بعد الذبح اجزته ولا يبيع لحمها ويكره بيع ما سوى اللحم والشحم كالجلد والشعر وغيرهما الا ان بيع وتصدق بثمنه فلا كراهة.

وقيل: لا يجوز بيعه.

وقيل: يجوز بالعرض.

وقيل: يجوز ايضا بالدراهم ﴿فاذا وجبت﴾ سقطت على الارض حز قيام أو قعود ﴿جنوبها﴾ وذلك كناية عن موتها بذهاب الروح منها بحيث يجوز السلخ فلو قطع منها قبل الموت فسدت وكذا ان اعلنها عليه لقطع عرقوبها أو غيره أو بغير القطع وكان القاسم بن محمد يكره ان تعرقب ﴿فكلوا منها﴾ اباحة أو ندبا أو وجوبا خلاف.

وزعم بعض ان العلماء كلهم يستحبون الاكل منها ﴿واطعموا القانع﴾ الحريص السائل من قنع بفتح النون بـ (قنع) بفتحها ايضا وهذا قول مجاهد والحسن وغيرهما وهو المشهور ﴿والمعتر﴾ المعترض للعطاء بلا سؤال هذا هو المشهور.

وقيل: القانع المتعفف المستغني يقعد في بيته لا يسأل ولا يتعرض ويرضى بما اصاب من (قنع) بكسر النون بـ (قنع) بفتحها والمعتر المعترض بالسؤال وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما فيما حكاه الطبري ونسبه الشيخ هود رحمه الله لمجاهد ويدل له قراءة بعضهم (القانع والسائل) وقراءة أبي رجا العطار (ذي القنع المعتر) والقنع بغير الف المتعفف الراضي المذكور لا غير وقرأ الحسن (والمعتري) يقال عره وعراه واعتره بمعنى اعرضه.

وروي عن ابن عباس ان (القانع) المتعفف الراضي لا يسأل ولا يتعرض والمعتر الذي يتعرض ولا يسأل

وقيل: (القانع) المسكين المعتر الذي ليس بمسكين ولم تكن له ذبيحة فهو يجيىء من له ذبيحة قصد اللحم ﴿**كذلك**﴾ مثل ذلك التسخير ومثل ما وصفنا من نحرها قياما ﴿**سخرناها لكم**﴾ من عظمها وقوتها حتي تأخذوها منقادة وتعقلوها وتحبسوها صافة قوائمها ثم تطعنوا في لباتها ولولا تسخير الله لم تطيقوها ولم تكن باعجز من بعض الوحوش التي هي اصغر منها وأقل قوة الا تراها إذا لم يسخرها الله كيف تهرب ولا يقدر عليها ﴿**لعلكم تشكرون**﴾ لتشكروا انعامنا عليكم بالتقرب بها والاخلاص (فعلى التعليل).

﴿**لن ينال الله لحومها ولا دماؤها**﴾ لن يرفع إليه ذلك ولن يصيب ذلك رضاه ولن يقع منه موقع قبول ﴿**ولكن يناله التقوى منكم**﴾ لكن يرفع إليه العمل الصالح ويقبله مع الورع والايمان ولذلك نسئل الرفعة عنده.

وكانت الجاهلية إذا نحروا البدن لطخوا الكعبة بدمائها وصبوها حولها يزعمون ان ذلك قربة إلى الله ـ تعالى ـ ولما حج المسلمون هموا بذلك فنزلت الآية.

وقرىء (تناله) بالمثناة فوق ﴿**كذلك سخرها لكم**﴾ تكرير لتذكير النعمة وليعلل بقوله ﴿**لتكبروا الله**﴾ لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر غيره عليه فتوحدوه بالتكبير.

وقيل: هو التكبير والتهليل عند الاحلال أو الذبح.

قيل: نقول الله أكبر على ماهدانا والحمدلله على ما أولانا.

قال الشيخ هود: والسنة ان يقال عند الذبح أو النحر باسم الله وبالله والله أكبر.

والحسن يقول: بسم والله أكبر اللهم منك ولك ﴿**على ماهداكم**﴾ على للاستعلاء المجازي وما مصدرية يتعلق الجار بـ (سخرها) أو بمحذوف

حال اي على (هدايته اياكم) و(الهداية) ؛ الارشاد لمعالم الدين ومناسك الحج وكيفية التقرب بها وطريق تسخيرها.

وقيل: عدى (تكبروا) بعلى لتضمنه معنى الشكر.

وقال ابن هشام: (على) للتعليل ويضعف جعل (ما) اسما موصولا اي (على ما هداكم إليه) للزوم حذف العائد المجرور بحرف لم يجر به الموصول الا ان يضمن هداكم معنى اعطاكم فيقدر العائد منصوبا ﴿**وبشر المحسنين**﴾ المؤمنين المخلصين فيما آتوا وما تركوا بالجنة.

وزعم بعض قومنا ان المراد بهم الخلفاء الاربعة ﴿**إن الله يدافع**﴾ ضر المشركين ﴿**عن الذين آمنوا**﴾ لايمانهم والمدافعة مفاعلة للمبالغة في الدفع اي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه وفعل المغالب يجيء أقوى وابلغ.

وقال عياض: (المدافعة) هنا (مفاعلة) بين متعدد فان المشركين يؤذون المؤمنين ويدفعونهم والله يدفع المشركين.

وقال الاخفش والفارسي: (المدافعة) بمعنى (الدفع) من موافقة المزيد المجرد

وقرأ ابو عمرو وابن كثير: (يدفع) قال الاخفش وهي اكثر في الكلام.

وعن الحسن المعنى ان الله يعصمهم من الشياطين في دينهم.

قال بعضهم: والله ما ضيع الله رجلا حفظ له دينه * ﴿**إن الله لا يحب كل خوانٍ**﴾ كثير الخيانة في الفعل والقول والاعتقاد ﴿**كفور**﴾ كثير الكفر بربه ونعمته أو بنعمته.

والآية عمت المشرك والمنافق والمعنى انه يعاقب الكل وذلك قول الحسن وقيل المراد هنا من تقرب إلى الاصنام بذبيحته وسمى غير الله عليها واعلم ان (كلا) هنا لعموم السلب أي كل فرد من افراد الكفار الخونة لا

يحبه الله وذلك على خلاف الغالب فان الغالب انها إذا كانت بعد النفي لفظا أو تقـدير السلب العمـوم فيبقى الحكم لبعض الافـراد نحو (لم آخذ كل الدراهم وكل الدراهم لم آخذ) تقول ذلك اخذت بعضا.

وقد يقال: هي هنا على الغالب لا يحب كلا منهم بل يحب بعضا فقط وهو من يتوب من خيانته وكفره لكن فيه ضعفا لانه انما يحسن لو كان يصح ادعاء محنة الكل فندفع بذلك.

وذكر ابن هشام ان دلالة الصورة المذكورة على سلب العموم من قبيل دلالة المفهوم وهي تعتبر عند عدم المعارض والمعارض موجود في الآية وفي قوله: (لا يحب كل مختال كفور) وقوله: (ولا قطع كل) حلاف وهو تحريم مطلق الخيانة والكفر والاختيال والحلف بكذب وما بعد الحلف اهو لا يبعد ان (كلا) بعد النفي ليست الا لرفع الايجاب الكلي الذي بتحقق بالانتفاء عن كل فرد أو عن البعض مع الثبوت للبعض واستفادة سلب العموم أو عمـوم السلب موكولة للقرائن ﴿أُذِنَ﴾ اي في القتال بدليل قوله ﴿للذين يقاتلون﴾ يدفعون المشركين ويدفعهم المشركون.

كما يروى ان عمر لما اسلم كانوا يضربونه ويضربهم وليس هذا بالقتال الذي نهوا عنه.

قيل: (والذين يقاتلون) وهم المؤمنون برسول الله ﷺ يقاتلهم المشركون.

والاذن للترخيص والاطلاق بعد الحصر.

وقرىء ﴿ أذن للذين يقاتلون ﴾ ببنائهما للفاعل أي (اذن الله للذين يقاتلون المشركين).

وقـرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي ببناء (اذن) للفاعل واما (يقاتلون) فبناه للمفعول ابن عامر وحفص.

قال أبـو عمـرو؛ قرأ نافـع وعاصم وأبو عمرو (اذن) بضم الهمزة والباقون بفتحها.

وقرأ نافع وابن عامر وحفص (يقاتلون) بفتح التاء والباقون بكسرها ﴿بأنهم﴾ لانهم ﴿ظُلموا﴾ ظلمهم مشركو مكة وكانوا ياتون رسول الله ﷺ بين مضروب ومشجوج يشتكون إليه فيقول لهم: «أصبروا فلم أومر بالقتال» حتى هاجر فانزلت هذه الآية وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد مانهي عنه في نيف وسبعين آية.

وقيل: سبب نزولها في المدينة ان قوما خرجوا من مكة مهاجرين إلى المدينة فادركهم المشركون يؤذونهم ويردونهم فاذن الله للمؤمنين في القتال بعد ذلك قاله الحسن.

وقيل: المعنى (ظلموا) في اخراجهم من ديارهم وفي ابدانهم وقد قتل ابو جهل سمية أم عمار بن ياسر وعذب بلالا.

قال ابن عباس وابن جبير: نزلت عند هجرة النبي ﷺ.

قال ابو بكر الصديق: لما سمعتها علمت انه سيكون قتال و(الباء) متعلقة بـ (اذن) مطلقا أو بـ (يقاتِلون) في قراءة كسر التاء لا في قراءة فتحها لا على معنى يقاتلون على الظلم ﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾ وعد بالنصر وارادة له على طريق كلام الجبابرة وكذا في قوله (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) ﴿الذين أُخرِجوا من ديارهم﴾ اي مكة * ﴿بغير حق﴾ نعت للذين أو خبر لمحذوف أو منصوب بمحذوف على المدح * ﴿إلا أن يقولوا ربنا الله﴾ منصـوب على الاستثناء والاستثناء متصل اي اخرجوهم بغير حق موجب للاخراج فان كان لهم حق في الاخراج فما هو الا التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتمكين لا الاخراج فذلك من تأكيد المدح بما يشبه الذم كقول النابغة:

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

أو بدل منَ (غير) أو من قوله بغير على تقدير الباء أو مستثنى من (غير) وكل من هذا الابدال وهذا الاستثناء منقطع.

قال الحسن: والله ما سفكوا لهم من دم ولا اخذوا لهم من مال ولا قطعوا لهم من رحم وانما اخرجوهم لقولهم: (ربنا الله)، (وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد) ﴿**ولولا دفع الله الناس**﴾ وقرأ أبو عمرو وابن كثير: (ولولا دفع الله الناس) مفعول للمصدر المضاف للفاعل الذي هو (الله) ﴿**بعضهم**﴾ بدل بعض ﴿**ببعض لهدمت**﴾ يسلط المؤمنين من الامم وهذه الامة على المشركين بالجهاد أو المراد يسلط بعضا على بعض لاقامة الحق فيدخل فيه اقامة الحدود على المشرك والموحد والباء للامالة.

وقال ابن هشام: المتعدية والاصل (دفع بعض الناس بعضا) ويرده انها لم تصير الفاعل مفعولا لانها دخلت على ما كان مفعولا والاحسن ان يقدر دفع بعض الناس بعض بتقديم المفعول فتكون الباء داخلة على الفاعل الا ان يقال ليس تصير الفاعل بدخولها عليه مفعولا بلازم (لهدمت).

وقرأ غير نافع قال أبو عمر والداني وغير ابن كثير بالتشديد أي للمبالغة والتكثير والمراد لهدم بالقصد وترك المعاهدة والعمارة حتى يكون الانهدام ﴿**صوامع**﴾ جمع صومعة وهي بناء مرتفع منفرد رقيق الاعلى تتخذه الرهبان من النصارى واليهود لعبادة الله حين كثر فيهم الشرك والجور وذلك هو المراد في الآية ثم طال عليهم العهد ومات حملة العلم منهم فصاروا يتعبدون في الصوامع ويدخلون الشرك في افعالهم واقوالهم واعتقادهم والمسلمون بنوا الصوامع للاذان على هيئة صوامع الرهبان.

وقيل: المراد صوامع رهبان النصارى وانها مختصة بهم.

وزعم بعضهم ان المراد صوامع الصابئين ويرده انهم كفار لم يحسنوا اتباع التوراة ولا اتباع الانجيل فكيف تمدح صوامعهم.

وادغم التاء في الصاد الكسائي وحمزة وابو عمرو وابن ذكوان ﴿وبِيَع﴾ جمع بيعة وهي كنائس النصارى المؤمنين بان عيسى عبدالله ورسوله المصدقين بجميع الانبياء ولا نعمت عين لنصراني سواهم.

وقال الطبري: هي كنائس اليهود عند بعض ﴿وصلوات﴾ كنائس اليهود سميت بذلك لانه يصلى فيها جمع صلاة.

وقيل: كلمة مفردة معربة اصلها بالعبرانية صلوتا ويرده الصرف.

وقال أبو العالية: وصلوات مساجد الصابئين.

وقيل: الصلوات جمع صلاة بمعنى العبادة المخصوصة مشتركة فيها كل امة ويضعفة ان اسناد المهدومية إليها بناء في ذلك الا ان يقال باستعمال هدمت في الهدم فيما سواها وفي التعطيل في جانبها استعمالا للكلمة في حقيقتها ومجازها أو باستعماله في الكل بمعنى مطلق التعطيل.

﴿ومساجد﴾ مساجد هذه الامة آخرها نظرا لتأخير زمانها والمراد لولا تسليط الله المؤمنين على المشركين بالجهاد لاستولى المشركون على المؤمنين من كل أمة ولم يتركوا لهم متعبدا أو المراد صوامع من كان في زمن النبي ﷺ وبيعهم وصلواتهم أي لغلب المشركون على هؤلاء وعلى المسلمين فيهدمون متعبدات الكل ﴿يذكر فيها اسم الله كثيرا﴾ الضمير للكل فالجملة صفة للكل أو للمساجد فالجملة صفة لها خصت بها تفضيلا وفي الاية تقوية للامر بالقتال ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ ينصر دينه وأولياءه وقد انجز وعده وبر يمينه بان سلط المهاجرين والانصار رضي الله عنهم على صناديد العرب واكاسرة الفرس وقياصرة النصارى.واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وهذا

النصر يعم كل من نصر دين الله إلى يوم القيامة.﴿ان الله لقوي﴾ في سلطانه على خلقه ينصر ناصره ﴿عزيز﴾ في انتقامه لا يمنع مما اراد ﴿الذين﴾ نعت للذين اخرجوا (ولينصرن الله) الخ معترض أو بدل منه أو (ممن) او خبر أو منصوب لمحذوف على المدح ﴿إن مكناهم﴾ ثبتناهم بالنصر وبسطنا لهم ما يقومون به بامر الدين ﴿في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ والمراد المهاجرون خبر الله بسيرتهم رضي الله عنهم قبل ان تكون قال عمر رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء.

قال المخالفون:وفيه دليل على صحة امر عثمان وعلي.

قلنا: لا دليل فيه والاحاديث التي تقضي على القرآن قد اخرجتهما وامثالهما والاقامة والايتاء والامر والنهي صادرة من جملة المهاجرين وليس التمكين مختصا بالتأمير بل يعم تسهيل اسباب تقوية الدين.

قال الحسن: هم امة محمد ﷺ والشرط والجواب والاداة صلة الذين ولا يحتاج إلى تقدير لفظ هم قبل الاداة خلافا (لمن وهم) ﴿ولله عاقبة الأمور﴾ اي مرجعها وهو تأكيد لوعده يعطي العاقبة للمؤمنين أو المراد انه له العاقبة بان يزيل الملك عن كل احد وذلك يوم القيامة وصبر الله نبيه بقوله ﴿وان يكذبوك﴾ ان كذبك قومك فلست باوحدي في التكذيب وهذا هو جواب الشرط في الحقيقة ونابت عنه الجملة السببية التي هي قوله * ﴿فقد كذبت قبلهم قوم نوح﴾ انت القوم لانه جماعة أو قبيلة أو نحو ذلك ﴿وعاد﴾ قوم هود ﴿وثمود﴾ قوم صالح ﴿وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مَدْين﴾ قوم شعيب * ﴿وكُذِّبَ موسى﴾ لم يقل وقوم موسى بالعطف على متقدم ولا وكذّب موسى قومه لان موسى لم يكذبه قومه بنو اسرائيل بل القبط أو قال: (وكذب موسى) تلويحا إلى انه قد كذب مع عظم آياته ووضوحها فكيف

بغيره؟ وليس المراد مجانبة اسناد التكذيب إلى من كذبه * ﴿فأمليت للكافرين﴾ امهلتهم بتأخير العذاب إلى آجالهم * ﴿ثم اخذتهم﴾ بالعذاب * ﴿فكيف كان نكير﴾ أي انكاري عليهم باهلاكهم وتغيير نعمتهم نقمة وعمارتهم خرابا والاستفهام للتقرير وجوابه ان يقال هو واقع موقعه أو الاستفهام للتعجب وياء (نكيري) بعد الراء ثبتها ورش حيث وقع وفي ذلك تحذير لقومه ﷺ ﴿فكأيِّن﴾ أي كم بنيت لتضمنها معنى رب التكثيرية أو للتركيب من كاف التشبيه وأي المنونة ولهذا جاز الوقف عليها بالنون لان التنوين لما دخل في التركيب اشبه النون الاصلية ولهذا رسم في المصحف نونا.

وبعضهم وقف بحذف التنوين والكلام مبسوط عليها في غير هذا الموضع * ﴿من قرية﴾ قيل: (من) زائدة في المضاف إليه في الاثبات.

وقيل غير زائدة لكن لا تتعلق بشيء واجاز بعض وصف (كأي) فتتعلق بمحذوف وجوبا نعت لها ﴿اهلكناها﴾ خبر للمبتدأ الذي هو (كأي) والتانيث لوقوعها على قرية وبئر وقصر والمراد اهلكنا اهلها.

وقرأ ابو عمرو (اهلكتها) بالتاء.

قيل: وكذا قرأ ابن عامر ويجوز جعل (كأي) مفعولا بمحذوف مقدر بعدها على الاشتغال * ﴿وهي ظالمة﴾ حال من مفعول (اهلكنا) والمراد (ظالم أهلها) كقولك: (زينب قائم ابوها) ﴿فهي خاوية على عروشها﴾ جملة اسمية معطوفة على (اهلكناها) في محل رفع ان كان (اهلكناها) خبرا ولا محل لها ان كان من الاشتغال ولا يصح عطفها على (هي ظالمة) لان (هي ظالمة) حال وهذه لا تصح حاليتها لان القرية في حال الاهلاك ليست خاوية نعم يصح عطفها على (ظالمة) مبينا بها ان الظلم سبب خوائها.

والظلم، الشرك إذا عم؛ والخاوية؛ الساقطة أو الخالية من اهلها.
خوى النجم سقط وخوى المنزل خلا من اهله.
والعروش؛ جمع عرش وهو كل ما علاك واظلك والمراد هنا السقوف أي فهي ساقطة حيطانها على سقوفها سواء سقطت السقوف ايضا إلى الارض قبل سقوط الحيطان عليها أو بعده أو لم تسقط وعلى متعلق بخاوية أو فهي خالية من أهلها مع بقاء عروشها فعلى متعلق بخاوية اي مع بقاء عروشها أو حال من ضمير خاوية أو خبر ثاني كما تقول: (زيد على ماله) وانت تريد عدم زوال ماله لا استعلاء على ماله أو فهي خالية مظلة الحيطان على السقوف أي مشرفة الوقوع عليها سواء سقط السقوف ام لم تسقط فالجار والمجرور خبر ثان أو حال.

وقيل: العروش البنيان أي خالية مع بقاء البنيان أو ساقط بعض بنيانها على بعض ﴿وبئر معطلة﴾ عطف على قرية والمعطلة المتروكة لموت اهلها بلا استسقاء منها والمراد ما يعم الآبار التي في القرى والتي في الصحارى والتي بقي معها آلة السقي والتي لم يتبق آلة السقي معه.
وقيل: المراد آبار الصحاري.
وقيل: المراد الآبار التي بقي معها آلة السقي.
وقرىء (معطلة) باسكان العين من اعطلة بمعنى عطلة وهي قراءة الحسن فقيل: العطف على عروش أي خالية من سلامة عروشها وبيرها المعطلة.

وقيل: المعطلة المهدومة هدمها مرور الايام عليها خالية ممن يعاهدها * ﴿وقصر مشيد﴾ مجصص أو مرفوع حصين اسم مفعول (مشيد) اصله (مشيود) ثقلت الضمة على الياء فحذفت الضمة فالتقى ساكنان حذفت

الواو وكسرت الشين أو كسرت الشين وحذفت الياء وقلبت الواو ياء أو نقلت الضمة للشين وحذفت الياء وقلبت الضمة كسرة والواو ياء والعطف على بئر أو قرية وهما في (اهلكناها) عائدة لقرية وبئر وقصر وهما في نية التقديم أي (وكم من قرية وبئر معطلة وقصر مشيد اهلكنا اهلها وهي ظالم اهلها).

ويختص قوله (فهي خاوية على عروشها) بالقرية ويقدر لغيرها ما يناسبه أي وهو عنى القصر اخليناه عن ساكنيه وحذف لدلالة المقام ولا يحتاج قوله بئر معطلة إلى تقدير ومن تلك القرى والقصور والآبار ما هو باليمن ومنها ما هو بغيره كحضر موت.

روي ان في حضر موت بئر انزل عليها صالح عليه السلام مع اربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب.

ولا يحسن تخريج الآية على هذه البئر وهذا القصر لان العطف على التكثير؛ نعم؛ يصح على تقدير (رب) لكن التقليل لا يناسب مساق الآية لانها سيقت لتكثير ما اهلك تخويفا فالاولى تعميم البئر والقصر المشيد فيدخل فيها هذان وغيرهما.

سميت حضر موت حضر موت لان صالحا لما حضرها مات.

وقيل: ان اهلها قدموا رجلا للقتال فقال حضر الموت وعند البئر بلدة اسمها حاضور بناها قوم صالح بعد موته وامروا عليها جهلس بن جبلس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وارسل الله إليهم حنظلة بن صفوان فقتلوه في السوق والقوه في البئر فاهلكهم الله وعطل البئر وخرب قصورهم.

واعلم ان وصف القصر بالمشيد دليل على ان معنى (فهي خاوية على عروشها) هي خالية مع بقاء عروشها * ﴿افلم يسيروا في الارض﴾ يعني كفار مكة ﴿فتكون لهم﴾ بالنصب في جواب النفي أو الاستفهام الانكاري

أو التقريري وفيه توبيخ وقرأ بالتحتية ﴿قلوب يعقلون بها﴾ ما نزل بالمكذبين فيصدقون وهذه الآية تقتضي ان العقل في القلب وللدماغ اتصال بالقلب يوجب فساد العقل من خلل في الدماغ.

وقيل: هو في الدماغ والصحيح الاول وبسط ذلك في الفقه.

﴿او آذان يسمعون بها﴾ اخبارهم بالاهلاك وخراب الديار فيعتبرون فيقولون السمع للوحي فانهم اذا سافروا راوا فيسألون فيجابون فيسمعون بل إذا سافروا فربما اخبرهم من معهم بدون ان يسألوه والواقع انهم سافروا وسمعوا ولم يعتبروا فكأنهم لم يسافروا ويحتمل.

قيل: انهم لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع المهلكين بالتكذيب.

قيل: وان يكونوا سافروا ولم يعلموا بذلك ولو رأوه ﴿ فانها لا تعمى الابصار ﴾ الضمير للقصة ولا يحتاج الخبر لربط لانه نفس اسم ان أو الضمير لمبهم مؤنث وفي تعمي ضميره ويفسر بالابصار على ان الابصار بدل من ضمير تعمي الذي هو الرابط أو الابصار فاعل تعمي مفسر للضمير فهو على هذا من اعادة اسم ان بمعناه فهو الرابط ويدل على ان الضمير للقصة.

قرأ ابن مسعود بأنه اي الشأن ﴿ ولكن تعمي القلوب التي في الصدور ﴾ اي ليس اهلاكهم بان تعمي ابصارهم فهي صحيحة سالمة ولكن بان لا يجعل لهم نورا في قلوبهم يعتبرون به ويتركون اتباع الهوى والتقليد أو المعنى لا يعتد بعمى الابصار ولو عمت فكأنه ليس بعمى بالنسبة إلى عمى القلوب وما ضر عمى البصر مع وجود البصيرة وما نفع البصر مع عدم البصيرة وكأنه قيل ليس العمى بزوال نور العين بل بعدم نور القلب كقوله ﷺ «ليس الشديد بالصرعة وليس المسكين بهذا الطواف».

وروى انه لما نزل ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة (اعمى) قال ابن ام مكتوم يارسول الله انا في الدنيا اعمى أفأكون في الآخرة اعمى فنزلت هذه الآية ودخل عقيل على معاوية وقد كف بصره فاجلسه معه على سريره ثم قال له انتم معشر بني هاشم تصابون في ابصاركم فقال له عقيل: وانتم معشر بني امية تصابون في بصائركم.

ومن اراد تدمير الظالم واخراب بيته وفساد حاله فلياخذ من شجرة العشار سبع اوراق كل يوم ورقة قبل طلوع الشمس ويبدأ بيوم السبت من آخر الشهر ثم يجفف الورق في الظل بحيث لا تراه الشمس ويكتب على كل ورقة قبل الجفاف (ثم اخذت الذين كفروا) إلى (في الصدور ظاهرا أو باطنا) ويدق الاوراق دافانا عما ويقول عند الدق: فلان عن فلانه حتى يفرغ ثم يرش المدقوق بباب الظالم الذي يخرج منه ويدخل (والتي) نعت توكيد لما كان المتعارف الحقيقي ان العمى للبصر واريد استعارته للقلب ونفيه عن البصر احتاج الكلام إلى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر ما هو خلاف المتعارف وهو ان مكان العمى القلب لا العين كقولك: (ليس المضاء للسيف ولكن للسانك الذي بين فكيك) بالتأكيد بالذي بين فكيك أي ما نفيت للمضاء عن السيف واثبتته للسانك سهوا بل تعمدته تعمدا.

﴿**ويستعجلونك بالعذاب**﴾ المتوعد به استهزاء وتكذيبا نزلت في النضر بن الحارث أو غيره من قريش * ﴿**ولن يخلف الله وعده**﴾ اي وعيده فان الوعد يستعمل في الشر ايضا لقرينة كما استعمل في الخير بلا قرينة.

وقيل: ان الوعد موضوع للخير والشر على حد سواء وانما يحمل على احدهما بقرينة وهذا رد لاستعجالهم كيف يستعجلونه كأنه يجوز عليه سبحانه خلف الوعد وانما يجوز الاستعجال في ميعاد من يجوز عليه الخلف

والله عز وجل لا يخلف الميعاد فلابد ان يصيبهم العذاب لاجله فلا يفوتهم ولا يتقدم أو يتأخر ولكنه تعالى حليم لا يعجل وفي الآية - كما ترى - دليل لمذهبنا معشر الاباضية على انه جل وعز لا يخلف الوعيد كما لا يخلف الوعد وقد انجز ذلك الوعد يوم بدر ﴿**وان يوما عند ربك كألف سنة مما تَعُدون**﴾ يامستعجلون ففي الكلام التفات تأكيد بالخطاب أو يا ايها الناس فلا التفات.

وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (يعدون) بالتحتية والمعنى ان يوما من ايام الآخرة كألف سنة من سنيكم.

وعن ابي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ «ابشروا يامعاشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم مقداره خمسمائة سنة» وإذا كان يوم واحد في الآخرة كذلك يعذبون فيه ثم يعقبه يوم كذلك بلا نهاية فكيف يستعجلون.

وقيل: المعنى ان عذاب الآخرة شديد فمقدار يوم واحد من ايامنا هذه في الآخرة كألف سنة لشدة العذاب وايام الشدة مستطالة مطلقا ولا سيما شدة لا شدة مثلها أو المراد تناهي استقصاره الطوال وامهاله حتى ان يوما واحدا عنده كألف سنة عندكم.

وقال ابن عباس: ان يوما والف سنة سواء عنده قادر متى شاء اخذهم ومن يفوته اخذهم ﴿**وكأين من قرية امليت**﴾ كم من أهل قرية امهلت فحذف المضاف فخلفه المضاف إليه في الاعراب ورجوع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل أو يقدر المضاف قبل الضمائر والاول أولى لاداء الثاني إلى تكرير الظاهر.

وقرىء (وكائن من قرية اهلكناها) بالفاء وهذه بالواو والتفريع تلك عن قوله: (كيف كان نكيري) وكون هذه وحكمها حكم المعطوفتين بالواو وقبلها قوله: (ولن يخلف الله وعده) وقوله: (وان يوما عند ربك كألف سنة) فانها استدلال على عدم الخلف والعجلة كذا يطهر من كلام جار الله والقاضي * ﴿لها وهي ظالمة﴾ مثلكم ﴿ثم اخذتها﴾ بالعذاب فلم يفتهم العذاب بل جاءهم بعد امهال فلا يضرنكم الامهال ﴿وإليّ المصير﴾ مرجع كل شيء إلى حكمي ﴿قل يا أيها الناس انما انا لكم نذير مبين﴾ موضح لما انذركم به واقتصر على الانذار مع عموم الخطاب في الناس وذكر (الذين آمنوا والذين كفروا) يعدلان صدر الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر المؤمنين ونصرهم زيادة في غيظهم.

قال الاصمعي: بينما المهدي يدور في قصره يوما إذ سمع هاتفا يهتف به ولا يراه فقال الهاتف:

كان بهذا القصر قد باد أهله ... وقد رست اعلامه ومنابره

فاجابه المهدي:

كذاك امور الناس يبلى جديدها ... وكل فتى يفنى وتفنى خصائله

فقال الهاتف:

فخذ هبة للموت انك ميت ... وانك مسئول فما انت قائله

فاجابه المهدي:

أقول بان الله حق شهادة ... وذلك قول ليس تحصى فضائله

فقال الهاتف:

تزود فان المرء يحمل زاده ... وقد ازف الامر الذي بك نازله

فقال له المهدي:

متى ذاك خبرني هديت فانني   سافعل ما قد قلته واعاجله

فاجابه الهاتف:

تلبث ثلاثا بعد عشرين ليلة   ولست تتم الشهر ما أنت كامله

فلبث المهـدي ثلاثة وعشرين يوما فمات * ﴿**فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة**﴾ لذنوبهم ﴿**ورزق كريم**﴾ الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله ﴿**والذين سعوا في آياتنا**﴾ القرآن بالابطال والرد.

يقــال: (سعى زيد في امـر فلان) اي اصلحـه أو افسـده بسعيه ﴿**معـاجـزين**﴾ حال مقـارنة اي مسابقين لنا بظنون انهم يبطلون كلامنا بقـولهم: (انـه سحـر) مثل أو يشاقوننا بانكارهم البعث والعقاب أو انهم يكيدون الاسلام ويتم كيدهم والحق يقتضي عجزه يقال عاجزه اي سابقه لان كلا في طلب اعجاز الآخر عن اللحوق به أو المعنى متراخين عن الايمان وهو قول مجاهد أو مثبطين للناس عنهم.

وقرأ ابن كثير وابو عمرو (معجزين) على انه حال مقدرة اي يقدرون انهم سيعجزون الآيات والمؤمنين أو مقارنة اي ينسبونهم إلى العجز.

وقيل: انما قرىء (معجزين) بالتشديد ﴿**أولئك اصحاب الجحيم**﴾ النار الموقدة أو دركة مخصوصة ﴿**وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي**﴾ الرسول من بعث للناس أو بعضهم سواء كان له كتاب أم لا وسواء جاء لتقرير شرع سابق او لتجديد شريعة والنبي من اوحى إليه بعث للناس أو بعضهم أو لم يبعث له كتاب أو لم يكن جاء للتقرير أو للتجديد فهو اعم من الرسول كل رسول نبي وبعض الانبياء غير رسول بل جلهم ولكن إذا اطلق في مقابلة الرسول كما في الآية فهو غير رسول.

وقيل: الرسول من بعث للتجديد إلى الناس أو بعضهم والنبي يعمه ويعم من بعث للتقرير كانبياء بني اسرائيل بين موسى وعيسى ولذا شبه ﷺ علماء امته بهم والانبياء هم مائة ألف وأربعة وعشرون الفا والرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر وقيل ثلاثمائة واربعة عشر.

وقيل: الرسول من له معجزات وكتاب والنبي من لا كتاب له.

وقيل: الرسول من يأتيه الملك والنبي من ياتيه أو يوحي إليه في المنام أو الهاما وقد بسطت ذلك وغيره في تراجم حواشي كتب النحو وغيره ﴿الا اذا تمنى﴾ ذكر في نفسه ما يهواه * ﴿القى الشيطان في امنيته﴾ ما يوجب اشتغاله بالدنيا حتى يجري على لسانه قال ﷺ: «انه ليظان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة» اي يغشاه الشيطان بالوسوسة والامنية ما بولغ في تمنيه وهو مفرد كاحدوثة للحديث المستحسن جدا اصله (منوية) اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت في الياء وقلبت الضمة كسرة قيل قلب الواو ياء أو بعده قولان ﴿فينسخ الله﴾ يزيل ﴿ما يلقي الشيطان﴾ ويظهر انه من الشيطان ويبطله لعصمة الانبياء عن الركون إليه والارشاد إلى ما هو الحق ﴿ثم يحكم﴾ يثبت ﴿الله آياته﴾ الداعية إلى التجرد للآخرة وفي ذلك وضع المظهر موضع الضمير للتأكيد ﴿والله عليم﴾ باحوال الناس وبالقاء الشيطان وبكل شيء ﴿حكيم﴾ فيما فعل مطلقا وفي تمكين الشيطان من الالقاء ﴿ليجعل﴾ متلق بمحذوف اي مكن الله الشيطان من الالقاء ليجعل فاللام للتعليل أو بـ (ألقى) فهو لام الصيرورة * ﴿ما يلقي الشيطان﴾ فيه تلويح إلى ان ما يلقيه امر ظاهر البطلان عند المحق والمبطل ولو كان المبطل يرتاب بادنى طرف شبهة * ﴿فتنة﴾ ابتلاء وله ابتلاء عباده بما شاء ﴿للذين في قلوبهم مرض﴾ شك ونفاق ﴿والقاسية قلوبهم﴾ عن

قبـول الحق وهم المشركـون ﴿وان الـظالمين﴾ اي الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم والاصل وانهم ولكن يوضع الظاهر موضع الضمير قضاء بالـظلم عليهم ظلم انفسهم وظلم غيرهم وليؤذن بالخير قبل مجيئه ﴿لفي شقاق﴾ خلاف * ﴿بعيد﴾ طويل مع النبي ﷺ والمؤمنين من حيث الايمان وهذه الجملة معترضة أو الشقاق الكون في شق الفساد * ﴿وليعلم الذين اوتوا العلم﴾ التوحيد والقرآن والتصديق بالنسخ * ﴿انه﴾ اي القرآن * ﴿الحق﴾ النازل * ﴿من ربك﴾ أو الضمير لتمكين الشيطان من الالقاء اي ان تمكينـه حق جرت به العـادة لاجـور * ﴿فيؤمنوا به﴾ بالقرآن أو بالله ﴿فتخبت﴾ تطمئن * ﴿له قلوبهم﴾ بالانقياد والخشية وقيل:تخشع ﴿ وإن الله لهادِ الـذين آمنـوا﴾ فيما اشكل ﴿إلى صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ هو دين الاسلام فلا تزل اقدامهم بالمشكل المتشابه بل يهديهم إلى تأويله بما تقتضيه الاصول المحكمة.

وقرىء لهاد بالتنوين كقاض فالذين مفعول له * ﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية﴾ شك * ﴿منه﴾ من القرآن أو رسول الله ﷺ أو مما ألقى الشيطان يقولون ما له اثبته ثم نفاه * ﴿حتى تأتيهم الساعة﴾ ساعة الموت أو القيامة أو اشراطها فمن قامت عليه أو جاءته اشراطها تيقن ومن مات تيقن أو لا يتيقن ولو مات الا تراه لا يهتدي إلى جواب منكر ونكير * ﴿بغتة﴾ فجـأة * ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر وسمي يوم الحرب يوما عقيما لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم كانهن لم يلدن أو لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت الحرب عقيما فوصف اليوم بوصفها اتساعا أو لانه لا خير لهم فيه.

ومنه الريح العقيم إذا لم ينشر مطرا ولم يلقح شجرا أو لانه لا مثل له لقتال الملائكة فيه أو يوم القيامة على ان المراد بالساعة غيره أو المراد بها هو فوضع الظاهر موضع الضمير للتهويل.

فصـــل

قيل: الذي حدث به نفسه ﷺ زوال المسكنة وعليه فنسخ ما يلقيه الشيطان هو ابطال تمنيها من قبله بعد القاء الشيطان اياها وعليه فاحكام الله وآياته مرتب بتراخ هو علو شأن لا تراخي حكم والمراد مطلق احكام الآيات ووجهه ان احكامها اعظم من خصوص الكلام في نسخ تمنى المسكنة.

وقيل: تمنى بمعنى (قرأ) وامنيته قراءته كقول حسان في عثمان:

تمنى كتاب الله أول ليلة تمني داود الزبور على رسل

ألقى الشيطان في قراءته من أول (النجم) إلى (ومناة الثالثة الأخرى) تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى بان سكت النبي على قوله: (الأخرى) وتكلم الشيطان بذلك رافعا صوته بحيث يظن السامعون انه من قراءة النبي ﷺ والاشارة للاصنام واستمرار النبي ﷺ بعد وقفه حتى ختم السورة فسجد معه الانس والجن والمؤمنون والمشركون وقيل من كان في المسجد رضى المشركون عنه لظنهم ان ذلك الكلام منه ويرد هذا القول بانه يخل بالوثوق بالقرآن ولا يقال قوله: (فينسخ الله) الخ دليل على ان ذلك ليس من النبي لانه ايضا يحتمل ان يكون من ذلك في ستمران يقال كلما نزل نسخ فلعله غلط فيه الجواب ان الله ضمن النسخ فما هو الانسخ يظهر ويحق خاليا عن الغلط في التبليغ فيخصص ما لم يوجد من نسخ فليس ثم غلط ومتى وجد غلط فثم نسخ صحيح معقول لا غلط في تبليغه.

وذكروا عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ لما عرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته تمنى لشدة ضجره من اعراضهم وحرصه على اسلامهم ان لا ينـزل عليه ما ينفـرهم لعله يستميلهم ويستنزلهم من غيهم فاستمر به تمنيهم حتى كان يوما بالمسجد في نادي قريش فنزلت عليه سورة النجم فاخذ يقرأها حتى بلغ (ومناة الثالثة الأخرى) فوسوس الشيطان فالقى الشيطان ان يقول تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهم لترتجى.

وروي الغـرانقـة فقرأ ذلك على سبيل الوسوسة ولم يفطن له حتى ادركته العصمة فتنبه.

وقيل: نبهه جبريل عليه السلام فقرأ السورة حتى تمت وقد رضوا عنه لذكره ذلك فسجد وسجدوا معه والمؤمنون ولم يسجد الوليد بن المغيرة قيل: وابو جنحة سعيد بن العاص كبرا فانهما شيخان أو استكبارا بل اخذا إلى جبهتيهـما حفنـة حصباء وقالا يكفنا هذا وتفرقت قريش مسرورين لذلك قائلين قد ذكر محمد آلهتنا باحسن الذكر فنحن معه وقد عرفنا ان الله يحيي ويميت ويرزق ولكن آلهتنـا تشفع لنا عنده فلما امسى رسول الله ﷺ اتاه جبريل فقال: يامحمد ماذا صنعت وقد تلوت على الناس ما لم آتك به فحزن حزنـا شديدا وخاف من الله خوفا كبيرا فانزل الله الرؤوف الرحيم ﴿ **وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا** ﴾ الخ تعزية له وايناسا.

ولما سمع المسلمون الذين بارض الحبشة عند النجاشي ان أهل مكة امنوا فرجعوا إلى عشائرهم فقالوا هم احب إلينا ولما دنوا من مكة علموا ان ذلك لم يكن فلم يدخلها الا مستخف وكان ما القاه الشيطان على لسانه قد القاه ايضا على لسان كل مشرك فنطقوا هم والنبي به مرة فازدادوا شرا واشتد الامـر على من اسلم وزاد المنـافقـون شكـا وازداد المؤمنـون بعـد نزول (وما ارسلنا) الخ يقينا ولله ان يمتحن عباده بما شاء ليزيد في ثواب الثابتين

وفي عقاب المذبذبين وذلك غير صحيح لضعف رواته وما رواه الا الكلبي عن ابن عباس والا المؤرخون المولعون بكل غريب والكلبي على ماذكر قومنا كذاب وان سلمنا انه صحيح فلله الاختبار بما اراد ويستحيل ان يتعمد صلى الله عليه وسلم ويمتنع ان يقهر الشيطان احدا على النطق بذلك أو يلقيه جبرا على لسانه فما هو الاغلط أو لما اشتهر إلى (ومناة الثالثة) سكت فنطق به الشيطان.

وحكى محمد بن عقبة ان ذلك لم يقع الا في اسماء المشركين وليس هذا رافعا للاشكال.

والآية دلت على جواز السهو والوسوسة على الانبياء ولكن اثبت تلك القصة البزاز والطبراني بسند صحيح عندهم وطرق كثيرة تدل على صحتها واطنب في صحتها ابن حجر وليست صحتها ببعيدة لامكان ان يقول ﷺ ذلك ويريد الملائكة.

واما القول بان ابليس قاله على صوته حين سكت ﷺ رافعا صوته والقول بانه لعنة الله قاله بحيث يسمعه من دنى إليه فظنها من قول النبي ﷺ واشاعها فغير رافعين للاشكال.

وذكر بعضهم عن البزاز تضعيف ذلك وذكر بعضهم ان الآمة اجمعت على عصمة الانبياء عن مثل ذلك السهو وتلك الوسوسة المسموعة.

وقد ضعف بعضهم ذلك باضطراب رواته وانقطاع سنده واختلاف الفاظه ووقته.

فقائل يقول: انه ﷺ قال ذلك في الصلاة.

وقائل قاله: في نادي قومه.

وقائل بقوله قاله: وقد اخذته سنة.

وآخر يقول: حدثت نفسه فجرى على لسانه.

وقائل: ابليس.

وقائل قاله: على لسانه وعرضه على جبريل فقال ما هكذا اقرأتك.

وقائل قال: كان ذلك أول ما نزلت سورة النجم.

وقائل: نزلت قبل ذلك ثم قرأها في الحرم وان المؤمنين لا يضرهم ذلك لتحققهم من السورة وعلمهم بالزيادة وبذم النبي ﷺ الاوثان وليس بدافع للاشكال وقال انه تمنى ان ينزل عليه مدح اله غير الله لعنة الله من قائل زنديق.

وعن عياض ان المعنى انه يسهو في قراءته من آية لاخرى أو لغير آية فينتبه فيرجع.

وذكروا عن ابن مسعود انهم سجدوا غير شيخ من قريش اخذ كفا من حصباء وتراب فرفعه إلى جبهته قال فلقد رأيته بعد؛ قتل كافرا وهو الوليد.

وعن ابن الاثير (الغرانيق) الاصنام واصلها طير الماء والمفرد غرنوق وغرنيق يسمى به لبياضه يزعمون ان الاصنام تقربهم إلى الله فيشهونها بالطيور التي تعلو إلى السماء ﴿الملك يومئذ لله﴾ اي يوم يؤمنون كما دلت عليه الغاية أو يوم إذ زالت مريتهم والمراد يوم القيامة فانه لابد من تفسير اليوم العقيم به لما مر أو لانه لا ليل له أو تفسير الساعة به ويوم متعلق بقوله لله لنيابته عن الاستقرار أو بالاستقرار ﴿يحكم بينهم﴾ بين المؤمنين والكافرين وبين الحكم بقوله ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم﴾ تفضلا من الله كما يدل عليه عدم الفاء في الخبر وادخالها في قوله ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين﴾ للدلالة على ان العذاب المهين بسبب كفرهم ولذا قال: (لهم عذاب) ولم يقل (هم في عذاب) والمهين

المذل لهم لشدته وروي ان طوائف من اصحاب رسول الله ﷺ قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك؟ فنزل ﴿والذين هاجروا﴾ من مكة إلى المدينة وفارقوا المال والعشيرة والاقارب والوطن ﴿في سبيل الله﴾ طاعته ﴿ثم قتلوا﴾ في الجهـاد وشدد ابن عامر التاء ﴿او ماتوا﴾ في فرشهم مثلا ﴿ليرزقنهم الله﴾ جواب قسم والقسم وجوابه خبر المبتدأ ﴿رزقا حسنا﴾ رزق الجنة سواء بين المقتول في الجهاد وغيره تفضلا منه واحسانا وله ان يفعل ما يشاء أو لاستوائهما في القصد والنية واصل العمل

وقيل: لما مات عثمان بن فطعون وابو سلمة قال قائل: ماتا في غير الجهاد فنزلت الآية.

قال بعضهم: ليست الآية قاضية بتساويهم والمقتول أفضل ولو كان هو والميت في سبيل الله شهيدين قال ويحتمل الرزق الحسن ان يكون رزق الشهادة عند ربهم في البرزخ.

﴿وان الله لهو خير الـرازقـين﴾ خير المعـطين قال رزق (السلطان) الجند؛ ورزق الرجل عياله أي اعطاهم ولا رازق سواه تعالى وتسمية غيره رازقا مجاز وهو أفضل لانه اجراه على يده فقط وهو الرازق بغير حساب * ﴿ليدخلنهم﴾ جواب لقسم محذوف والمجموع خبر ثان * ﴿مدخلا﴾ مصدر ميمي اي دخولا وهو نائب عن المصدر لان الادخال من ادخل لا من دخل فهـو كقـولك: (انبتّه نباتا) أو اسم مكان من الدخول وقرىء بضم الميم مصدرا ميميا أو اسم مكان من الادخال ﴿يرضونه﴾ وهو الجنة أو ادخالها او دخولها * ﴿وان الله لعليم﴾ بنياتهم واحوالهم وبما يستحق عملهم ونيتهم من الثواب * ﴿حليم﴾ عن تفريطهم فانهم لا يخلون من تفريط أو مفرط بفضله وكرمه يغفر لهم وليس بعاجل بالعقوبة * ﴿ذلك﴾ اي الامر ذلك وقد مر

مثله ففيه ما فيه * ﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب به﴾ العقاب الجزاء وسمي الفعل الواقع ابتداء وهو الذي بعد مثل (عقابا) ليناسب لفظ الفعل الواقع ثانيا وهو الذي بعد (من) او (لان) الواقع ابتداء سبب للواقع ثانيا المستحق للتسمية عقابا اي ومن جازى من المؤمنين بمثل ما ظلمه به المشركون اي قاتلهم كما (قاتلوه) في شهر حرام * ﴿ثم بُغِيَ﴾ اي بغى المشركون ﴿عليه﴾ باخراجه من منزله.

روي ان المشركين ضروا المسلمين حتى اخرجوهم عن اوطانهم ﴿لينصرنه الله﴾ لا محالة.

وقيل: لما اخرجوا عارضهم قوم مشركون في المحرم فكره المسلمون قتالهم لحرمة الشهر وابى المشركون الا القتال فنصر الله المؤمنين ﴿ان الله لعفو﴾ عن مساوىء المؤمنين ﴿غفور﴾ لذنوبهم أو عفو غفور لقتالهم في الشهر الحرام اي لا يعاقبهم عليه لانهم لم يقاتلوا انتهاكا لحرمة بل لان المشركين الجأوهم ولو كان الاولى لهم الانفكاك عن القتال بما وجدوه أو (عفو غفور) عن انتقام المظلوم لنفسه مع ان العفو افضل وهذا بناء على انهم عاقبوا المشركين بدون ان يعترض لهم المشركون أو تعرضوا لهم وقاتلوهم واحضرت انفسهم الانتقام.

وفي الآية تنبيه على افضلية العفو وحث عليه حيث جعل الانتصار كالذنب في العفو عنه وغفرانه وان الله مع كمال قدرته يعفو فغيره أولى مع ما يتطرق إلى الخلق من الوقوع في الظلم ولو كان مظلوما بخلافه تعالى وتنبيه على قدرته تعالى على العقوبة لانه يوصف بالعفو من قدر على الانتقام ﴿ذلك﴾ النصر مبتدأ خبره ﴿بان﴾ اي لان ﴿الله يولج﴾ يدخل ﴿الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ اي يحصل ظلمة الليل في مكان ضياء النهار بغيوبة الشمس وضياء النهار في مكان ظلمة الليل بطلوعها كما يضيء المكان

المظلم بالسراج ويظلم بفقده أو يزيد في احدهما ما ينقص من الآخر من الساعات.

ووجه تسبب النصر عن الايلاج ان الله خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجرى فيهما على ايدي عباده من خير وشر وبغي وانصاف أو المراد ان الله قادر ومن آيات قدرته تغليب أمر على آخر والمداولة بين الاشياء المتعازة وايلاج الليل في النهار والنهار في الليل وهي آية بالغة ﴿وأن الله سميع﴾ دعاء المؤمنين أو قول المعاقب والعاقب ﴿بصير﴾ بالمؤمنين اذ جعل فيهم الايمان واجاب دعاءهم أو بافعال المعاقب والمعاقب فلا يهملها ﴿ذلك﴾ النصر ايضا أو ذلك الوصف بكمال القدرة والعلم ﴿بان الله هو الحق﴾ الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده ووجوب وحدانيته وذاته يقتضي ان يكون منشئا لما سواه عالما بذاته وبما عداه أو الثابت الالهية ولا يصلح لها الا القادر العالم ﴿وأن ما يدعون﴾ تعبدون او تسألون وهو الاصنام والخطاب للمشركين وهذه قراءة ابن عامر وابي بكر والحرمين نافع وابن كثير وقرأ الباقون بالتحتية وقرأ اليماني بها مع البناء للمفعول فتكون الواو راجعة لما واقعة على الاصنام لانها عندهم آلهة بمنزلة العقلاء * ﴿من دونه هو الباطل﴾ زائل لا ينفع ولا يضر أو باطل الالوهية فكيف يدعي وقيل: المراد بما يدعون من دون الله هو ابليس * ﴿وأن الله هو العلي﴾ على كل شيء شأنا وقدرة ﴿الكبير﴾ سلطانا أو المتنزه عن ان يكون له شريك * ﴿الم ترَ ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة﴾ الاستفهام للتقرير ولذلك رفع (تصبح) عطفا على (انزل) ولو نصب في جوابه لدل على نفي الاخضرار وهو ثابت مثاله ان تقول: (الم ترنى انعمت عليك فتشكر) ان نصبت فانت ناف لشكره، شاك تفريطه فيه وان رفعت فانت مثبت لشكره وهذا وامثاله مما يجب ان يرغب فيه من اتصف بالعلم في علم الاعراب وتوقير أهله.

قال شيخ الاسلام: ووجه ذلك ان النصب بتقدير (ان) وهو علم للاستقبـال فيجعل الفعل مرتغبا والرفع جزم باثباته وكذلك يرفع ان جعل الاستفهام للانكار.

وان قلت الفاء للتعقيب واصباح الارض مخضرة لا يكون عقب انزال الماء؟ قلت: هي للتعقيب ولكن التعقيب في كل شيء بحسبه نحو، (تزوج فلان فولد له) إذا لم يكن بينهما إلا مدة الحمل ولو كانت مدة طويلة.

وقيل: الفاء هنا للسببية وفاء السببية لا تستلزم التعقيب بدليل صحة قولك (ان يسلم فهو يدخل الجنة) ومعلوم ما بينهما من المهلة.

قاله ابن هشام: وذكر التوجيه الاول السعد والرضي ايضا وضعف الدماميني ذاك القول الثاني بان الاصل في الفاء السببية استلزام التعقيب وان عدمـه في بعض المـواضـع كالمثال لعدم استكمال السبب إذ السبب التام لدخول الجنة في المثال مجموع الاسلام واستمرار حكمه لكن اطلاق السبب على جزئه مجازا له باختصار ويجاب بان السبب عند علماء الادب كون الشيء له مدخل في غيره لا السبب التام الذي يلزم وجوده وجود المسبب ولك ان تقول: الفاء استعملت في الآية بمعنى (ثم) مجازا ومعنى (تصبح) تصير.

وان قلت: لَم عبر بالمضارع والمعنى على المضي؟ قلت: الذي يظهر لي انه عبر بالمضارع مرادا به الحال استحضارا لصورة الاخضرار.

وقال جارالله: عبر بالمضارع ليفيد بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول: (أنعم علي فلان عام كذا فأروح وأغدو شاكرا له) فلو قلت: (فرحت وغدوت) لم يقع ذلك الموقع. وهو ايضا حسن.

ومخضرة اسم فاعل اصله مخضررة بكسر الراء الاولى حذف كسرها وادغمت في الـراء وقـرىء (مخضرة) بكسر الضاد وتخفيف الراء أي ذات خضرة كمبقلة ومسبعة أي ذات بقل وسباع.

وان قلت: تصبح الارض مخضرة معطوف على الخبر فكانه خبر فيحتاج الرابط؟ قلت: ذكر ابن هشام ان الربط يكون بفاء السببية كما يكون بالضمير هذا ويصح ان تكون الفاء للتعقيب اتصالا عبارة عن استعجال لاخضرار اثر نزول الماء.

وعن عكرمة ان التعقيب هنا حقيقي وان هذا يختص بمكة وما حولها.

قال عياض: ينزل الماء ليلا قرب الصبح فتنبت الارض في الصبح قال وقد شاهدت هذا في السوس الاقصى نزل المطر ليلا بعد قحط فاصبحت تلك الارض الرملة التي تسفيها الريح قد اخضرت وقد شاهد الثعالبي ذلك في رحلته للحج بصحراء سواكن **﴿إن الله لطيف﴾** بعباده في اخراج النبات بالماء رزقا لهم ولدوابهم وحطبا ومنفعة للبيوت وغيرها.

وقيل: اللطف وصول علمه أو فضله إلى كل ما دقّ وجل.

وقيل: احكام الامور برفق **﴿خبير﴾** باعمالهم ومنافعهم وبكل ظاهر وباطن.

وقيل: خبير بما في قلوبهم عند تأخر المطر **﴿له ما في السموات وما في الارض﴾** خلقا وملكا **﴿وإن الله لهو الغني الحميد﴾** غني عما سواه حميد لاوليائه أو حميد في افعاله أو المستوجب للحمد بصفات وافعال **﴿الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض﴾** من البهائم وغيرها ذلل لكم الجميع وسهله لمنافعكم ودخل في ذلك المعادن **﴿والفلك﴾** معطوف على ما **﴿تجري﴾** حالا أو معطوف على اسم ان وتجرى على خبرها كأنه قيل: وان الفلك تجرى عطفا على معمولي عامل.

وقرىء بالرفع على الابتداء وتجرى خبر **﴿في البحر﴾** للحمل والركوب **﴿بأمره﴾** باذنه يرسل ريحا يجريها ويكف الماء عن بلعها **﴿ويمسك السماء أن**

تقع على الارض﴾ من ان تقع أو عن ان تقع أو كراهة ان تقع أو لئلا تقع على الارض فتهلكوا فانها كسائر الاجسام القابلة للهبوط إلى اسفل فلولا ان الله امسكهـا لهبـطت ﴿إلا بإذنه﴾ بمشيئته وذلك انها تهبط يوم القيامة كذا قيل: والظاهر أن المراد انها لا تقع الا ان شاء وهذا لا يستلزم مشيئة وقوعها.

﴿ان الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ في فتح ابواب المنافع ودفع انواع المضـار ومن ذلـك لخيره وامسـاكه وايجاد اسباب الاستدلال والباء متعلق برؤوف وهـذا مما دخـل فيه لام التأكيد على الخبر مع تقديم معموله عليه ﴿وهـو الذي احياكم﴾ بالانشاء من نطفة ﴿ثم يميتكم﴾ لآجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ بالبعث للثواب والعقاب * ﴿ان الانسان﴾ المشرك * ﴿لكفور﴾ لنعم الله بترك التـوحيد والطاعة وفعل المعاصي ولا يبعد ان يراد بالانسان المشرك والمنـافق صاحب الكبيرة وبالكفر كفر النعمة بان لا يشكرها وكفر الشرك فالمراد مطلق الكفر * ﴿لكل امة جعلنا منسكا﴾ متعبد أو شريعة أو عيدا.

وقرىء بكسر السين وقد مر تفسير مثله * ﴿هم ناسكوه﴾ عاملون به قيل هذا يفيد ان للنسـك المصدر ولو كان مكانا لقال ناسكون فيه وليس بمتعين لجواز اضافة الشيء إلى ظرفه ﴿فلا ينازعنك﴾ اي سائر ارباب الملل * ﴿في الامر﴾ امر الدين أو النسائك أو الذبائح مطلقا وهذا لنهي لهؤلاء لانهم جهال وأهل عناد وبين الجهال والمعاندين أو لان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع.

وقيل: المـراد نهي في المعنى للرسـول ﷺ عن الالتفـات إلى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية إلى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء واما في اللفظ فهي لهم فهو من باب (لا ارينك ها هنا) اي لا تكن

هاهنـا فاراك والمراد لا تكن على وصف يكون سببا لمنازعتهم أو نهي عن منازعتهم كقولك: (لا يضاربنك زيد) وهذا انما يجوز في افعال المغالبة التي لا نكون الا بين متعدد اي لا تعتد بهم فتنازعهم وينازعوك وهو قول الزجاج.

وروي ان بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله؟ يعنون الميتة.

وقـرىء (فـلا ينـزعنك) اي (اثبت) في دينك ثباتا لا يطمعون ان يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت له ﷺ بما يهيج غضبه لله وهيهات ان يكون بحيث ينزع وان يحوم حول حماه ولكن المراد ارادة التهيج.

وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته اي غلبته اي لا يغلبنك في المنازعة وعـطف (كـل امة جعلنا منسكا) فيما مر ولم يعطفه هنا لوقوعه هنا مع ما باعد عن معناه مع انه يحتمل كون الواو هنالك للاستئناف ﴿**وادع إلى ربك**﴾ إلى توحيده وعبادته ﴿**انك لعلى هدى مستقيم**﴾ دين سوي ﴿**وإن جادلوك**﴾ في الامر بعد ظهور الحق والتزام الحجة واجتهادك ان لا تكون بينكم منازعة ﴿**فقل**﴾ في دفع جدالهم ﴿**الله اعلم بما تعملون**﴾ من المجادلة الباطلة وغير المجـادلـة فيجازيكم عليه وهذا قيل الامر بالقتال ولهذا قيل نسخت بآية الـسيف وفيهـا وعيد فيه رفق ﴿**الله يحكم بينكم**﴾ الخـطاب للمؤمنـين والكافرين فالجملة مستأنفة لم يسلط عليها القول وفيها تسلية لرسول الله ﷺ إذ يثيب المؤمنين ويعاقب الكافرين ﴿**يوم القيامة**﴾ كما حكم وفصل في الدنيا بالحجج والآيات ﴿**فيما كنتم فيه تختلفون**﴾ من أمر الدين ﴿**الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب**﴾ في اللوح المحفوظ قبل حدوثه فلا تهتم بما فعلوا فقد حفظناه فنجازيهم ﴿**ان ذلك**﴾ علم ما ذكر مع كثرته

أو اثباته في اللوح قبل حدوثه والحكم بينكم أو ذلك المذكور كله ﴿على الله يسير﴾ سهل لان علمه ذاتي لا يحل فيه من خارج فيحتاج لتذكر ودرس ويتصعب بكثرة المعلومات ما حاشاه فعلمه للمعلومات على حد سواء * ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل﴾ الله ﴿به سلطانا﴾ حجة تدل على جواز عبادته من السمع ﴿وما ليس لهم به علم﴾ ضروري أو عقلي أنه آلة والمراد الاصنام ﴿وما للظالمين﴾ بالشرك وهو ظاهر في موضع الضمير تشنيعا عليهم بالظلم ﴿من نصير﴾ يثبت دينهم أو يدفع العذاب عنهم ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾ القرآن * ﴿بينات﴾ حال من آيات أي ظاهرات أو فيها بيان الحلال والحرام والعقائد ﴿تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر﴾ مصدر ميمي بمعنى الانكار اي تعرف فيها اثره كالعبوس وقد يقال هو اسم مفعول فان كراهة الحق وقصد الشر مما ينكر شرعا.

وقرىء يعرف بالتحتية والبناء للمفعول ورفع المنكر والذين كفروا ظاهر في موضع ضمير للدلالة على فرط منكرهم أو انكارهم للحق وغيظهم الاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة ﴿يكادون يسطون﴾ يبطشون بسرعة ووثوب ﴿بالذين﴾ الباء للالصاق أو للاستعلاء فان السطو يتضمنه حسنا ومعنى ﴿يتلون عليهم آياتنا﴾ وهم النبي ﷺ والمؤمنون.

وقال الحسن: الكلام في ذلك كله في المشركين مطلقا والذين يتلون هم الانبياء ﴿قل افأنبئكم بشر من ذلكم﴾ المتلو عليكم الذي هو القرآن أو مطلق الكتب الربانية وشر اسم تفضيل (ومن) تفصيلية باكره اليكم من المتلو والاشارة إلى السطو أو الغيظ أو الصجر بما يتلى ﴿النار﴾ أي هو النار جواب لسؤال ماذا الشر؟.

وقرىء بالجر ابدالا من شر وبالنصب بـ (أعني) محذوفا ﴿**وعدها الله الـذين كفروا**﴾ مستأنف او حال من النار على كل قراءة ويجوز ايضا على الرفع كون النار مبتدأ والجملة خبر وعلى النصب كونه منصوبا بوعد محذوفا ووعـد هنا في الشرك وعد ولك ان تقول مستعمل في الخير نظرا إلى مسرة النبي ﷺ باحراقهم بالنار أو إلى مسرة النار بهم كما يدل عليه طلبها المزيد والذين كفروا يعم المخاطبين وغيرهم فهو على مقتضى الظاهر وان اريد به المخاطبون فمن وضع المظهر موضع المضمر ﴿**وبئس المصير**﴾ المخصوص بالدم محذوف أي النار أو هي * ﴿**يا أيها الناس**﴾ عام.

وقيل: المراد أهل مكة ﴿**ضرب مثل فاستمعوا له**﴾ انما سمي ما يأتي مثلا وليس مثلا لانه صفة مستغربة او قصة رائعة تتلقى بالاستحسان فهو شبيه ببعض الامثال المسيرة المستحسنة المستغربة أو المراد جعل الله مثلا في استحقاق العبادة والاستماع للمثل أو شأنه استماع تدبر وتفكر.

﴿**ان الذين تدعون من دون الله**﴾ وهم الاصنام.

وقرأ يعقوب بالتحتية.

وقرىء بالبناء للمفعول مع التحتية والعائد على الأولين محذوف وعلى الثـالث هو الواو ﴿**لن يخلقوا ذبابا**﴾ قيل المراد الجنس والواحد ذبابة وهو كالقـوم والنخل يجوز رد الضمير إليه مفردا وجمعا والذبابة تقع على الذكر والانثى ويجمع الذباب على اذبة وذبان بالكسر ولا يقال ذبانة.

وقيل: يطلق ايضـا على المفـرد وانه هنا كذلك وسمي ذبابا لانه يذب فيرجع (ولن) للنفي القوي فكأنه قيل يستحيل ان يخلقوا ذبابا فاذا لم يقدروا على خلقه مع صغره فكيف يعبدون؟ ﴿**ولو اجتمعوا له**﴾ الواو للمعطوف على محذوف اي ان لم يجتمعوا ولو اجتمعوا أو للحال لا يقدرون على خلقه

مجتمعين لخلقه فكيف إذ كانوا منفردين وجواب (لو) دل عليه ان يخلقوا والهاء عائدة للخلق المفهوم من (لن يخلقوا) وللذباب على حذف مضاف اي لخلقه وهذا من ابلغ ما نزل في استجهال قريش واستركاك عقولهم حيث وصفوا بالالوهية المقتضية للقدرة على كل شيء صوارا يستحيل منها ان تخلق شيئا ذليلا حقيرا صغيرا ولو اجتمعوا له وذلك مثال لا قيد يخرج ما تحته فان الخلق كلهم لو اجتمعوا ان يخلقوا ما دون الذباب لم يقدروا وادل من ذلك على عجزهم ان هذا الخلق الاقل الاذل لو اختلط منهم شيئا فاجتمعوا ان يستخلصوه منه لم يقدروا كما قال ﴿وان يسلبهم﴾ اي الاصنام * ﴿الذباب شيئا﴾ من الطيب والزعفران الملطخين به ﴿لا يستنقذوه منه﴾ لا يستردوه لعجزهم فكيف يكونون آلهة وكانوا يضعون الطعام بين يديها فيجيىء الذباب فيأكل منه ويطلونها بالزعفران والطيب فتقع الذباب عليها فتسلبه حيث كان في الوجه أو غيره وكانوا يغلقون الباب فتدخل من الكوى ويطلونها ايضا بالعسل.

وعن ابن عباس يطلونها بالزعفران وكانوا يتألمون بوقوع الذباب عليها أو سلبها (وشيئا) مفعول ثاني والسلب المنع أي يمنعهم شيئا اي يزيله عنهم.

قيل: (لن) لما فيها من تأكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه ولن للتابيد ما لم يدل دليل على عدمه ﴿ضَعُفَ الطالب والمطلوب﴾ الطالب الذباب لانه يطلب ما على الاصنام ويسلبه والمطلوب الاصنام لانها مطلوبة للذباب ولا تمتنع منه فهي ضعيفة قاله ابن عباس أو الطالب الاصنام اي ينبغي ان تكون طالبة لما يسلب منها على معهود الانفة في الحيوان والمطلوب الذباب ينبغي ان يكون مطلوبا لها لما سلبها.

وقيل: الطالب الكفار اي ضعفوا في طلب الفضيلة من الاصنام والمطلوب الاصنام تضعف في انالة ما طلب منها.

وقرب منه ما قيل ضعف العابد والمعبود والصنم لكونه جمادا اضعف من الكافر ومن الذباب ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾ ما عظموه حق عظمته إذ اشركوا به جمادا لا يمتنع من باب يتصف منه وما عرفوه حق معرفته إذ سمعوا باسمه ما هو أبعد الاشياء عنه * ﴿إن الله لقوي﴾ على خلق الكائنات باسرها وعلى الانتقام ممن لم يقدره حق قدره ﴿عزيز﴾ غالب ﴿الله يصطفي﴾ يختار ﴿من الملائكة رسلا﴾ يتوسطون بينه وبين خلقه بالوحي وغيره كجبريل وميكائيل واسرافيل ﴿ومن الناس﴾ رسلا كابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الرسل.

نزل ذلك لما قال المشركون كالوليد انزل عليه الذكر من بيننا خبر ان الاختيار له يختار من يشاء للرسالة وفيه رد لانكار كون البشر رسولا وتزييف لقولهم: (ما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى) وقولهم: (الملائكة بنات الله) وانما له رسول اصطفاه من الملائكة والبشر عبيد له يتوسل بالاقتداء بهم في امر الدين إلى الله سبحانه واجابتهم فيما دعوا إليه من الوحدانية والطاعة والرسالة هي أعلى الدرجات ومنتهى المراتب وما مر من تقدير الرسل بعد الناس بدليل ما قبله مذهب ابي البقاء فذلك من العطف على معمولي عامل ولك ان تقول: (من الناس) في نية التقديم على قوله: (رسلا) قبله فتصدق الرسل قبله على رسل الملائكة ورسل البشر ﴿ان الله سميع﴾ لما قال المشركون وغيره ﴿بصير﴾ بمن يتخذه رسولا ولا تخفى عليه خافية وكيف يعترض عليه؟

ومن اراد رد الظالم عن ظلمه فليكتب (ياايها الناس ضرب مثل) إلى (عزيزا) وإلى (بصير) في اناء من شجر الخروب بماء اذيب فيه سكر في يوم السبت قبل طلوع الشمس ثم يمحوه بماء بير معطلة لا يعرف لها مالك ويرشه في مجلس الظالم الذي يأمر وينهى فيه.

﴿يعلم ما بين ايديهم﴾ ما قدموا ﴿وما خلفهم﴾ ما خفوه وتركوه أو ما عملوا وما يعملون بعد أو بعكس هذا لو ما في الدنيا وما في الآخرة والضمير ان للناس أو للرسل أو للناس والملائكة * ﴿وإلى الله ترجع الامور﴾ لانه مالكها بالذات ﴿يأأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ اي صلوا ولكنه عبر بهما لانهما أعظم اركانها وانت خبير ان للمذكور شأنا عظيما ليس لغيره من الطاعة تدل عليه السورة فلذا دعا المؤمنين اولا إلى الصلاة التي هي ذكر خالص واشرف الذكر القرآن والحق انه في الصلاة أولى منه في غيرها بالانفراد وفي الجماعة أولى منه في الصلاة.

وقيل: كان الناس أول ما اسلموا يصلون بركوع دون سجود وبه دون ركوع فامرهم عز وجل بالجمع بينهما.

وقيل: المعنى اخضعوا لله وخروا له سجدا ﴿واعبدوا ربكم﴾ وحدوه.

وقيل: اخلصوا له العبادة من صلاة وغيرها.

وقيل: اعبدوه بما تعبدتم به * ﴿وافعلوا الخير﴾ حث على سائر الخيرات عموما من فرض ونفل.

وقيل: المراد نوافل الطاعة.

وعن ابن عباس صلة الارحام ومكارم الاخلاق ﴿لعلكم تفلحون﴾ تفوزون ارجوا الفلاح غير واثقين باعمالكم أو لتفلحوا.

وعنه ﷺ «ايما مسلم كسا مسلما ثوبا كساه الله من الجنة وايما مسلم اطعم مسلما اطعمه الله من ثمر الجنة وايما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم وايما مسلم كسا مسلما كان في حفظ الله ما بقيت عليه رقعة وبرءت ذمة الله من أهل محلة ظل فيهم جائع» والحق انه لا سجدة هنا وهـو مذهبنـا معشر الاباضية ومذهب الحنفية والحسن وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وسفيان الثوري ومالك لاقتران السجود بالركوع فدل على انه سجود صلاة لا سجود تلاوة.

وعن عمر وعلي وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وابي الدرداء وابي موسى وابن المبارك والشافعي واحمد واسحاق انه يسجد هنا لما رواه عقبة بن عامـر عن رسـول الله ﷺ انـه قال: «نعم ان في الحـج سجـدتـين إن لم يسجدهما» اي ان لم ترد سجودهما فلا تقراهما بعد ما قال له يارسول الله: أفي الحج سجدتان؟

وعن مالك في موطئه عن ابن عمر فضلت سورة الحج بسجدتين.

وروى الترمذي عنه ﷺ فضلت سورة الحج بسجدتين وضعفه.

واخـرج ابـو داود عن عمـرو بن العـاص عنـه ﷺ مثل ذلك وانه (السجدات) خمس عشرة.

عن ابي هريرة سجدنا مع رسول الله ﷺ في اقرأ والانشقاق.

وعن ابي الدرداء عنه ﷺ «احدى عشرة» رواه ابو داود وضعف اسناده.

واسقط الشافعي سجدة (صاد) والصحيح اثباتها وهو رواية عن احمد وانه لا سجدة في المفصل وهو قول ابيّ وابن عباس ومالك.

وسجود التلاوة سنة للقارىء والمستمع عند الشافعي وواجب عند ابي حنيفة والقولان في مذهبنا ﴿وجاهدوا في الله﴾ في سبيل الله لاقامة دينه أو

جاهدوا الله اعداءه الظاهرة كالمشركين ودخل في ذلك جهاد الباغين وأهل الزيغ واعداءه الباطنة كالهوى والنفس و(في) ظرفية أو تعليلية أو بمعنى (لام التمليك) أي اخلصوا جهادكم له.

ورجع ﷺ من غزوة تبوك فقال: «رجعنا من الجهاد الاصغر إلى الجهاد الاكبر» أي جهاد النفس رواه البغوي بغير سند والبيهقي بسند ضعفه.

وقال غيره: لا اصل له.

وقيل: المراد جهاد الكفار.

قال عياض: والعموم احسن ﴿حق جهاده﴾ باستفراغ الطاقة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو ان لا تخافوا في الله لومة لائم.

وقيل: المعنى اعملوا لله حق عمله وانه منسوخ بقوله عز وجل فاتقوا الله ما استطعتم.

وقال الاكثرون هو اخلاص النية لله ولتكون كلمة الله هي العليا.

وقيل: المراد بالجهاد الذي هو حق الجهاد جهاد النفس (وحق) مفعول مطلق اي جهاد فيه حقا خالصا لله فعكس واضيف الحق إلى الجهاد مبالغة كقولك (حق عالم) بالاضافة ومرادك (عالم حق) بالوصف واضيف الجهاد للضمير اما على الاتساع في الظرفية اصله (حق جهاد فيه) فحذف الجار واضيف الجهاد للهاء كقوله.

ويوما شهدناه سليما وعامرا

أي شهدنا فيه على أحد أوجه واما

لان اضافة بادنى ملابسة والجهاد لما كان لوجه الله اضيف اليه.

﴿هو اجتباكم﴾ اي اختاركم لدينه ونصرته ولا رتبة أعلى من هذه ولا سعادة فوقها وفيه تنبيه على المقتضي للجهاد والداعي إليه * ﴿وما جعل

عليكم في الدين من حرج﴾ ضيق كما جعله على الامم بل سهل لكم عند الضرورة كالقصر واليتيم وأكـل الميتـه والفـطر للمرض والسفر والضعف المؤدي لهلاك الصائم أو غيره والصلاة قاعدا وتوسيع الصوم والحج عند خفاء الهلاك إلى التيقن والصلاة حيث ادركت وكون ذنوبهم التي بينهم وبين الله تكفر بالمصائب مطلقا ومع التوبة ان كانت كبائر.

وقـال قومنا مطلقا وبعضها بالتكفير والتوبة ولابد من التخلص إلى المظلوم فلم يجعل الله ذنبا لا مخرج له في هذه الامة.

وعنه ﷺ «خير دينكم ايسره».

وقال: «ان كتاب الله قد جاءكم بذلك ورب الكعبة يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر».

وعن الحسن عنه ﷺ «والذي نفسي بيده ما اجتمع امران في الاسلام الا كان احبهما إليّ ايسرهما».

وعن عروة بن الزبير عن عائشة «ما عرض لرسول الله ﷺ امران الا اخذ بايسرهما ما لم يكن اثما» وان كان لأبعد الناس من الاثم.

وعنه ﷺ «إذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم».

وهذه الامة امة مرحومة مذكورة بالرحمة في الكتب الماضية وفي الآية اشارة إلى انه لا مانع لكم من اداء ما فرض عليكم لسهولته فكيف تتركونه؟ وإلى توضيح تارك الفرض * ﴿ملة ابيكم﴾ مفعول لمحذوف اي اتبعوا ملته أو الزموها او اعينها فانها هي دين النبي ﷺ أو مفعول مطلق لقوله: (ما جعل عليكم في الدين من حرج) على حذف مضاف وملاحظة تضمين (ما جعل عليكم في الدين من حرج) معنى وسع عليكم الدين اي وسع دينكم توسعة (ملة ابيكم) اي يقدر وسعه توسعة ملة ابيكم.

وقيل: منزوع الكاف اي (كملّة ابيكم) وهو تمثيل لانتفاء الحرج ❊ ﴿ابراهيم﴾ هو ابو نبينا ﷺ فكانه اب لامته لان امة الرسول في حكم اولاده لانه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة.

وان كان الخطاب للعرب فابراهيم ابو العرب قاطبة.

وقيل: ابو اكثرهم ❊ ﴿هو﴾ اي الله بدليل قراءة ابيّ (الله سماكم) ❊ ﴿سماكم المسلمين من قبل﴾ قيل هذا الكتاب في سائر الكتب ❊ ﴿وفي هذا﴾ اي القرآن هذا قول مجاهد وقتادة وابن عباس.

وقال ابن زيد من سلف علماء الاندلس الضمير لابراهيم عليه السلام فالمعنى انه سماكم مسلمين من قبل هذا الزمان أو من قبل هذا الكتاب في زمانه وسماكم مسلمين في القرآن.

وان قلت: كيف يسميهم في القرآن والقرآن كلام الله لا كلامه؟ قلت: لما سماهم في زمانه وكان ما سماهم به مذكورا في القرآن فكأنه هو الذي سماهم فيه إذ ذكروا فيه باسم هو الذي ابتدأ وسماهم في قوله من قبل (ومن ذريتنا امة مسلمة لك) وقال ابو يعقوب يوسف في الدليل والبرهان بعد كلام منقول النطفة انسان بالقوة وعند الحصول انسان بالفعل وفي المهر سابق القوة كما ولد وسابق بالفعل عند السبق ومنه (سماكم المسلمين من قبل) وفي هذا.

وقيل: (في هذا) خبر لمحذوف اي (في هذا القرآن) بيان تسميته لكم والضمير لابراهيم وفي تسمية الله بذلك تشريف وتفضيل على الامم ﴿ليكون الرسول شهيدا عليكم﴾ يوم القيامة بانه بلغكم أو بطاعة المطيع وعصيان العاصي وفي ذلك كرامة عظيمة إذ قبلت شهادته لنفسه على انه بلغ وهذا على التفسير الاول فهو في غاية العصمة واللام قيل متعلق بسماكم ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾ ان رسلهم قد بلغتهم وعلموا بالتبليغ باخبار

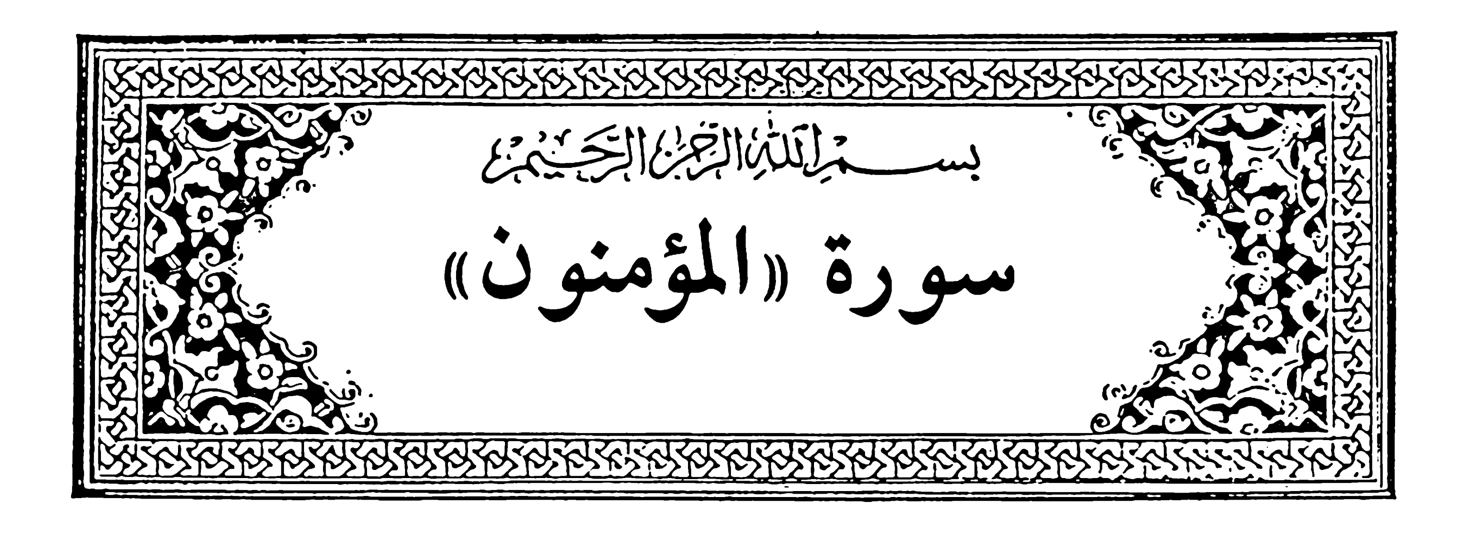
النبي ﷺ فضل الله هذه الامة بجعلهم شهداء على الامم وكان الله يبعث النبي من الانبياء فيقول انت شاهد على امتك وبقوله: (ادعوني استجب لكم) وكأن يبعث النبي ﷺ ويقول: (ادعني استجب لك) وبقوله: (وما جعل عليكم في الدين من حرج) وكأن يقول للنبي من الانبياء (ليس عليك في الـدين من حرج) ﴿فـاقيمـوا الصلاة﴾ حافظوا عليها والمراد المفروضة ﴿وآتوا الزكاة﴾ المفروضة اهلها * ﴿واعتصموا بالله﴾ ثقوا به وتوكلوا عليه.

وقيل: تمسكوا بدينه من كتاب وسنة.

وقال ابن عباس: سلوه العصمة من كل مكروه.

وقيل: سلوه التثبيت على دينكم ﴿هو مولاكم﴾ وليكم الذي نصركم وحفظكم واموركم * ﴿فنعم المولى﴾ هو ﴿ونعم النصير﴾ هو ولا مثيل له في الولاية والنصر بل لا ناصر ولا مولى سواه في الحقيقة.

والفاء الاولى للسببية اي تقربوا إلى الله بتلك العبادات لما خصكم به من الشرف وثقوا به في كل شيء ولا تطلبوا الاعانة والنصر الا منه والثانية للتعليل اي لانه خير (مولى) وخير (ناصر) اللهم ببركة النبي محمد ﷺ وبركة السورة اخز النصارى واهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة «المؤمنون»

مكية: ويقال ايضا سورة «المؤمنون» بالواو حكاية ويقال: سورة «قد افلح» وهي مكية قال بعضهم: الا قوله عز وجل: ﴿ حتى إذا اخذنا مترفيهم﴾ إلى قوله ﴿مبلسون﴾ وانها مائة وتسع عشرة آية.

وقال الكوفيون: مائة وثماني عشرة آية وكلمها ألف وثمانمائة واربعون وحروفها اربعة آلاف وثمانمائة.

وعنه ﷺ «لقد انزل عليّ عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر».

وروي «اولها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ باربع من آخرها فقد افلح ونجا.

وروى «ان اولها وآخرها من كنوز العرش» وعنه ﷺ «من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت».

وقالوا: من كتبها في خرقة بيضاء ليلا وعلقها على مِن يشرب الخمر لم يشربها ابدا باذن الله.

وروى النسائي والحاكم في المستدرك وصحح الاسناد والترمذي واللفظ له عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه «كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل فانزل الله عليه يوما فمكثنا ساعة وسري عنه واستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا

تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارضنا وارض عنا ثم قال لقد انزلت عليَّ عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ ﴿ قد افلح المؤمنون ﴾ حتى ختم العشر.

وروي عن النبي ﷺ انه قال لمعاذ «ان القرآن قيد المؤمن عن كثير من هوى نفسه وحال بينه وبين ان يهلك فيما هوى باذن الله تعالى ان المؤمن لذي الحق اسير يامعاذ ان المؤمن يسعى في فكاك رقبته يامعاذ ان المؤمن لا تسكن روعته يامعاذ لا يطمئن من اضطراب حتى يخلف جسر جهنم يامعاذ ان المؤمن يعلم ان عليه رقباء على سمعه وبصره ولسانه ويديه ورجليه وبطنه وفرجه حتى اللمحة ببصره وفتات الطين باصبعه وكحل عينه وجميع سعيه التقوى رفيقه والقرآن دليله والخوف محجته والشوق مطيته والوجل شعاره والصلاة كهفه والصيام جنته والصدقة فكاكه والصدق وزيره والحياء اميره وربه من وراء ذلك كله بالمرصاد اني احب لك ما احب لنفسي وانهي إليك ما انهي إليَّ جبرائيل صلوات الله عليه فلا اعرفن احدا يوافيني يوم القيامة بما آتاك الله سبحانه منك» اثبت هذه الرواية العلامة الحاج ابراهيم اليسجني تلميذ الشيخ المحقق عبد العزيز صاحب النيل والتآليف الحميدة .

بســـــم الله الـرحمــــن الرحيـــــم

﴿قد افلح المؤمنون﴾ نالوا ما احبوا وفازوا به .

قال كعب: ان الله خلق الجنة ثم قال لها تكلمي فقالت: (قد افلح المؤمنون).

وعن بعض ان الله خلق الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وارضها مسك وجعل فيها ما جعل ونظر فيها وقال: (قد افلح المؤمنون) ثم اغلق

بابها فليس يعلم ما فيها ملك مقرب ولا نبي مرسل فالذي تجدون من برد السحر وطيبه هو الذي يخرج من خلال الباب ومعنى (نظر فيها) بارك فيها ولا ضمير في كون الباب باب الجنة له خلل الحكمة ذكر الحديثين الشيخ هود وزاد البغوي في الثاني وغرس غرسها بيده اي بقدرته لا بواسطة مخلوق ولما قالت (قد افلح المؤمنون) قال طوبى لك منزل الملوك أي انت منزل الملوك أو يا منزل الملوك والمراد بالملوك من قدر الله ان يدخلها.

وعن ابن عباس؛ قد سعد المصدقون بالتوحيد أي التصديق المؤدي إلى العمل وبقوا في الجنة.

وقيل: الفلاح البقاء والنجاة (وقد) للتحقيق ويجوز ان تكون للتوقع اي دالة على ان ما بعدها منتظر وانه قد وقع والمؤمنون قد توقعوا البشارة بذلك كما ان لما لنفي ما توقع وقد مقربة للماضي من الحال ومجيىء (قد) للتوقع مع الماضي اثبته الاكثرون.

وقال بعضهم: لا تكون للتوقع من الماضي لان التوقع انتظار الوقوع والماضي واقع ويرده ان معنى كونها للتوقع انها تدل على ان الماضي قبل الاخبار به كان متوقع

واختار ابن هشام انها لا تكون للتوقع البتة وقد تدخل على ماض متوقع وليس هي المفيدة للتوقع (انتهى).

والافلاح الدخول في الفلاح كالابشار الدخول في البشارة وقد يتعدى يقال: (افلحه) اي (ادخله في الفلاح) وعليه قراءة طلحة بن مصرف (افلح) بالبناء للمفعول وعنه (افلح) بضمة بغير واو لا في الخط إذا كتب ولا في اللفظ إذا نطق فاما حذفها للساكن في النطق فاتبع الخط النطق فيقف بردها أو حذفها استغناء بالضمة كقوله :

ولو ان الاطباء كان حولي

فيقف بالاسكان

وعنه (افلحوا المؤمنون) بالضم وحذف الواو نطقا ويثبتها في الخط إذا كتب وهاتان القراءتان على لغة (يتعاقبون فيكم ملائكة) أو على ان (المؤمنون) مبتدأ والجملة قبله خبر والواو فاعل والمؤمنون بدل مفسر لابهام الواو.

وقرأ ورش عن نافع بفتح الدال نقلا من الهمزة فتحذف من الهمزة وكذا قاعدة ورش انه ينقل حركة الهمزة التي في أول الكلمة إلى الساكن الصحيح الذي هو آخر كلمة أو مثل الصحيح وهو الواو والياء الواقعان بعد فتح وكذا إذا كانت الهمزة كلمة (لا) بعض كلمة أو كان الساكن كذلك وإذا نقل حركتها حذفها.

والمؤمن لغة المصدق وشرعا للمصدق البر التقي عندنا وعند بعض قومنا والمصدق مطلقا عند جلهم * ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ الخشوع الخوف الثابت في القلب مع سكون الاعضاء والزام البصر موضع السجود.

قال بعض: الا في المسجد الحرام فلينظر إلى الكعبة وكان ﷺ والمؤمنون يرفعون ابصارهم في الصلاة إلى السماء وكان بعض المؤمنين يلتفتون ولما نزلت الزموها مواضع سجودها وهابوا ان يمدوها لشيء أو يحدثوا انفسهم بشيء من الدنيا ودخل في ذلك جمع الهمة لها والاعراض عما سواها والتفكر فيما يقرأ وان لا يكف الثوب ولا يعبث ولا يتمطى ولا يقصد التثاؤب ولا يغطي فمه ولا يسدل ولا يفرقع اصابعه ولا يشبكها ولا يضعها على خاصرته.

وذكر الغزالي ان الصلاة تتم بحضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء فحضور القلب فراغه عن غير ما هو ملابس له.

والتفهم اكتساب الفهم.

والتعظيم حالة تحضر للقلب على معرفة جلال الله تعالى وحقارة النفس.

والهيبة خوف منشأه التعظيم.

ورأى ﷺ رجلا يعبث بالحيته في الصلاة فقال: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه».

ورأى الحسن رجلا يعبث بالحصى وهو يقول: اللهم زوجني من الحور العين فقال: بئس الخاطب انت تخطب وانت تعبث.

وعن عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد اي يختطفه وعن ابي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ «لا يزال الله مقبلا على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فاذا التفت اعرض عنه».

وعن انس عنه ﷺ «ما بال اقوام يرفعون ابصارهم إلى السماء في صلاتهم وغلظ في ذلك حتى قال لينتهين عن ذلك ولتخطفن ابصارهم».

وعن ابي ذر «إذا قام احدكم إلى الصلاة فلا يمسح الحصى فان الرحمة تواجهه» رواه عنه ﷺ والمراد أن لا يمسحه مسح ازالة إذا امكنه السجود بدون مسحه بان تأخذ الارض جبهته أو أكثرها ولو على الحصى واما مسحه ليتمكن من الصلاة فمندوب بل واجب إذا لم يجد الا الموضع وقد ثبت انه لا يستوي قائما من هوى لمسح مسجده الا وقد غفر له.

والخشوع في الصلاة واجب عندنا فبعض اجزاء تفسد الصلاة بتركه كما إذا التفت أو نظر إلى السماء عمدا على الصحيح وبعضها لا تفسد بتركه ومما لا يجوز ويخرج المصلي عن الخشوع ويدخله في الاشتغال بغير الصلاة ان يشتغل في أمر العلم وامر الآخرة وفعل الخيرات ويترك تدبر ما هو يقرأ أو يقول.

وعن ابن عباس؛ الخشوع الاخبات والذلة.

وقيل: الخوف.

وقيل: التواضع.

وقيل: سكون الجوارح.

وقيل: ان لا يعرف من في يمينه أو شماله.

وقيل: اعظام المقام واخلاص المقال واليقين التام وجمع الهمة واضاف الصلاة إليهم اشارة إلى انهم المنتفعون بها لا غيرهم ولا الله.

﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ قال ابن عباس: اللغو؛ الشرك.

وقيل: المعاصي.

وقيل: كل باطل ولهو ما لا يهمه من القول والفعل.

وقيل: معارضة الكفار بالشتم والسب.

وقيل: الكذب والصحيح القول الثالث.

والمراد ان بهم من الجد ما منعهم عن اللغو وهذه العبارة ابلغ من قولك: (والذين لا يلهون) من حيث ان الجملة اسمية ومن حيث بناء الحكم على الضمير وهو (هم) اذ لو قال: (والذين عن اللغو يعرضون) لكفى ومن حيث ان الخبر اسم لا فعل ومن حيث تقديم الجار والمجرور

اهتماما لمجرور على جهة نفيه ومن حيث اقامة الاعراض مقام الترك فكأنه قيل: (ما كادوا يلغون) ليدل على بعدهم عن اللغو رأسا مباشرة وسببا وميلا وحضورا فان الاعراض على الشيء الكون في اعراض أي جانب غير عرضه وفي وصفهم بالخشوع والاعراض عن اللغو جمع لهم بين الفعل والترك الشاقين.

وكذا وصفهم بالاوصاف الآتية فيدل على انهم بلغوا الغاية في القيام بالطاعات البدنية والمالية وتجنب المحرمات وما توجب المروءة اجتنابه * ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ فيه للمبالغات السابقة ولم تكمل فيما يأتي والزكاة اما معنى وهو فعل الزكي الذي هو التزكية فهو اسم مصدر لزكى المشدد أو فعل المال بمعنى الطهارة أو النمو فهو مصدر زكا مخففا وكلا الوجهين كما تقول للضارب فاعل الضرب وللمقاتل فاعل القتل واما ذات وهو القدر الذي يخرج من المال ففاعلون بمعنى مؤدون او يقدر مضاف أي فاعلون لاداء الزكاة.

وقيل: المراد بالزكاة الفضائل من كل فعل أو قول والصحيح الاول.

﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ عن الزنا وعن كشفها ﴿الا على ازواجهم أو ما ملكت ايمانهم﴾ من السراري واخطأ وهلك مجيز نكاح المملوك الذكر ولو ذكره بعض مشارقة قومنا والآية في الذكور المالكين للاماء لان المرأة لا يجوز لها ان تستمتع بفرج عبدها او امتها و(على) يعني من متعلقة يحافظون أو على بابها كقولك: (احفظ عليّ يازيد عنان فرسي) متعلقة به ايضا أو عليّ بابها متعلقة بمحذوف حال أي الأولين على ازواجهم أو قوامين عليهن تقول: (كان فلان على فلانة) فمات عنها(وفلانة تحت فلان)ومن ثم سميت المرأة فراشا أي حافظون فروجهم في كل حال الا حال انهم ذوو

ازواج أو سراري ﴿فانهم غير ملومين﴾ على عدم حفظها عليهن أو متعلق بمحذوف دل عليه ملومين أي يلامون على كل مباشرة الا على مباشرتهن واطلق ما على الاماء وهن عاقلات اجراءلهن مجرى غير العقلاء لان الملك أصل في غير العاقل وهن تبعن وتشترين كسائر الحيوانات ولانهن ناقصات عقل وعلم وممتهنات واسند الملك إلى الايمان لان اليمين بعض الانسان وأكثر التصرف يكون بها والضمائر للمؤمنين.

قيل: أو ضمير ازواجهم وما بعده عائد على حافظون أو للرجال المدلول عليهم بالزوجات والسراري

وان قلت: عدم حفظ الفروج على غيرهن داخل في اللغو؟ قلت: نعم على بعض التفاسير في السابقة لكن خص بعد تعميم لان المباشرة اشهى الملاهي واعظمها خطرا أو كشف العورة بين الزوجين مكروه عند كثير والجماع في الفرج حال الحيض أو النفاس أو حال الطهر قبل الغسل أو ما يقوم مقامة.

وقيل: خروج وقت الصلاة ملوم عليه فان ضيعت التطهر حتى خرج الوقت لم يلم.

واختلف في الجماع فيما بين السرة والركبة ممن ذكر وتحرم المرأة بالجماع في البر عمدا على الصحيح ﴿فمن ابتغى﴾ مفعول محذوف اي شيئا ﴿وراء﴾ خلف * ﴿ذلك﴾ اي سوى ذلك المذكور من الزوجات والسراري أو هو منزل منزلة اللازم اي فمن احدث ابتغاء * ﴿فاولئك﴾ مراعاة لمعنى من واشارة البعد لبعد هؤلاء المبتغين عن ساحة الخير ولان ما انقضى ذكره بمنزلة البعيد * ﴿هم﴾ لا يخفي ما فيه من التوكيد * ﴿العادون﴾ (أل) فيه للكمال أي الكاملون في العدوان وظلم انفسهم لانه ابيح لهم تزوج اربع حرائر وتسري ما شاء ومن الاماء ولو مائة أو الفا وفي العبارة حصر سواء

جعلت (أل) للكمال أو غيره كان غيرهم غير عاد والعادي للمعادي والمجاوزة للحد الواسع ومتجاوزه ليستحق أفظع جزاء.

ودخل في قوله: (وراء ذلك) ناكح البهيمة والجماد وناكح يده ويبعث ويده حبلى كما قال ابن عباس وعطاء وينكل ولزمته الكفارة غليظة عند بعض وصغيرة عند بعض والتقرب بشيء عند بعض ولا يلزمه شيء عند بعض وعن سعيد بن جبير عذب الله امة يعبثون بمذاكرهم.

وزعم بعض قومنا وشواذ المشارفة انه يجوز الاستمناء باليد لمن خاف الزنا ولم يجد ان يتزوج بدون ان يتمثل باحد.

قال الامام احمد: يعزر ان لم يخف الزنا وفي الحديث «لعن الله ناكح يده» مع جملة الملعونين ومحل التحريم في غير يد الزوجة والامة والصحيح عدم الجواز فمن ابتلي بذلك فليصم.

وان قلت: فما حكم نكاح المتعة وهو ان يتزوج لاجل بصداق؟ قلت: قال الشيخ عبد العزيز: نسخ نكاح المتعة عند الاكثر بآية الارث أو بالنهي وقد فعل بالجاهلية وأول الاسلام وهو تزوج امرأة بولي وشهود وصداق معلوم لاجل مسمى فاذا تم خرجت بلا طلاق وان اتفقا على زيادة الرجل في الصداق والمرأة في الاجل فعلا بولي وشهود ولا يتوارثان ان مات احدهما قبل الاجل وجوزه من يراه غير منسوخ بل أوجبه * ﴿والذين هم لاماناتهم﴾ وقرأ ابن كثير بالافراد لأمن اللبس أو لكون الاضافة للجنس أو لان الامانة في الاصل مصدر يطلق على الواحد فصاعدا واطلق على نفس الشيء بالمؤتمن.

﴿وعهدهم راعون﴾ حافظون يحفظون ما ائتمنهم الله عليه من الفرائض كالصلاة والصوم وغسل الجنابة أو غير ذلك وما ائتمنهم عليه من

احد من مال أو كلام أو غيرهما فمن كلمة انسان وقد علم انه لا يجب افشاؤه لم يجز له افشاؤه ولو افشاه هو أو مات قبل الا ان تكلم به بين ثلاثة وان كان يكلمه ويلتفت مخافة ان يسمع فافشاه فقد عصى الله وهذا العصيان يمكن ان يكون عند الله صغيرا أو كبيرا وان قال له لا تفشه فافشاه كفر ولزمته ثلاثة وعشرون دينارا للفقراء ورخص له بعض المشارقة ان يستغفر ويتوب ويحفظون على عهد الله وعهد الخلق والامانة اعم من العهد.

واصل (راعون وعادون) راعيون وعاديون نقلت ضمة الياء لما قبلها فحذفت الباء الساكن بعد؛ وأصل (ياء) عاديون (واو) قلبت (ياء) لانكسار ما قبلها ﴿والذين هم على صلواتهم﴾ وقرأ حمزة والكسائي بالافراد ﴿يحافظون﴾ يدومون عليها بشروطها وعبر هنا بالفعل لما في الصلاة من تجدد وتكرار ليسا في غيرها ولا تكرار بين هذا وقوله: (والذين هم في صلاتهم خاشعون) فان الخشوع فيها غير المحافظة عليها.

وذكر جار الله: انها وجدت أولا ليفاد الخشوع في جنس الصلاة اي صلاة وجمعت آخر ليفاد المحافظة على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والستر مع كل صلاة وصلاة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلاة الضحى والتهجد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل.

وصدر الاوصاف وختمها بالصلاة تعظيما لها ﴿اولئك﴾ الجامعون لهذه الصفات ﴿هم الوارثون﴾ الاحقاء بان يسموا وراثا لعظم ما نالوا دون غيرهم.

وذكر ما يرثونه في قوله ﴿الذين يرثون الفردوس﴾ وفي ابهامه أولا وبيانه ثانيا مقيدا به الورثة تفخيم لهم ولما يرثونه يشبه حصول الفردوس عن

أعمالهم وان كانت الفردوس بمحض فضله بالارث عن ميت فاعمالهم ماضية منقطعة وجزاها باق وسماهم وارثين لانهم يرثون منازل أهل النار في الجنة فانه ما من احد شقي أو سعيد الا له منزل فيها ومنزل في النار فاهل النار يرثون منازل أهل الجنة في النار زيادة على منازلهم وأهل الجنة يرثون منازل أهل النار في الجنة زيادة على منازلهم رواه ابو هريرة.

والفردوس الجنة عند الحسن.

ويقال: لكل بستان واسع جامع لاصناف التمر.

وقيل: الفردوس اوسط الجنة وافضلها.

وقيل: جبل في الجنة تفجر منه انهارها.

وعن عبادة بن الصامت عن الرسول ﷺ «في الجنة مائة درجة بين كل درجة كما بين السماء والارض والفردوس اعلاها تفجر انهار الجنة الاربعة منها ومن فوقها العرش فاذا سألتم الله فاسالوه الفردوس».

وروي «ان جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وخلالها المسك الاذفر».

وفي رواية ولبنة من مسك وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان.

وقيل: كرر (الارثة) لتعدده ما الاول ارثهم منازل الكفار في الجنة ولا منزل للكفار في الفردوس على هذا القول والثاني ارثهم للفردوس اي حصولها لهم أو الاول ارثهم الجنة في مقابلة اعمالهم والثاني ارثهم الفردوس لا في مقابلتها ﴿هم فيها﴾ اتت الفردوس لتاويله بالجنة أو بالربوة أو بالطبقة العليا ﴿خالدون﴾ لا يموتون ولا يخرجون ﴿ولقد خلقنا الانسان﴾ الجنس عند ابن عباس ﴿ من سلالة ﴾ خلاصه لانها سلت من بين الكدر (وفعالة) من بناء القلة كالقلامة والقمامة * ﴿من طين﴾ نعت سلالة (ومن) للتبعيض

او لبيان أو متعلق بسلالة لانه بمعنى مسلولة فتكون للابتداء كالاولى ومعنى خلق الناس من الطين انهم خلقوا من سلالات من طين كانت في آدم ثم جعلت في الارحام نطفا كما قال ﴿ثم جعلناه﴾ اي الانسان ﴿نطفة﴾ وسماه انسانا مع انه سلالة من طين تحولت دما ولحما ثم نطفة لانه يكون انسانا بعد والسلالة والنطفة اصله منهما خلق و(الهاء) للسلالة وذكرها لانها جوهر وبمعنى مسلول أو بمعنى ماء فقد فسر الحسن السلالة بماء بين ظهراني الطين * ﴿في قرار﴾ مكان استقرار * ﴿مكين﴾ حصين وهو الرحم ومكين في الاصل من اوصاف المستقر في المكان وصف به المكان مبالغة كما عبر عنه بالقرار مبالغة أو هو من أوصاف المكان نفسه فانها مكنت بحيث هي واحرزت أو الانسان آدم وهو قول قتادة قالها في (جعلناه) اما عائدة اليه على حذف مضاف اي جعلنا ذريته واما عائدة إلى الانسان المذكور لكن بمعناه الذي هو آدم بل بمعناه الذي هو الذرية على طريق الاستخدام ثم رايت السيوطي نص عليه واقتصر عليه.

وقيل: المراد بالطين آدم لانه قد كان طينا والسلالة نطفته والانسان والها الذرية *

﴿ثم خلقنا﴾ صيرنا * ﴿النطقة علقة﴾ قطعة دم جامدة * ﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾ قطعة لحم صغيرة * ﴿فخلقنا المضغة عظاما﴾ جعلنا المضغة صلبة وهي العظم * ﴿فكسونا العظام لحما﴾ مما بقي من المضغة أو مما انبتنا عليها مما يصل اليها ولحما مفعول ثان لكسونا.

وقرأ ابن عامر وابو بكر (فخلقنا المضغة عظما فكسونا العظم لحما) بفتح العين واسكان الظاء فيهما افرادا لارادة الجنس في الاول واما الثاني فهو نفس الاول بواسطة (ال) العهدية وقرىء (فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظم لحما).

وقرىء (فخلقنا المضغة عظما فكسونا العظام لحما) وعطف الاول بثم لبعد ما بين كونه طينا أو كونه بعضا من اب وام وكونه نطفة بل كونه بعضا منها قد يقرب لحدوث ذلك الدم الذي يستحيل نطفة حدوثا قريبا وعطف الثاني بثم لبعد ما بين كونه نطفة وكون النطفة علقة والفاء فيما بقي بمعنى ثم أو للترتيب بحسبه وما قبل الفاء أبعد.

وقيل: بين كل خلق وآخر اربعون يوما اعني ان بين استحالة العلقة مضغة واستحالة المضغة عظاما اربعين يوما وهكذا.

ولا يخفى تفاوت تلك الاشياء صلابة وهيئة ﴿**ثم انشاناه خلقا آخر**﴾ مغايرا للاول.

وفي وصفه بالآخر والعطف بثم المستعلمة في علو الشأن بعد العطف بالفاء اشارة إلى كون هذه الخلقة اعظمها وهي نفخ الروح فيه عند ابن عباس والحسن.

وقيل: نفخها فيه وصورة البدن.

وقيل: كلاهما.

وقيل: الذكورة والانوثة.

وقيل: هو نبات شعره.

وعن ابن عباس خروجه إلى الدنيا.

وقيل عنه: تصريف احواله بعد الولادة من الاستهلال إلى الرضاع والقعود والقيام والمشي والفطام والأكل والشرب وغير ذلك إلى البلوغ وما بعده.

وقال عياض: ما ذكر كله في هذا القول والاقوال قبله سبحانه الله كان حيوانا بعد ما كان جمادا وناطقا بعد بكم وسميعا بعد صم وبصيرا بعد عمى

واودع باطنه وظاهره وكل جزء من اجزائه عجائب صنعه وغرائب فطره

واستدل أبو حنيفة بالآية ان من غصب وسرق بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر والمذهب ضمان البيضة والفرخ ﴿فتبارك الله﴾ اي تعالى امره في قدرته وعلمه وحكمته واصله قبل مطاوعه بارك فيه * ﴿احسن الخالقين﴾ خلقا فحذف التمييز لدلالة الخالقين كما حذف المأذون فيه لدلالة (يقاتلون) في قوله تبارك وتعالى ﴿ اذن للذين يقاتلون ﴾ اي اذن في القتال واحسن نعت لله لان اضافة اسم التفضيل محضة.

وقال ابو اليقاء: لفظية لان المضاف إليه عوض عمن لفظ (من) فيكون احسن بدلا وفيه ان ابدال المشتق الذي هو وصف ضعيف أو خبر المحذوف اي (هو احسن الخالقين).

وان قلت: الآية تدل على تعدد الخالق وتنافي خالق كل شيء وهل من خالق غير الله ونحوهما قلت الخالقين بمعنى (المقدرين) أو لانه تعالى قد اجرى خلق بعض الاشياء على يد غير واحد من الانبياء خرقا للعادة فسموا خالقين ولو كان الخالق على الحقيقة الله لا غيره.

قال عيسى عليه السلام: (اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير) ولان الخلق بمعنى مطلق الايجاد فيشمل الايجاد عن عدم وايجاد صفة بعد اخرى وهو الصنعة.

وروي انه ﷺ لما بلغ قوله خلقا آخر قال عمر رضي الله عنه (فتبارك الله احسن الخالقين) فنزلت كذلك.

وروي ان عبدالله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله ﷺ فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله ﷺ اكتب هكذا نزلت فقال: ان كان محمد نبيا يوحي اليه فانا نبي يوحى إليّ ولحق بمكة كافرا واسلم يوم الفتح

وكان ايضا يكتب له في مكة قبل الهجرة وهو أول كاتب له من قريش وذكروا ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزل (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى).

وقيل: قال: لو صلينا خلف المقام يارسول الله وقال يارسول الله لو اتخذت لنسائك حجابا فانه يدخل عليك البر والفاجر فنزل (وإذا سالتموهن متاعا) إلى آخره وقال لهن لتنتهين أو ليبدلن الله خيرا منكن فنزل (عسى ربه) إلى آخره وبلغ رسول الله ﷺ إلى قوله: (خلقا آخر) فقال عمر: تبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لقد ختمتها اي نطقت بخاتمة الآية وارسل اليه مذلج بن عمر والانصاري وكان صغيرا ليدعوه فدخل عليه فوجده نائما منكشف العورة فقال وددت ان الله نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا وقت الظهيرة الا باذن فانطلق معه إلى رسول الله ﷺ فوجده قد نزل عليه (ياايها الذين آمنوا ليستأذنكم) إلى آخره.

قال ابن عمر عنه ﷺ «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقبله» وقال ابن عمر ما نزل بالناس امر فقالوا وقال الا نزل القرآن على نحو ما قال ووافق القرآن في اسارى بدر.

وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى ان يهوديا لقي عمر فقال ان جبريل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا فقال عمر من كان عدو الله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين فنزلت كذلك من اراد الحبل وحفظ الجنين فليكتب (ولقد خلقنا) إلى (الخالقين) في سبع ورقات ريحان اترنجي ويامر المرأة ان تبلعهن ورقة ورقة وتشرب على كل ورقة جرعة من لبن بقرة صفراء يفعل ذلك ثلاثة ايام ومن كتب ذلك في خرقة قطن رفيعة معصورة بماء توت وجعلها تحت عمامته كان له قبول وزينة وهيبة وتجعلها المرأة تحت عصابتها يكون لها ذلك باذن الله سبحانه.

﴿ثم انكم بعد ذلك﴾ المذكور من الاحوال * ﴿لميتون﴾ صائرون إلى الموت لا محالة.

قال القاضي: ولذا ذكر ذلك بصيغة الصفة المشبهة الدالة على الثبوت ولم يذكره بصيغة اسم الفاعل وهي مائت (انتهي) بايضاح.

وفيه ان الصفة المشبهة لا تدل على الاستقبال وقوله صائرون مناف لقوله تدل على الثبوت ودلالة اسم الفاعل على الاستقبال أولى ولعله اراد ان ميتا صفة مشبهة للثبوت دلت على ثبوت الموت لهم من غير اعتبار حصوله في زمان وقوله لا محالة تأكيد للثبوت ولكن هذه نافية ما يقال ان الصفة المشبهة للحال اي معناها موجود في الحال من غير اعتبار انه حدث في الحال أو من قبل.

ويحتمل ان يريد ان (ميتا) صفة مشبهة دلت على ثبوت الموت لهم في الحال ولو كانوا احياء لانه لا بد من موتهم وخلاصة الكلام ان الصفة المشبهة موضوعة للثبوت في الحال من غير دلالة على الحدوث وقد تستعمل في الماضي والمستقبل واسم الفاعل موضوع للماضي وكذا اسم المفعول وقد يستعملان في غيره.

وقيل: موضوعان للذات المتصفة بالفعل والزمان لم يدخل في وضعهما والمذكور في فن التصريف انه إذا اريد الدلالة على الحدوث بالصفة المشبهة الواقع نقلت إلى وزن فاعل تقول في كريم كارم إذا اردت ان تدل على انه قد وقع منه كرم في الماضي أو قد حدث له في الحال أو سيقع منه وقد قرأ ابن ابي عبلة وابن محيصن (لميتون) للدلالة على الحدوث في المستقبل * ﴿ثم انكم يوم القيامة تبعثون﴾ للجزاء وفي الاماتة والبعث دلالة على اقتدار عظيم بعد الانشاء والاختراع * ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ سبع

سموات جمع طريقة لانها طرق للملائكة في الصعود والهبوط وغيرهما وطرق للكواكب والشمس والقمر أو لانها طوارق بعضها فوق بعض مطارقة النعل.

وقيل: الطرائق الافلاك لانها طرق الكواكب والقمرين وهذا بناء على ان الافلاك غير السموات وعلى انها سبعة وان قلنا تسعة فمفهوم العدد لا يفيد الحصر *

﴿وما كنا عن الخلق﴾ تحتها ﴿غافلين﴾ ان تسقط عليهم فتهلكهم واني لعليم بافعالهم واقوالهم واعتقادهم فاجازيهم واني معهم وفي كل مكان ارزقهم واحفظهم والخلق السموات لم يغفل عنها وهو حافظها ان تزول أو تختل ومدبر امرها إلى أجل اقتضته الحكمة.

وقيل الخلق جميع المخلوقات السموات وغيرها والخلق مصدر بمعنى المخلوقات وفي ذلك دلالة عظيمة.

وقيل: الآية امتنان اي خلقناها فوقكم لتنزل الارزاق والبركات منها * ﴿وانزلنا من السماء ماء بقدر﴾ بمقدار معلوم سبق به القضاء لا يزيد ولا ينقص.

وقيل: بقدر ما علم الله انه يكفيهم زرعا وغرسا وشربا وغير ذلك أو بقدر ما ينفع ولا يضر.

وعن ابن عباس ما عام أكثر مطرا من عام ولكن يصرفه في الارض حيث شاء * ﴿فأسكناه﴾ جعلناه ساكنا * ﴿في الأرض﴾ يجري في عيونها منها ما هو ظاهر ومنها ما يحفر اليه حفرا.

وقيل: المراد باسكانه في الارض ابقاءه غدرانا ينتفع به في الصيف عند انقطاع المطر وهو ضعيف والاول قول الكلبي * ﴿وانا على ذهاب به﴾

الباء للتعدية اي على اذهابه اي ازالته * ﴿لقادرون﴾ كما قدرنا على انزاله فيموتون هم ودوابهم عطشا ولكن ابقيناه ولم نذهبه رحمة لهم ونكر الذهاب اشارة للتنويع اي على وجه من وجوه الذهاب فلوشاء اذهبه باعدامه وازالته ولوشاء اذهبه بافساده بحيث لا ينتفع به لطول مكثه ولو شاء لاذهبه بالصعيد ولو شاء لاذهبه بالتعميق بحيث لا يستطاع اخراجه والله لا يمتنع عنه شيء اذا اراده فقيدوا نعمة الماء بالشكر فانها عظيمة وهذا ايعاد ابلغ من الايعاد في قوله: (قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غوار) الخ واسند ابو بكر بن الخطيب في أول تاريخ بغداد عن ابن عباس وابن العربي في احكامه والبغوي بسند عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ ان الله سبحانه انزل من الجنة إلى الارض خمسة انهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناح جبرائيل فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف معايشهم فذلك قوله تعالى ﴿ **وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه** ﴾.

فاذا كان عند خروج يأجوج مأجوج ارسل الله تعالى جبريل ورفع من الارض القرآن والعلم كله والحجر من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة إلى السماء فذلك قوله تعالى: ﴿ **وانا على ذهاب به لقادرون** ﴾ فاذا رفعت تلك الاشياء من الارض فقد اهلها خير الدين والدنيا.

وفي رواية خير الدنيا والآخرة واللفظ لابي بكر بن الخطيب.

قال عياض: والصواب ان الماء في الآية شامل للانهار المذكورة وغيرها وكل ما في الارض من ماء فهو من السماء * ﴿فانشانا﴾ أوجدنا * ﴿لكم

به﴾ بالماء * **﴿جنات من نخيل واعناب لكم فيها﴾** في الجنات * **﴿فواكه كثيرة﴾** تتفكهون بها * **﴿ومنها﴾** من الجنات **﴿تأكلون﴾** صيفا وشتاء ترتزقون وتتعيشون كقولك: (زيد يأكل من حرفة يحترفها ومن ضيعة يغتلها ومن تجارة يتربح بها) أو يقدر مضاف اي (من غلتها) اي (تتغدون) مثلا منها وهو أولى من الاول (ومن) عليه للتبغيض او للابتداء وعلى الاول للابتداء أو بمعنى الباء ويجوز ان يكون الضمير ان للنخيل والاعناب اي لكم في ثمرتها انواع الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك **﴿وشجرة﴾** عطف على جنات.

وقرىء بالرفع مبتدأ محذوف الخبر اي (ومما انشأنا لكم به شجرة) وهي الزيتون **﴿تخرج من طور سيناء﴾** تنبت منه وترتفع للسماء أو (من) بمعنى في والزيتون كثير في طور سيناء من ارض الشام وطور سيناء اسم جبل موسى بين مصر وأيلة مركب كامرىء القيس نودي موسى منه.

وقيل: جبل بفلسطين ويقال له ايضا طور سينين وليس اسما له ولكن الطور الجبل وسيناء بقعة هو فيها.

وعن قتادة سيناء الحسن اي جبل الحسن وقيل البركة أي جبل البركة.

والجمهور ان سيناء هو الجبل كقولك جبل احد وسيناء لفظة نبطية أو حبشية أو سريانية أقوال.

وقيل: معناه جبل الالتفاف بالشجر أو سيناء معناه الجبل الملتف به

وقيل: كل جبل فيه اشجار مثمرة يسمى سيناء وسينين وسيناء بمعنى الجبل الذي هو كذلك أو بمعنى اشجار كأنه قيل جبل اشجار.

وقيل: سينـاء حجـارة بقـرب الجبل وسيناء عجمي فمنع الصرف للعجمة والعلمية اما على انه جبل أو بقعة فظاهر واما على انه بمعنى الحسن أو نحوه فلعله علم على الحسن مثلا وليس الفه للتأنيث لانه ليس في الكلام فعـلاء بكسر الفـاء بل عند بعضهم هو فيعلال من السناء بالمد وهو الرفعة أو بالقصر وهو النور فلا يقال انه عربي منع الصرف لالف التأنيث نعم يصح ان يقال منع للعجمة والتأنيث للتأويل بالبقعة وللعلمية العربية مع التأنيث فانه إذا قلنا انه من السناء فالسناء عربي لا عجمي.

ويجوز ان يكون ملحقا بفعلاء كعلياء بناء على ان (الف الالحاق) تمنع الصرف يكون من السين.

وفتح الكوفيون وابن عامر والشامي ويعقوب بفتح السين على وزن فيعال أو فعلاء كصحراء لافعلال بفتح الفاء لعدمه في كلامهم.

وقرىء بالكسر والقصر.

وعن مجاهد الطور الجبل بالسريانية.

وقـال الضحـاك: بالنبـطية ﴿تنبت بالدهن﴾ قيل الباء للمصاحبة متعلقة بمحذوف حال من الضمير المستتر والمعنى تنبت وفيها الدهن فانها في حال النبت فيها مقدمة الدهن.

وقيل: للتعليل أو للتعدية أي تنبت الدهن أو للمصاحبة على تقدير مضاف اي ينبت ثمرها مصاحبا للدهن.

وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في رواية بضم التاء وكسر الباء فالباء في (بالدهن) زائدة اي تنبت الدهن وفائدة الزيادة تأكيدا نبات الدهن حتى كأنه لازم أو غير زائدة فالمفعول محذوف وهي متعلقة بمحذوف حال منه أو من المستتر اي تنبت زيتونها بالدهن أي مصاحبا أو مصاحبة للدهن أو انبت

لموافقة المجرد بمعنى نبت فيكون فيه ما في القراءة الاولى سمع انبت البقل بالرفع بمعنى نبت البقل ذكر بعض ذلك ابن هشام والكواشي.

وقرىء بالبناء للمفعول فالباء للمصاحبة أو للتعليل.

وقرىء تنبت بالدهان بضم الباء وقرأ ابن مسعود تخرج الدهن وصبغ الاكلين.

وقرىء تخرج بالدهن.

وقرأ ابيّ تثمر بالدهن.

وروي ان شجرة الزيتون هي أول ما نبت بعد الطوفان.

وقيل: تبقى في الارض نحو ثلاثة آلاف سنة ﴿**وصبغ للاكلين**﴾ غمس لهم اي يغمسون الخبز أو غيره في زيتها للائتدام.

قال ﷺ: «شجرة مباركة فائتدموا به ودهنوا به» وهو ايضا افضل ما يتضح به (والصبغ) معطوف على الدهن وليس احدهما مصدرا بل كلاهما ذات فالدهن ما يدهن به كالاكل بضم الهمزة بمعنى ما يؤكل والصبغ ما يصبغ فيه كالذبح بكسر الذال بمعنى ما يذبح وفيه دلالة على الوصيفة وكأنه قيل تنبت بما هو جامع بين كونه يدهن به وكونه يصبغ فيه.

وقرأ الاعمش (وصبغا) بالنصب عطفا على الدهن المجرور بباء زائدة ان كان يقرأ (تنبت) بضم التاء وكسر الباء أو على المفعول المحذوف ان كان يقرأ كذلك والباء غير زائدة اي تنبت ثمرها وصبغا أو على محل الدهن ولو كانت الباء غير زائدة بناء على جواز العطف على المحل ولو كان لا يظهر في الفصيح أو تظهر إلى معنى جعل الهمزة مكان الباء في قراءة ضم باء تنبت وقرىء وصباغ .

﴿وان لكم في الانعام لعبرة﴾ آية تعتبرون بها وتستدلون * ﴿نسقيكم مما في بطونها﴾ من الالبان أو من العلف فان اللبن يتكون منه كما يعلم من سورة النحل.

وقرىء بضم النون.

وقرىء (تسقيكم) بمثناه فوقية مفتوحة على ان الضمير للانعام * ﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ من الاصواف والاوبار والاشعار وغير ذلك في حياتها ومماتها * ﴿ومنها تأكلون﴾ اراد لحمها بعد الموت وما يخرج من اللبن من جبن واقط ويحتمل ان يريد بالاكل الارتزاق * ﴿وعليها﴾ اي على الانعام والضمير بالمجموع فلا يريد ان الحمل إنما يكون على الابل والبقر والضمائر السابقة للجميع ويصح ان يكون الضمير الاخير للابل والبقر على سبيل الاستخدام بل شبيه بالاستخدام لان الانعام مذكور عاما لذلك وغيره ثم خصه بضميره.

وقيل: الضمير للابل لانها المحمول عليها عادة والمناسبة للفلك قال ذو الرمة:

* سفينة بر تحت خدي زمامها *

﴿وعلى الفلك تحملون﴾ اي تحملون انتم واموالكم فغلبوا على الاموال حيث عبر بالواو وخاطب * ﴿ولقد ارسلنا نوحا إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله﴾ هذا وما بعده بيان يكف ان الناس ما انعم الله عليكم * ﴿مالكم من اله غيره﴾ اله مبتدأ خبره الظرف قبله أو فاعل للظرف و(من) للتأكيد وغير معطوف على محل اله وقرأ الكسائي بجره عطفا على اللفظ والجملة كالتعليل اي اعبدوه انه لا اله لكم غيره * ﴿افلا تتقون﴾ تحذرون بان ترك الاشراك والمعصية ان يزيل عنكم نعمه ويعذبكم بعبادة غيره وكفر

نعمه التي لا تحصى وفيه تعريض لقريش ﴿فقال الملأ﴾ الجماعة والاشراف ﴿الذين كفروا من قومه﴾ لغيرهم ممن هو مثلهم أو لقومهم * ﴿ما هذا الا بشر مثلكم﴾ آدمي مشارك لكم في الامور من الاكل والشرب وغيرهما ﴿يريد ان يتفضل عليكم﴾ يطلب الفضل عليكم ويسودكم ﴿ولو شاء الله﴾ ان لا يعبد غيره وان يرسل رسولا وانما حذف مفعول شاء بعد اداة الشرط مع انه ليس من نفس جوابها لتضمن الجواب له لان انزال الملائكة المطلوب لهم انما هو للرسالة ولان لا يعبد غيره .

﴿لانزل ملائكة﴾ رسلا إلى بني آدم لا بشرا * ﴿ما سمعنا بهذا﴾ اي بما دعا إليه نوح من التوحيد وعبادة الله أو الاشارة إلى نوح اي ما سمعنا بمثله في ادعاء النبوة والرسالة وهو بشر استغربوا منصب النبوه عن البشر واثبتوا الالوهية للحجر والاشارة إلى ما ذكره لهم من الارسال * ﴿في آبائنا الاولين﴾ اما انهم لم يسمعوا لانهم وآباءهم في فترة متطاولة والفتري لا يعذر في الشركة ويعذر في فروع العبادات واما انهم قد سمعوا لكنهم كذبوا لانهماكهم في الغي وفرطهم في دفع الحق بما امكن وبما عرض صدقا أو كذبا كما نسبوه بالجنون وقد عرفوا انه ارجح الناس عقلا * ﴿ان﴾ اي ما * ﴿هو﴾ اي نوح * ﴿الا رجل به جنة﴾ جنون ولكونه جنة قال انه رسول والباء بمعنى (في) ويجوز ان يكون الجنة بمعنى الجن كقوله من (الجنة والناس) اي فيه الجن يخبلونه * ﴿فتربصوا به﴾ اي انتظروه * ﴿حتى حين﴾ يموت فيه فتستريحوا منه أو حتى حين يفيق فيه من جنونه وان انتظرتموه ولم يفق قتلتموه * ﴿قال﴾ نوح بعد اياسه من ايمانهم * ﴿رب انصرني﴾ يارب انصرني عليهم باهلاكهم ﴿بما كذبون﴾ بسبب تكذيبهم فما مصدرية او اسم اي بالتكذيب الذي كذبوني اياه وانصرني بانجاز ماوعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه

حين قال: (اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) أو الباء للبدلية اي انصرني بدل ما كذبوني اي ابدلني من غم تكذيبهم سلوة النصر عليهم ﴿فاوحينا إليـه ان﴾ مفسرة قالـوا أو مصدرية ﴿اصنع الفلك﴾ السفينة ﴿باعيننا﴾ بمرأى منا اي في موضع نراك فيه ونعلمك ولا يكون في موضع الا والله يراه ويعلمه والمراد نحفظك واياها فلا يعارض عنها ولا يفسد عمله ورد الجمع والافراد يقال: (عين الله) بمعنى حفظه وعلمه واعينه كذلك ولم ترد التثنية فلا يجوز ﴿ووحينا﴾ اي وبامرنا اياك كيف تصنع ارسل اليه جبريل وعلمه عمل السفينة وروي انه اوحى اليه ان يضعها على مثال جؤجؤة الطائر.

﴿فاذا جاء امرنا﴾ باهلاكهم أو بالركوب فالامر بمعنى القول

وقيل: امرنا اهلاكنا ﴿وفار التنور﴾ الذي يخبز فيه وهو من حجارة.

وروي انه كان عند آدم.

وقيل: وهو وجه الارض وهو قول ابن عباس.

وقال قتادة: أعلى موضع في الارض ومعنى (فار التنور) فاض بالماء وذلك علامة لنوح عليه السلام.

وعن علي: (فار التنور) طلع الفجر.

وقيل: معناه ان فوران التنور كان عند تنوير الفجر.

وقيل: هو مثل للشدة كقوله ﷺ «حمي الوطيس» والصحيح ان التنور تنور الخبز.

وعن الشعبي كان في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وعمل السفينة وسط الموضع الذي هو الآن مسجدها وهو المسجد المذكور.

وقيل: كان ذلك بالشام بموضع يقال له عين وردة.

وقيل: بالهند وقال لامراتة إذا فار فاخبريني واخبرته فركب ﴿**فاسلك**﴾ ادخـل ﴿**فيهـا**﴾ في الفلك ﴿**من كل زوجـين**﴾ من كل امتي زوجين امة الذكور وامة الانثى والزوج الواحد للقرون بآخر واطلاق الزوج على واحد كلام العامة.

وقيل: لغـة ضعيفـة ﴿**اثنـين**﴾ فردين اثنـين ذكـرا وانثى مفعـول (لاسلك) ويكـون (سلك لازما) ايضا بمعنى دخل والزوجات من كل شيء هم المـزدوجان وقرأ حفص عن عاصم بتنوين كل فزوجين مفعول واثنين توكيدا ونعت مؤكد اي من كل نوع زوجين الجمل والناقة والحصان والرمك والكبش والنعجة وهكذا من كل ما يلد ويبيض (ومن) متعلقة بـ (اسلك) أو حال من اثنين ويتعين الاول في قراءة التنوين.

وروي ان الله عز وجـل حشر لنـوح السباع والطير وغيرهما فجعل يضرب يديه في كل نوع فتقع يمناه على الذكر ويسراه على الانثى فيحملها ﴿**واهلك**﴾ قرابتك ومن في بيتك ﴿**الا من سبق عليه القول**﴾ وجب عليه العذاب أو الغضب أو سبق عليه القول والقضاء بالهلاك ﴿**منهم**﴾ وهو ابنه كطن وزوجته وحمل معه اولاده الآخرين وهم سام وحام ويافث وازواجهم الثلاث.

وقيل: أهله من آمن به والاستثناء منقطع و(من) واقعة على (الكفار) والضمير في (منهم) عائد على قومه مطلقا.

ويصح على قول ابن الحاجب ان يقال: اهلك فعل ماض مفعول محذوف اي اهلك الله القوم الا من سبق عليه القول منهم انه لا يهلك وهو المؤمنـون فعـلى هذا ففي اهلك التفات و(من) واقعة على المؤمنين و(على) مستعملة في النفع أي (من قضى الله عليه انه لا يهلك).

واصـل (عـلى) ان تستعمل في الضر كما في التفسيرين الاولين فان القول السابق في علم الله ضار لهم عكس اللام مثل (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين).

وقول عمر: ليتها كانت كفافا لا لي ولا عليّ.

وجميع من في السفينة سبعة هو واولاده الثلاث وازواجهم.

وقيل: ثمانية وسبعون نصفهم ذكور ونصفهم اناث.

وقيل: كانت فيهم امـرأة لنـوح **﴿ولا تخاطبني في الـذين ظلموا﴾** اشركوا وعصوا لا تطلبني بترك اهلاكهم ومنع صاحب السؤالات ان تقول: خاطبت الله واجازه السعد التفتازاني وغيره وهو ظاهر الآية لانها تفهم اجازة الله لنوح ان يخاطبه في غير الذين ظلموا .

﴿انهم مغـرقـون﴾ انـما نهاه عن الـدعاء للظالمين بالنجاة لظلمهم وايجاب الحكمة ان يغرقوا لما في اغراقهم من المصلحة بعد ان امهلهم دهورا متطاولة فلم يزيدوا الا ضلالا ولم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ولا تقبل الشفاعة فيهم وبالغ في ذلك في اتباعه بالامر بالحمد على اهلاكهم والنجاة في قولـه **﴿فـاذا استويت﴾** اعتدلت **﴿انت ومن معك﴾** من المؤمنين وأما البهائم فغير معتبرة أو المراد بـ (من) المؤمنين والبهائم فمن على هذا مستعملة في العالم وغيره واعتبرت لانها منافع لهم ولمن يعدهم وغلبت ما فيه المنفعة على غيره منهـا فاوقـع الحمـد على نجاة المجموع بل الحمد يكون على السراء والضراء فلا تغليب **﴿عـلى الفلك فقـل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين﴾** وهذا كقوله: (فقطع دابر القوم الذين ظلموا(و(الحمد لله رب العالمين) **﴿وقل رب﴾** يارب **﴿انزلني﴾** في السفينة أو في الارض **﴿منزلا﴾** مصدر ميمي من انزل بمعنى انزال أو اسم مكان منه.

وقـرأ ابـو بكر بفتح الميم وكسر الزاي مصدر ميمي بمعنى النزول مفعول مطلق وهو اسم مصدر هنا لنيابته عن الانزال.

كقولك: (اغتسل غسلا) فمنزل بمعنى النزول النائب عن الانزال أو هو اسم مكان وقياس المصدر الميمي من نزل فتح الزاي.

وقيل: المراد انزلني بانزال سفينتنا إذا وقفت.

وقيل: المراد ان يقول إذا خرج إلى الارض (رب انزلني منزلا) وهو قول مجاهد.

﴿مباركا﴾ بسبب ذلك الانزال أو منزل لخير الدنيا والآخرة.

وقيل: المـراد بالـبركـة النجاة من الغرق وكثرة النسل بعد الانجاء ﴿وانت خير المنزلين﴾ الانزال يكون من الله ومن غيره كما تنزل الضيف إذا جاءك وانزال الله خير لانه يحفظ من انزله في سائر احواله وانت إذا انزلت احدا حفظت بعض امره بقدرة الله فحفظك حفظ منه وعجزت عن حفظ باقيه وهذا ثناء مطابق لدعاء مرتين يتبعه به مبالغة في دعائه وتوسلا به إلى اجابته وهو دعاء اهم وانفع من اهلاك قومه.

وان قلت: هلا قيل: فقـولوا: (الحمد لله) وقول: (لما ربنا انزلنا) لقـوله: (استويت انت ومن معك) فانه بمنزلة فاذا استويتم؟ قلت: هو نبيهم وامامهم فكأن قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبرياء الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة المخصوصة لا يترقى اليها الا ملك أو نبي والانزال المبارك ولو طلبه لنفسه لكنه ينزل بقومه فقط طلبه لهم ايضا.

وقوله: (فاذا استويت) إلى (المنزلين) للسلامة وحفظ المنزل وأهله من سارق وجان ودابة مؤذية وبركة المنزل والامان من آفات البحر وعوارضه يقرأ عند طلوع السفينة ثلاثا بعد قراءة الفاتحة ثلاثا ثم يقول: يا من فلق البحر

لموسى ونجى يونس من بطن الحوت وسخر الفلك والفلك والعالم كله الكفاية الكفاية الكفاية ياكافي من استكفى به ويا مجيب من دعاه يامقبل من رجاه انت الكافي لا كافي الا انت يفعل ذلك ثلاثة ايام .

﴿ان في ذلك﴾ المذكور من أمر نوح والسفينة واهلاك الكفار * ﴿لآيات﴾ يستدل بها على الله وقدرته ويعتبر بها ﴿وان كنا لمبتلين﴾ من عادتنا ابتلاء العباد كما فعلنا بقوم نوح وهو تهديد لقريش بانا نبلو العباد ببلاء عظيم .

وقيل : المراد أصبنا قوم نوح ببلاء عظيم .

وقيل : المراد نبتلي عبادنا بهذه الآيات هل يعتبرون ام لا؟

وقيل : مختبرين قوم نوح بارساله ووعظه وتذكير قبل نزول ذلك بهم ومعنى (ان) التوكيد لانها مخففة واللام فارقة بين النفي والاثبات وهي لام الابتداء .

وقيل : غيرها .

وقيل : (ان) نافيه واللام بمعنى (الا) والصحيح الاول مخففة مهملة .

وقيل : عاملة في ضمير الشأن أو القصة محذوفا ﴿ثم انشانا من بعدهم قرنا﴾ قوما ﴿آخرين﴾ هم عاد لقول هود وهو رسولهم : (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) ولمجيىء قصة هود عليه السلام اثر قصة نوح في سورة الاعراف وسورة هود وسورة الشعراء ﴿فارسلنا فيهم رسولا منهم﴾ هو هود عليه السلام وذلك قول ابن عباس والجمهور.

وقيل : القرن ثمود والرسول صالح وهو قول الطبري ومعظم الروايات ان عادا اقدم لكنهم لم يهلكوا بصيحة بل ثمود اهلكوا بها فلعل

هذا مستند الطبري والجواب انهم اهلكوا بها كثمود لكن بعد ارسال الريح أو قبلها وعدّى الارسال بـ (في) لا بـ (إلى) فكان القوم موضعا للارسال اشارة إلى انه لم ياتهم من مكان غير مكانهم وانما لوحي إليه وهو بين اظهرهم (وفي) بمعنى الحصر وهكذا في مثل هذا ﴿ان﴾ مفسرة أو مصدرية على تقدير حرف الجر وهو الباء والصحيح الاول ﴿**اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون**﴾ العذاب بترك موجباته أو افلا تتقون الله فيكون توكيدا في المعنى لاعبدوا الله ﴿**وقال**﴾ الواو عاطفة لما قالوا على ما قال فان المعنى ارسلناه ان يقول ذلك فقال له وقالوا له كذا ولم يقرن الذي في هود والاعراف بالواو لانه والله اعلم جواب سؤال مقدر كأنه قيل فما قال قومه فقيل قالوا كذا * ﴿**الملأ من قومه الذين كفروا**﴾ نعت للملأ وقيل: للقوم ﴿**وكذبوا بلقاء الآخرة**﴾ برجوعهم إلى الآخرة بالبعث أو بلقاء ما فيها من ثواب وعقاب * ﴿**واترفناهم**﴾ وسعنا عليهم النعم * ﴿**في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم**﴾ قرروا المثلية بقولهم * ﴿**يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون**﴾ منه هو مثل (مررت بالذي مررت) اي به أو التقدير مما تشربونه اي من الماء الذي تشربون بعضه فهو مثل (من نرجو يهب) اي نرجوه ﴿**ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم إذاً لخاسرون**﴾ ان وما بعدها جواب القسم المدلول عليه بلام لين؛ وجواب ان الشرطية محذوف للدلالة عليه (وإذا) حرف جواب وليست للجزاء الا بتكلف معترضة بين اسم ان وخبرها وانما كان الجواب للقسم لتقدمه ولو كان للشرط لقرن بالفاء.

وقيل: هو جواب القسم مغن عن جواب الشرط والخسران خسران العقول والغبن في الرأي.

﴿ايعدكم انكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما﴾ بلا لحم ولا عصب * ﴿انكم مخرجون﴾ من القبور والعدم إلى الوجود بالعبث الاستفهام للانكار التوبيخي أو للتعجب (ومخرجون) خبر لأن الاولى في تأويل مصدر مفعول ثان ليعد وان الثانية تأكيد للاولى اكدت لطول الفصل بينها وبين خبرها و لا خبر للثانية.

قال ابن هشام وغيره: إذا كان المؤكد حرفا غير حرف جواب وجب الفصل بين المؤكِّد والمؤكَّد وهي اعادة ما اتصل بالمؤكد مع المؤكد ان كان المتصل ضمير ومثل بالآية وجواب (إذا) محذوف مدلول عليه بان ومعموليها.

ويجوز ان يكون (إذا) ظرفا متعلقا بمحذوف خبر المبتدأ بعده وهو انكم مخرجون في التأويل اي اخراجكم ثابت إذا متم فالخبرلان الثانية ولا تأكيد والمجموع خبر للاولى.

أو انكم مخرجون فاعل لجواب مقدر لإذا أي اذا متم وقع الاخراج والمجموع خبر الاولى.

وفي الوجه الثاني اخراج (إذا) عن الشرط والصدر.

وقرأ ابن مسعود: (ايعدكم إذا متم) ويجوز كون خبر إن الاولى محذوفا مدلولا عليه بالثاني وبالعكس فالتأكيد من تأكيد جملة باخرى ولا يجوز كون (إذا) خبرا للاولى لانه زمان واسم (ان) جثة وعبارة سيبويه ان الثانية بدل من الاولى ﴿هيهات هيهات﴾ اسم فعل بمعنى (بعد) والثاني توكيد للاول ﴿لما توعدون﴾ من الوعد المستعمل في الشر أو من الابعاد وكلاهما يجوز تعديتهما لاثنين ما فاعل لهيهات الاولى ولا فاعل للثاني لانه توكيد واللام زائدة في الفاعل والمفعول الثاني محذوف اي بعد ما توعدونه من البعث لان ذلك من كلام بعضهم لبعض والبعد مستعمل في الامتناع.

قال ابن هشام وقيل: الفاعل ضمير مستتر راجع للبعث أو الاخراج فاللام للتبيين.

وقيل: (هيهات) مبتدأ بمعنى البعد والجار والمجرور خبر (انتهى).

وعن ابن عباس: (هيهات) بمعنى بعيد فهي خبر وما مبتدأ واللام زائدة أو خبر لمحذوف اي هو اي البعث أو الاخراج بعيد واللام للبيان وإذا كانت للبيان تعلقت بهيهات.

وقيل: (هيهات) نائب عن مصدر منصوب أي (بعدا بعدا) فالفاعل ضمير الاخراج أو البعث واللام للبيان والفاعل ما واللام زائدة.

وقدر بعضهم بعد الوجود (لما توعدون) ورده الصفاقصي بان فيه حذف الفاعل وعمل المصدر محذوفا ويجاب بان المراد ان الفاعل ضمير الوجود وعمل المصدر في الظرف محذوفا غير ممنوع وضمير المصدر يعمل عند بعض كالمصدر.

ورد أبو حيان قول من قال: انه نائب عن مصدر منصوب بانه لم تثبت مصدرية (هيهات) يعني نيابته عن المصدر.

وقيل: نائب فاعل (هيهات) ضمير التصديق أو الصحة.

ووجه كون اللام للبيان انهم لما نطقوا بكلمة العبد فكأنه قيل: هذا الاستبعاد لماذا؟ فكأنهم قالوا (لما توعدون) ولذا قال بعض: خبر لمحذوف اي هو لما توعدون أو متعلق با(اعني) محذوفا.

ووقف السكائي والبزي على (هيهات هيهات) بالهاء وكذا من كثير يقف على (هيهات) حيث وقف بالهاء والباقون بالتاء تبعا لكتابتها على غير صورة الهاء وهو الراجح عند ابن هشام لانه جمع هيهية في التقدير وأصله هيهات وزنه فعلات والاصل فعللات ثم سمي به الفعل ولما ارادوا ان يكون

في جمع المؤنث السالم زيادتان لم يمكنهم ان يزيدوا الواو ولا الياء مع الالف لانهم لو زادوهما لانقلبتا همزة فزادوا تاء معه لانها تصير بدلا من الواو فصارت علامة للتأنيث واغنت عن ان يقال في (مسلمة مسلمات) فلما افادت هذه التاء الجمع والتأنيث واغنت عن علامة التأنيث الملحقة بالواحد بقيت في الوقف ولم يبدل هاء وعاملوا ما الحق بالجمع معاملته لانهم لما اجروه مجراه في الاعراب اجروه مجراه في غيره.

وقيل: هيهات مفرد اصله هيهية والبسط في النحو وقرأهما بعضهم والبعض بالضم بالكسر وبعض بالفتح والتنوين وبعض بالضم والتنوين وبعض بالكسر والتنوين ﴿ان هي﴾ اي ما هي والضمير للحياة المدلول عليها بالخبر اي ما الحياة ﴿الا حياتنا الدنيا﴾ القريبة الزوال نعت لحياتنا والمراد نفي الجنس اي لا حياة الا هذه الحياة الدنيا لان ان النافية دخلت على هي التي هي في معنى الحياة الدالة على الجنس وفي التعبر بهي ابهام يعقبه تفصيل وهو مستحسن أو اشعار بان تعينها مغن عن التصريح وفيه مندوحة عن التكرير .

﴿نموت﴾ يموت بعضنا ﴿ونحيا﴾ يحيا بعضنا بالولادة أو نوجد كلنا بلا حياة وذلك في البطن ونحا بعد.

وقيل: يموت قوم ويحا قوم.

وقيل: عطفت الواو السابق على اللاحق اي نحيا ونموت بعد الحياة ونظير ذلك الكلام قولك هي النفس تحمل ما حملت وقول الشاعر:

هي النفس ما حملتها تتحمل ... وللدهر ايام تجور وتعدل

وقولك: هي العرب تقول ما شاءت ذكر ذلك الا البيت.

جار الله قال ابن هشام قال ابن مالك وهذا من جيد كلامه ولكن في تمثيله بـ (هي) النفس وهي العرب ضعف لامكان جعل النفس والعرب بدلين وتحمل.

وتقول خبرين ويجاب بان التمثيل لمجرد البيان لا للموافقة في الاعراب من كل وجه فقد يجوز في الامثلة لا في الآية كون (هي) ضمير القصة وان قلت علام يصح جعل النفس والعرب بدل (هي)؟ فتقول: النفس النفس والعرب العرب قلت على طريقة قول ابي النجم:

* انا ابو النجم وشعري شعري *

فعد صح وضع الظاهر في موضع الضمير كما في الآية ﴿**وما نحن بمبعوثين**﴾ بعد الموت * ﴿**ان هو**﴾ اي نوح ﴿**الا رجل افترى على الله كذبا**﴾ في ادعاء الرسالة والبعث * ﴿**وما نحن له بمؤمنين**﴾ بمصدقين او لا نؤمن به فاللام بمعنى الباء أو لان فيه معنى الخضوع عدّي باللام ومن كلام في مثل ذلك ﴿**قال رب انصرني بما كذبوني قال**﴾ الله ﴿**عما قليل**﴾ الاصل عن ما ابدلت النون ميما فادغمت في ميم ما الزائدة وقليل مجرور بعن وانما زيدت للتأكيد معنى قلة المدة وتقصيرها ويجوز ان تكون (ما) نكرة موصوفة بقليل واقعة على الزمان اي عن زمان قليل.

والاول ابلغ لأن فيه التأكيد والزمان غير فائت فيه لأن (قليل) واقع على الزمان نعت لمحذوف اي عما زمان قليل وعن متعلقة (يصبحون) محذوفا مدلولا عليه بجواب القسم اي (يصبحون عما قليل نادمين) والله ﴿**ليصبحن**﴾ يصيرن ﴿**نادمين**﴾ على التكذيب لمعاينة العذاب لا متعلق بالجواب لان لام جواب القسم لها الصدر خلافا لبعض ﴿**فاخذتهم الصيحة**﴾ صيحة جبرائيل عليهم مهلكة لهم أو صيحة نزول العذاب أو

الصيحة العذاب كما بينته في غير هذا الموضع اقوال ﴿بالحق﴾ حال من الصيحة أو متعلق باخذتهم اي بالوجه الثابت الذي لابد منه ولا دافع له أو بالعدل أو بالوعد الصدق ﴿فجعلناهم غثاء﴾ اي مثل الغثاء وهو ما يحمله السيل مما يلي واسود من الورق والعيدان ووجه الشبه اليبس والاهانة.

والعرب تقول: سال به الوادي اي مات وصار مثل ما يحمله الوادي وورد في كلام العرب مشددا ايضا قال امرؤ القيس:

من السيل والغثاء فلكة مغزل

وذلك من التشبيه البليغ بحذف اداته ومن المجاز بالمحذوف لا من الاستعارة لذكر المشبه وهو هاء جعلناهم والمشبه به وهو غثاء خلافا لبعضهم بل ظاهر مطول السعد ان ذلك استعارة على الصحيح * ﴿فبعدا للقوم الظالمين﴾ مصدر حذف عامله وجوبا سواء كان على طريق الاخبار لاقترانه بلام البيان أو على طريق الدعاء كسحقا وتبا وتعسا سواء كان بمعنى ضد القرب أي بعدوا بعدا عن كل خير ويدل على العموم حذف المعمول أو بمعنى الهلاك من بعد بكسر العين بمعنى مات.

ويقال في هذا ايضا بعد بفتح العين والباء كالرشد والرشد واللام لبيان من دعا عليه بالبعد.

والاصل فبعدا لهم فوضع الظاهر موضع الضمير زيادة في اشهارهم في مقام البعد والوصف بالظلم ولام البيان متعلقة بمحذوف اي (اعني) او (ارادتي) للقوم الظالمين كائنه او ارادتي كائنة لهم لا بمحذوف نعت للمصدر لنيابته عن الفعل والفعل لا يوصف أو تعلق بالمصدر لانه من اللازم وليست مقوية لانها لا تصلح للسقوط الا على الاضافة ولا تعلق بأعني لتعديه كما

زعم ابن عصفور الا ان اراد انها تعلق به مع تقدير مفعول به له اي (اعني البعد للقوم الظالمين) كما فعلت فيما مر.

وإذا كان المصدر متعديا لم تعلق به ولا بفعله المقدر لتعذرهما وليست اللام مقوية للعامل من حيث انه ضعف بالمصدرية أو بالتزام الحذف ان قلنا العامل هو الفعل لان لام التقوية تصلح للسقوط واللام في (سقيا لك) لا تصلح له خلافا لابن الحاجب فانه اجاز (سقيا اياك) ﴿**ثم انشانا من بعدهم**﴾ بعد المهلكين ﴿**قرونا آخرين**﴾ قوم صالح وقوم عاد على الخلف السابق في المراد بالقرن المذكور أولا وقوم لوط وقوم شعيب وغيرهم.

وقال ابن عباس: اراد بني اسرائيل ﴿**ما تسبق من امة أجلها**﴾ بالموت قبله والاجل أجل موتها ومن زائدة للاستغراق نصا وان قلنا النكرة في سياق النفي نص في العموم لا متبادرة العموم فمن لتأكيد الاستغراق ولا يبعد ان يراد بالسبق الفوت إلى ما بعد اي لا تتأخر امة عن أجلها كذا ظهر لي قبل ان اتلو ما بعد ذلك وهو قوله: ﴿**وما يستأخرون**﴾ فهذا الذي ذكرت انه لا يبعد باطل لا تصح ارادته الا على جهة التأكيد بقوله وما يستأخرون ووجه التأكيد ان النفس تريد التأخير لا السبق الذي هو التقدم فلا تبعد ارادته على تلك الجهة ولو كان الاصل التأسيس والفرع التأكيد والجمع والتذكير نظرا لمعنى الامة * ﴿**ثم ارسلنا رسلنا تترى**﴾ فعلى من الوتر وهو الفرد والتاء الاولى بدل من الواو والاصل وترى والالف للتأنيث لان الرسل جماعة وهو حال من الرسل اي ارسلناهم متواترين اي افرادا واحدا بعد واحد مفصولا بين كل اثنين بزمان طويل.

ومما ابدلت فيه الواو تاء تجاه اي وجاه وتراث اي وراث وتولج لموضع يكتّن فيه الظبي أو غيره من الوحش واصله وولج وتيقور بوزن فيعول اصله ويقور وهو الوقار.

وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالتنوين فيكتب بالالف ويكون حينئذ مصدرا وصف به مبالغة أو تأويلا بالوصف أو باضافة.

وزعم البغوي ان الالف للتأنيث على القراءة الثانية ايضا * ﴿كلما جاء امة رسولها﴾ كل ظرف زمان متعلق بقوله * ﴿كذبوه﴾ وانما كان ظرفا لاضافته للمصدر النائب عن الزمان وذلك ان مصدرية وتسهل همزة امة بين الهمزة والواو وبعضهم يحققها كالاولى واضاف الرسول للامة لانه ارسل اليهم كما يضاف إلى من ارسله والواو مراعاة لمعنى الامة *

﴿فأتبعنا بعضهم بعضا﴾ في الاهلاك * ﴿وجعلناهم احاديث﴾ حكم عليهم بانهم صاروا احاديث مبالغة اي لم يبق منهم الا حكايات يسمونها يتعجب منها.

والاحاديث اسم جمع للحديث.

وقال البغوي: انه جمع له ومنه احاديث رسول الله ﷺ أو جمع احدوثة بمعنى الحديث الظريف الذي يتلهى به كألعوبة وأعجوبة وأضحوكة والوجهان هنا جائزان.

فعلى الاول فالتعجب مستفاد من التنكير كأنه قيل: احاديث عجيبة ظريفة.

وعلى الثاني مستفاد من صيغة المفرد وزاد التنكير استفادته ايضا.

وقال جارالله: المراد هنا الثاني وليس ببعيد ان يحمل عليه احاديث رسول الله ﷺ * ﴿فبعدا لقوم لا يؤمنون﴾ * ﴿ثم ارسلنا موسى واخاه

هارون بآياتنا﴾ كاليد والدم والضفادع والقمل وغيرها * **﴿وسلطان مبين﴾** واضحة وهي العصا خصها بعد تعميم لانها ام آيات موسى لاشتمالها على معجزات كانقلابها حية وتلقفها ما القته السحرة وانقلاب البحر وانفجار الحجر عيونا يضربها وكونها حارسة له وشمعة مضيئة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا وحبلا ويجوز ان يراد بالآيات جمع الآيات العصا وغيرها وبالسلطان المبين الجمع ايضا فالمراد انه ارسلهما بما هو دلائل واضحة يحتج بها ويجوز ان يراد بالآيات الحجج وبالسلطان المعجزات والعكس * **﴿إلى فرعون وملئه فاستكبروا﴾** عن الايمان * **﴿وكانوا قوما عالين﴾** قاهرين لبني اسرائيل وغيرهم بالظلم وضعفوا الجزية على بني اسرائيل.

وقيل: معنى (عالين) مشركين.

وقيل: متكبرون **﴿فقالوا أنؤمن لبشرين﴾** موسى وهارون والبشر يطلق على الواحد كما هنا ولذا ثني واطلق عليهما ويطلق على اثنين واكثر **﴿مثلنا﴾** المثل وغير يوصف بهما المفرد والمذكر وغيرهما لانه في حكم المصدر فيما قيل ومثل هذا دليل على ان غاية شبه منكري النبوة قياس حال الانبياء على حالهم للاشتراك في اصل القوى والادراك وهو ظاهر الفساد كم من انسان يقدر على ما لا يقدر عليه غيره في القوي أو في الادراك أو فيهما مع ان الواضح ان النبوة والرسالة ليسا باكتساب.

وقيل: اكتساب.

وقيل: الرسالة باكتساب والنبوة بغيره * **﴿وقومهما﴾** بنوا اسرائيل * **﴿لنا عابدون﴾** خاضعون خادمون كالعبيد أو لما كان يدعي الربوبية ادعى للناس العبادة وان طاعتهم له عبادة * **﴿فكذبوهما فكانوا من المهلكين﴾** بالاغراق في القلزم.

﴿ولقـد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة المراد بموسى قومه كما يقول هاشم وتريد قومه كما ارجع عليهم الضمير في قوله * ﴿لعلهم يهتدون﴾ أو المراد بموسى وحده لا قومه والضمير لقومه والمراد بموسى هو وقومه والضمير لقـومـه ولا يجوز ان يرجـع الضمـير لفرعون وقومه لان التوراة أوتيها بعد اغراقهم ﴿وجعلنا ابن مريم﴾ عيسى * ﴿وامه﴾ مريم * ﴿آية﴾ لم يقل آيتين لان الآية امر واحد مضاف إليهما وهو ولادته من غير فحل أو المراد جعلنا ابن مريم آية بان تكلم في المهد واحيا الموتى باذن الله وفعل غير ذلك وامه آية بان ولدته من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية أو بالعكس أو المراد آيتين أو آيات ولكن لما كان الكل مقصود به شيء واحد وهو الدلالة على الله افـردت * ﴿وأويناهما﴾ ضممناهما ﴿إلى ربوة﴾ قال كعب وابن عباس مكان مرتفع وهو ارض بيت المقدس فانها مرتفعة والسماء منخفض إليها.

وعن مجاهد الربوة مكان يستقر فيه الماء.

وعن الحسن دمشق وهو قول ابن المسيب قيل وهو اشهر الاقوال لانها ذات قرار ومعين على الكمال كما قال الله سبحانه وتعالى.

وعن الحسن فلسطين والرملة.

وعن ابي هريرة فلسـطين قال الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التي ذكر الله.

وقيل: مصر فان قراها على الربا.

وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرأ رباوة بضم الراء وقرىء رباوة بكسرها.

قال عياض: ويترجح ان الربوة في بيت لحم من بيت المقدس لان ولادة عيسى عليه السلام هنالك كانت.

قال ابن العربي: والذي شاهدت عليه الناس ورأيتهم يعينونه تعيين تواتر ووصفا في سفح الجبل في غربي دمشق (انتهى).

وسبب الايواء انها فرت بابنها إلى الربوة ﴿ذات قرار﴾ صاحبة استواء يستقر عليها ساكنوها فهي ذات منازل أو القرار للموضع المستوي ﴿ومعين﴾ ماء معين اي ظاهر جار من الماعون وهو المنفعة لانه نفاع أو من معن الماء بمعنى كثر أو اجرى ما بعد فورته فعيل باماله الميم وزيادة الياء أو ماء ظاهر تراه العين فالميم زائدة والياء اصل أو منقلبة عن واو مفعول واصله معيون كمبيع اصله مبيوع يقال عانه اي رآه بعينه كركبه إذا ضربه بركبته.

وعن قتادة ذات ثمار وماء وهو تفسير معنى لا لغة يعنى لأجل إنها ذات ثمار وماء يستقر فيها ساكنوها .

﴿يا ايها الرسل﴾ اي قلنا ياايها الرسل هذا النداء والخطاب بعده ليسا على ظاهرهما لان الرسل في ازمنة مختلفة وانما المراد الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي وخوطب وذلك ابلغ طريق فان امرا نودي له جمع الرسل وخوطبوا به لجدير ان يؤخذ به وفي ذلك اشارة إلى ان تهيئة اسباب النعم لم يكن له خاصة وان اباحة الطيبات المرسل شرع قديم واحتجاج على الرهبانية في رفض الطيبات أو حكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما إلى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا.

وعندنا وعند المعتزلة كلام الله تعالى حادث مخلوق ومذهب غيرنا وغيرهم قديم غير مخلوق فاجازوا ان يكون النداء والخطاب قبل خلق الخلق

على تقدير وجوده بعد والذي ذكره اصحابنا في علم الكلام امتناع امر ونهي في الازل واختلاف في آمر وناه على معنى انه سيأمر وينهى.

ومذهب المعتزلة منع ذلك كله.

وقالت فرقه: النداء والخطاب لرسول الله ﷺ والجمع اما تعظيم له واما كما تقول للعالم الواحد ياعلماء انكم أئمة يقتدى بكم فتمسكوا بعلمكم وعلى هذا الشق عياض ولا يقدر القول على الشقين.

وقال الطبري: الخطاب لعيسى ويجرى فيه الشقان والصحيح القول الاول ويليه الشق الثاني في القولين الاخيرين.

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال: ﴿ **ياايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم**﴾ وقال ﴿ **ياايها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم** ﴾ ثم ذكر «الرجل يطيل السفر اشعث اعبر يمد يده إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك» والمراد بالطيبات ما يستلذ من المباحات وقيل الحلال الصافي القوام فالحلال ضد الحرام وتلتحق به الشبهة المحققة على خلف فيها والصافي ما لا ينسى فيه الله والقوام ما تقوم به الذوات والعقل.

وذكر بعضهم ان طيبات الرزق حلال وهو مالا يعصى الله فيه وصاف وقوام وهما ما ذكرته والعمل الصالح الفرض والنفل وذكر انه يعلم ما يعملون فيجازيهم وليس يضيع وفي هذا تحذير من مخالفة ما اثروا به .

﴿**وان هذه**﴾ اي ملة التوحيد ﴿**امتكم**﴾ ملتكم ياجميع الرسل * ﴿**امة**﴾ حال مؤكدة وباعتبار وصفها بقوله * ﴿**واحدة**﴾ تكون ايضا لازمة والمراد الاتحاد في العقائد والاصول ولو اختلفت شرائعهم أو المعنى ان هذه

الجماعة جماعتكم جماعة واحدة في الايمان والتوحيد وانما فتحت همزة ان لان التقدير واعلموا ان هذه أو لان العطف على ما اي وبان هذه.

وقيل: لان لام التعليل مقدرة قبلها متعلقة بـ (اتقون) بعده وعلى هذا فالفاء فيه زائدة.

وقرأ ابن عامر بالتخفيف.

وقرأ الكوفيون بكسر الهمزة والتشديد استئنافا في جملة الكلام أو لتقدير القول فيما مر أو هنا.

وقرىء برفع (امة واحدة) تعديدا للخبر* ﴿**وانا ربكم فاتقون**﴾ احذروا معصيتي.

ومنها بل اعظمها مفارقة جماعة الآخرة ومخالفة الكلمة فائدة.

قال أبو اسحاق والثعلبي في عرائس القرآن قالوا كان مولد عيسى بعد مضي اثنتين واربعين سنة من هلك اعرطيس وخمسين سنة من ملك الاسكانين وكانت المملكة في ذلك الوقت لملوك الطوائف وكانت الرئاسة بالشام ونواحيه لقيصر ملك الروم وكان الملك عليها من قبل قيصر هردوش فلما عرف هردوش ملك بني اسرائيل خبر المسيح قصد قتله وذلك انهم نظروا إلى نجم طلع فعرفوه به فارسل الله ملكا إلى يوسف النجار واخبره بما أراد هردوش ملك بني اسرائيل وامره ان يهرب بالغلام وامه إلى مصر واوحى إلى مريم ان اهربي إلى مصر فان هردوش إن ظفر بولدك قتله فاذا مات هردوش فارجعي إلى بلدك فحملها يوسف على حمار حتى ورد مصر ومكثا فيها اثنتي عشرة سنة وهي الربوة التي ذكر الله وذكر بقية الاقوال السابقة ونسب القول بانها دمشق إلى عبدالله بن سلام والقول بانها بيت المقدس إلى قتادة وكعب قال وقال الضحاك في غوطة دمشق.

وعن محمد بن علي الباقر ولد عيسى كأنه ابن شهرين ولما بلغ تسعة اشهر اخذت بيده للمعلم فقال له: قل بسم الله الرحمن الرحيم فقالها فقال له:فقل ابجد فرفع رأسه فقال هل تدري ما ابجد فعلاه بالدرة ليضربه فقال له يا معلم لا تضربني ان كنت تدري والا فاسألني افسر لك فقال الالف الله والباء بهجة الله والجيم جلال الله والدال دينه والهاء الهاوية والواو ويل لاهل النار والزاء زفير جهنم حطي حطت عنه الخطايا سعفص صاع بصاع والجزاء بالجزاء قرشت نقوشهم تجمعهم فقال ايتها المرأة خذي ولدك فقد علم علماء لا يحتاج للمؤدب.

وعن ابي سعيد عنه ﷺ ارسلت امه ليتعلم فقال له المعلم قل بسم الله الرحمن الرحيم قال: وما ذاك؟ قال المعلم لا ادري فقال الباء بهاء الله والسين سناؤه والميم ملكه وهو احمر إلى البياض.

قيل: لم يدهن رأسه فقط يمشي حافيا ولا بيت له ولا حلبة ولا يدخر إلى الغد ﴿فتقطعوا﴾ اي الامم صاروا قطعا متخالفين في الكفر فيهودي لم يتبع موسى ونصراني لم يتبع عيسى ومجوسي ووثني وصابىء وقيل: المراد أهل الكتاب.

﴿امرهم﴾ دينهم ﴿بينهم زبرا﴾ حال اي من الواو أو من المضاف إليه لان المضاف كجزئه اي متخالفين كذا قيل ووجهه انه جمع (زبر) بمعنى فرقة.

وقيل: جمع (زبر) بمعنى كتاب.

قيل: فيكون مفعولا ثانيا لتقطعوا المتضمنة معنى (جعلوا) أو حالا من امرهم على تقدير (مثل كتب).

قيل: ويؤيد القول الاول قراءة ابي عمرو في رواية عنه (زبرا) بضم الزاء وفتح الباء ومعناها (فرقا) مثل (زبر الحديد).

ويصح جعله مفعولا ثانيا اي (جعلوا دينهم قطعا) على هذه القراءة ايضا أو حالا من امرهم أو من الواو على كون الزبر بمعنى الكتب.

فقال قتادة: انهم تنازعوا كتبا منزلة ثم حرفوا.

وقال ابن زيد: (كتبا وضعوها) و(تقطعوا) بمعنى (قطعوا) ولذا تعدى لواحد (هو) امرهم أو لاثنين (هما) امرهم وزبر للتضمين.

وقيل: هو مطاوع قطع لازم فقال الكوفيون امرهم تمييز محول عن الفاعل بناء على جواز تعريف تمييز.

وقيل: منصوب على نزع الخافض واما بين فمتعلقة بتقطعوا أو بمحذوف حال من امرهم ﴿كل حزب﴾ فرقة ﴿بما لديهم﴾ عندهم من الدين ﴿فرحون﴾ مسرورون متعجبون مخطّئون لغيرهم والكل في خطأ ﴿فذرهم﴾ اي اتركهم وعن بعضهم الهاء لكفار مكة * ﴿في غمرتهم﴾ ضلالتهم وغفلتهم وعمايتهم وهي الشرك كما صرح به ابن عباس شبه ضلالتهم بالماء الذي يغطي القامة لانهم مغمورون فيها لاعبون بها أو ذلك يتمثل بان شبه حالهم مع ما هم عليه من مجادلة الباطل والانغماس بحال من يدخل في الماء الغامر للعب بجامع تضييع الشيء والتعرض للهلاك أو شبه ضلالتهم بغمرة الماء إذا وقع فيها الشخص فلا يدري كيف يتخلص منها بجامع الوقوع في ورطة الهلاك ﴿حتى حين﴾ حين موتهم وذلك منسوخ بآية السيف.

وان اريد بالحين وقت الامر بالقتال فلا نسخ وذلك تسلية له ﷺ ونهي عن الاستعجال بعذابهم وقرأ على (في غمراتهم).

قيل قوله: (ان هذه) إلى (فرحون) يتقوى ان (ياايها الرسل) الخ خطاب لجميعهم بتقدير حضورهم وان جعل خطابا للنبي علق اتصال

قوله: (ان هذه) واتصال قوله: (فتقطعوا) وانه من حيث كان ذكر الامم في هذه الاية مثالا لقريش خاطب الله سبحانه نبيه محمدا في شأنهم متصلا بقوله: (فذرهم) اي فذر هؤلاء الذين هم بمنزلة من تقدم.

﴿أيحسبون ان ما نمدهم به﴾ نقويهم به ونعطيهم اياه * **﴿من مال وبنين﴾** بيان لما والهاء به **﴿نسارع لهم في الخيرات﴾** فيما فيه منفعتهم واكرامهم الجملة خبر ان والرابط بينهما وبين اسم ان محذوف اي نسارع به وحذفه لطول الكلام مع أمن اللبس ولا يخفى ان (من مال) ليس خبرا لانه غير معاب عليه وانما المعاب عليه حسابهم ان ذلك مسارعة في اكرامهم.

وقرىء (يمدهم ويسارع ويسرع) بالمثناة تحت والضمائر لله عز وجل والرابط محذوف لو يجعل ضمير يسارع ويسرع لما فهو الرابط.

وقرىء (يسارع) بالمثناة والبناء للمفعول فالرابط محذوف النائب لهم أو في الخيرات وانما ذلك استدراج لهم إلى المعاصي واستجرار إلى زيادة الاثم.

ويجوز ان يكون المعنى (نسارع لهم في جزاء الخيرات) كما يفعل باهل الخير من المسلمين * **﴿بل لا يشعرون﴾** استدراك لقوله: (أيحسبون) اي (هم) كالبهائم لا يفطنون فلو كانت لهم فطنة لعلموا ان ذلك استدراج فانهم لم يفعلوا ما يكون سببا لذلك الخير بل ما يكون سببا للجزاء * **﴿ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾** قيل من خشية ربهم تعليل متعلق بما بعده والمعنى من خوفهم من ربهم (ومشفقون) معناه (خائفون) ويقدر له (من) ابتداءه اى (من عذابه) أو للمجاوزة.

وقيل ان المعنى يحذرون المعاصي من هيبة الله أو من خوف عذابه فمن للتعليل ايضا **﴿والذين هم بآيات ربهم﴾** الموضوعة كالجبال والسماء وغيرها.

ففي كل شي له اية * تدل على انه واحد

والمنــزلـة وهي آيات القـرآن ﴿يؤمنـون﴾ ﴿**والـذين هم بربهم لا يشركون**﴾ الباء للمعية اي لا يشركون معه غيره * ﴿**والذين يؤتون**﴾ اي يعطون وهو مبني للفاعل وضم حرف المضارعة لكون الماضي رباعيا والاصل يؤتيون بكسر الياء نقلت اليهـا ضمت الياء لثقلهـا عليهـا فحذفت الياء للساكن بعدها ﴿**ما آتوا**﴾ ما اعطوا من الصدقات وابهم للتفخيم والمفعول الاول محذوف اي يؤتـون الفقراء ما آتوا وحذف للعلم به أو لا يتعلق به الغرض فلا مفعول له أو لا مذكور ولا مقدر وانما له واحد وهو كقولك: (زيد يعطي الدنانير) إذا اردت مجرد اثبات اعطائه الدنانير وحذف الالف بين تاء آتوا وواوه للساكن ومعنى (آتوا) يؤتون فهما للاستمرار التجددي أو هو على مضيه.

والمعنى يداومون على مثل اعطائهم الصادر منهم.

أو المعنى ان ما اعـطوه يعـطونـه وهذا المضارع لاستمرار نيتهم في الماضي ويتم هذا بقوله * ﴿**وقلوبهم وجلة**﴾ خائفة ان لا يقبل منهم أو لا يقع على الوجه اللائق فيؤخذوا به ان كان فرضا أو حيث لا يجوز الاعطاء والواو واو الحال ويجوز كون يؤتون مبنيا للمفعول اي (يعطيهم الله ما اعطوا الفقـراء) اي يرده عليهم فضلا واعد لهم ثوابا وهم خائفون ان يكون ما اعطاهم مكافأة لا ثواب بعدها.

وعلى كل حال الفعل رباعي من الايتاء والاصل على الوجه الاخير يؤتيون بفتح التاء وقطع النقل والحذف كما مر وقرأ رسول الله ﷺ وعائشة (يأتون ما آتوا) بلا مد للهمزة فالفعلان ثلاثيان من الاتيان اي يفعلون ما فعلوا من الخير.

قالت عائشة رضي الله عنها: هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر ويخاف الله على ذلك؟ قال: لايابنت الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف ان لا يقبل منه وهذا انما يصدق على قراءته وقراءة عائشة.

واما على القراءة الاولى فان الصلاة والصوم ليسا مما يعطيها الانسان للفقير مثلا وكذا تفسيرها بالرجل يفعل ما يفعل من انواع الخير.

كما قال الحسن: معناها الذين يفعلون ما يفعلون من البر ويخافون ان لا ينجيهم من عذاب ربهم.

وعنه المؤمن يجمع احسانا وشفقة والمنافق يجمع اساءة ولؤما.

وعنه ما عبد الله بمثل طول الحزن.

وعن سفيان انما الحزن على قدر البصيرة.

وعن عبد الاعلى التيمي: من اتى من العلم ما لا يبكيه لخليق ان لا يكون أمرتي علما ينفعه لان الله وصف العلماء بالبكاء (ان الذين أوتوا العلم الى (يبكون) ولذلك اطال الاولياء في هذه الدار حزنهم واجروا على الوجنات مدامعهم فاما التقي فخوفه من الخاتمة وتقصير لا يخلو منه واما المخلط فمنها ومن تزول العقاب لتخليطه.

وفسر بعضهم الآية بالذين فعلوا ذنوبا وخافوا.

ويرده ان الصناعة لا تقبل هذا المعنى لانه قال: (يؤتون) لا (يأتون) وان الذي يفعل ذنبا وهو خائف في حال الفعل غير ممدوح وانما الممدوح من دام خوفه بعد ذلك حتى تنصل أو حدث له خوف فدام وتنصل واما قراءة النبي وعائشة فقد فسرها ﷺ بغير ذلك ويرده ايضا ان الممدوح من دام خوفه لا مجرد الخائف في حال الفعل الا ان يقال اراد (وقلوبهم وجلة بعد) او كني به عن التنصل.

﴿أنهم إلى ربهم راجعون﴾ اي لانهم إلى ربهم راجعون أو من انهم إلى ربهم راجعون وهو يعلم ما يخفى عليهم واللام المقدرة أو (من) المقدرة متعلقة بوجلة ﴿أولئك يسارعون في الخيرات﴾ ضمن يسارعون معنى يرغبون فعّداه بـ (في) أو في بمعنى (إلى) و(الخيرات) الاعمال الصالحات فرضا ونفلا أو الخيرات ثواب الآخرة والمسارعة إليه تكون بالعمل الصالح أو الخيرات خيرات الدنيا الموعودة على صالح الأعمال كقوله: (فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة)، (واتيناه أُجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين) لانهم إذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وهذا الوجه احسن طبقا للآية المتقدمة لان قبلها اثبات ما نفي فيها عن الكفار للمؤمنين.

وقرىء (يسرعون) ﴿وهم لها سابقون﴾ سابقون إليها في علم الله فاللام بمعنى (إلى).

وقال ابن عباس: سبقت لهم من الله السعادة فهم لها.

وقيل: سبقوا الامم إلى الخيرات أو سبقوا الناس إليها أو فعلوا السبق لاجلها فاللام للتعليل والضمير للخيرات على التفاسير السابقه.

وقد قيل: المعنى انهم ينالونها قبل الآخرة حيث جعلت لهم في الدنيا ويجوز ان يتعلق اللام بـ (سابقون) بل بمحذوف خبر فيكون (سابقون) خبرا آخر يجعله قول ابن عباس.

و ﴿لا نكلف نفسا الا وسعها﴾ قدر طاقتها فما وصف به الصالحون ليس يخرج فالقصور عنه لا ينبغي فافعلوا ما فعلوا ومن لم يبلغ ان يكون على صفتهم بعد استفراغ وسعه وبذل طاقته فلا عليه فمن لم يستطع ان يصلي قائما فليصل قاعدا أو لم يستطع فمضطجعا ومن لم يستطع ان يصوم فلياكل وهكذا * ﴿ولدينا كتاب ينطق بالحق﴾ بما عملته كل نفس وهو اللوح

المحفوظ تسطر فيه الاعمال أو كتاب كل نفس أو الديوان الجامع لاعمال كل نفس المكتوبة في كتابها غير اللوح المحفوظ ونفى بقوله: (بالحق) ان تكون فيه زيادة أو نقص ﴿وهم﴾ اي الناس المدلول عليهم بذكر النفس في سياق النفي ﴿لا يظلمون﴾ بنقص من الحسنات أو زيد في السيئات.

وقيل: المراد بالكتاب القرآن * ﴿بل قلوبهم في غمرة﴾ قلوب الكفرة في غفلة وضلالة مغطية لها * ﴿من هذا﴾ عن هذا الذي وصف به حال هؤلاء المؤمنين أو عن هذا الكتاب الذي ينطق بالحق على الخلاف في تفسيره أو عن هذا الدين أو عن هذا النبي ﷺ خلاف و(من) للمجاوزة وتحتمل الابتداء ولان امر الايمان يزيد الشقي شقاء فكأن غمرتهم جاءتهم منه أو لان وصفهم بالغمرة انما هو من قبل اتباع امر الايمان * ﴿ولهم﴾ للكفرة * ﴿اعمال﴾ خبيثة من المعاصي ﴿من دون ذلك﴾ الذي وصف به المؤمنون من الخير أو من دون ذلك الذي هم عليه من الشرك * ﴿هم لها عاملون﴾ معتادون عملها لا يكفون عنها حتى يؤخذوا بالهلاك يعذبون عليها.

وقيل: المراد لهم اعمال سيعملونها غير ما رايت.

وعن سعيد بن المسيب عن عمر يارسول الله نعمل لما فرغ منه أو لما يستأنف قال بل لما فرغ منه قال ففيهم العمل قال اعملوا فكل لا ينال الا بالعمل * ﴿حتى إذا اخذنا مترفيهم﴾ متنعميهم واغنياءهم ورؤساءهم المسرفين * ﴿بالعذاب﴾ القتل يوم بدر عند ابن عباس ومجاهد والاية قتل ذلك بمكة نزلت.

وقيل: (الجوع) دعا عليهم رسول الله ﷺ فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنين يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى

أكلوا الجيف والكلاب والجلود والعظام والضفادع والاولاد وطعاما يتخذ من الدم ووبر البعير لسني الجوع والوطأة الاستعلاء على الشيء بالرجل.

والمراد هنا الضر والضمير البارز في اجعلها عائد للوطأة اي اجعل ذلك الضرسني قحط و(سنين) معرب بالياء بدليل عدم التنوين وبدليل حذف النون للاضافة في قوله كسني.

وفي رواية سنينا بالتنوين اعرابا بالحركة على النون فبينه وبين قوله كسني جمع بين لغتين * ﴿إذا هم﴾ (إذا) للمفاجأة رابطة لجواب إذا الشرطية ﴿يجأرون﴾ يضحكون ويستغيثون ويخرعون واستعمال الجأر في صياح البشر كثير.

ذكر بعضهم ان اصله في البقر وعن الحسن يصرخون بالتوبة ولا تقبل منهم .

﴿لا تجأروا اليوم﴾ اي نقول لهم لا تجأروا اليوم ويصح ان يكون هذا القول المقدر هو جواب إذا الشرطية الواقعة بعد حتى الابتدائية ﴿انكم منا لا تنصرون﴾ لا تغاثون ولا تمنعون منا أو لا يلحقكم نصر أو معونة منا والجملة تعليل استئنافي ﴿قد كانت آياتي تتلى عليكم﴾ يعني القرآن * ﴿فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ ترجعون إلى خلف وتمشون على المواضع التي كانت عقبكم اعنى خلفكم وذلك كناية عن الاعراض والادبار عن الحق سماعا وتصديقا وعملا * ﴿مستكبرين به﴾ اي بالبيت أو بالحرم.

ولو لم تتقدم له ذكر لنزول الآية في شأن استكبارهم به استكبارا حاضرا وشهرتهم بالاستكبار به وانه لم يكن لهم مفخرة الا انهم ولاته والقائمون به وكانوا يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر احد علينا ولا نخاف احدا فهم آمنون والناس في الخوف وذلك قول ابن عباس.

وقيل: الضمير للقرآن المعلوم بالمقام أو بالاشارة لهذا على ما مر أو للآيات وعلى هذا افرد الضمير وذكره لتاويلها بالقرآن أو بالكتاب وعليه فالباء بمعنى (عن) ولو لم يقدم سؤال أو على أصلها على تضمين (مستكبرين) معنى (مكذبين) أو انه لما كان سماعه يحدث لهم كبرا وعتوا جعلهم مستكبرين سببه أو تعلق بقوله * ﴿سامرا﴾ حال من ضمير مستكبرين اي جمعا متحدثا بالليل حول البيت وكانوا يسمرون حوله بالطعن فيه وهو غالب سمرهم يقولون سحر وشعر ويسبون رسول الله ﷺ.

وقيل: (سامرا) في الاصل مصدر كالعاقبة ولذا جاء مفردا وقرىء (سمرا وسمارا) بالتشديد (حمقا) وذكر بعضهم ان (سمرا) قراءة ابن عباس وغيره (وسمارا) قراءة ابي رجاء.

قيل: اصل السمر التحدث في ظل القمر.

وقيل: اصله ما يقع على الشخص من ظل القمر ثم اطلق على الحديث المسمور ليلا سواء كان في ظل القمر أو في ضوئه أو غير ذلك وكانت العرب تتحدث في الصحراء فترى الطوالع والغوارب ومن ذلك كانت معرفتهم بالنجوم أو تعلق الباء بقوله .

﴿تهجرون﴾ أي تهجرون بالقرآن يقال: (أهجر في منطقه) إذا افحش فيه من الهجر بضم الهاء وقرأ غير نافع بفتح التاء وضم الجيم اي (تهجرون) الحق قاله ابن عباس.

وقال ابن زيد من (هجر المريض) إذا هذي اي تقولون اللغو من القول وهو قول ابي حاتم.

وقيل: هو من الهجر بفتح الهاء بمعنى القطيعة وهو قول ابن عباس المذكور أو الهذيان.

وقرىء (تهجرون) بالتشديد للمبالغة وتهجرون حال اخرى أو من ضمير (سامر).

وقال منذر بن سعيد (الهاء) عائدة للنبي ﷺ فهي متعلقة بـ (سامرا) و(تهجرون) ﴿افلم يدبروا القول﴾ القرآن الدال على صدق النبي ﷺ ولو ادبروه لصدقوا به وبمن جاء به فان من تدبره صدق لاعجاز لفظه ووضوح مدلوله واصل افلم يتدبروا ابدلت التاء دالا وسكنت وادغمت .

﴿أم جاءهم ما لم يأت آبـاءهم الأولـين﴾ فانكـروه واستبعدوه بلى جاءهم ما جاء آباءهم قبلهم ارسلنا إليهم رسلا وكتبا بالتوحيد كما ارسلناك اليهم به وبالكتاب أو المعنى ام جاءهم من عذاب الله ما لم يجيء آباءهم الاقدمين كاسماعيل فآمنوا وصدقوا واطاعوا فلم يخافوا كما خاف آباؤهم ومن آبائهم ربيعة ومضر وغيرهما.

وعنه ﷺ «لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحارث بن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شيء فلا تشكوا في ان تبعا كان مسلما» وفي رواية في «ان ضبة كان مسلما» وكان على شرطة سليمان بن داوود عليهما السلام .

ويجوز ان يراد بالاباء مطلق المتقدمين كنوح وغيره إذ الناس في الجملة اخرهم من أولهم * ﴿ام لم يعرفوا رسولهم﴾ في كبره وصغره بالامانة وكمال العقل والصدق والوفاء وحسن الخلق والعلم مع عدم التعلم وغير ذلك مما هو صفة الانبياء وصحة نسبه وكونه خير نسب.

﴿فهم له منكـرون﴾ لعدم معرفتهم به اما إذا عرفوه بذلك وكانوا يسمونه الامين فكيف لا يصدقونه ولو لم تكن له تلك الدلائل لم يصح انكار

دعواه قبل ظهور امتناعها بحسب النوع أو الشخص أو بحيث عما يدل عليه اقصى ما يمكن.

وفي الخطبة التي خطبها ابو طالب في نكاح خديجة وما تنكره الرهبان ما يكفي صراحه والفاء للسببية وعطف الجملة الاسمية على حرف النفي وما بعده اي (امرا نكروه) لعدم معرفتهم له والاستفهام للتقرير لما بعد النفي أو لانكار النفي والتقرير حمل المخاطب على القرار بما يعرفه وان شئت فقل التحقيق أي عرفوه البتة والانكار (ما) للتوبيخ وهو فيما وقع ولا ينبغي ان يقع أو فيما يقع ولا ينبغي ان يقع أو للتكذيب نحوا (فاصفاكم ربكم بالبنين) وهذه قاعدة فاجر عليها ﴿ام يقولون به جنة﴾ اي جنون فلا يبالون بقوله وقد علموه اكمل عاقل ونظر ادق ناظر * ﴿بل جاءهم بالحق﴾ الواضح الذي لا يخفى عن عاقل ولكنهم لما جاءهم بما خالف شهواتهم ولم يجدوا له مردا لانه الحق الا يلح عدلوا إلى البهت بالجنون وغيره.

﴿واكثرهم للحق كارهون﴾ لمخالفته شهواتهم وخرج باكثرهم اقلهم فان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه أو لعدم فطنته لا لكراهه الحق فهذا أبو طالب ما منعه من الاسلام الا ان يقال: (صبأ وترك دين آبائه).

وزعم بعضهم انه اسلم وهو ضعيف كيف يشتهر اسلام حمزة والعباس رضي الله عنهما ويخفى اسلامه ﴿ولو اتبع الحقُّ﴾ المراد مطلق الحق.

وفسره بعضهم في المواضع الثلاثة بالقرآن ﴿اهواءَهم﴾ ما يهوونه من تعدد الآلهة قبل ومن ثبوت الولد له تعالى لكن فساد السموات والارض بترتب على تعدد الآلهة ترتيبا متبادرا ﴿لفسدت السموات والارض ومن

فيهن﴾ من عاقل وغيره باستعمال من وغيره وفساد ذلك خروجه عن النظر المشاهد لوجود التمانع عادة عند تعدد الحاكم كما سبق في الانبياء عليهم السلام ولو كان ما يهوونه من تعدد أو غيره كالولادة لم يكن لله عز وجل الصفات العلية ولم تكن له القدرة والصنعة كما هما.

وقيل: لو اتبع الحقُّ اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى للعالم قوام وفي ذلك دلالة على عظم شأن الحق حيث قام به العالم.

وقيل: لو اتبع الحق الذي جاء به محمد ﷺ اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة وأهلك العالم لفرط غضبه.

وقال قتادة وابن جريج وابو صالح: الحق هو الله اي لو امر بالشرك والمعاصي لم يكن الها ولم يقدر ان يمسك السموات والارض ان تزولا والحق ان هذا القول لا يختص بالبناء على أصل المعتبر له كما ترى انه قول هؤلاء الثلاثة لكن قال عياض هذا القول لا يناسب نمط الآية.

﴿**بل أتيناهم بذكرهم**﴾ أي بالكتاب الذي هو ذكرهم يوعظون به او بشرفهم وفخرهم لو عملوا به أو مطلقا من حيث انه على لغتهم وعلى نبي منهم أو بالذكر الذي يتمنونه لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين.

والاولان روايتان عن ابن عباس رضي الله عنهما والاول ايضا قول الحسن وقرىء (بذكراهم) ﴿**فهم عن ذكرهم معرضون**﴾ ﴿**ام تسالهم خرجا**﴾ اجرا على ماجئتهم به من الآيات والايمان (وام) هذه بمعنى (بل) وهمزة الانكار.

وذكر بعضهم ان هذا قسيم قوله: (ام به جنة) ﴿**فخراج ربك خير**﴾ الفاء تعليل لما تضمنه ما قبلها من نفي سؤال الخرج أو رابطة لجواب شرط

محذوف اي (ان تسالهم الخرج فخراج ربك خير) وهذا على طريق التبكيت بارخاء العنان باثبات بعض ما قاله الخصم أو ما عساه ان يقوله ليعثر والخراج الخرج اي (فأجر ربك وثوابه ورزقه خير لسعته ودوامه) ففيه مندوحة عن عطائهم وفسرهما بهضم بالرزق وايده بقوله ﴿وهو خير الرازقين﴾ وهو تقرير لخيرية خراجه أي خير المعطين وقد مر الكلام فيه اي ان الرزق الذي يعطين ربي على غير ايديكم خير مما يجريه على ايديكم ورزقه خير من كل رزق وانما ينسب الرزق لغير الله لجريانه على يده.

قال بعضهم: ما بال احدكم يقول اللهم ارزقني فاذا جاء من اخيه شيء لم يقبله وقد عرف ان الله لا يمطر عليه من السماء دنانير وانما يرزق الناس بعضا من بعض.

لقي عمران بن حصين مكحولا بمكة فاعطاه مكحول شيئا فانقبض عنه فقال له خذه فاني ساحدثك فيه بحديث فقال حدثني فانه احب إليّ فقال: اعطى رسول الله ﷺ عمر شيئا فكأنه انقبض عن اخذه فقال له رسول الله اذا اتاك الله بشيء لم تطلبه ولم تعرض له فخذه فان كنت محتاجا إليه فانفقه لنفسك والا فضعه في أهل الحاجة.

والخرج والخراج ضد الدخل وقرأ ابن عامر (خرجا فخرج) والكسائي وحمزة (خراجا فخراج) للمزواجة.

قيل: اصلهما ما تخرجه إلى الامام من زكاة ارضك اداء.

وقيل: الخراج الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

﴿وانك لتدعوهم إلى صراط مستقيم﴾ دين الاسلام وهو طريق إلى الجنة دعوة خالصة لله لا توصلا إلى نيل من دنياهم وقد علموه بمعزل عن هذا وشهد الله بانتفاء ما يودي بهم إلى الانكار والاتهام ولم يبق لهم الا كراهة الحق وقلة الفطنة ﴿وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط﴾ المذكور ﴿لناكبون﴾ مائلون.

وروي انه لما اسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من أهل مكة وقد دعا عليهم رسول الله ﷺ بالسنين على حد ما مرّ أتى ابو سفيان رسول الله ﷺ فقال له: انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزل * ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر﴾ ازلنا مابهم من جوع * ﴿للجوا في طغيانهم﴾ لتمادوا في ضلالتهم من الشرك والعداوة للمؤمنين ورسول الله ﷺ ﴿يعمهون﴾ يترددون.

وقيل: (يعدلون عن الهدى).

وروي ان ابا سفيان لما ركب إليه في المدينة من مكة ولقيه ذكر له ما مر وذكر له ايضا ان يدعو لهم في زوال القحط فدعا فانكشف وذلك لتمام سبع سنين واما امتناع الرحمة المستفاد من (لو) فانما هو بالنظر إلى ما قبل التمام وافاد بلو التلويح إلى ان الطغيان عادتهم لا يقلعون عنه كشفنا ام لم نكشف فيفيد ذلك انه لا يقلعون عنه إذا كشف عنهم لتمام السبع ولما اصابتهم السنون كفوا عن بعض ما هم عليه واستشهد سبحانه على انهم مع هذا التملق منهم على بداعتهم واسترحامهم لا يكفون عن الضلالة لكشف الضر بقوله ﴿ولقد اخذناهم بالعذاب﴾ بقتل صناديدهم يوم بدر واسرهم * ﴿فما استكانوا﴾ خضعوا وتواضعوا واستكان افتعل من السكون اشبعت

فتحته أو هو استفعل من الكون فالالف على هذا بعد الكاف بدل من عين الكلمة والسين زائدة عكس الاول والمعنى على هذا الثاني وهو أولى لما في الاول من الاشباع انهم ما انتقلوا عن طغيانهم يقال استكان اي انتقل من حال لحال مثل استحال.

﴿لربهم وما يتضرعون﴾ فكما لم يكفوا عن الطغيان بقتلهم واسرهم كذلك لا يكفون بكشف الجوع ولو كان اعظم من القتل والاسر وعبر في جانب الاستكانة بالماضي وفي جانب التضرع بالمضارع لان المراد انه لم توجد منهم عقب المحنة استكانة وانه ليس من عادتهم التضرع فيتضرعون للاستمرار ولذلك لم يقل فما استكانوا لربهم وما تضرعوا ولم يقل فما يستكينون لربهم ومايتضرعون.

والتضرع الرغبة إلى الله في الدعاء.

وقيل: العذاب الجوع فالمعنى ان رحمناهم بازالة الضر وهو الجوع لم يكفوا عن طغيانهم ولقد اخذناهم بهذا الجوع فما انابوا الينا ولم يزيدوا على ان استرحموك بعد ما وصل بهم الجوع الغاية ﴿**حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد**﴾ وهو باب الجوع الذي هو اشد من القتل والاسر لانه عمهم وطال وكان في انفسهم فاما القتل فاصيب به المقتول والحي يتوجع بموته ثم ينساه وليس التوجع به عاما لهم والاسير حي يطعم ويشرب ويرجى فكه وليس ضره عاما (وحتى) للابتداء وليست (حتى الابتدائية) خارجة عن معنى الغاية البتة وغايتها متعلقة بقوله ما يتصرعون * ﴿إذا﴾ للمفاجأة رابطة للجواب ﴿**هم فيه مبلسون**﴾ آيسون من كل خير حتى جاءك اغناهم يستعطفك.

وقيل: الابلاس السكوت مع التحير.

وقال ابن عباس: هذا الباب الذي هو ذو عذاب شديد القتل ببدر

وعليه الشيخ العلامة هود رحمه الله وارضاه قال: نزلت بمكة قبل الهجرة فقتلهم يوم بدر فيكون الكلام مبدأه وما يتضرعون ومنتهاه مبلسون.

فافهم وفيه متعلق بـ (مبلسون) ومبلسون خبر أو حال من ضمير (مبلسون) المستتر أو هما خبر ان.

وقيل: هذا الباب هو باب الموت.

وقيل: باب الساعة وقرىء (فتحنا) بالشديد للمبالغة.

﴿**وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار والافئدة**﴾ ليسمعوا الآيات ويبصروا افعال الله ويستدلوا ويتفكروا فهذه النعم التي عددها الله عليهم انما جعلها لهم لذلك وغيره من المنافع الدينية والدنيوية فمن لم يستعملها لذلك فكأنه عدمها ولذلك وصفهم بأنهم صم وعمي وانهم كالبهائم وكذلك غير تلك الاعضاء والافئدة القلوب جمع فؤاد.

﴿**قليلا**﴾ زمانا قليلا متعلق بـ (تشكرون) او شكرا قليلا مفعول مطلق بـ (تشكرون) ﴿**ما**﴾ زائدة لتأكيد قلة الشكر * ﴿**تشكرون**﴾ وما مصدرية والشكر مبتدأ وقليلا ظرف زمان خبر.

وان قلت: كيف اثبت الشكر للمشركين؟ قلت: اما ان القلة هنا بمعنى النفي واما انه عد ما يصدر منهم من مكارم الاخلاق شكرا ولو كان لا ينفعهم واما ان المعنى قلة الشكر منهم بالايمان اي قليل منكم من يؤمنَ ويشكر.

وقيل: الشكر الايمان وخص الاعضاء تلك الاعضاء المذكورة بالذكر لانه يتعلق بها من المنافع ما لم يتعلق بغيرها ﴿**وهو الذي ذرأكم**﴾ خلقكم * ﴿**في الارض**﴾ ونشركم فيها بالتوالد ﴿**واليه تحشرون**﴾ تجمعون وتبعثون

بعد تفرقكم وفنائكم ﴿وهو الذي يحيي ويميت﴾ كل ما من شأنه الحياة وما من شأنه ان يموت او لا يقدر له مفعول فيكون المراد مجرد اثبات الاحياء والاماتة اللذين هما دليلان عظيمان له ﴿وله اختلاف الليل والنهار﴾ بالزيادة والنقصان والسواد والبياض وتعاقبهما وليس غيره يقدر على ايجاد ذلك الاختلاف فينسب الاختلاف إليه ففيه رد لنسبته إلى الشمس حقيقة أو المعنى ان ذلك الاختلاف لامر الله وقضائه لا من ذاتها بلا اذنه * ﴿افلا تعقلون﴾ صنعه فتعتبرون فلو نظرتم وتأملتم لعلمتم ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات ومنها البعث.

وعن ابي عمرو (افلا يعقلون) بالتحتية على ان الخطاب السابق للمؤمنين تغليبا وإذا قلنا الخطاب للمؤمنين فلا اشكال في اثبات الشكر.

وان قلت: كيف يقلل الشكر؟ إذا قلت ان المؤمن اجتهد ما اجتهد فلا يكون شكره الا قليلا لعظم حق الله ولانه ربما استعمل اعضاءه في غير الطاعة وهي انما خلقت للطاعة .

﴿بل قالوا﴾ اي كفار مكة بل للاضراب الانتقالي وما سبق متضمن للنفي كأنه قيل: ليس لهم نظر * ﴿مثل ما قال الاولون﴾ كعاد وثمود ومثل مفعول القول الاول ومفعول الثاني هاء محذوفة وكلا المفعولين مفرد ليس اصله جملة لكن معناه الجملة كما قال ﴿قالوا﴾ اي الاولون ﴿أئذا متنا﴾ وقرىء بضم الميم * ﴿وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعثون﴾ هذا منهم استبعاد للبعث وقد ابطل الله هذا الاستبعاد بانهم كانوا ترابا فخلقوا وقد اقر هؤلاء التابعون للاولين من آبائهم وممن دان بدين آبائهم بانه خالق السموات والارض بعد عدم والاستفهام للاستهزاء او للانكار او للتعجب والهمزة المتصلة بالنون والمتصلة بالذال مسهلتان إلى جهة الباء والهمزتان قبلهما مخففتان.

وبعض يحقق الجميع وبعض يدخل الفاء بين الهمزتين المتصلتين في ذلك مع التحقيق.

وبعض يدخله مع تسهيل الثانيتين وهمزة الاستفهام الاول داخلة المعنى على (اءِنـا المبعـوثون) ولكن لما فصل بينهما كررت همزة الاستفهام وادخلت على (أءِنا لمبعوثون) تأكيدا والهمزة الداخلة على (إذا) وقوله: (أءِنا لمبعوثون) مجموع ذلك مقول القول وجواب (إذا) محذوف أو (أءنا لمبعوثون) مقـولـة والهمزة الداخلة على اذا استفهام آخر داخل على (إذا) او شرطها وجوابها المقدر تأكيدا.

﴿**لقد وعدنا نحن وآباؤنا**﴾ عطف على الناء أكدها بنحن ﴿**هذا**﴾ مفعول ثان والاول ضمير نائب الفاعل والاشارة للبعث ﴿**من قبل**﴾ من قبل ان نحلق* ﴿**ان هذا الا اساطير الاولين**﴾ اكـاذيبهم المسطورة والمفرد اسطورة اي حديث عجيب مكتوب أو مفرده اسطار والاسطار جمع سطر بفتح السين والطاء والاول أولى.

وأجاز بعضهم ان يكون ذلك حكاية عن العرب ويكون مرادهم من سلف.

﴿**قـل**﴾ يامحمد * ﴿**لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون**﴾ خالقها ومالكها (من) هذه للعاقل وغيره ويجوز ان لا يقدر للعلم مفعول اي (ان كنتم من أهل العلم) وعلى كل حال ففي ذلك استهانة بهم وتجويز لاجل فرط جهلهم بالديانات ان يجهلوا.

هذا الواضح الذي لا يمكن انكاره لمن فيه مسكة علم ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال ﴿**سيقولون لله**﴾ اي هي ومن فيها لله اي لابد ان يقولوا ذلك لانهم يقرون ان ذلك خلق لله * ﴿**قل**﴾ بعد ما يقولون

ذلك * ﴿أفلا تذكرون﴾ فتعلمون ان من فطر الارض ومن فيها او لا قادر على ايجادها وايجاد من فيها ثانيا فان اعادة الشيء عندكم اهون من بدئه ولو كانا سواء عند الله فكيف يشرك به مخلوقه والاصل تتذكرون كما يقرأ به بعضهم ابدلت التاء الثانية دالا وادغمت في الذال * **﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾** فان السموات السبع والعرش العظيم اعظم من ذلك ﴿سيقولون لله﴾ اي السموات والعرش لله وهذا الجواب نظر فيه للمعنى كأنه قيل: (لمن ملك السموات والعرش؟) فكأن الجواب ان يقولوا لله وقرأ ابو عمرو ويعقوب (الله) باسقاط لام الجر وبالرفع نظر للفظ السؤال اي رب السموات والعرش الله وهكذا قرأ الذي ياتي واللام قراءة أهل الحرمين والكوفة والشام وتركها قراءة أهل البصرة * ﴿قل افلا تتقون﴾ تحذرون عبادة غيره أو افلا تحذرون عقابه بترك موجباته التي منها اشراك بعض مخلوقاته به وانكار قدرته على بعض مقدوراته وعصيان الرسل * ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء﴾ اي ملك كل شيء والتاء للمبالغة اي من بيده غاية الملك.

وقيل: ملكوت كل شيء غاية خزائن كل شيء * ﴿وهو يجير﴾ يمنع من يشاء عمن اراده بسوء ويجعله آمنا ﴿ولا يجار عليه﴾ لا يمنع منه من اراده بسوء ولا يجعله آمنا وعدّى بعلى لتضمنه معنى النصر ومفعول يجير مقدر كما رايت أو ينزل (يجير) منزلة اللازم بان يراد الاخبار بمجرد اثبات الاجارة وعليه نائب (يجار).

﴿ان كنتم تعلمون﴾ ﴿سيقولون لله﴾ وقعهم على اشياء ثلاثة لا يمكن انكارها ويلزم من الاقرار بها الاذعان للرسالة وذكر الاول بالتذكر كأنه ايقاظ من غفلة والثاني بالاتقاء لمزيد قوة الحجة فلا يبقى الا التقوى والثالث

بقوله ﴿قل فأنى تسحرون﴾ بحيث ذكرهم تذكيرا أوجب التقوى فلا يبقى لعدم اذعانهم الا صرف صارف عنه فالخداع والباطل لا بحجة و(انّى) بمعنى (كيف) أو (من اين) وتسحرون تخدعون وتصرفون عن الاذعان للرسالة والخادع الصارف الشيطان والهوى وشياطين الانس مع ظهور الرشد بتظاهر الادلة أو السحر استعارة من تخبّل العقل وافساده وذلك انه يخلطون كخلط المسحور ويخيل إليهم الباطل حقا كما يخيل للمسحور الشيء على غير ما هو عليه ﴿بل أتيناهم بالحق﴾ الصدق في كل ما اثبتناه من التوحيد والبعث وغيرهما وما نفينا من الولد وغيره وذلك الصدق جاء في القرآن ولذلك فسر بعضهم الحق بالقرآن كأنه نظر إلى غاية المعنى أو قدر بل أتيناهم بالقرآن الحق.

وقرىء (أتينهم) بضم التاء وفتحها والفتح خطاب للنبي ﷺ والباء في مقام الهمزة اي احصرنا لهم الحق ﴿انهم لكاذبون﴾ في نفي الحق اذ نفوا التوحيد والبعث واثنوا الولادة والصاحبة ﴿ما اتخذ الله من ولد﴾ لتقدمه عن مائلة احد واستغنائه عن الولد و(من) زائد في المفعول لتأكيد النفي ﴿وما كان معه من اله﴾ وذلك انهم (ادعوا) الملائكة وعزير والمسيح اولاده كل فرقة وقولها واثبتوا له اندادا.

﴿ اذاً لذهب كل اله بما خلق ﴾ ينفرد به ويمنع الآخر من الاستيلاء عليه وامتاز كل بملكه * ﴿ ولعلا بعضهم على بعض ﴾ وقع بينهم التحارب والتغالب كما ترى بين ملوك الدنيا فلا يكون بيده ملكوت كل شيء والازم باطل بالاجماع والاستقراء وشرطها وقيام البرهان كما مر في

سورة الانبياء فكذا الملزوم وذلك من الشكل الاول واذاً حرف جواب نائبة عن لو اي لو كان معه آله لذهب ولما كان علا بعضهم على البعض معطوفا على جواب لو قرن باللام كما قرن الجواب وحذف الشرط لدلالة وما كان معه من آله ومن زائدة في اسم كان لتأكيد النفي وليست اذا في الآية للجزاء الا بتكلف وما ذكرته من نيابتها عن لو وشرطها هو قول وقال ابن هشام تقدر قبلها لو بلا نيابة قال عن الفراء حيث جاءت بعـدها اللام فقبلها لو مقدرة ان لم تكن ظاهرة انتهى.

﴿سبحـان الله عما يصفون﴾ اي اسبح الله تسبيحا أوسبحوا وسبح يامحمـد حذف اسـبح او مثله وناب عنه سبحان الذي هو اسم التسبيح واضيف للمفعول وكذا في مثله وما مصدرية اي عن وصفهم اياه بما لا يليق من الولادة وغيرها أو اسم اي عن الوصف الذي يصفونه اياه فالهاء مفعول مطلق عائد وإياه ضمير الله مفعول ومن جعلها اسما وقدر عما يصفونه به فقد وقع في حذف العائد الذي لا يحذف الا قليلا.

﴿عالم الغيب والشهادة﴾ اي هو عالم ما غاب وما شوهد ومر تفسيرهما وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص بجر عالم على انه نعت لله لانه وصف مستمر فباعتبار علمه في الازل تكون اضافته محضة لا بدل لضعف الابدال في المشتق وذلك دليل آخر على نفي الشركة سواء تواطئوا على انه للمفرد بعلم كل غيب وشهادة ام لا لانه كثيرا ما يستدل ويحتج بما هو غير مسلم لظهور دلائله ولذلك فرغ عليه بقوله ﴿فتعالى﴾ علا علوا عظيما.

﴿عما يشركون﴾ عن اشراكهم به غيره أو عن الاشرك الذي يشركونه أوعن الشيء الذي يشركونه به * ﴿قل رب﴾ يارب ﴿اما﴾ ان الشرطية وما زائدة ابدلت النون ميما وادغمت ﴿تريني﴾.

وقرىء ترني بالهمزة والنون المتوكد والفعل مبني على الفتح محله الجزم والماضي ارى والياء مفعول ولاجلها كسرت النون واصلها الفتح ونون الوقاية محذوفة بين النون والياء أو نون التوكيد خفيفة ادغمت في نون الوقاية ﴿ما

يوعدون﴾ ما مفعول ثاني بالرواية البصرية ويوعدون من الوعد المستعمل في الشر أو من الايعاد ﴿رب﴾ كرر حثا على فضل التضرع والمعنى ان كان لابد من ان تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة ﴿فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾ لا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم.

قال الحسن: اخبره الله ان له في امته نقمة ولم يخبره في حياته أم بعد موته فكره ان يدعوا بهذا الدعاء والله لا يجعله معذبا وقد علم ذلك ولكن يجوز ان يسأل العبد ربه ما علم انه يفعله وان يستعيذ به عما علم انه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واخباتا له كما كان يستغفر إذا قام من مجلسه سبعين مرة أو مائة مرة وقد غفر له.

قال أبو بكر رضي الله عنه: وليتكم ولست بخيركم.

قال الحسن: كان يعلم انه خيرهم ولكن المؤمن يعظم نفسه او سأله ذلك الامكان ان يكون العذاب في الدنيا وعذاب الدنيا لا يخص العاصي.

واجـاز سيبويه مجيء المضارع بعد (ما المركبة) من ان الشرطية وما الزائدة غير مؤكد بالنون ولم يجيء في القرآن الا مؤكدا ﴿**وانا على ان نريك ما نعـدهم لقادرون**﴾ لكن لا نريكه بان لا نعذبهم في حياتك بل نؤخر عذابهم فان منهم من يؤمن ومنهم من قدرت منه عقبى يؤمن (ولا نعذبهم

وانت فيهم) فذلك اجابة منه سبحانه لرسوله ﷺ انه لا يعذبه ولا يعذبهم وهو فيهم أو لما انكروا الوعد بالعذاب واستعجلوه استهزاء.

قال لهم اني قادر على انجاز ما وعد ان تأملتم فما وجه هذا الانكار.

وقيل : قد اراه في الدنيا وهو قتلى بدر أو فتح مكة * ﴿**ادفع بالتي**﴾ بالخلة التي ﴿هي أحسن﴾ كالصفح والاعراض عنهم والصبر ولذلك قيل نسخ بآية السيف * ﴿السيئة﴾ مفعول ادفع وهي الاذى الصادر منهم وقد يقال لم يكن ذلك منسوخا فان ذلك هو الصفح والاعراض والصبر ومكارم الاخلاق المأمور بفعلها في كل وقت ما لم تؤد إلى وهن في الدين .

وقيل : الآية شاملة لذلك وللكف عن القتال فذلك محكم والكف منسـوخ وذلك ابلغ من قولك (ادفع بالحسنة السيئة) لما فيه من التفضيل اي قابل لشرهم بغاية ما يمكن من الخير فتكون حسنة مضاعفة.

وعن الحسن ، الحسنة كظم الغيظ والصفح .

وقال ابن عباس: الحسنة شهادة ان لا اله الا الله والسيئة الشرك.

وقال مجاهد: الحسنة السلام والسيئة الضر اذا لقي مؤذيه سلم عليه.

وقيل: الحسنة الامر بالمعروف والسيئة المنكر.

﴿نحن اعلم بما يصفون﴾ بوصفهم لك بخلاف صفاتك أو بما يصفونه اي يذكرونه فيك على خلاف حالك ويضعف تقدير بما يصفونك به لاختلاف المتعلقين نحن أعلم بذلك منك واقدر على جزائهم فكل امرهم الينا.

﴿وقل ربي اعوذ بك﴾ امتنع واعتصم بك * ﴿من همزات الشياطين﴾ وساوسهم شبه وسواسهم في صدور الناس وترغيبهم في المعاصي بنخس الراكب الدابة بحديدة في مؤخر الخف أو ينخس الدابة بشيء مطلقا حثا على المشي والجمع همزات والمفرد همزة بصيغة المرة فان الهمز يتكرر على القلب اكثر من ان يحصى أو لتنوع الوسواس كقولك اكرمني الله اكرامات وكان يكفي ان تقول اكراما ولكن قصدت النص على انواع أو لتعدد الشياطين.

وقيل: همزات الشياطين اغضابهم المؤمن يجادل الكفار ولذلك اتصلت الآية وذلك اغضاب لا يملك نفسه معه.

وقال ابن زيد: همزاتهم ايقاع الجنون.

قال أبو داود عن رسول الله ﷺ: «اللهم اني اعوذ بك من الشيطان وهمزه ونفخه ونفثه».

قال النفخ الكبر والنفث السحر * ﴿واعوذ بك ربي ان يحضرون﴾ في اموري لانهم يحضرون بسوء.

أمره الله سبحانه بالتعوذ من ان يحوموا حوله اصلا في حال ما بعد امره بالتعوذ من نجسهم بلفظ المبتهل إلى ربه المكرر بنداء.

وعن ابن عباس: امر ان يقول ذلك عند تلاوة القرآن.

وقال عكرمة: عند الاحتضار.

وقيل: عند الصلاة وخصت الثلاثة لانها احق الاحوال بالخوف.

قال عمر: كان ﷺ يصلي وقال: «الله اكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه».

فسر بعضهم نفخه بالكبر لان المتكبر ينتفخ ويتعاظم ويجمع نفسه فيحتاج إلى ان ينفخ ونفثه بالشعر لانه يخرج من القلب وينفث به اللسان كالريق وهمزه الموتة وهي نوع جنون * ﴿**حتى إذا جاء احدهم الموت قال رب أرجعون**﴾ حتى للابتداء متصلة بقوله: (يصفون) وما بينهما اعتراض لتأكيد الاعضاء بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ان يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام أو متصل بقوله: (انهم لكاذبون) لما اطلع على مقعده من النار ومقعده من الجنة لو آمن تحسرا على تفريطه في الايمان والعمل وطلب الرد إلى الدنيا ليستدرك الفوت وهيهات.

والخطاب لله بلفظ الجمع تعظيما له كقوله: (فان شئت حرمت النساء سواكم) وقوله: (الا فارحموني يا آل محمد).

وقيل: (الواو) قائمة مقام التكرير ارجع أي ارجعني ارجعني ارجعني فاختصر بـ (ارجعون).

وقيل: الخطاب لله وللملائكة كما تنادي الامر وتخاطبه ومن تحته أو التقدير يارب اغثني ياملائكة ارجعون.

وزعم بعض ان باء الجر القسمية مقدرة اي بربي اي بحق ربي ارجعون ياملائكة فاختصر لضيق الحال.

ويرده انه لم يوجد شرط حذف حرف القسم.

وقال السهيلي هو قول من حضرته الشياطين والزبانية وقد اعتاد امرا بقوله وهو رد الامر للمخلوقين.

ذكر ابن هشام بعض ذلك واقتصر السيوطي على الاول والاخير وجعل من الاول (ياايها الرسل كلوا) إلى (فاتقون) ﴿لعليَ﴾ وسكن الكوفيون الياء * ﴿**اعمل صالحا فيما تركت**﴾ اي لعلي اعمل الصالح من فرض ونفل مع ما تركت من الايمان.

و(في) بمعنى (مع) وتجوز ظرفيتها اي اعمل الصالح في الايمان اي في حاله اعمل وانا موحد لا مشرك أو المعنى اعمل الصالح الذي هو الطاعة والايمان فيما تركت اي في مقابلة ما ضيعت من عمري.

وقيل: فيما تركت من الدنيا اي ردوني إلى الدنيا التي تركتها أعمل فيها وقيل فيما تركت من المال وعنه ﷺ إذا احتضر الكافر جمع بين عينيه كل ما ضيع من فرض فيقول عند ذلك (رب ارجعون).

وذكر بعض ان الملائكة تقول له عند الاحتضار: ايسرك ان نردك إلى الدنيا فعند ذلك يقول: (رب ارجعون) الخ.

وعن عائشة ـ رضي الله عنها عنه ـ ﷺ «إذا عاين المؤمن الموت قالت له الملائكة نرجعك فيقول إلى دار الهموم والاحزان بل قدموني إلى ربي واما الكافر فيقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا».

قال قتاد: ما تمنى ان يرجع إلى أهله وعشيرته ولا يجمع الدنيا ويقضي الشهوات ولكن تمنى ان يرجع فيعمل بطاعة الله تعالى فرحم الله امره عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب * ﴿كلا﴾ ردع وزجر عن ذلك القول واستبعاد للرجوع ﴿انها﴾ أي الكلمة التي هي (رب ارجعون لعلي اعمل صالحا) فيما تركت ﴿كلمة﴾ طائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض.

قال ابن هشام: وتطلق الكلمة ويراد بها الكلام نحو (كلا) انها كلمة.

قال حفيده: وهو مجاز لغوي.

قال الشيخ خالد من باب تسمية الشيء باسم جزئه.

وقال الفاكهي: حقيقة لغوية وكذا قال الهروي والحفني وعلى الاول فهو مجاز مرسل علاقته الكلية أو البعضية أو هما من باب اطلاق اسم الجزء على الكل.

ورد البليدي بان شرط اطلاق اسم الجزء على الكل ان يكون للجزء المذكور مزيد اختصاص بالمعنى المقصود بالكل من بين الاجزاء الا ان يغفر عدم هذا الشرط في الجزء العام كما هنا فان الكلمة تعم اجزاء الكلام ولك ان تقول ذلك استعارة لانه لما ارتبط بعض الكلام ببعض وحصلت له بذلك

وحدة اشبه الكلمة ولو اطلق النحوي الكلمة في تكلمه في مثل النحو واراد الكلام كان مجازا لكن لم ينقل عن واحد منهم انه فعل ذلك ان يقول الكلمة اللفظ المركب المفيد ولذلك قيل: انه مجاز مهمل في عرف النحاة.

﴿هو قائلها﴾ أما ان يكون المراد انه قائلها لا ينفك عنها لفرط تحسره ويرددها واسم الفاعل قد يرد للتجدد واما ان يراد انه لابد ان يقولها لذلك واما ان يراد انه يقولها ولا تسمع منه ولا يجاب إليها وانه فوزا لا تغني.

واما ان يراد انه يقولها قولا لا يصدق فيه وانه لو رد لعاد ﴿ومن ورائهم برزخ﴾ اي من امامهم لان البرزخ مستقبل أو من خلفهم كما تقول (ومن ورائك كذا) تريد ومن بعدك يسمى ما بعد خلفا لانك لست فيه فكأنك معرض عنه فكان خلفك.

والبرزخ ما فصل بين شيئين أو اشياء وهو هنا ما بعد الموت.

وقيل: البعث وعبارة بعضهم البرزخ الحائل بينهم وبين الرجعة ﴿إلى يوم يبعثون﴾ يوم القيامة وهو اسقاط كلي عن الرجوع إلى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث إلى الدنيا وانما الرجوع فيه إلى حياة تكون في الآخرة (انتهى).

والضمير عائد إلى ما عاد إليه ضمير (حتى إذا جاء احدهم الموت) وإلى متعلق ببرزخ ﴿فاذا نفخ في الصور﴾ القرن نفخة البعث أو نفخة الموت أو نفخة السكر ويناسب السياق والاحق الوجه الاول.

وقيل: الصور جمع صورة بدليل قراءة الحسن بضم الصاد وفتح الواو وابي رزين بكسر الصاد وفتح الواو* ﴿فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ ينقطع التفاخر بينهم بالانساب والتناصر بها وينقطع السؤال

الذي كان بينهم ما حالك وكيف كان كذا ومن اين ومن اي قبيلة؟ وذلك الفـزع والتناكر لهول الحشر أو للموت وليس المراد انقطاع النسب بل انقطاع التفـاخـر أو تقاطعم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا تواصل بينهم إلا بالاعـمال أو المـراد انقـطاعها نفسها مبالغة أو عدمها كأنها عدمت لزوال الانتفاع بها؛ نفى التساؤل هنا وفي غير موضع واثبته في نحو.

واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم لان مقداره خمسـون ألف سنة يتعارفون في بعضها ويتساءلون وفي بعضها لا يفطنون لذلـك لشـدة الهـول والفـزع أو التناكر يكون عند النفخة الاولى أو بعد الحساب أو الدخول وإذا كان البعث تعارفوا وتساءلوا والوجهان الاولان عن ابن عباس.

وقرأ ابن مسعود (ولا يسألون) بابدال التاء سينا وادغامها في السين وعن قتادة ليس احد أبغض إلى الانسان في ذلك اليوم ممن يعرف لانه يخاف ان يكون له عنده مظلمة ويفرح المرء ان يكون له حق على ابنه أو ابيه أو كل من يحبه وذلك يوم ينادى فيه على رؤوس الاشهاد الا ان فلاناً قد شقي شقاوة لاسعادة بعدها بعد ان يؤخذ بيده ويشهر وفلانا سعد سعادة لا شقاوة بعدها ويأتي كلام في ذلك ان شاء الله.

﴿**فمن ثقلت موازينه**﴾ جمع ميزان على المشهور.

وقيل: جمع موزون وهو قول ابن عباس اي من لاعماله وعقائده قدر عنـد الله سبحـانـه * ﴿**فـاولـئـك هم المفلحـون**﴾ الفـائـزون بالنجـاة والدرجات * ﴿**ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم**﴾ اخف ميزان خيره أو خفت حسناته الموزونة عكس ما مر وانفسهم مفعول به *

﴿جهنم خالــدون﴾ خبر لمحـذوف (وفي) متعلق بـ (خـالـدون) أي هم خالدون فيها والجملة بدل من الصلة أو (خالدون) خبر ثان لاولئك وصفهم بغبن انفسهم بتضييع زمـان الـربح وبالخلود وحصر الافلاح فيمن ثقلت موازينه والخسران فيمن خفت موازينه لعدم الاعتداد بافلاح وخسران غير ذلك.

والاشارة لكمال العناية بتنويه شأن المفلح وتقبيح شأن الخاسر واشهاره واشـار بلفظ البعيد في (المفلحين) لعلو شأنهم علوا مرتفعا بعيدا كما يعلو الشيء المحسـوس ويبعـد (وفي الخاسرين) ابعادا لهم لقبحهم * ﴿تلفح وجوههم﴾ تحرقها.

قال الزجاج: اللفح والنفح واحد الا ان النفح اشد تأثيرا ﴿النار وهم فيهـا كالحون﴾ مرتفعة شفاههم العليا ومتسفلة شفاههم السفلى منكشفة اسنانهم من شدة الاحتراق.

قال ابن مسعود: كما ترى الروس المشوية.

وعن مالك ابن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام انه مر في السوق برأس اخرج من التنور فغشى عليه ثلاثة ايام ولياليهن.

وعن ابي سعيد الخـدري عن النبي ﷺ «تنقلص العليا حتى تبلغ نصف رأسه وتسترخي السفلى حتى تضرب صدره» وروى «حتى تبلغ سرته».

وقال البخاري (كالحون) معناه (عابسون).

وقالوا: انه غير ظاهر وقرىء باسقاط الف (كالحون) ﴿الم تكن آياتي تتلى عليكم﴾ تخويفا لكم اي يقال لهم وهم في النار: (الم تكن آياتي تتلى

عليكم) ﴿فكنتم بها تكذبون﴾ تذكير لهم بما استحقوا به هذا العذاب * ﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾ ملكتنا بحيث صارت اعمالنا واعتقادنا لجارية على مقتضاها وهي العاقبة السابقة في الازل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

وقرىء بفتح الشين وكسرها.

وقرأ حمزة والكسائي (شقاوتنا) بالفتح.

وقرىء (شقاوتنا) بالكسر والكل مصدر.

﴿وكنا قوما ضالين﴾ عن الهداية والحق * ﴿ربنا أخرجنا منها﴾ إذا اخرجتنا * ﴿فان عدنا﴾ إلى التكذيب والمخالفة * ﴿فانا ظالمون﴾ لانفسنا * ﴿قال اخسئوا فيها﴾ قال لهم بلسان ملك ابعدوا في النار اذلاء واسكتوا فيها سكوت هوان فانها ليست مقام سؤال من (خسأ الكلب) إذا ذهب وسكت بزجر ويتعدى ايضا يقال خسأته * ﴿ولا تكلمون﴾ فتنطبق عليهم جهنم ويقع الاياس عافانا الله من عذابه بفضله فذلك آخر كلام يتكلمون به فما بعده الا زفير وشهيق وعوى كعوي الكلاب لا يفهمون ولا يفقهون وكأن بعضا ينبح في وجه بعض.

وعن عبدالله بن عمر وابي الدرداء ان أهل جهنم يدعون مالكا خازن النار فيقول بعد تمام اربعين عاما انكم ماكثون وينادون ربهم ربنا اخرجنا منها الخ فيقول بعد عمر الدنيا مرتين (اخسأوا فيها) الخ.

وروي إنهم يدعون الخزنة عشرين عاما فلا تجيبهم ثم تقول (الم تأتكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال) ثم يدعون مالكا أربعين عاما ثم يجيبهم انكم ماكثون ثم يدعون

ربهم فيذرهم قدر الدنيا مرتين ثم يجيبهم (اخسأوا فيها ولا تكلمون) اي لا تكلمون في رفع العذاب أو لا تكلمون رأسا.

وروي انهم يقولون ألف سنة (ربنا ابصرنا وسمعنا) فيجابون (حق القول منى) فيقولون الفا (ربنا امتنا أمنتن) فيجابون (ذلكم بانه إذا دعي الله وحده كفرتم) فيقولون الفا (يامالك ليقض علينا ربك) فيجابون (انكم ماكثون) فيقولون الفا (ربنا اخرنا إلى أجل قريب) فيجابون (او لم تكونوا اقسمتم) فيقولون الفا (اخرجنا نعمل صالحا) فيجابون (أو لم نعمركم)؟ فيقولون الفا (رب ارجعون) فيجابون (اخسأوا فيها ولا تكلمون) فتلك ست دعوات ذكرها إبن عباس ﴿انه﴾ اي الشأن وقرأ ابي بفتح الهمزة اي لانه * ﴿كان فريق﴾ يعني المؤمنين المهاجرين وعبارة بعضهم يعني ضعفاء المؤمنين كصهيب وعمار وبلال وسلمان وخباب ونظائرهم رضي الله عنهم وان الآية جارية فيمن جرى مجراهم قديما وبينه الدهر.

وقد قيل: المراد الصحابة.

وقيل: اهل الصفة ﴿من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين﴾ افضل من رحم يجعل الله الرحمة في قلب من يشاء.

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ خلق الله مائة رحمة كل رحمة منها طباقها السموات والارض انزل منها واحدة فمنها يتراحم الخلائق حتى ترحم الوالدة ولدها والبهيمة بهيمتها فاذا كان يوم القيامة جاء بتلك التسعة والتسعين رحمة فذلك مائة رحمة ثم يصيبها بينه وبين خلقه فالمحروم من حرم من تلك الرحمة * ﴿فاتخذتموهم سخريا﴾ هزؤا.

وقرأ غير نافع وحمزة والكسائي بكسر السين وكلاهما مصدر سخر وفيه زيادة قوة لياء النسب كالخصوص والخصوصية وذلك مذهب الخليل وسيبويه

وقال الكسائي والفراء ان المكسور من الهزء والمضموم من السحرة وهو قول ابي عبيدة * ﴿حتى انسوكم ذكرى﴾ بالاشتغال بالسخرية بهم ولما كانوا سببا للنسيان اي الترك اسند الانساء إليهم أو يقدر مضاف أي انساكم ذكرهم ذكرى وذلك ان ابا جهل واشياعه لعنهم الله يستهزئون بالمؤمنين ولم يخافوا الله في اوليائه ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ استهزاء استدل بعضهم على أولوية تفسير الخليل وسيبويه في قوله سخريا بهذا * ﴿اني جزيتهم اليوم بما صبروا﴾ بسبب ما صبروا أي بصبرهم على استهزائكم ﴿انهم هم الفائزون﴾ في تأويل مصدر مفعول ثاني لجزيتهم .

وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير بكسر الهمزة على الاستئناف فيكون المفعول الثاني محذوفا أي جزيتهم النعيم المقيم ﴿قال﴾ الله للكفار إذ بعثوا وصيغة الماضي لتحقق الوقوع ويجوز عود الضمير للملك المامور بسؤا لهم .

وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي قل خطابا للملك أو بغض رؤساء أهل النار والقراءة الاولى في مصاحف أهل الكوفة والثاني في مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام *

﴿كم لبثتم في الارض عدد سنين﴾ قيل المراد كم لبثتم في الدنيا والقبور.

وقال الطبري : كم لبثتم في الدنيا .

وقيل : كم لبثتم في القبور ونسب للجمهور.

قال ابن عطية: وهذا هو الاصوب من حيث انكروا البعث وقالوا انهم لا يقومون من القبور (وكم) ظرف زمان لتمييزه بها هو اسم للزمان وهو عدد وانها كان عدد اسم زمان لاضافته إلى سنين الذي هو اسم زمان ﴿**قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم**﴾ قال بعضهم سألهم ليجيبوا فيقفوا على قصر اعمارهم اللازم عليه عذاب طويل عافانا الله من ذلك واجابوا بذلك لانهم لسوء الفرط هول العذاب ان سألوا وهم فيه والا فلهول الحشر أو لم يريدوا بذلك الاستقصار مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة إلى خلودهم ولماهم من العذاب لان ايام المحنة مستطالة أو لانهم كانوا في سرور وايام السرور قصار أو لان المنقضي في حكم ما لم يكن أو لطول لبثهم في القبور.

وقيل السؤال عن اللبث في القبور وهم فيها موتى وهذا بناء على نفي عذاب القبر الملازم إلى الحشر .

﴿**فاسأل العادين**﴾ الحاسبين فاعل عدوهم الملائكة المحصون اعمال الخلق واعمارهم وهو قول ابن عباس أو الناس الذين يتمكنون من العد اي لا نعرف العدد على الحقيقة لما نحن فيه من العذاب فسل من يقدر ان يلي فكره من المامونين أو الملائكة الا انا نستقل عدد اللبث ونحسبه يوما أو بعض يوم .

وقياس الكتابة اثبات صورة ألف بعد الفاء وقرىء (فسل) بفتح (السين) وحذف الهمزة بعدها بعد نقل فتحها بالسين وقرىء (العادين) بتخفيف الدال اسم فاعل عدا اي الظلمة فانهم يقولون كما نقول قال الصفاقصي ونسبت هذه القراءة للكسائي والحسن في رواية عنهما.

وقرىء (العادين) بالتخفيف وياء النسب اي القدماء المعمرين فانهم يستقصرون مدة اللبث فكيف من دونهم.

وعن ابن عباس انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين **﴿قال﴾** وقرأ حمزة والكسائي (قيل) وابن كثير (قل) **﴿ان لبثتم الا قليلا﴾** زمانا أو لبثا قليلا بالنسبة إلى ما تلبثون في النار فانها انقضاء لها وذلك تصديق لهم * **﴿لو﴾** ثبت * **﴿انكم كنتم تعلمون﴾** كم تلبثون في النار أو ما لبثتم الا قليلا بالنسبة لو تعلمون مقدار لبثكم من الطول في الدنيا **﴿افحسبتم انما خلقناكم عبثا﴾** لهوا ولعبا لا لحكمة وعبثا مفعول لاجله أو حال من نا لتأوئله بالوصف أو تقدير مضاف أي لم نخلقكم لنتلهى بكم أو متلهين بكم وانما خلقناكم للتكليف والجزاء وهو دليل أو كالدليل على البعث.

وقيل: المعنى لم تخلقوا لتعبثوا فعبثا مفعول لاجله ان لم نشرط اتحاد الفاعل ولا اتحاد الوقت أو حال مقدره أول بالوصف أو بالاضافة وصاحب الحال الكاف اي لم نخلقكم مقدار عبثكم وانه العلة في الخلق وذلك على كل حال انكار توبيخي على تغافلهم.

﴿وانكم إلينا لاترجعون﴾ للجزاء عطف على انما خلقناكم عبثا أو على عبثا على تقدير اللام فيه لغير التعليل ولو كان المقدرة في (عبثا) للتعليل اي فحسبتم انما خلقناكم لاجل العبث ولعدم الرجوع لا للرجوع وانما يصح عطفه على (عبثا) إذا جعل (عبثا) مفعولا لاجله.

وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب (لا ترجعون) بفتح التاء وكسر الجيم **﴿فتعالى الله﴾** علا علوا عظيما عما يقولون مما لا يليق أو عن العبث أو عن كل ما لا يليق * **﴿الملك الحق﴾** التام الملك الجامع لاصناف الملكوت

بالـذات الذي يحق الملك له الدائم لان كل شيء منه وإليه وغيره يملك بالعرض وانما يملك بعضا وفي حال دون حال ﴿**لا اله الا هو رب العرش الكريم**﴾ الحسن أو وصفه بالكرم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة أو لانه اكـرم الاكرمين كقولك: (بيت كريم) إذا كان ساكنة كريما وهو محبط بالاجرام وقرء بالرفع نعتا لرب.

وقيل الكريم بمعنى المرتفع وخص العرش بالذكر.

قيل: لانه اعظم المخلوقات ﴿**ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به**﴾ ولا وما بعدها نعت بـ (الها) أو حال منه أو ضمير يدع وكل من حال والنعت هنا لازم موكد فان الباطل لا برهان به ابدا ولا يكون هناك اله يكون به برهان احترز عنه أو الجملة معترضة بين الشرط والجواب كقولك: من احسن إلى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه وعلى كل حال فانما جيء بتلك الجملة تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع ولا سيما ما قام به دليل منعه وبه يتعلق بما يتعلق به له أو بله لنيابته عنه ﴿**فانما حسابه**﴾ جزاؤه ﴿**عند ربه**﴾ على دعائه ما لم تكن له بينة ان الله امره بدعائه.

وقرء ابن مسعود (عند ربك) وقراءة أبي عند الله .

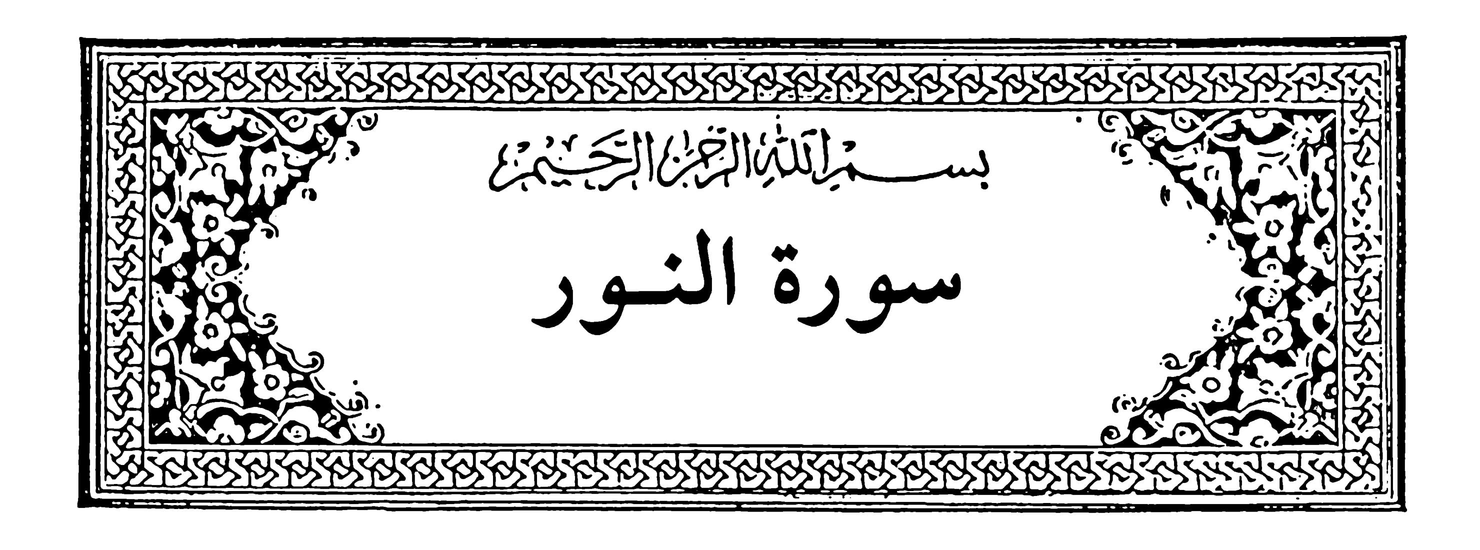
﴿**انه لا يفلح الكافرون**﴾ ختم السورة بنفي الفلاح عند الكافرين وبدأها بتقرير الفلاح للمؤمنين وحسابه مبتدأ وعند خبره.

وقرء بفتح همزة انه لا يفلح الكافرون اما على تقدير لام التعليل واما على انه خبر حسابه وعند متعلق بحسابه أي حسابه عند ربه عدم افلاح الكافرين بوضعه الظاهر موضع الضمير ومراعاة معنى من بعد مراعاة لفظه ومقتضى المقـام حسـابـه عدم افلاحه * ﴿**وقل رب اغفر**﴾ للمؤمنين *

﴿وارحم﴾ وارحمهم زيادة على المغفرة ﴿وانت خير الراحمين﴾ روي ان ابن مسعود رضي الله عنه قرأ (افحسبتم انما خلقناكم عبثا) إلى (آخر السورة) في اذن مبتلى فافاق فقال رسول الله ﷺ ما قرأت في اذنه؟ قال: قرأت (أفحسبتم إلى آخر السورة) فقال ﷺ لو ان رجلا موقنا قرأها على جبل لزال.

وذكر اليافعي انه يقرأ في اذن المصاب (افحسبتم) إلى (الكريم).

اللهم ببركة نبيك محمد ﷺ وبركة السورة اخز النصاري واهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة النور

مدنية وآيها اثنتان وستون آية.

وقيل: أربع وستون.

وكلمها ألف واربعمائة واثنتان.

وحروفها ستة آلاف وستمائة وسبع وخمسون.

وعنه ﷺ «من قرأ سورة النور اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي».

وقالوا من كتبها وجعلها في فراشه الذي ينام فيه لم يحتلم ابدا وان كتبت وشربت بماء زمزم انقطع منه شهوة الجماع وان جامع لم يجد لذة.

وعن عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ: «لا تنزل النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور» رواه بعض قومنا.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سورة﴾ اي هذه سورة.

وقوله: ﴿ انزلناها ﴾ نعت سورة.

ويجوز كون سورة مبتدأ خبره (انزلناها) أي عظيمة انزلناها والمراد هذه السورة وابهمت تعظيما وانزالها الايحاء بها.

ويجـوز كون (سـورة) مبتدأ (وانزلناها) صفة والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك.

وقرىء بنصب (سورةً) على الاشتغال مجملة انزلنا مفسرة وهذا يؤيد جعل (سورة) مبتدأ خبره (انزلناها) في قراءة الرفع.

ويجوز كون النصب على المفعولية لمحذوف بدون اشتغال (فانزلناها) صفة ويقدر المحذوف خذ اوائل أو نحوهما ولا يقدر اسم فعل كدونك وهاك بناء على ما ذكر جماعة من ان اسم الفعل لا يعمل محذوفا.

واختـاره الـطبـلاوي واجـازه قوم واختـاره بعض المتـأخـرين * ﴿وفرضناها﴾ اثبتناها أو اوحينا احكامها فكأنه قيل فرضنا احكامها التي فيها أو قدرنا ما فيها من الاحكام والحدود.

وعن ابن عباس (انزلنا بيننا).

وقرأ ابن كثير وابو عمرو بتشديد الراء مبالغة في الالزام وتوكيدا أو للتكثير لان فيها فرائض شتى.

يقال: فرضت الفريضة بالتخفيف وفرضت الفرائض بالتشديد أو لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم ﴿وانزلنا فيها آيات بينات﴾ امثالا ومواعظ واحكاما واضحات ﴿لعلكم تذكرون﴾ تتعظون بادغام التاء الثانية في الذال.

وقـرىء باسكـان الـذال وضم الكاف * ﴿الزانية والزاني﴾ مبتدأ ومعطوف عليه والخبر محذوف اي فيما فرض عليكم الزانية والزاني اي جلدهما أو مما يتلى عليكم الزانية والزاني اي حكمهما وذلك مذهب الخليل وسيبويه وجملة .

﴿فاجلدوا كل واحد منهما﴾ مستأنفة.

قال ابن هشام: وذلك متعين عند سيبويه لان الفاء لا تدخل عنده في الخبر إذا لم يكن المبتدأ موصولا بفعل أو ظرف.

وقال المبرد: الخبر اجلدوا دخلته الفاء لان الموصول وهو هنا (ال) فيه معنى الشرط وهو سالم من الاضمار لكن فيه الاخبار بالطلب وهو مجيز له أو يقدر الخبر (قولا) اي مقول في حقهما (اجلدوا كل واحد منهما زيادة).

وقرىء بحذف (ياء) الزاني تخفيفا.

وقرىء بنصب الزانية والزاني على الاشتغال اي (اجلدوا الزانية والزاني) فاجلدوا الخ بزيادة الفاء في المفسر وهو اولى من نصب سورة على الاشتغال للمطلب واتفق السبعة على الرفع.

قال ابن هشام: لان الفاء مانعة من الاشتغال ولأن (ال) الموصولة في الآية كاسم الشرط وما بعد الفاء كالجواب ولا يعمل الجواب في الشرط وما لا يعمل لا يفسر عاملا وقاله المبرد.

قلنا: الفاء زائدة لا تمنع الاشتغال واسماء الشرط الظرفية يعمل فيها جوابها على الاصح الا ان قيل: ان المعمول هنا غير ظرف فمنع شبه الجواب من تفسير عامل فيما قبله ويحتمل ان يريدوا ان ذلك المرفوع قام مقام اداة الشرط والفعل والجواب لا يعمل في فعل الشرط.

والاخفش يجيز زيادة الفاء في الخبر مطلقا والفراء يجيزها ان كان الخبر امرا ونهيا وقدم الزانية لان الزنا في الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ومفسدته تتحقق بالاضافة إليها.

﴿مائة جلدة﴾ مفعول مطلق والجلد ضرب لجلد كما يقال ظهره وبطنه ورأسه اي فضرب ظهره وبطنه ورأسه وذلك في غير المحصن.

واما المحصن فحكمه الرجم كما علم من السنة وغيرها كما تراه في سورة النساء وسورة المائدة.

وعن أُبيّ بن كعب انه قال: كم تقرأون سورة الاحزاب قيل: اثنتين وسبعين آية قال: والله لقد كانت تقارب سورة البقرة وكانت فيها آية الرجم نسخ لفظها وبقي حكمها.

الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما الميتة (نكالا من الله والله عزيز حكيم).

وعن عمر نزل الرجم في كتاب الله ورجم ﷺ غير مرة ورجم عمر ورجم عثمان ورجم علي.

والعبد والامة يجلدان خمسين جلدة ولو تزوج بحرة وتزوجت بحر ووقع المسيس.

وقال الشافعي: في الحر الزاني غير المحصن يجلد مائة ويغرب سنة لقوله ﷺ «البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام» وليست الآية ما ينافي هذا الحديث فضلا عن ان تكون الآية ناسخة له أو ان يكون الحديث ناسخا لها.

وله في العبد ثلاثة اقوال تغريب سنة وتغريب نصفها وعدم التغريب.

وشرط الاحصان عند ابي حنيفة الاسلام العقل والحرية والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول.

قال ﷺ «من اشرك بالله فليس بمحصن» ولم يشترط الشافعي الاسلام لانه ﷺ رجم يهوديا ويهودية.

واما قوله: «من اشرك فليس بمحصن» فيحتمل ان يراد فيه بالمحصن الذي يقتص له من المسلم وقد علمت ان المراد من جنس الزاني والزانية غير المحصنين كما تقول عندي (عين) ويصح ان تريد (عين وجه) أو غير ذلك كالذهب فان العين تطلق على المورودة والمنقودة وغيرهما.

وابو حنيفة لا يرى التغريب وقال: ان حديث «البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام» وما روي ان الصحابة جلدوا ونفوا منسوخان بالآية أو محمولان على وجه التأديب من غير وجوب وكذا عند اصحابه.

وبهذه الآية نسخ الحبس والاذى في قوله (فامسكوهن في البيوت) وقوله (فآذوهما).

ولا تجوز شهادة النساء في الجلد والرجم ولا تقبل الا شهادة الاربعة رجال احرار مسلمين وان كان احدهم زوج المرأة المدعى زناها فقيل: ترجم وان الزوج اجوزهم شهادة.

وقيل: لا؛ ويجلد الثلاثة ثمانين ثمانين ويترك على المرأة في الجلد ما يسترها من الثياب ولا يمنع الم الضرب ويكون الجلد بشرط لان كما كان يفعل رسول الله ﷺ ولا جلد ولا رجم حتى يرى الذكر في الفرج كالميل في المكحلة.

ومذهبنا كمذهب الحنفية في انه لا رجم إذا كان الزوجان مشركين أو الزوجة وانما رجم ﷺ اليهودي لانهم تحاكموا إليه كذا قيل.

وكان علي يقول: إذا قامت البينة رجمت البينة ثم الامام ثم الناس وان اقر عند الامام رجم الامام ثم الناس ولا تحصن المشركة موحدا ولا المملوك الحرة.

ومن فارق زوجته بطلاق أو موت أو غيرهما وزنى ولا زوجة له فهو محصن وكذا هي وهذا قول جابر وان زنى محصن بغير محصنة أو محصنة بغير محصن رجم المحصن وجلد غيره.

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما «لا تجلد الامة ان لم تتزوج» ولا جلد ولا رجم ان لم تتفق الشهادة في المكان والوقت ومن اقرا فلا يجدان رجعة عما أقرا به قبل اقامة أول الحد ولا رجم ولا جلد إذا كان الشبهة.

وذكـر أبو زكريا رحمه الله في الذي ماتت زوجته او طلقها طلاقا لا يملك رجعتها خلافا هل هو محصن أو لا؟.

وذكر ان الاحصان يكون بمجرد العقد ولو لم يكن الدخول وبطل ادعاء بعضهم الاجماع على ان الدخول شرط.

وزعم ابو ثور وحده ان النكاح الفاسد يحصن.

ومذهبنا انه إذا حصلت الخلوة حكم بالدخول.

وقال ابن حجر: لا حتى تقوم البينة أو يقرا ويعلم له منها ولد قال ومن وجد رجلا مع امرأته وتحقق الزنا فالجمهور على انه من قتله لا يقتل بل يقتص منه الابيينة أو اقرار.

وقيل: يقتل.

وقـال بعض السلف: لا قتل عليه ولا اقتصاص إذا ظهرت امارة صدقة وشرطه احمد واسحاق ومن تبعهما ان يأتي بشهادتين انه قتله بسبب ذلـك ووافقهم ابن القـاسم وابن حبيب من المـالكية ولكن زاد ان يكون المقتول محصنا.

ومذهبنا انه يقتل به الا ان كانت بينه أو اقرار مع الاحصان وله قتله فيما بينه وبين الله عند بعض ولا يقيم الحد على العبد والامة عند الامام أو مأموره.

وقيل: يجوز للسيد اقامة حد الزنا فقط.

وقيل: يجوز له حد الزنا على الامة فقط.

وقيل: يقيم السيد الحدود كلها وعن ابن عمر ان زنت امة ولا زوج لها حدها السيد وان كانت ذات زوج فأمرها إلى الامام وبه قال مالك الا ان كان زوجهـا عبـدا للسيد فأمـرهـا للسيد واستثنى مالك القطع وهو وجه للشافعية والوجه الآخر استثناء حد الشرب وعن بعضهم ان الطفلة تحصن البالغ وهو احوط.

ومن قال لا تحصنه فقوله غير معمول به.

وفي الـديوان سن في الـرجل ان يحفر للرجل إلى سرته وللمرأة إلى صدرها ويشد عليها خمارها وأول من يرمي قيل: الشهود ثم الامام ثم سائر الناس أو يرمي الامام المقر أولا ويصلي عليه وتولى اذا تاب.

وجوز للحاكم ان يحضر الرجم وان يأمر به ويغيب.

ومن اريد جلده من الرجال جلد قائما ويمسكه شأن ويضع ضربا على كتفيه ولا يفرق على جسده وتقعد البكر وترفع عنها ما فوق رأسها من ثيابها

ويجلد محصن من العبيد خمسين ويعزر البكر منهم ولا يبلغ بالتعزير الحد.

وقيل: لا يحد عبد بل يعزر وبالاول نأخذ (انتهى).

ومن زنى مرات جلد جلدا واحـدا ولا تجلد حامل ولا ترجم حتى تضع وان لم يستغن عنها ولدها حتى يتم رضاعه ويحدان بالاقرار.

وقيل:حتى يقر أربع مرات ويجلد ناكح بهيمة.

وقيل يرمى من شاهق كلائط.

وقيل: يقتل ناكحها بالسيف وضعف ويدرأ الحد بالشبهة فلا تحد امـرأة ذات زوج تزوجت وقالت ظننت ان زوجي مات أو انه جاز للمرأة اربعة رجال وترجم ان لم تعذر بذلك وعلى كل حال لا صداق لها لخيانتها.

وتـزوجت امرأة بغلامها فاراد عمر عقابها فقالت: لم لا يحل لنا ما ملكت ايماننا كما حل لكم فدرأ عنها الحد.

وعن جابر من تزوج ولم يدخل رجم.

ومن وجد مع بكر تعلقت به ودمها يسفح وتقول غلبني على نفسي فعليه صداقها وتحد لانها قذفته.

وقيل: لا ما لم تقل وطئني ولا تصدق ثيب حتى تأتي باربعة شهود فيكون لها الصداق وان لم تأت بها حدت ولا صداق لها.

وقيل: يرمى زان بمجرمته من عالي وتحد زانية وان ببهيمة ولا يحد واطىء زوجته في دبرها وتحرم عليه على الشهور ويحد واطىء جارية غيره بامره ولا يحد من زنا بحربية في دار الحرب وان زنا حربي بحربية في دار الاسلام فلا يحدان وان اربعة على زان بامرأة لا يعرفونها فلا يحد لاحتمال انها زوجته

أو سريته

ومن لم يعرف محصنا أو غيره جلد ولا يبحث عنه وان ادعى انه عبد ولم يعرفوه فلا يرحم.

ومن جلد ثم بان احصانه رجم ولا ارش لجلده الا ان لم يسأل فالارش من بيت المال ولا يلزم الحد الا بغيبوبة الحشفة.

ولا تجلد حامل إذا ادعت حملا وبان والا فلينظرها الامينات غدوة قبل اكلها وان بان لهن الحمل اخبرن به فتترك حتى تضع وان اخبرن انها غير حامل فضربت فاسقطت فلا عليهم لانهم فعلوا بالعلم ولا عليهن الا ان بان لهن فكذبن ولا تضرب ان اشتبه عليهن حالها أو اختلفن فيها أو قالت امنيتان لم تحمل وغيرهما حملت أو قالت به النساء وقالت هي لم احمل وان قالت انا حامل ثم قالت لست بحامل ضربت الا ان اتهمت به وان ادعته وزوجها عدمه أو بالعكس فلا يشتغل بقوله.

وان ضربوها ولم تخبر به فاسقطت ضمنته ان علمت به والا فلا عليها ولا عليهم وان علموا به فضربوها ولم تسقطه فليتوبوا ولا عليهم من دية الضرب.

وان تعمدوا ضرب حامل فماتت لزمتهم ديتها ودية حملها.

وقيل: دية فقط ان رجمت رجما وان سقطت ولم تمت ضمنوا دية السقط.

والمرأة كالرجل في كل ما يؤخر عنه الضرب به كمرض أو علة ومن ضرب انسانا لتعديه فضربه الانسان في وقته اخذ حق التعدية منه وهدر دمه دون الانسان وان تراخى ضربه عن وقته فهو متعد ايضا ويؤخذ حقها كالاول وان تكلم له كلاما يجري إلى القتال فرد له مثله فيؤذى.

وقيل: الاول وكذا ان بزق له او حث إليه التراب أو جمع له اصابع يده مع الكف وجعلهـا كالكـورة إليه أو جعل انملة ابهامه متصلة بانملة سبابته وكانت منهما حلقة فرد له مثل ذلك وان بلغته يده جاز له ضربه ليردها.

ومن وجد مفسدا لماله فله ضربه في حينه الا ان هرب وترك الفساد وان ضربه كذلك فمتعد.

ومن وجب رجمه فرجم مريضا فلا عليهم ومن جلد مريضا اعيد جلده بعد صحة واعطي الارش.

وقيل: لا اعادة ولا ارش وان مات ضمنوه.

ومن اعتل موضع الضرب منه فلا يضرب حتى يبرأ ان بان اعتلا له وان لم يخبرهم وهلك ظلم نفسه وكذا ان علموا فضربوه ظلموه .

﴿ولا تأخـذكم بهما رافة﴾ رحمة بهمزة ساكنة وفتحها ابن كثير وقرأ بعضهم (رآفة) بمد الهمزة بوزن سحابة.

وبعضهم (ولا يأخذكم) بالمثناة التحتية * ﴿في دين الله﴾ في حكمه وطاعته واقامة حدوده بل يجب عليكم التصلب في الدين لا تعطلوا الحدود أو تتركوا منها شيئا أو تخففوا الضرب وكفى برسول الله اسوة في ذلك ﷺ «إذا قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها» وعن عبدالله بن عمرو «جلد جارية له زنت فقال للجلاد: اضرب ظهرها ورجليها فقال له ابنه: (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله) فقال: يابني ان الله لم يأمرني بقتلها وقد ضربت فاوجعت وهذا وارد في البالغة العاقلة كبيرة الزنى فلا يقيس عليها من ليس

من المجتهدين من ليس ببالغ فيضربه على الرجلين مع ان افعال غير البالغ لا تكون كبائر ومع نص علمائنا رزقنا الله الاقتداء بهم على ان غير البالغ يؤدب في مقعدتيه وفي الحديث «يؤتي بوال نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك اي تركته رحمة او تركه رحمة فيقال له انت ارحم به مني فيؤمر به إلى النار».

وعن ابي هريرة «اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة».

وعلى الامام ان ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب.

والذي اريد جلده يجلد قائما على مجرده ليس عليه الا ازاره ضربا وسطا لامبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضاء كلها لا يستثنى منها الا ثلاثة الوجه والرأس والفرج قاله جارالله من المعتزلة عن الديوان لاصحابنا رزقنا الله الاقتداء بهم انه لا يفرق.

وذكرت اصحابنا انه يضرب على الظهر أو الكتفين أو المقاعد وذكر بعض اصحابنا المشارقة ان الزاني غير المحصن والسكران والقاذف يضربون في كل موضع الا الوجه والفرج ومعنى استثناء الفرج انه لا يضرب في الكوة وما تسفل من الجوانب فلا ينافى انه يجوز ضربه في المقعدتين عرضا.

وبعد؛ فليس لغير المجتهد ان يقيس الطفل على ما ذكر جارالله لان كلامه في جلد الزاني فكيف يقاس عليه الطفل فيقال: انه يضرب في كل موضع حتى الرجلين والقياس لا يجوز الا للمجتهد وكيف يقاس افعال الصبي التي يؤدب عليها مع انها ليست كبائر على افعال البالغ التي هي كبائر وكيف يقاس مع وجود النص وقد صرح الاصوليون ان القياس في معرض

النص باطل؟ وكيف يترك ما نص عليه اصحابنا من انه يضرب في المقاعد ويقاس على كلام غيرهم؟.

واتفقت اصحابنا انه لا يعمل باقوال المخالفين الصريحة نعم لو عمل بها احد في غير ما يقطع فيه العذر كالروية لم يحكموا بهلاكه ومضى فعله الا ان لم يوجد في المذهب حكم مسألة فانه يجوز العمل بقول غير المذهب ولا يقاس ايضا على كلام ذلك المشرقي من اصحابنا لما علمت ان القياس من وظيفة المجتهد وانه انما يجوز فيما لم يكن فيه نص وغير ذلك.

وكلام جارالله اولا وآخرا في حد الزنى الا قوله: وعلى الامام ان ينصب للحدود فهام وليس كلامنا في نصب الامام رجلا عالما وكذلك لا يقاس غير الزنى والسكر والقذف عليها فلا يقال يضرب فاعل الكبيرة من البلغ حيث شاء الضارب الا الوجه والفرج.

قيل: وفي لفظ الجلد اشارة إلى انه لا ينبغي ان يتجاوز الالم إلى اللحم وعن بعضهم لا ينزع عن المرأة الا الحشو والفرج.

وقال بعضهم: ومن رأيهم ان يخفف ضرب الخمر والقذف.

وقيل: يشدد في ضرب الزنى ويخفف في القذف ويخفف في الشرب تخفيفا اكثر من التخفيف في القذف.

وقال الزهري: يشدد في الزنى والقذف ويخفف في الشرب * **﴿ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾** يوم القيامة وذلك تلويح بان المؤمن لا تأخذه الرافة إذا جاء حق الله ومن اخذته الرافة فعطل الحد أو ترك بعضه أو خفف فهو هالك وفي ذلك تهيج إلى امر الله وتعظيم امر الزنى قال ﷺ «لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر وهو مؤمن ولا يسرق وهو مؤمن ولا يقتل

النفس التي حرم الله وهو مؤمن» فاذا فعل ذلك خلع ربقة الاسلام من عنقه.

وفي الآية ايضا اشارة إلى الزاني ليس مؤمنا بل منافقا اذ نزع عنه الرحمة التي جعل بين المؤمن ﴿وليشهد﴾ اي وليحضر ﴿عذابهما﴾ وهو الجلد وسماه عذابا قيل: للدلالة على انه عقوبة أو لانه يمنع من المعاودة كما سمي نكالا * ﴿طائفة من المؤمنين﴾ قيل: هذه الآية دليل ايضا ان الزاني لا يسمى مؤمنـا إذا مر بحضور طائفة من المؤمنين لا من الزناة واختصاص المؤمنين بالحضور لان حضورهم افضح والفاسق بين صلحاء قومه اخجل والتفضيح قد ينكل اكثر من التعذيب ولا خلاف ان الطائفة كلما كثرت فأليق بامتثال الامر.

وعن ابن عباس: الطائفة اربعة إلى اربعين من المتصدقين بالله والامر بشهادة الطائفة المتشهر فوجب ان تكون طائفة يحصل بها التشهير والواحد والاثنان ليسوا كذلك والثلاثة ولو حصل بها التشهير لكن لا تكفي في أمر الزنى لعظمه حتى انه اشترط الله فيه اربعة فلتكن الاربعة هي التي يحصل بها التشهير سواء ان كانت هي الاربعة الشاهدة بالزاني أو غيرها.

والزنى كبيرة مقرونة بالشرك وقتل النفس وعنه ﷺ «يامعشر الناس اتقوا الزنى فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا يذهب البهاء ويورث الفقر وينقص بركة العمر وثلاث في الآخرة بوجب السخط وسوء الحساب والخلود في النـار» ولذلك وفى الله فيه عقد المائة بكلامه بخلاف القذف والشرب وشرع فيه القتلة الشنعاء وهي الرجم ونهى عن الرأفة وامر بشهادة الطائفة للتشهير.

وقيل لا بد ان يكون الطائفة غير شهود الزنى .

وقيل : الطائفة التي يمكن ان يكون حلقة واقلها ثلاثة أو اربعة وقد يؤخذ منه حكم حقوق المجلس من التدوير وغيره فاذا كانوا ثلاثة استداروا وسدوا الخلل والذي نسمع نقلا انه يجب التدوير وسد الخلل إذا كانوا خمسة ولم نجد النص .

والطائفة صفة (تغلب) عليها الاسمية كأنها الجماعة الحافة حول الشيء .

وعن الحسن : الطائفة عشرة .

وعن قتادة : ثلاثة فصاعدا .

وعن عكرمة : رجلان فصاعدا .

وعن مجاهد : الواحد فصاعدا .

وعلى قولهما التاء للنقل من الوصفية للاسمية .

ويحتمل على قول عكرمة انها تاء التأنيث مستصحبة بناء على ان (الاثنان) جماعة حقيقة أو مجاز.

ويحتمل على قول مجاهد ان تكون كذلك على ان الاصل نفس طائفة يقال (طاف زيد حول الشيء) فهو طائف ونفس اي ذات طائفة .

وقول الزهري : الطائفة ثلاثة فصاعدا .

وقول لعطاء ومالك : انها اثنان فصاعدا .

وهاهنا فصول من الديوان وغيره الاول إذا اراد المسلمون ضرب من لزمه الضرب لزنى أو غيره أمروه ان يشد ازاره على غير الموضع الذي يضرب فيه بكرزية أو غيرها ويبرك على ركبته ولا يلبس طوقا ولا يترك معه حديد ويجبر

إن امتنـع ولو بضرب بما وجد وفي اي موضع من جسده حتى يذعن وان عصاهم فلهم ان يوثقوه ويمسكوا بيديه ورجليه ويربط على سارية ويضربه الحاكم اولا ما قدر أو حتى يتم وله ان يأمر غيره ولو من أهل الجملة ان لم يخف ان يطلب فيه حسيفة أو يحن عليه ولا يامر اعمى ولا طفلا ولا مجنونا ولا مشركا ولا امرأة ولا عبدا الا باذن ربه ولا قليل البصر ويؤمر ممسك العدد بالجهرية حذرا من الغلط.

ويختلف الرجال على الضرب حتى يتم ما وجب عليه.

وقيل: انما يضربه في جلد مائة اثنان لكل خمسون.

وقيل: خمسة لكل (عشرون).

وقيل: عشرة لكل (عشرة) وليكونوا حيث يمكن الضرب ويتمكن منه وليحذروا مجاوزة كتفيه إلى جوانبه بالضرب أو إلى بطنه وتحت ضلعيه أو إلى رأسه أو اذنيه فمن جاوز منهم إلى ذلك ضمن الا ان تعرض ولم يستقم لهم فليضربوه حيث وجدوا ولو في البطن وفي ضمانات الديوان ما نصه ومن اخرج الحق من رجل فجاوز في العدد فهو ضامن وكذلك ان جاوز الموضع الذي يضرب فيه في البدن أو ضربه في الرأس وفي غير موضع الضرب الا ان اصابه الضرب من قبل تحركه.

وان رأوا ضاربـه خفف عليه أو بضربـه بطرف السـوط ويخطفه أو يضرب ثيابه أو الارض أو قد ضعف امروه بالكف وامروا غيره بالضرب.

ولا يضرب الجـالـد السوط في الارض ليأخذ به حصى يتاذى منه المجلود ولا يجعلوا ترابا على كتفيه وليرفع يده ما استطاع وليذكر اسم الله عند ابتـدائه ويقصد بذلك ما عند الله وليكن الابتداء على الكتف الايمن ثم

الايسر ثم كذلك حتى يتم وليتحول مقابل كل ولا يضربه على عرضهما ولا كلا من ناحية الآخر ولا يعجل بالضرب حتى لا يستقيم العدد لممسكه ولا يتباطأ به ولا يلق السوط من يده إذا ترك بل يدفعه لآخر يضرب به وان انقطع منه شيء عند الضرب فليضرب بباق منه ما وجد فيه ما يضرب به ولا يضرب بالسوط ان انعقد عند ضربه حتى يحله وكذا ان انطع ما تحت العقد لا يضرب به حتى يحله ولا يضربه اثنان في مرة ولا واحد بسوطين أو اكثر ولو امسك الكل بيديه معا فإن فعل فانه يحسب كل ما بلغ جسده من الاسواط وليضربوا من استحق الضرب واحدا بعد واحد ولا يضربوهم معا الثاني ان امرهم ان يضربوه على كتف واحدة فلا ينصتوا إليه الا ان اعلت الاخرى أو خرج عظمها وان لم يوجد فيه ما يضرب فيه ضرب على مقاعده بعد سترها بخرقة فان اقطعت قبل الاتمام سترت باخرى ولو تغير الموضع بالضرب حتى لا يعزر إذ لابد من ستر العورة.

وقيل: انه يضرب على المقعدة ولو امكن ضربه على الكتفين ان شاءوا وان اشتبه عليهم بلوغ عدد ما لزم من الضربات في الادب وغيره فليكفوا وان اشتبه عليهم ما اتفقوا عليه من ضربه في الادب والنكال فلهم ما ارادوا من ضربه وان بان انهم ضربوه اكثر ضمنوا الزيادة وان اتفقوا على أقل من تسعة عشر في الادب فبلغوا لم يضمنوا وان لزمه النكال فاتفقوا ان يضربوه كذا فرأوا ان يزيدوا أو ينقصوا جاز وان اشتبه ما ضربوه وما اتفقوا عليه فليتمادوا على ضربه ان شاءوا أو يكفوا.

وقيل: لا يشتغل بالعدد في النكال بل يضرب حتى تتغير اكتافه وان اخذوا في الضرب وقد اختلف رأيهم في العدد فليضربه من رايه اقل ولا يجاوز

ان لم يرجع إلى رأيهم ولا يجلدوا ليلا من الغروب للطلوع الا ان اخذوا في جلده قبله فغابت قبل اتمامه فليتموا ما لم يمنعهم الظلام ولا يقصدوا من ارادوا ضربه كثيرا إذا حان الغروب.

ولا يقام حد ولا ادب ليلا الا لضوء نار.

وقيل: لا مطلقا ولا بعد اذان الجمعة حتى يفرغ من الصلاة ولا في مسجد ولا في الحرم وليهجر ان التجا إليه ولا يطعم ولا يسقى حتى يخرج فيقام عليه ما لزمه ويقام عليه فيه ما جنى فيه وان تعمد الحاسب غلطا في العدد فزاد على المضروب ضمن الزائد على المتفق عليه هو لا ضار به.

وقيل: بالعكس وان لم يتعمـد ضمن الضـارب ومن تعمد الزيادة فخرج التمام أو النقص فليتب إلى الله الثالث ان ضرب الحاكم أو الجماعة من ظنوا انه استوجب الضرب فبان لهم عدمه ضمنوا ديته من بيت المال ان كان والا فمن اموالهم وان اتهموه فحبسوه فاقر فضربوه فخرج انه لم يستحق الضرب فلا ضمان عليهم وان شهـد عليه بتعديه فضرب ثم نزع الشهود قولهم فيها أو خرجوا عبيدا أو مشركين أو مجانين أو نساء ضمنوه لا ضار به وضمن ان خرجوا اطفالا وان كرهوه حتى اقر أو أقر من لا يجوز اقراره على نفسه فضربوه به ضمنوه أو من ضربوه على فعل فاذا هو لم يفعله ثم بان انه قد فعل موجب الضرب قبل من غير ما ضربوه عليه فلا عليهم الرابع من شهر بافعال السوء ينكل فاذا وجب الحق على مسلم بزلة فلا يخرجوه منه ولينهروه بكلام إذ لا يعود لمثلها ولهم ضربه ان رأوه.

ومن وجب عليه حق لتعديه جاز للحاكم أو الجماعة ضربه أو تركه بحسب نظرهم لان حق التعدية مرجعه إليهم لا إلى صاحبه ولا ينصت إليه ان قال تركته أو اعطوه لي.

وان كان لضعيف على اقوى حق اخذوه له وان بلا اذنه ان لم يخافوا ضره منه.

ومن وجب عليه الحق فضربه الاشرار ولو قدره فان بان للجماعة اعادة الضرب جازت ويؤدبون الاشرار على ذلك وكذا ان ضربه عبيد أو نساء أو اطفال

والخامس من وجد قوما يضربون احدا في موضع يخرج فيه الحق فلا يغير عليهم ولا يقعد إليهم حتى يسألهم عن موجب فان اخبره امينان انه فعل كذا مما يوجب ضربه قعد ان شاء ولا يقعد ان لم يكن فيهم الامناء أو لم يخبروه وجوز له ان يقعد ان كانوا فيهم بلا سؤال أو جوز له ايضا ان كانوا من أهل الجملة ولا يبرأ منه احد به ومن امروه ان يجلد احدا فلا يفعل ان لم يعلم موجبه الا ان امره الامام ولا يبراء من المضروب ولو بلغ في ضربه قدر موجب النكال.

وكذا من لم يعلم من الحاضرين موجبه لا يبرأ منه وليطع الامام من امره بضرب احد ولا يبحث عن موجبه وليبحث عنه في امر القاضي لانه ليس كالامام في ذلك ولا يشتغل به ان قال لهم قد وجب عليهم الحق عندي ولو امينا وليقتد بعض الجماعة ببعض في هذا ان كانوا امناء اذ لا يقتد الا بأمينين.

وان ارادوا ضرب احد على فعل وقد علم احدهم انه لا يوجبه فليخبرهم فان انصتوا إليه فذاك والا قام عنهم إذا اخذوا في ضربه ولا يبرأ منهم إذا علم غلطهم في ذلك وكذا ان فعل موجب ضرب فرأى بعضهم جلده وبعضهم ترك لا يحضر هذا الضربة ومن أخذه الجماعة ليخرجوا منه الحق ولم يجبروه عن موجبه فليطاوعهم ان كان من أهل السوء والا فله ان يمتنع لهم كمامر حتى يخبروه بفعله فان كان يوجب ضربا طاوعهم عليه ولو لم يعلم ذلك والا آخذه أهل الجملة أو الخلاف امتنع ان قدر ومن فعل موجب قتل جاز قتله للجماعة وان يضرب بسوط بلا عدد حتى يموت ودمه نجس.

وقيل: دم من اخرج منه الحق طاهر ولا يزال من اخرج منه الحق ولا يؤوى ولا يذاوي الا ان ثاب وضمنوا دية ما ضربوه بعد موته ان فعلوا.

وان غشي عليه بالضرب او زال عقله خفوا عنه حتى يفيق ويجلد العبد على الاكتاف كالحر وجاز على مقاعده ايضا.

السادس ان ارادوا ضرب امرأة رشوا كفة بماء وامروها ان تقعد فيها وتخرج يديها من عراها ان أوجدوها والا فغرارة وان لم يجدوها فوعاء سترها ويرش موضع تقعد فيه بماء ويشترى الوعاء من بيت المال ان كان والا فمن الموقوف على اخراج الحق وتضرب على الكتف وكالحرائر الموحدات الاماء والمشركات ويجوز ضرب الامة على المقعدين وتضرب الخنثى على كتفها بلا كشف عنها في وعاء كالمرأة.

وان قالت لهم : دعوني اقعد بلا وعاء اجبرت على الدخول فيه فتلبس اوسط لا رقيقا ولا غليظا ولا ترادف ثيابا وتستر جسدها ويأمرون ذا محرم منها بفتشها فان وجد غير ما ذكر فلينزعه وان لم يوجد محرم منها امروا امينة ان وجدت والا فامينا وان اخذوا في ضربها بلا تفتيش فبان انها ردفت نزعوه وتجبر ان امتنعت ويبنى على الضرب الاول والمرأة والخنثى في ذلك كله سواء.

وان انقطع ما على الاكتاف كفوا حتى تستر.

وقيل : يتمادون على الضرب ان تغير لون جسدها به وان لم يكن لها ثوب تستر به فيخرقه من بيت المال ولا يجب ستر اكتاف الاماء ان ضربن فيها وان امتنعت امرأة فليمسك يديها محرمها ان وجد والا فالمسلمون من فوق ثوبها وان تعرضت حين الضرب حتى انكشف رأسها أو بعض جسدها فليضربوها كذلك ولهم ان يربطوها إلى سارية وتضرب قاعدة في حد أو غيره وقيل قائمة.

السابع من وجب عليه ادب أو تعزير أو حد اقيم عليه ذلك وان وجب عليه نكـال اجتهـد الصلحـاء فيه بنظرهم واختاروا منهم ثلاثة أو ما رأوه فينظروا في الفاعل وما يتحمله جسده من الضرب وفي جرمه ويخبرهم كل بما رأى فان اتفقوا فحسن والا ارتفع النازل ونزل المرتفع فيجتمعوا على الاوسط ويأمرون بضربه فيمسكون العدد ولا يحيفوا ولا يشاركوا من يخبرهم بسرهم أو من يحن أو ببغض ولا أهل الجملة واجيزوا ان كانوا لا يخرجون عن رأيهم وليدعوا التنازع وان لم يكن الا رجلان متاهلان اتفقا أو واحد نظر وعمل برأيه ولا يشارك طفل أو امرأة أو عبد.

الثامن لا حد للنكال ولكنه على قدر النظر في الفاعل فلهم يغلظوا عليه بالكلام في مجمع أو يربطوا له الازار أو يحبسوه أو يضربوه أو نحو ذلك.

وقيل: النكال ما دون خمسين جلدة وموجبه كالتعزير للكبيرة فمن جعل يده في عيره بتعديه أو ضربه بها أو غصب ماله أو سرقه أو زنى أو شرب خمرا في الكتمان أو أكل دما أو ميتة أو لحم خنزير أو آدمى او بوله أو عذرته فانه ينكل وأهل الفتنة ينكلون ان اخذ بعضهم السلاح إلى بعض وان لم يتلاقوا أو لم يتراءوا.

وينكل مانع الحق كالطاعن في الذين ان لم يقدر على قتله.

وينكل آبق وهاربة من زوجها إلى رجل وهارب بامرأة مطلقا أو بصبي اراد به سوءا الا من هرب بها باتفاقها على ان يتزوجها أو لم يرد بها سوءا ولكنهما يؤدبان.

وينكل متعد في افساد آدمي بعد موته أو مال أو خارج إلى قطع الطرق وان لم يأخذ أو لم يقتل وبائع حر ومشتريه أو مال اخذ بلا اذنه أو حراما او ريبة واكل ذلك ومن ياوى اليه وحاكم به لغير مالكه ومتزوج ذات زوج أو في عدة أو زوجة ابنه وان سفل أو ابيه او ان علا أو محرمته وان برضاع أو صهرا واكثر من اربع أو امرأة واختها أو مجوسية أو وثنية وكذا المرأة ومزوجها وشاهد مع علم بذلك وتعمده

وينكل متعر للناس عمدا ومنجس آدمي أو ثيابه أو انائه او طعامه او شرابه أو دابته أو بيته أو مسجد ومفسد فيه أو في مائه أو مال الاجر وسارقه أو مال مقبرة أو مصباح وحافر في طريق وناصب فيه خشبة أو حجرا فتلف به مال أو نفس وقاعد فيه أو في سوق لا ضرار متفق مع من يدفعه على أحد

فدفعه فوقع الهلاك وجاعل لآخر صقفلة فبلغت جسده أو ثوبه وبازق له وان بماء او دهن ان بلغه أو لباسه وحاث له ترابا أو رمادا أو كناسا أو ماء أو غير ذلك فبلغه ايضا فانه ينكل ان تعمده.

وينكل مقر بفعل موجب نكالا بتعديه لا ان لم يذكرها وان فعل موجب ادبٌ ثم موجب تعزير او نكال أو حد أو قتل أو فعل أو لا موجب قتل أو حد أو تعزير أو نكال ثم موجب ادب فانه يؤخذ منه الاول فيترك حتى يبرأ ان جرح ثم يؤخذ منه تاليه إلى آخرها ويؤخر القتل ويضرب مترتبا بلا تراخ ان لم يجرح.

وقيل: يضرب في اماكن من جسده بلا تراخ وان جرح.

وقيل: تؤخذ منه في وقت ويفرق بينها بحيث لا يوصل ضرب كل منها بالآخر.

وقيل: يؤخذ منه في مكان بلا تفرق بينها

وقيل: يؤخذ منه الاكثر كالقتل ويترك ما سواه لانه يأتي عليه وحق الله وحق العباد يؤخذان منه جميعا ان امكن والا أخذ حقهم.

وقيل: حقه لانه اولى من حقهم وينكل من ركن إلى من ظلم أو في اخراج الحق وان رأوا حبسه حبسوه لانه قيل يهلك الراكن قبل الفاعل.

ومن تكلم في موضع يخرج فيه الحق أو في خروجه بما يعارضه به او يضره أو قال اضربوني بدل المضروب أو لا يضرب حتى يضرب فلان أو انما تقدرون علينا لا على بني فلان أو قال للجماعة تحاميتم علينا في فلان أو انما اتبعتم فينا قول فلان وهو عدونا لرجل صالح أو اخذتمونا بالجور أو بالظلم أو بنحوهما أو والله ما طلبتم الينا الحق أو لا نعطيه حتى يعطيه فلان أو بنو

فلان أو اراد ان يمنع من وجب عليه أو من اراد ان يخرجه منه أو جعل ثوبه على المضروب او مسك السوط للضارب أو قال لا يضربني هذا أو فلان فانه ينكل في ذلك ونحوه ان اراد به معارضته الحق.

التاسع من جاء إلى غيره وفي يده ما يضرب به كعصا أو حجر أو حديد فانه يعزر وان ملل به ولم يبلغه فانه ينكل.

وقيل: يعزر ومن وجد مع امرأة غيره أو سريته في لحاف عزر ان لم يكن بينهما ثوب ويعزر من مثل بقاتل وليه بعد قتله وانما يجب على كبيرة وهو ما دون اربعين جلدة ولو في الكتمان ولا يبالغ ولا يتجاوز.

وقيل: يبلغ به إلى سبعين.

وقيل: هو كالنكال.

العاشر يجب الادب لمن يلعب بكل لهو وكسر الحجر عليه والتلفظ بالقبيح بسوء القذف ففيه الحد في الظهور والادب في الكتمان.

وقيل: كل ما وصل إليه من احكام الظهور في الكتمان جاز فعله ويجب الادب بالتغني والنياحة وما يؤدي إلى مقاتلة من قول أو فعل كتلقيب احد بغير اسمه أو بما ينقصه وبالبزاق وحث التراب ان لم يبلغا والا فالنكال وبدخول بيت الغير بتعديه.

ومن فعل موجب الادب مرة أو اكثر فامره إلى الجماعة في تركه أو تأديبه بكل أو بعض ومن استوجبته امرأته فيما بينهما فليأخذ بها إلى الحاكم أو الجماعة فينظروا فيها فان صح أدبوها ولا يؤدبها بنفسه وجوز له ان عرف الادب ولم يخش الفتنة وتؤدب على عصيان في الفراش وللرجل ان يؤدب عبيده ان عرف والا رفعهم إلى الحاكم أو الجماعة ويؤدب اطفاله أو يأمر بهم من يؤدبهم ان

عرف ولا تؤدبهم امهم الا باذن الاب وان لم يكن لهم اب ادبتهم ان عرفت ولمن عنده يتيم ان يؤدبه ولمن مر على اطفال يفعلون موجبة ان يؤدبهم ان عرف ولم يخف شرا.

ومن اتى بهم إلى الحاكم أو الجماعة فلا يشتغل به الا بالبيان ولو كان ابا وكذا سيد مع عبده وجاز تأديب الطفل ولو ليلا ولا يؤدب اعمى اطفاله وجوز ان كان يحسن الادب ويؤدب مجنون على فعل سوء وطفل على غضب واستقلال ما يعطي وكثرة الضحك والبكاء وعلى النميمة وترك ما أمر به وشتم ومقاتلة وضرب وافساد وكثرة الكلام والزيادة فيه واللعب والنطق بالفحش وفعله وامتناع من سير إلى المعلم والهرب منه وتضييع لوحه وتضييع درس ما حفظ والاخذ في البطالة وجميع الاخلاق السوء كالتعري ان كان مراهقا أو إلى النار أو في حر او برد وتضييع شغله وترك القيلولة وكثرة النوم على البيات في غير بيت والده وعلى كثرة المشي في غير حاجة وعصيان ابويه وعلى شتمهما أو تسميتهما باسمائهما ورد الكلام لاكبر منه والاستهزاء بكلام غيره والسخرياء والهمز والغمز واللمز والمزاح ورمي الطعام واهراق الماء واللبن ونحو ذلك وعلى افساد ذلك وكثرة دخول الماء واللعب فيه وقطع ثيابه وبلها ودخول المسجد والطلوع عليه وتنجيس حواليه أو حوالي بيوت الناس وطرقهم ومقاعدهم واللعب بالملاهى وان بالكورة والنرد والتغني وغير ذلك وخطف الطعام من غيره وعلى التعبث والنفار وسائر التصعب واخذ ما تخفيه امه بلا اذنها ودخول بيوت الناس بلا اذنهم وعلى اطلاعه عليهم فيها واصغائه إليهم وعلى الدخول على ابويه في الاوقات المذكورة في القرآن وهي ثلاث العورات

بعد التقدم ان لا يدخل عليهما بلا اذن وعلى أكل الانجاس والحرام والريبة وشرب المحرم.

وكذا العبد والمجنون يؤدبان على مما يؤدب عليه الطفل ويؤدب الكبير ان ذهب إلى الكبير ولم يكن في يده ما يضربه به والادب ما دون عشرين ولو في الظهور ولا تبلغ فيه ولم يزد عليها ويؤدب ايضا بحبس وبانتهار من كلام وبهجران ويربط الازار قدر النظر.

وبقي في حفظي ان الادب في الظهور تسع عشرة ضربة وفي الكتمان ثماني عشرة.

وان بعضا قال انه عشرون في الظهور وتسع عشرة في الكتمان.

الحادي عشرة وانما يؤدب الطفل بالدرة لا بشراكها الا ان عزل منها واحد وبمنطقة من ناحية سليمة منها وبالشراك الطائفي وبنعل لا رقائع فيه ويقرق وخف ويمسك الخف من عقب ويضرب بنعله أو من نعله ويضرب بجلده ويضرب الاطفال ان وجدوا يلعبون بطرف كسائي الضارب أو طرف ازاره أو بكمه من وجدهم يلعبون بطرف كساء او ازاره أو بكمه أو بقصبة او سبطة على رأسه نقرا خفيفا أو على يده ان مدها إلى فساد وبضربه بطرف جريدة مع سعفها أو رتم او طرفها مع ورقها ونحو ذلك ويفتل اذنه ويجيذها خفيفا ولا يحكها ولا يؤدبه بسوط وجوز ان كان من غير الخنزير وكان ممن يحتمله ويؤدبه مقاعده بالدرة وبالنعل ويحمله غيره ولا باس بضربه على كتفيه ولا بضربه بيد ولا بعصى ولا بجريدة لا سعف فيها ولا بشماريخ وكذا امرأته وعبده ولا يضربهم جزافا ولا ضربا مبرحا ولا يؤدب اطفاله ومجانينه وعبيده وقت غضبه.

قال الشيخ موسى والاطفال انما يضربون على افعالهم كلها إذا كانت قبيحة وانما يضربون فيه اكثر ولكن بالدرة أو بالنعال أو باللوح أو بالمنطقة ولا تكون هذه الدرة من جلد جمل ولا حمار ولا فرس ولا تكون الا من جلد ثور أو بقرة مدبوغ وان كان النعل الذي يضرب به الطفل فيه طاقتان فليعد الذي اراد ضربه في الضربة اثنتين ولا يضرب الا في مقعدتيه ويكشف عن مقعدتيه الا ان كان مراهقا وجاز للانسان في طفله وعبده وامرأته ويتاماه ونحوهم ما لم يجز لغيره وان يضرب ليلا أو بما لا يضرب به بلا قصد لكسر او زوال عضو أو مثله.

الثاني عشر قد علمت ان موضع ضرب الطفل المقعدتان أو الكتفان الا مأمر في نحو طفله فيجوز له فيه ما لا يجوز في غيره.

لكن تأمله امرتك بالتأمل ثم اطلعت في حاشيه التبيين للشيخ محمد بن يوسف الجربي منزلا على انه قيل لعل في قول النبيين ويجوز له فيهم ما لا يجوز له في غيرهم تحريفا والاصل اسقاط لا وان من جاوز موضع الضرب ضامن فنتج من الشكل الاول ان ضاربه في الرجلين ضامن وكذا الرجل الا القاذف والشارب والزاني غير المحصن فيضربون في اي موضع اراد الضارب الا الوجه والفرج وكذا لا يضرب احدا الا بما اجاز العلماء الضرب به رزقنا الله الاقتداء بهم.

وأما قوله في القناطر: ان عمر رضي الله عنه كان يضرب قدميه بالدرة إذا جنه الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم؟ فلا دليل فيه لهؤلاء الذين يضربون الاطفال على ارجلهم لان عمر بالغ فلا يقاس عليه الطفل ولان عمر يضرب بالدرة وهم يضربون الطفل بعصا بل بجريدة بعد نزع السعف

ولان ضرب عمر نفسه انما هو على جهة التنبيه كما كان ابو بكر رضي الله عنه يمسك لسانه ويقول لها قولي خيرا أو اسكتي لا على جهة الادب إذ ليس لاحد ان يخرج حق الادب أو غيره من نفسه بنفسه ولان الادب وغيره ضربه موجع ولا يشك عاقل ان عمر يوجع نفسه ضربا وكذلك لا يقاس عليه غير الطفل.

واما قول صاحب النيل في النيل اكرمه الله ويقلد العالم الامين في قول وعمل وفتيا وحكم فقال لي شيخنا ان المراد فيه بتقليده في العمل ان يامرك بالعمـل فتعمل لا ان تراه يعمل فتعمل كما عمل واسم الاشارة في كلام التبيين يدل على ذلك.

قال الشيخ احمد الجربي: مراد صاحب التبيين العالم المعروف بالعلم والورع والصيانة المطمئنة النفس لفتواه ونقله ان كان من شأنه النقل فليس لقـائـل ان يقول وجدنا الناس يضربون بباطن القدم فنحن نقلدهم وان سلمنا انه على ظاهره من انك تراه يعمل فتعمل كعمله فلسنا نسلم انه يجوز هذا التقليد مع وجود النص ان موضع الضرب في المقعدتين والكتفين خاص.

ومذهبنا ان العمل بالخاص إذا وجد لا بالعام كما نص عليه الشيخ أحمد في الاصول.

وعن بعض العمانيين ان العمل بالعام مع وجود الخاص كجعل الامام تابعا للمأموم.

وقـد نص صاحب النيل في كتـاب سماه (الورد البسام) ان موضع الضرب المقعدتان أو الكتفان فليحمل على خصوصية عموم النيل.

وفي السؤالات في السؤال التاسع القول اشد من الفعل لان القول يعد والقائل اي يقلد فيه والفعل لا يعدوه إلى غيره.

قال الخطاب في شرح الورقات انما يقلده في الفتوى ولا يقلده في الافعال فلو راى الجاهل العالم يفعل فعلا لم يجز له تقليده فيه حتى يسأله إذ لعله فعله لامر لم يظهر للمقلد.

واما ما في الكشاف من لفظ الجلد بال بعد الكلام على جلد الزنى فلا دليل فيه لان الصحيح كما قال الشيخ احمد في الاصول لان (ال) تحمل على العهد قال في الجلد في كلام الكشاف للعهد وجعل قول من قال تحمل على الجنس الماهي مرجوحا.

واما ما ذكر بعضهم من ان الصبيان بعمان يتغالبون بالكتابة وبضرب الغالب المغلوب على رجله ويسمى ذلك بالمصع فلا دليل فيه على جواز ضرب الادب أو الحد على الرجلين لان تضاربهم على ذلك لا يجوز فلا يتركون إليه بل يجب نهيهم إذ لم يصدر من المغلوب شيء مما ذكر في الكتب انه يوجب الادب ولم نر في كتاب موافق ولا مخالف ان التفاوت بحسن الكتابة يوجب تادب المفوت بل ذلك شبيه بالتجسس وذريعة إلى البغضاء والتحاقد لمكان الضرب على شيء كلف عليه على نحو التعنت وبحث عنه بينا طفل في امنه دعى النضال بالكتابة على شرطة ان يضرب ان غلب فذلك لا يجوز ولو كان الضرب على الكتف أو المقعدتين.

ومن اجاز ذلك فقد سها سهوا لا يتبع عليه وإذا لم يجز لم يصح القياس عليه بل لو جاز ذلك وثبت انه تأديب فلاحظ للصبي في التأديب لغيره ولم

أجد النص في ما بيدي من كتب المذهب على جواز الضرب في الرجل أو القدم.

ووجدته في الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة الشوكاني وهو مالكي وانما ذكرته لك تتميما لقولي اني لم اجده في كتب المذهب لا لتعمل به.

ومن ترك العمل بقول اصحابنا وعمل بقول المخالفين حشره الله معهم ان كان ذلك منهم اهانة باصحابنا أو لغرض دنيوي كالانتصار للنفس ونص الشوتاني ان صفة الضرب للطفل لا خفيف ولا شديد وان بعضا صحح انه يختلف بحال الصبي فصبي لا يمتثل الا بالشديد وبعض يمتثل بالخفيف وبعض بالزجر والشتم فلا يضرب ويضرب على ترك الصلاة بسوط رطب لين عريض فوق الظهر أو باطن القدمين مجردين قال وهل غير الصلاة كذلك فانظره وانه يضرب على الصلاة واللوح والشتم والكذب والهرب من المكتب وعقوق الوالدين ومخالطة أقران السوء وغير ذلك من المظالم وان زمان الضرب عند ابن القاسم عشر سنين وعند اشهب سبع وهذا في الصلاة وانه لا حد للضرب بل موكول لاجتهاد المعلم.

وقال الزناتي: يحد بثلاث ضربات في الصلاة.

وقال الفاسي: ان جاوز ثلاث ضربات في ظاهر القدمين اقتص منه.

ويضرب على الوجه خمس ضربات وعلى الشتم سبعا وعلى الهروب من المكتب عشرا.

وقال ابن ابي زيد: يجوز للمعلم ضربه عشرا على البطالة وعلى القراءة ثلاثا وان جاوز ضمن وان جاوز الزوج في ضرب زوجته عن عشر ضمن.

وقال اشهب يقتص على السب بسبع وعلى الهروب بعشر وعلى الحفظ بثلاث ولا يكون الضرب الا اسفل القدمين لا في الظهر ولا في البطن ولا شيء فيما تولد عن الضرب الجائز وفي غير الجائز الضمان والله اعلم .

ومذهبنا انه لا ضمان في تسع عشرة ضربة وما دونها في الادب على ما مر الا ان ضرب بما لا يجوز به الضرب أو في غير موضع الضرب وان الصبي يؤدب إذا تمت له ست سنين ويضرب على الصلاة إذ بلغ ثلاث عشرة وفيه غير ذلـــك ومن لم يسكن بضرب وجب عليه ضرب في بدنـه مطلقـا بلا تخصيص موضع دون اخر حتى ينقاد الا ان ارادوا ضربه في الرجلين ونحوهما مما لا يجوز الضرب فيه ولم يكن فان ضربه في الرجلين يضمن ومن ضربه ليسكن يضمن وذلك لان ضربه في الرجلين معصية لا يعان عليها أو كذبا غير الرجلين مما لا يجوز الضرب فيه حكمه حكم الرجلين .

الثالث عشر يعمل الحاكم أو الجماعة السوط ونحوه من جلد الثور وهو رطب ويصلح وطـوله على ما يرون وعرضه قدر ثلاثة اصابع وقيل اربعة ويدور ولا تجمع اطرافه بل يترك كذلك حتى يدار ولا يقطع فيصير شراكا مفترقة ثم يجمع بينها ويعملون من السياط ما يصلح لهم وتنشر في الشمس حتى تجف ولا يحرقون رؤوسها ويشترون ذلك من بيت المال ان كان والا فمن موقوف على اخراج الحق والا فمن اموالهم وان لم يشتروا ولم يكن عند الحاكم فليكلف به من وجب عليه الحق وان عدم ما يضرب به ضرب برسن مفتول على ثلاثة اشراك والا فيجعل مثلث من الحلفاء المنقوعة المدقوقة وان لم توجد فبجريد فسيل لا رطب ولا يابس وان لم يوجد فبجريد نخل ويقطع غليظه ورقيقه وينزع سعفه ويمسكه الضارب من جهة غلظه .

وقيل: يضرب بغليظه على المقعدتين ورقيقه على الكتفين ولا يضرب بسوط الجنزير ولا برسن مثنى أو مربع أو ذي شراك واحد ولا بمعمول من ليف أو شعر أو صوف ولا بمعقود رأس ولا بشماريخ أو عراجين ولا بقضيب ولا قصب ولا بعصا.

وفي الاثر يعمل السوط من جلد بقر طوله ذراع وشبر وعرضه ثلاثة اصابع.

وقيل: يعمل من جلد الجمل إذا دبغ وان لم يوجد الجلد عمل من جريدة النخل تقطع من الوسط لا من فوق ولا من اسفل ويعمل منها مثل السوط طولا وعرضا ويضرب بها على الاكتاف كالسوط وان ارادوا الضرب بها على المقعدتين قطعوها خضراء من الغلظة التي تكون فوق اصل الجريدة على نحو ماتقدم طولا وعرضا.

ولقد هممت ان اصنف كتابا في الحدود ومواضع الضرب وما به الضرب واسمه رد شبه اللصوص إلى واضحات النصوص.

الرابع عشر في الديوان ان البكر إذا تمسكت برجل ودمها يسيل وقالت انه غلبني فعليه صداقها وتحد لقذفها اياه.

وقيل: لا ما لم تقل وطئني ولا تصدق ثيب حتى تأتي باربعة شهود والا جلدت حد القذف ولم يكن لها صدق وان اتت بهم فلها.

وإذا ادعت امرأة ليست من أهل التهم ان رجلا جعل فيها يده بسوء ضرب النكال وحبس الا ان كانت من أهل الريب.

وان ادعى طفل جميل راهق البلوغ او جاوزه مثل ذلك حبس الرجل ﴿الزاني لا ينكح﴾ يتزوج ﴿الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك﴾ قيل اي المناسب لكل منهما ما ذكر * ﴿وحرم ذلك﴾ اي نكاح الزاني * ﴿على المؤمنين﴾ الاخيار نزل ذلك لما هم فقراء المهاجرين ان يتزوجوا بغايا المشركين ولهن رايات علامات للزنى وهن موسرات لينفقن عليهم وإذا ايسروا طلقوهن.

فقيل: التحريم خاص بهم.

وقيل: عام ونسخ بقوله تعالى: ﴿وانكحوا الايامى منكم﴾.

وقيل: (بالاجماع).

وقيل: ان مقصود الآية تشنيع الزنى وانه محرم على المؤمنين وان النكاح بمعنى الوطء لا التزوج.

ورد بانه لم يرد النكاح في القرآن الا بمعنى التزوج والعقد؟ قلت: بل خلاف في مواضع.

قيل: ويرده ايضا فساد المعنى لادائه إلى قولك الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا يزنى بها الا زان واجيب بانه لم يكن ذلك اباحة بل تشنيع كما مر.

وقيل: المعنى ان الفاسق الخبيث لا يرغب في نكاح الصوالح اي في تزوجهن وانما يرغب في فاسقة أو مشركة والفاسقة لا يرغب فيها الصلحاء بل يرغب فيها الفاسق أو مشرك ونكاح الفاسقة محرم على المؤمن لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موضع التهمة والتعرض لسوء القول والغيبة وانواع الفساد وانه قد نبه على ذلك بقوله: ﴿ وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ﴾ والمشاكلة علة الالفة والمخالفة سبب للنفرة.

قيل: عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة.

وقيل: النفي بمعنى النهي وقد قرىء به والحرمة على ظاهرها والصحيح ان المرأة الزانية ولو اشتهرت بالزنى يحل تزوجها إذا تابت واصلحت الا لمن زنى بها فان الزاني لا تحل له مزنيته واما ما روي عنه ﷺ انه سئل عن ذلك فقال: «أوله سفاح وآخره نكاح» فضعيف وقومنا قبله كثير منهم وقالوا الحرام لا يحرم الحلال ورووا الجواز عن ابن عباس وعن عائشة رضي الله عنها ان الرجل إذا زنى بامرأة ليس له ان يتزوجها لهذه الاية وإذا باشرها كان زانيا وبذلك قال جابر بن زيد وابو عبيدة وصالح الدهان والربيع ووائل ومحبوب وموسى بن علي وعبدالله بن عبد العزيز وابو المؤثر وابن مسعود وعائشة والبراء بن عازب وعلي وابو هريرة وجابر بن عبدالله والحسن البصري وابن سيرين وذلك مذهبنا واباحت طائفة نكاحها مع التوبة والاصلاح.

وروي عن ابن عمر وابن عباس ومجاهد وسعيد بن مسيب والثوري وابي حنيفة ومالك والشافعي انه يجوز له نكاحها بلا شرط.

ونسبه قومنا لجابر بن زيد.

وروي عن جابر بن عبدالله ان رجلا اتى النبي ﷺ فقال يارسول الله ان امرأتي لا ترد يد لامس قال طلقها قال اني احبها وهي جميلة قال استمتع بها» وفي رواية غيره «فامسكها إذاً».

وروى هذا الحديث عن ابن عباس أبو داود والنسائي ولا دليل فيه لان الكلام في نكاح الزاني مزنيته بان يزني بها ثم يتزوجها نعم استدل به الخازن لبعض على جواز نكاح الزانية والجواب عندنا ان هذا الحديث غير

ثابت كما قال النسائي نفسه وعلى ثبوته فالامس طالب معروف فيكون اشتكى من سخائها وروى عن ابن عباس في تزوج الزاني بمزنيته أو أوله سفاح واخره نكاح ولا حجة في ذلك لان ذلك في مشرك زنى بمشركة ثم تزوجها في الاسلام فهو حلال جائز والاسلام جب.

وعن جابر من زنى بامرأة فلا يتزوجها وليجعل بينهما البحر الاخضر وان قدر ان لا ينظر إليها فليفعل.

. وروي عنه ﷺ «ايما رجل زنى بامرأة ثم تزوجها فهما زانيان إلى يوم القيامة» وقال: «لا نكاح بعد سفاح».

وحكى بعض اجماع الفقهاء على التحريم.

وفي المنهاج والدليل ايضا ان من رمى زوجته بزنى ورفع إلى الحاكم نلاعنا وتفرقا ابدا وان صدقته حرمت عليه واذا زنى بها فهو اشد حرمة واقبح فاحشة لما عرف من فجورها وعرفت منه وقال الله تبارك وتعالى: (الزاني لا ينكح الا زانية) إلى (المؤمنين) وذلك ان حدا فلا ينكحها الا محدود مثلها على زنى بغير التي تزوجها ولا لرجل نكاح مزنيته ولا التي علم منها زنى ولو حدث وانما له تزويج محدود على الزنى إذا لم يعلم هو زناها ولم يعاينه منها.

قال قومنا سئل ابن مسعود عن نكاح الزاني مزنيته فقال: يجوز ان تابت وقرأ (وهو الذي يقبل التوبة) الآية.

وعن علقمة انه قال: (ثم ان ربك للذين عملوا السيئات) الآية.

وقيل: لسعيد بن مسيب ان ابا هريرة قال: انهما زانيان وما اجتمعا فقال كذبوا على ابي هريرة بل اوله حرام وآخره حلال إذا تابا واصلحا.

وروي ذلك عن ابن جبير وقتادة وهو اختيار ابي عبيد القاسم بن سلام وابن الحسين.

وزعم القوم ان عمر ضرب رجلا وامرأة في زنى وحرص ان يجمع بينهما فابى الغلام.

وعن مجاهد وعطاء وقتادة والزهري والشعبي وابن عباس قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشائر وفي المدينة نساء بغايا هن خصب اهل المدينة فرغب ناس من فقراء المهاجرين في نكاحن لينفقن عليهم فاستاذنوا رسول الله ﷺ فنزلت فحرم على المسلمين ان يتزوجوا بهن.

وعن عكرمة نزلت في نساء كن بمكة والمدينة لهن رايات يعرفن بها منهن ام مهزول جارية السايب ابن السايب المخزومي وكان في الجاهلية ينكح الزانية يتخذها ماكنة فاراد ناس من المسلمين نكاحهن على هذه الصفة فاستأذن رجل رسول الله ﷺ في نكاح ام مهزول واشترطت ان تنفق عليه فنزلت الآية وكان مرثد بن مرثد يحمل الاسارى من مكة وكانت بمكة بغي يقال لها عناق. كانت صديقة له في الجاهلية لما اتى مكة دعته لنفسها قال ان الله حرم الزنا قالت فانكحني فقال حتى اسأل رسول الله ﷺ فاتاه فقال انكح عناق يارسول الله فلم يجبه فنزلت (الزاني لا ينكح) الآية ودعاه وقرأها عليه فقال لا تنكحها وقدم الزاني هنا لان الغرض ذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه الراغب والخاطب ومنه يبدأ الطلب والنكاح العقد وانت خبير ان الآية اما خبر محض ان عادتهم جارية على عدم رغبة الزاني في العفيفة وعدم رغبة الزانية في العفيف وان على المؤمن ان لا يدخل نفسه تحت هذه العادة

واما نفي بمعنى النهي وهو ابلغ من قراءة النهي وهي قراءة عمرو بن عبيد كما انه رحمك الله ويرحمك ابلغ من ليرحمك بلام الجزم.

وقرىء (وحرم) بالبناء للفاعل.

وعن ابن عباس انه يجوز للزاني نكاح مزنيته وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراها.

ومثله عن الضحاك بن مزاحم ومذهب اصحابنا في المرأة انها اذا زنت فلا تحرم على زوجها إذا خفي عليه ذلك وتمنعه إذا اراد وطأها حتى تستبرىء فان وطئها وغلبها على نفسها فواسع لها ذلك وان علم بزناها أو صح عنده حرمت عليه.

وعن مجاهد لو اصاب معها عشرة لم تحرم عليه (وزان) فاعل ينكح تقدر الضمة على الياء المحذوفة لا لتقائها ساكنة مع التنوين.

ذكر ابن هشام ان بعض التلاميذ رأى ان (زان) مخفوض فاشكل عليه عطف مشرك بالرفع ﴿والذين يرمون﴾ بالزنى ﴿المحصنات﴾ اللاتي احصن انفسهن بالعفاف عن الزنى.

وان قلت ما الدليل على ان المراد الرمي بالزنى؟ قلت: الدليل عليه لفظ المحصنات عقب الزواني واشتراط اربعة شهود بان القذف بغير زنى يكفي فيه شاهدان وذكر قدف النساء لاهم وابشع واكثر ولانه سبب النزول وقدف الرجل داخل في حكم الآية بالمعنى والاجماع واما قذف الرجل بانه انثى في دبره فابشع من قدف المرأة فلم يذكر لقلته ولنزول الاية بسبب الذين يقذفون نساء لسن بازواجهم وحكم قذفه مقيس على قذفهن والقذف بالزنى ان يقول الحر البالغ العاقل المحصن أو محصنة يازاني أو يازانية أو ياابن الزاني

أو ياابن الزانية أو يابنت الزاني أو يابنت الزانية أو ياولد الزاني لست لابيك لرشده ويحد قائل ولجماعة يابني الزواني لكل منهم على المختار.

وقيل: حدا واحدا.

ولا يحد قائل لرجل يازانية وان قال لامرأة يازاني فالمختار ان يحد وان قال لها زنى بك فلان فعليه حدان ويحد الوالد ان قذف والده وان قذف الوالد ولده حد.

وقيل: لا؛ واختاره بعضهم.

ولا يحد قاذف غائب حتى يحضر هو أو خليفته ولا قاذف ميت حتى يطلبه وارثه ولا حد زنا في الكناية مثل يافاسق أو يافاجر أو ياخبيث أو يامؤاجر أو يامن لا يرد يد لامس أو امرأتي لا ترد يد لامس إلا ان اقر بارادة الزنا واما التعريض مثل ان يقول اما انا فما زنيت أو ليست امرأتي زانية فليس بقذف على الصحيح وهو قول الشافعي وابي حنيفة.

وقال مالك: يجب الحد.

وقال احمد: يجب ان قال ذلك في حال الغضب والقذف بغير الزنى كالزنى لكن قاذف الزنى لا يبريه الا اربعة وقاذف غيره يبريه اثنان.

وتحد امرأة شهد عليها ثلاثة وزوجها فيما زعم بعض واختير ان يلاعنها ولا تحد وفي حد الثلاثة قولان.

ويحد قاذف اعجم أو اصم ان لم بات بمخرج وشروط احصان القذف (الحرية) والبلوغ والعقل والاسلام والعفة.

ولا يحد من قذف محدودا وقل يعزر.

واختاروا ان لا حد عليه ولو تاب المحدود عما حد فيه واصلح ولو فعله مرة واحدة في عمره الا ان قذف بغير ما حد فيه.

ولا حد على قاذف المملوك والمدبر أو الذمي.

ولا حد على مملوك قذف حرا أو مملوكا.

وان قذف اليهودي والنصراني المسلم حد ثمانين عند بعض.

وقيل: لا وان قذف احدا مرارا لشيء واحد فحد واحد وان حد القاذف ثم قذف المحدود في قذفه فلا حد عليه الا الاول.

وقيل: ان كان عبدا جلد اربعين وان كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير.

وفي قاذف طفل أو مجنون قولان من قال لحر يامولى أو يا ابن الأسردين أو ياكلب أو ياخنزير أو يامنافق أو يافاجر او ياعدو الله أو لعنة الله أو اخزاه فليعزره الامام على ما يرى من جهل القائل.

وقيل: خمسة اسواط.

وقيل: ذلك إلى من له الامر واكثر التعزير أقل من أقل الحدود ومن مات من عزره الامام فديته من بيت المال وهل يعتق منه أو من ماله قولان وقيل لا دية ولا عتق إذا لم يجاوز ما جاز له.

وعن بعض ومن القذف بغير الزنى أن يقول ياآكل الربى ياشارب الخمر يايهودي يامجوسي يافاسق ياخبيث ياماص بطن امه وذكر بعض ان من قال ذلك عزر ولا يبلغ به ادنى حد العبيد وهو اربعين بل ينقص منه.

وقال أبو يوسف تجوز ان يبلغ به تسعة وسبعون وقال للامام ان يعزر إلى المائة ﴿ثم يأتوا بأربعة شهداء﴾ يرون الذكر في الفرج كالميل في

المكحلة ولا يكون الزوج واحدا من الاربعة عند الشافعي ويكون عند ابي حنيفة وسواء شهدوا مفترقين أو مجتمعين.

وقال أبو حنيفة: ان شهدوا مفترقين فهم قذفة (وشهدا؟) مضاف إليه ممنوع الصرف لألف التأنيث وقرىء بتنوين (اربعة) فيكون شهداء نعته ويكفي اقرار الانسان على نفسه بالزنى ولا يحد الرجوع.

وقيل: يحده عالم شرع في حده.

وقيل: لا يكفي حتى يقر اربع مرات وان شهد عليه اثنان أو ثلاثة بالاقرار فلا يحد.

وقيل: يحد.

وان قال اثنان أو ثلاثة انه زنى يرى منهم وحدوا دونه ولا يحد ولا يبرأ.

وزعم بعض انه يبرأ منه ولا يحد ولا يقبل في الحدود الا أهل الولاية ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ قال تاج العلماء الشيخ هود يجلدون بالسوط ضربا بين الضربين ولا يرفع الجلاد يده حتى يرى بياض ابطه ويجلد في ثوبه الذي قذف فيها.

ولا ينزع من ثيابه الا الحشو والفرو.

وروي عن بعض ان اشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزاني ثم ضرب شرب الخمر ثم ضرب القاذف لان سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب الا انه عوقب صيانة للاعراض وردعا عن هتكها.

وعن بعض ان المقذوف ان كان معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير وان لم يعرف به عزر وان اضطرب احد الشهود الاربعة جلد الثلاثة.

وذكر بعضهم ان ضرب القذف اخف من ضرب الزنى لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده.

وعن بعضهم ان المراد بالمحصنات ازواج الرامين وان الامة منسوخة بآية اللعان الآتية والصحيح غير ذلك فلا نسخ ﴿ولا تقبلوا لهم﴾ متعلق بتقبلوا أو بمحـذوف حال من قوله ﴿شهادة﴾ في الزاني ولا في غيره وكذا القاذف بغير الزنى * ﴿ابدا﴾ ومعنى الابديه الدوام على عدم التوبة فاذا تاب قبلت توبتـه جلدا ولم يجلد وذلـك كما تقول: (لا شهادة الكافر على المسلم ابدا) تريد مادام كافرا.

وقيل: تقبل اذا تاب وذلك قولنا قول علي بن ابي طالب ومجاهد وابن جبير وابن عباس.

وقال النخعي والشعبي وابن المسيب لا تقبل شهادة القاذف ولو تاب وقال عمر للذين شهدوا على المغيره بن شعبه حين جلدهم من رجع منكم عن شهادته اجزنا شهادته ثم تلا (الا الذين تابو).

قيل: بمعنى ان رجوعهم عن الشهادة هو توبتهم.

وقيل: يقوم على رؤوس الناس فيكذب نفسه.

وعن عكرمة عن ابن عباس لم تقبل لابي بكرة شهادة ان لم يرجع عن شهادته.

وقال أبو حنيفة ما شهد به قبل الشروع في حده أو قبل تمام حده بقبل واما بعد التمام فلا تقبل شهادته ولو كان القذف من الابرار الاتقياء وذلك انه جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقب الجلد على التـابيد فكـان مردود الشهـادة مدة حياتـه وجعـل قولـه * ﴿وأولئك هم

الفاسقون﴾ اي الفاعلون لكبيرة نفاق عظيمة كلاما مستأنفا اخبارا لحال الرامين عند الله وجعل قوله * **﴿الا الذين تابوا﴾** عن القذف * **﴿من بعد ذلك واصلحوا﴾** عملهم بان استحلوا المقذوف استثناء من الفاسقين اي فان التائبين غير فاسقين ويدل له قوله * **﴿فان الله غفور رحيم﴾** فان المتبادر ان الغفران والرحمة انما هما من الفسق الصادر منهم لا قبول لشهادتهم.

والذي يطابق مذهبنا وهو ايضا مذهب الشافعي ان قوله: (لا تقبلوا لهم شهادة ابدا) وقوله: (وأولئك هم الفاسقون) داخلان في حيز جزاء الشرط وان الابدية مظروفة إلى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة.

قيل: الظاهر ان الاستثناء رجع للجمل الثلاث اي اجمعوا لهم الجلد والرد للشهادة والتفسيق الا ان تابوا فلا جلد ولا رد ولا تفسيق وهو صريح في انه ان تاب قبل الجلد لم يجلد وهذا قول ضعيف فإنه لا يجوز للامام أو المقذوف أن يعفو عن القاذف إلا قبل إقامة الشهادة واثبات الحد إلا أن اراد صاحب هذا القول ان من تمام التوبة الاستسلام للحد والاستحلال للمقذوف فلا يلزم اسقاط الحد حينئذ.

وقيل: ان تاب قبل اثبات الحد سقط عنه وينبغي للمقذوف ان لا يراجع القاذف ولا يطالبه بالحد ويحسن من الامام ان يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له اعرض عن هذا ودعه لوجه الله فاذا ثبت لم يكن لواحد منهما العفو لانه خالص حق الله ولهذا لم يصح ان يصالح عنه بمال وكذا انواع الحد كلها والادب والتعزير والنكال.

واجاز بعض المالكية المصالحة بمال يعطى لبيت المال ولذلك ايضا لا يورث مع قوله ﷺ (الحد لا يورث) وبه قال ابو حنيفة ويورث عند الشافعي.

وان قلت: شهادة الكافر تقبل إذا تاب بعد القذف باتفاق وشهادة القاذف الموحد لا تقبل عند ابي حنيفة ابدا؟ قلت: المسلمون لا يعبأون بسب الكفار لانهم شهروا بعداوتهم والطعن فيهم.

وجعل الشافعي الاستثناء راجعا للجملة الثانية ومحل المستثنى عنده جرّ إبدالا من هاء لهم ويجوز كونه نصبا على الاستثناء.

واما على مذهب ابي حنيفة فالمحل النصب لا غير لانه من موجب وهو الفاسقون.

ومن ارجع الاستثناء الا جلودهم بالمحل النصب لا غير.

وقيل: استثناء منقطع متصل بما بعده.

ورد مذهب أبي حنيفة بان الامر بالحد والنهي عن القبول سيان في وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعه ولا سيما ان حاله قبل الحد اتمام لسواء مما بعده.

واعلم ان لفظ التوبة شامل للاستسلام للحد وجملة (فان الله غفور رحيم) مستأنفة أو تعليل للاستثناء.

وعن بعضهم: ان الآية نزلت في حسان حين تاب مما قال في عائشة رضي الله عنها.

تنبيه؛ قال الشيخ احمد ـ رحمه الله ـ الاستثناء بعد جمل عطف بعضها على بعض بالواو قال بعض يرجع إلى الاخيرة لقوله تعالى (الا الذين تابوا).

وحكى بعضهم عدم رجوعه إلى الجميع اتفاقا.

وحكى المصنف يعني الشيخ يوسف بن ابراهيم رحمه الله عن الشعبي اجازته واسقط الحد.

قال بعضهم: يرجع إلى الجميع لانه صالح له وتخصيصه بالبعض تحكم وايضا لو استثنى عقب كل جملة لعد عيبا واستهجانا من الكلام وهو الصحيح الا ان منعته قرينة ولذا قال الجمهور يجوز شهادة القاذف إذا تاب.

ذكر سعيد بن مسيب ان عمر رضي الله عنه قال: للذين شهدوا على المغيرة حين جلدهم من رجع منكم اجزنا شهادته ثم تلا الآية.

وحكاه عكرمة عن ابن عباس وهو قول ابي عبيدة والعامة من فقهائنا.

وقيل: بالوقف لان التخصيص والتعميم باطلان لان كل واحد تحكم.

وقال: الشريف مشترك بينهن فيوقف إلى ظهور القرينة.

وقال ابو الحسن البصري : ان تبين الاضراب عن الاول فللاخيرة وظهور الاضراب ان يختلفا نوعا نحو (اكرم بني تميم) والنحاة هم العراقيون (الا زيدا) أو اسما نحو (اكرم بني تميم وربيعة الا زيدا) وشرطه ان لا يكون في الاسم الثاني ضمير الاول نحو (اكرم بني تميم وعلماءهم) أو يختلفا حكما نحو (اكرم بني تميم واستأجرهم) وشرطه ان لا يشتركا في عرض نحو (اكرم بني تميم واخلع عليهم) فان الجملتين مشتركتان في التعظيم وعليه (فاجلدوهم ثمانين جلدة) إلخ. لان الغرض الاهانة والانتقام.

وقيل: ان ظهر الانقطاع من الاخيرة عما قبلها فمختص بها وان ظهر الاتصال فللجميع والا فالوقف ولا خلاف في رجوعه إلى الاخيرة ولا إلى الجميع مع القرينة والشرط والغاية والصفة مثل الاستثناء.

وزعم بعضهم ان الاستثناء راجع في الآية إلى الجلد اتفاقا نعم يرجع إلى الفسق اتفاقا عند بعض لكن الجمهور قالوا انه راجع إلى رد الشهادة وتوبته ان يكذب نفسه.

وقال مالك ان يصلح ويحسن حاله وان لم يرجع عن قوله بتكذيب.

واختلف المالكية من تسقط شهادته.

وقال ابن الماجشون: بنفس القذف.

وقال ابن القاسم: بتمام الجلد.

وقيل: انما ترد شهادة القاذف في النوع الذي قذف به وولد الزنى لا تقبل شهادته في الزنى باتفاق فيما قال الثعلبي والحق انه كغيره *

﴿والذين يرمون ازواجهم﴾ بالزنى * **﴿ولم يكن﴾** وقرىء بالمثناة الفوقية لان الشهداء جماعة ولانه ابدل منه ان تفسير في احد وجهين **﴿لهم شهداء الا انفسهم﴾** بدل من شهداء أولا وما بعدها نعت شهداء.

وان قلت: كيف يصح ذلك نعتا؟ قلت على معنى قول لم يمكن للقاذف (اربعة شهداء) كل واحد غير القاذف فافهم * **﴿فشهادة احدهم﴾** اي احد من يرمون الظاهر ان شهادة (خبر) لمحذوف اي فالواجب شهادة احدهم أو مبتدأ خبره محذوف اي واجبة يقدر بعد (الكاذبين) الاول أو يقدر فعليه شهادة احدهم.

وقدر بعضهم الخبر بعد (الكاذبين) كذا يدفع عنه العذاب بدليل ويدرأ عنها العذاب إلى آخره وهو صحيح * ﴿اربع﴾ مفعول مطلق لشهادة.

ورفعه حفص وحمزة والكسائي على انه خبر شهادة كأنه قيل فشهادة احدهم التي لابد منها اربع لا يكفيه أقل * ﴿شهادات بالله﴾ متعلق بشهادات لقربه أو بشهادة لتقدمه ولبناء الكلام عليه ويتعين تعليقه بشهادات في قراءة رفع (اربع) لئلا يلزم الاخبار عن المصدر قبل مجيء معموله الا ان ساغ هنا لكون المعمول ظرفا *

﴿انه لمن الصادقين﴾ فيما رماها به من الزنى يقول اربع مرات اشهد بالله اني لمن الصادقين فيما رميتها به من الزنى ﴿والخامسة﴾ اي والشهادة الخامسة ﴿ ان لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ﴾ أي يقول في المرة الخامسة اشهد بالله ان علي لعنة الله ان كنت من الكاذبين فيما رميتها به من الزنى وجملة انه لمن الصادقين مفعول لشهادة أو شهادات لان في الشهادة معنى القول مجاز ان تحكي الجمل بعدها كما تحكي بعد القول أو الجملة مقولة بقول محذوف.

وقيل: تقدر على فتعلق بشهادة أو شهادات فحذفت وكسرت (ان) فصارت الجملة مفعولة لشهادة أو لشهادات علق العامل منها على المفعول باللام توكيدا وان مخففة واسمها ضمير الشأن (ولعنة الله) مبتدأ وخبر (خير لها) وقرأ غير نافع ويعقوب بتشديد النون ونصب اللعنة وخفض الله ﴿ويدرأ﴾ يدفع * ﴿عنها﴾ عن الزوجة * ﴿العذاب﴾ حد الزنى جلدا أو رجما * ﴿ان تشهد﴾ في تأويل مصدر فاعل يدرأ ﴿اربع شهادات بالله انه

لمن الكاذبين﴾ فيما رماها به من الزنى تقول اربع مرات اشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما رماها به * ﴿والخامسة ان غضب الله﴾ غضب بكسر الضاد فعل دعاء على صورة الماضي والله فاعل والجملة خبر ان المخففة واسمها ضمير الشأن محذوفا وقرأ غير نافع بفتح الضاد وضم الباء وخفض الله فيكون غضب مبتدأ وقوله ﴿عليها﴾ خبره والجملة خبر لان وقرأ بعض السبعة بتشديد النون ونصب الغضب مع فتح الضاد وجر الله والمصدر من خبر ان في الموضعين خبر الخامسة في الموضعين ويجوز عطف الخامسة في الموضع الثاني على ان تشهد وما بعدها بدل منها أو خبر لمحذوف ونصبها حفص عطفا على (اربع) .

﴿ان كان من الصادقين﴾ فيما رماها به اي تقول في الخامسة اشهد بالله ان غضب الله علي ان كان من الصادقين فيما رماني به من الزنى .

فاذا تلاعنا كذلك سقط الحد عنهما وحصلت الفرقة بينهما بنفس اللعان ولا يجتمعان ابدا قال ﷺ (المتلاعنان لا يجتمعان ابدا) هذا مذهبنا ومذهب الشافعية والمالكية وزفر والحسن بن زياد وابي يوسف .

قال ابو حنيفة : ان الفرقة تحصل بتفريق الحاكم وانها فرقة طلاق بائنة وعليه بعض المالكية وكذلك محمد صاحب ابي حنيفة .

قالوا : إذا كذب الرجل نفسه بعد فحد جاز ان يجدد نكاحها ولا فرقة اصلا عند عثمان السبتي والاكثر على الاول وينفي عنه الولد ولو لمك يتعرضا له في اللعان .

وقيل: لا يحكم بنفيه عنه حتى يتعرضا له وينسب لامه وإذا كذب الزوج نفسه حد ولحقه الولد وحرمت كما لو لم يكذب نفسه وذلك إذا كذب بعد الحد وان لم يأت بكلمات اللعان كلها لم يتعلق به حكم.

وقال أبو حنيفة: إذا اتى بالاكثر فكأنه اتى بالكل وان لم يرتفعا إلى الامام فقيل لهما ان يقيما.

وقيل: ان لم ير الزنى بعينيه وكذلك ان ارتفعا ولم يتلاعنا أو لم يتم لعانه فلا يحكم عليهما بالتفريق وإذا اتمه فلا يجمع معها ولو لم تتم هي وإذا كذب نفسه وقد بقي من الملاعنة شيء حد ولا يجتمعان عند ابي عبيدة وعامة فقهائنا.

وقال ابن عبدالعزيز: يجلد حد القاذف وهي امرأة وعامة الناس على هذا والولد ولده في قولهم جميعا.

قال الشيخ هود: وإذا كذب نفسه بعد اللعان جلد ولا يجتمعان ويلحق الولد بها.

وقيل: به وهو قول العامة وتصح الملاعنة ولو قبل المسيس ولا يلاعن امرأته اليهودية ولا النصرانية ولا الامة ولا السرية وكذا ان كان الزوج عبدا والمرأة حرة أو امة.

قال الزهري والاوزاعي واصحاب الرأي: لا يجري اللعان الا بين مسلمين حرين غير محدودين وذلك ظاهر الشيخ هود والصحيح اجراء اللعان في ذلك كله وهو قول الاكثر وسعيد بن مسيب وسليمان بن يسار والحسن الربيع ومالك والثوري والشافعي.

وان انكر الرجل ولده من اليهودية والنصرانية لزمه الولد.

وقيل: لا وان انكره من الامة بعد اقراره به مرة لزمه وان قذف الرجل امرأة وهي في عدة طلاق يملك رجعتها تلاعنا ما كانت في العدة كما انها في العدة كما انها ان ماتت في العدة أو مات توارثا وكما انه اردفها طلاقا في العدة بلا مراجعة لحقها وكذا ان ظاهر منها في العدة ولا لعان في الكتمان خلافا لبعض ولا لعان الا بصريح الزنى.

قال الشافعي: يشهد الرجل الشهادات الخمس والمرأة قاعدة فاذا قضى شهدت قائمة والرجل قاعد ويأمر الامام من يضع على فم الرجل عند ارادته الخامسة ويقول اني اخاف ان لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله.

واللعان بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة على المنبر وبيت المقدس في مسجده ولعان المشرك في الكنيسة وحيث يعظم وإذا لم يكن له دين ففي مساجدنا الا في المسجد الحرام والمسلمون في مساجدنا وانما يصح اللعان عند الامام أو الحاكم أو نائبه ويكون في المسجد الجامع عند منبره واستحب بعض ان يكون بعد العصر واوجبه بعض ويستحب حضور اربعة فاكثر ولو تلاعنا عند الحاكم وحده لجاز.

واجاز بعضهم التلاعن في كل موضع يجوز فيه ذكر الله مسجدا أو غيره واستحب ان يكون في نشر من الارض إذا لاعن نزل وتصعد هي فتلاعن ولا لعان بين غير بالغير ولا بين بالغ وغيره وان اقام الزوج البينة بعد اللعان حدت وإذا امتنعت المرأة من اللعان حبست حتى تلاعن.

وقيل: إذا امتنعت رجمت ان احصنت وجلدت ان لم تحصن والمستحب في الفاظ اللعان ان ترتب كترتيب القرآن كما رأيت وان اتيا بها في

معنى ذلك جاز ولابد ان تكون خامسة الرجل لعنة وخامسة المرأة الغضب كما في الآية.

وان لاعنت المرأة قبل الرجل فعاده بعده على الصحيح وإذا كان الولد أو الجنين قال في شهادته ان هذا الولد أو الجنين ليس مني وتكذبه في شهادتها ولا يلزم تلقين الامام أو الحاكم أو نحوهما.

وقيل: يلزم فلو اتى احدهما بكلمة من كلمات اللعان من غير تلقين لم تحسب.

وجعل الله اللعان حجة للرجل إذ لا يمكنه الصبر على العار واعلم انه وقع اللعان لجماعة من الصحابة كهلال بن امية رمى زوجته بشريك والمشهور انه سبب نزول الآية وكعويمر العجلاني.

وجعلت اللعنة للرجل لافترائه وابهاته فابعد باللعنة وجعل الغضب للمرأة وهو اشد لانها تباشر وتكذب وتبهت بالقول وقل ما يقذفها الرجل كاذبا.

روي انه لما نزلت آية القذف تلاها ﷺ على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداءك ان وجد رجل مع امرأته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته ابدا وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ إلى ان يجيىء باربعة شهداء أو قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح ثم خرج فاستقبله هلال بن امية فقال: ما وراءك قال: شر وجدت على بطن امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك ابن سمحاء فقال: هذا والله سؤالي ما اسرع ما ابتليت به فرجع فاخبر عاصم رسول الله ﷺ فكلم خولة فقالت: لا ادري الغيرة ادركته ام بخلا على الطعام وكان شريك نزيلهم

وقال هلال: لقد رأيته على بطنها فنزلت آية اللعان فلاعن بينهما رسول الله ﷺ وقال عنه قوله ﷺ (ان لعنة الله علي) وقولها: (ان غضب الله علي) آمين.

وقال القوم: آمين وقال لها: ان كنت المميت بذنب فاعترفي فالرجم اهون عليك من غضب الله ان غضبه هو النار وقال: «تحينوا به الولادة» اي ينتظرون زمان الولادة فان جاءت به اصهب بضرب السواد فهو لشريك وان جاءت به اورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به.

قال ابن عباس فجاءت باشبه خلق لشريك فقال عليه الصلاة والسلام لولا الاسلام لكان لي ولها شان والاورق الجمل الابيض والخدلج غليظ الساقين ممتلئهما قصير الاصابع وكان ذلك الغلام امير النصر لا يدري من ابوه امر رسول الله ﷺ ان ينادى (الصلاة جامعة) وصلى العصر وقال لعويمر قم فقام فقال اشهد بالله ان خولة لزانيه واني لمن الصادقين ثم قال قل اشهد بالله اني رأيت شريكا على بطنها واني لمن الصادقين. ثم قال اشهد بالله انها لحبلى من غيري واني لمن الصادقين ثم قال اشهد اني ما قربتها منذ اربعة اشهر واني لمن الصادقين ثم قال: لعنة الله على عويمر ان كان من الكاذبين يعني نفسه ثم امره بالقعود فقعد ثم قال لخولة: قومي فقامت فقالت اشهد بالله ما انا بزانية وان عويمرا لمن الكاذبين ثم قالت: اشهد بالله ما رأى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين ثم قالت اشهد بالله اني لحبلى منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت: اشهد بالله انه ما رأى علي فاحشة قط وانه لمن الكاذبين.ثم قالت: غضب الله على خويلة ان كان من الصادقين تعني نفسها ففرق بينهما وقال لولا هذه الايمان لكان لي في امرها رأي.

وروي عن ابن عباس انه لما نزل (والذين يرمون المحصنات) الآية قال سعد بن عبادة: لو اتيت لكاع يعني امرأته وذلك الاسم ذم لها وقد تفخذها رجل يعني كان بين فخذيها لم اكن لي ان اهيجه حتى آتي باربعة شهداء فوالله لم اك لآتي بهم حتى يقضي حاجته ويذهب وان قلت ما رأيت فان في ظهري لثمانين جلدة فقال ﷺ «يامعشر الانصار الا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا لا تلمه انه رجل غيور ما تزوج امرأة قط الا بكرا ولا طلق امرأة واجترأ رجل منا ان يتزوجها» فقال سعد: بابي انت وامي والله لا اعرف انها من الله وانها حق ولكن عجبت من ذلك قال ﷺ «فان الله سبحانه يأبى الا ذلك» فقال: صدق الله ورسوله قالوا: فلم يلبث الا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن أمية من حديقه له فرأى رجلا مع امرأته يزني بها فامسك حتى اصبح فلما اصبح غدا على رسول الله ﷺ وهو جالس مع اصحابه فقال: يارسول الله اني جئت إلى أهلي عشاء فرأيت مع امرأتي رجلا رأيت بعيني وسمعت باذني وكره رسول الله ﷺ ما اتاه به حتى عرف في وجهه ذلك فقال هلال: اني لارى الكراهة في وجهك مما اتيتك به يارسول الله والله يعلم اني لصادق.

وما قلت الا حقا واني ارجو ان يجعل الله سبحانه فرجا فهم رسول الله ﷺ بضربه واجتمعت الأنصار وقالوا: إبتلينا بما قال سعد يجلد هلال وتبطل شهادته فنزل الوحي فامسك اصحابه عن الكلام حتى فرغ فنزل ﴿ والذين يرمون ازواجهم ﴾ الآيات تخصيصا لعموم آية القذف.

فقال ﷺ: ابشر ياهلال فان الله تعالى قد جعل لك فرجا فقالت: كنت ارجو ذلك من الله فقال رسول الله ﷺ: ارسلوا إليها فجاءت فلما

اجتمعا عند رسول الله ﷺ انكرت فقال ﷺ: ان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب فقال: يارسول الله قد صدقت وما قلت الا حقا فقال: لاعنوا بينهما.

فقيل لهلال: اشهد فشهد بالله انه لمن الصادقين اربع مرات فقال له عند الخامسة ياهلال اتق الله فان عذاب الدنيا اهون من عذاب الآخرة وان عذاب الله اشد من عذاب الناس وان هذه الخامسة هي الموجبة لعذابك فقال هلال: والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله ﷺ فشهد ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم قال للمرأة: اشهدي فشهدت اربعا انه من الكاذبين فقال لها: اتق الله فان الخامسة موجبة وان عذاب الله اشهد فتوقفت وهمت بالاعتراف ثم قالت: والله لا افضح قومي فشهدت ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق بينهما.

واعلم ان من زنى فذكر له فانكر وتاب غفر الله له ولا يفضح نفسه.

وفي رواية عن ابن عباس.ان هلال بن امية لما قذفها بشريك قال ﷺ البينة أو حدّ في ظهرك فقال يارسول الله: اذا رأى احد رجلا على امرأته ينطلق ويجيء بالبينة؟ فقال: البينة أو حدّ في ظهرك قاله مرارا فقال هلال: والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله ما يبرىء ظهري فنزلت آية اللعان فقرأها فارسل إليها فشهدا كما مر وقال لهما: ما مر فتوقفت كمامر فقال ﷺ انظروها فان جاءت به اكحل العينين سابغ الاليتين اي كبيرهما خدلج الساقين فهو لشريك فجاءت به كذلك فقال: «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن».

فبعض اخذ بظاهر الحديث وجعله لشريك وهو ضعيف لانها ليست له فراشا

وبعض قال: انه اراد ان ذلك امارة انه من ماء شريك لا يقين يلحق به وهو ابن امه.

وعن سهل بن سعد الساعدي ان عويمر العجلاني جاء إلى عاصم بن عدي فقال لعاصم ارايت لو ان رجلا وجد مع امرأته رجلا فيقتله فيقتلونه ام كيف يفعل سل لي عن ذلك رسول الله ﷺ فسأل عاصم النبي ﷺ فكره ذلك وعابه حتى كبر ما سمع منه ﷺ فتلاعنا فقال انظروا ان جاءت به اسيحم اي اسود ادعج العينين اي شديد سوادهما مع سعتهما فما احسب عويمر الا صادقا فجاءت به كذلك فكان ينسب لامه.

وفي بعض تلك الروايات الحكم في الولد مع عدم ذكر المتلاعنين له في لعانهما.

وعن محمد بن محبوب - رحمه الله - ان جاءت بالولد لاقل من ستة اشهر مذ دخل بها فهو لها أو لستة فله وان نكلا عن اللعان حدا جميعا وعويمر المذكور من أهل عاصم وروي ان عاصما سأل عن ذلك رسول الله ﷺ وما مضت جمعة أو جمعتان حتى ابتلي عويمر بذلك فقال عاصم: يارسول الله ابتليت بذلك في رجل من أهل بيتي فنزلت.

وعن بعض اصحابنا إذا لم يترافعا إلى الامام وسعهما المقام ولا يخفى في الآية والاحاديث ما فيها من التشديد على المرأة .

﴿ولـولا فضل الله عليكم﴾ عليكم متعلق بفضل أي لولا تفضله عليكم * ﴿ورحمته﴾ بالستر عليكم والخبر محذوف اي موجودان لا عليكم على الصحيح الذي هو مذهب الجمهور قاله ابن هشام.

واعلم انه عليكم فرحمته والمصدر من خبر ان معطوف على فضل أو كل على متلوه فيقـدر الاستقـرار الكـل وعـلى ضمير الاستقرار المستتر في (عليكم) فيقدر الاستقرار للفضل وكون الخبر هو قوله (عليكم) هو قول ابن الشجري ذكره ابن هشام.

﴿وان الله تواب﴾ بقبول التوبة في ذلك وغيره * ﴿حكيم﴾ فيما حكم به في ذلك وغيره وعن بعضهم فضل الله الاسلام ورحمته القرآن والصحيح ان فضله تفضله العام من امر الدين وغيره وجواب لولا محذوف اي ليبين الحق في ذلك وعاجل العقوبة من يستحقها أو نفضحكم وعاجلكم بالعقوبة ونحو ذلك فيؤخذ به دال على امر عظيم لا تبلغ به غاية ورب مسكوت عنه ابلغ من معـطوف به ﴿ان الـذين جاءوا بالافك﴾ بالكذب العظيم وهو البهتان لا يشعر به احد حتى يفاجئه.

وعن بعضهم الافك ابلغ ما يكون من الكذب واصل الافك القلب لانه قول مقلوب مأفوك اي مصروف عن وجهه والمراد ما بهتت به عائشة رضي الله عنها في غزوة (المريسيع) وهي غزوة بني المصطلق * ﴿عصبة﴾ جماعـة خبر لان * ﴿منكم﴾ خبر ثان أو نعت عصبـة والمـراد من المـولد حسان بن ثابت وعبدالله بن أبي ومصطح بن اثاثة وحمنة بنت حجش زوجة طلحة بن عبدالله وزيد بن رفاعة.

وان قلت عبدالله رأس المنافقين فكيف يكون منهم قلت كان يظهر الاسـلام والكـون حيث كان المؤمنون فاخبر الله سبحانه بظاهره وهو عالم بنفاقه أو غلب عليه غيره فان من ذكر كلهم موحدون الا اياه فأسر الشرك والعصبة عند بعضهم الجماعة من العشرة إلى الاربعين وهم من ذكر ومن ساعدهم وكانت عائشة رضي الله عنها تستحق الثناء والمدح بما كانت عليه من الحصـانة والشرف والعقل والعلم والديانة فمن رماها بسوء فقد قلب الحق بالباطل.

كان رسول الله ﷺ إذا اراد غزوة اقرع بين نسائه رضي الله عنهن ولما اراد غزوة المـريسع فخرج سهم عائشة رضي الله عنها قالت فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما نزل الحجاب فكنت احمل على هودج وانزل فيه حتى فرغ رسول الله ﷺ من غزوته فرجعنا حتى دنونا من المدينة اذن بالرحيل ليلة فقمت وجاوزت الجيش فلما قضيت شأني اقبلت إلى رحلي فالتمست صدري فاذا عقد لي بكسر العين واسكان القاف من جزع ظفار والجزع الخرز اليماني وظفار لقطام وحذام مدينة باليمن لحمير والمراد عقد قلادة وروي اظفار وهو جنس من الطيب لا واحد له.

وقيل واحده ظفر قد انقطع فرجعت التمسه وحبسني ابتغاءه فاقبل الرهط الذين يرحلونني فاحتملوا هودجي وهو ما تكون فيه المرأة على بعيري يحسبونني فيه وكانت النساء خفافا انما ياكلن العلقة من الطعام بضم العين واسكان اللام اي القليل منه فلم يستنكروا خفة الهودج وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعد ما ساروا فجئت منازلهم ولا داعي ولا مجيب فيها فجلست في المنزل الذي كنت فيه وظننت ان القوم

سيفقـدونني فيرجعـون إلي فغلبتني عيناي فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي رضي الله عنه قد عرس بتشديد الراء من وراء الجيش اي نزل آخر الليل ليستريح فادلج بتشديد الدال اي سار آخره فاصبح في منزلي فرأى سواد انســان نائم اي شخصه فعرفني حين رآني وكان يراني قبل الحجاب فاسترجع اي قال إنا لله وانا إليه راجعون فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهي بجلبابي أي غطيته بازاري والله ما كلمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه فهوى فاناخ راحلته فوطئي على يديها وولى عني ظهره فركبتها فانطلق يقود بي الرحلة حتى اتينا الجيش بعدما نزلوا موعرين في نحر الظهيرة اوعـر فهـو موعر نزل في مكان وعر أو صار فيه مطلقا ونحر الظهيرة شدة الحر فهلك من هلك في شأني هذه رواية للبخاري ومسلم.

وروي حتى اتينا الجيش بعدما نزلوا بعد سير وقدمت المدينة ومرضت شهرا والناس يفيضون في الافك وانا لا اشعر بشيء ورابني في وجعي اني لا ارى منه ﷺ اللطف الذي ارى منه حين اتوجع رابني شيء اوقعني في شك واللطف لين الكلام انما يدخل ويسلم ثم يقول كيف تيكم؟ وتي اسم اشارة لحقهـا الكاف والميم ثم ينصرف فذلك الذي يريبني ولا اشعر بشر حتى اقمت من مرضي فخـرجت انـا وام مصطح قبل المناصع إلى جهة المكان الـواسع الخالي للبول والغائط وكنا لا نخرج الا ليلا وذلك قبل ان تتخذ الكنف قريبا منا وامرنا من العرب الاول في التبرز قبل الغائط وكنا نتأذى بالكنف ان تتخذ في البيت وقضينا حاجتنا فرجعنا فعثرت ام مسطح في ثوبها وهي بنت ابي رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف وامها بنت صخر بن عامر خالـة ابي بكر الصديق وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب فقالت

تعس مسطح اي سقط بوجهه فقلت لها بئس ما قلت اتسبين رجلا شهد بدرا فقالت: ياهنتاه اي بالهاء نسبتها لقلة المعرفة الم تسمعي ما قال: قلت: وما قال؟ فاخبرتني بقول اهل الافك فازددت مرضا إلى مرضي ولما رجعت إلى بيتي دخل عليّ رسول الله ﷺ وقال: كيف تيكم؟ فقلت له اتاذن لي ان آتي ابويّ وانا اريد ان استيقن الخبر من قبلهما فاذن لي فقلت لامي: يامتاه ماذا يتحدث الناس بي؟ فقالت: يابنتي هوني على نفسك فوالله لقل ما كانت امرأة قط وضيئة الوجه عند رجل يحبها ولها ضرائر الا اكثرن عليها فقلت: سبحان الله.

ولقد تحدث الناس بها فبكيت الليلة إلى الصبح لا يرقي لي دمع اي لا ينقطع ولا اكتحل بنوم اي لا يدخل النوم عيني ثم اصبحت ابكي فدعا رسول الله ﷺ علي بن ابي طالب واسامة بن زيد يستشيرهما في فراقي فاما اسامة فقال: هي اهلك يارسول الله والله لا نعلم الا خيرا واما علي فقال: يارسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية نصدقك فدعا ﷺ بريرة فقال: اي يابريرة هل رأيت فيها ما يريبك قالت: لا والذي بعثك بالحق ما رأيت منها امرا اغمصه اي اعيبه عليها اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فياتي الداجن اي الشاة التي تألف البيت وتقيم فيه فيأكله فقام ﷺ وقال في يومه: (من يعذرني من رجل بلغ اذاه في اهلي) يعني الذي تولى كبر الافك عبدالله بن ابيّ وفي رواية بلغ (اذاه في أهل بيتي) اي من يقوم بعذري ان كافأته على سوء صنيعه (فوالله ما علمت على اهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا يعني صفوان وما كان يدخل على أهلي الا معي) فقال سعد بن معاذ احد بني عبد الاشهل فقال:

انـا يارسول الله اعذرك منه ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج امرتنا ففعلنا فيه امرك فقام سعد بن عبادة سيد الخزرج وام حسان بنت عمه من فخذه اي قبيلته وهو رجل صالح لكن صدر منه ما لا يخلو منه سائر البشر وتاب واستغفر فقال كذبت لعمري والله لا تقتله ولا تقدر على ذلك فهذا ما صدر منه فقال سيد ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعـد بن عبـادة كذبت والله لنقتله فانك منافق تجادل عن المنافقين فهم الاوس والخزرج ان يقتتلوا وتثأوروا اي نهضوا للقتال ورسول الله ﷺ على المنبر ولم يزل يخفضهم اي يهونهم ويسكنهم حتى سكتوا وبكيت يومي ذلك لا يرقى لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم ليلتي المقبلة كذلك فاصبح عندي ابواي وقـد بكيت ليلتين ويوما حتى اظن ان البكاء فالق كبدي فبينما انا ابكي وابواي عندي استأذنت امرأة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معي فبينما نحن كذلك اذ دخل رسول الله ﷺ ثم جلس ولم يجلس عندي من يوم قيل ما قيل الا ذلك اليوم وقد مكث شهرا لم يوح إليه في شأني وتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال اما بعد ياعائشة فانه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت المميت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فان العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب، تاب الله عليه والالمام بذنب الوقوع فيه.

وقيل: هو هنا من اللمم الذي هو من صغار الذنوب كنية الزنى ويرده ان الزنى كبيرة وقيل:مفارقة الذنب من غير فعل ولما قضى كلامه قلص دمعي اي انقطع حتى ما احس قطره فقلت لابي: اجب عني رسول الله ﷺ قال: والله لا ادري ما اقول لرسول الله ﷺ فقلت لامي كذلك فقالت: كقوله

فقلت: وانا حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن اني والله لقد علمت انكم سمعتم ما تحدث به الناس حتى استقر في نفوسكم وصدقتم به فان قلت لكم اني بريئة والله يعلم براءتي فلا تصدقوني وان اعترفت بما لم يكن صدقتموني والله لا اجد لي ولكم مثلا الا كما قال أبو يوسف: (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) ثم تحولت واضطجعت على فراشي وانا والله اعلم اني بريئة وان الله سيبرئني ولكن والله ما اظن ان ينزل في شأني وحي يتلى وانا احقر ان يكون لي ذلك ولكن رجوت ان يرى رسول الله ﷺ رؤيا فوالله ما تزحزح عن مجلسه ولا خرج احد من أهل البيت حتى انزل الله عليه فاخذه ما كان يأخذه من البرحاء اي من الشدة حتى انه لينحدر منه مثل الجمان اي الدر من العرق في يوم شات من ثقل الوحي فسرّي عنه وهو يضحك فكان أول كلمة ياعائشة احمد الله.

وفي رواية ابشري ياعائشة اما والله لقد ابرأك الله فقالت لي امي: قومي إلى رسول الله ﷺ فقلت: لا والله لا اقوم ولا احمد الا الله هو الذي انزل براءتي فنزل (ان الذين جاءوا) الآيات العشر وكان ﷺ يسأل زينب بنت حجش عن امري فقال يازينب ما علمت مارأيت فقالت: يارسول الله احمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها الا خيرا اي امنعهما من الوقوع في الشر وهي التي تساميني اي تغالبني في السمو من ازواج رسول الله ﷺ وعصمها الله بالورع وهلكت اختها حمنة فيمن هلك وصفوان قال سبحانه الله والله ما كشفت من كنف انثى اي سترها قط ثم قتل في سبيل الله وتاب حسان من الافك وكانت تكره ان يسب عندها وتقول انه القائل.

فان ابي ووالدتي وعرضي — لعرض محمد منكم وقاء

ودخل مسروق على عائشة فوجد عندها حسانا يقول ابياتا منها في عائشة :

حصان رزان ما ترون بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت عائشة لكنك لست كذلك قال مسروق : فقلت لها اتاذنين له ان يدخل عليك وقد قال الله تعالى (والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) قالت : واي عذاب اشد من العمى وهذا من مسروق نص في ان المتولى لكبره هو حسان والمشهور انه مسطح قالت كان ينافح اي يخاصم عن رسول الله ﷺ ويهاجي .

والحصان بالفتح المتعففة والرزان الثابتة والغرثاء الجائعة يقول انها لا تغتاب احدا ممن هو غافل * ﴿لا تحسبوه﴾ اي لا تظنون ايها المؤمنون الافك * ﴿شرا لكم بل هو خير لكم﴾ يأجركم الله به ويظهر براءة عائشة وصفوان والخطاب لمن شاء ذلك من المؤمنين ولا سيما رسول الله ﷺ وابو بكر وعائشة وصفوان .

وقيل : عائشة وصفوان عبر عنهما بلفظ الجماعة ومعنى كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم لانه كان بلاء مبينا ومحبة ظاهرة .

قيل : وانه نزلت فيه ثماني عشرة آية واحدة مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسـول الله ﷺ وتسلية له وتنزيه لأم المؤمنين رضي الله عنها وتطهير لاهل البيت وتهـويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به فلم تمجه اذناه وعدة الطافه للسامعين والتالين إلى يوم القيامة وفوائد دينية واحكام وآداب لا تخفى على متأملها قاله جارالله فإذ قال الله ذلك خير لصفوان وغيره فهو رضي الله عنه في الولاية وجملة لا تحسبوه مستأنفة .

﴿لكل امرىء﴾ احد * ﴿منهم﴾ من العصبة ﴿ما اكتسب من الاثم﴾ الـذنب هو كبير لكل منهم على قدر ما خاض في ذلك الافك من القول والتصديق والافشاء وحب ذلك * ﴿والذي تولى كبره﴾ وقرىء ايضا بضم الكـاف اي تولى عظم الافك اي تحمله وبدأ به﴿منهم﴾وهو عبدالله بن أبيّ بن أبي سلول (وهـاء كبره) للافـك وهاء (منهم) بالعصبة ﴿له عذاب عظيم﴾ عذاب الاخرة وقال مسروق انه حسان وان عائشة قالت ان عذابه العظيم هو العمى.

وقيل: هو مسطح وعذابه العمى ايضا وهما اشاعاه بعد عبدالله.

وروي ان حسان اشل الله يديه ايضا مع العمى والمشهور انه عبدالله وعذابه في الآخرة وكان مشهورا بالنفاق مطرودا وهو لعنه الله فمعن في عداوة رسول الله ﷺ وانتهاز الفرص له ومعظم الشر كان منه.

روى ان صفوان بن المعطل مر بهودجها عليه في ملأ من قومه قال من هذه فقالوا عائشة فقال: والله لا نجت منه ولا نجا منها امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها.

وقيل: الذي تولى كبره مراده به الجنس اي الذين تكلموا فيها بذلك وصدقوه لا البادي فقط وعذابهم حد القذف.

وروي انـه ﷺ بعد نزول براءة عائشة وصفوان جلد الذين رموهما ثمانين * ﴿لولا﴾ قال القاضي حرف تحضيض داخلة على قوله ظن المؤمنون لكن فصل بينهما (باذ) متعلقة بظن ﴿إذ﴾ حين ﴿سمعتموه﴾ اي الافك وجاز الفصل بين لولا والفعل وهو ظن بالظرف لانه منزل منزلته من

حيث انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التحضيض على ان لا يخلو باول ظن الخير.

قلت الظاهر انها حرف توبيخ وتنديم وهي مختصة بالماضي فصلت عنه بالظرف كما مر لاحرف تحضيض لان التحضيضية تختص بالمضارع وبالماضي الذي بمعناه لان التحضيض انما يكون على شيء مستقبل ولعله قال حرف تحضيض لان التوبيخ على واقع تحضيض على مستقبل ﴿**ظن المؤمنون والمؤمنات انفسهم خيرا**﴾ المؤمنون والمؤمنات اسمان ظاهران من قبيل الغيبة وهما والتاء الخطابية في سمعتموه لمسعى واحد ففي ذلك التفات من الخطاب إلى الغيبة ووضع الظاهر موضع المضمر والاصل ظننتم بانفسكم خيرا ونكته الالتفات التوبيخ بطريق الالتفات ونكته وضع الظاهر موضع المضمر التصريح بلفظ الايمان الدال على الاشتراك في الايمان مقتضاه ان لا يصدق مؤمن على اخيه أو اخته ولا مؤمنة على اختها أو اخيها قول عائب ولا طاعن ومن صدق قائلا على اخيه فكأنه صدقه على نفسه فان المؤمنين كنفس واحدة ولذا قال بانفسهم لكن المراد بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كأنه قيل ظن بعضهم ببعض خيرا.

قال ابو ايوب الانصاري ـ رضي الله عنه ـ: لزوجته ام ايوب الا ترين ما يقال فقالت: لو كنت بدل صفوان اكنت تفعل بحرمة رسول الله ﷺ سواء.

قال: لا.

قالت: ولو كنت انا بدل عائشة ما خنت رسول الله ﷺ فعائشة خير منى وصفوان خير منك.

وفي رواية ان ام ايوب دخلت على ابي ايوب.

فقالت: اسمعت ما قيل.

فقال: اتفعلن ذلك.

قالت: لا.

قال: فعائشة خير منك.

قالت: نعم * ﴿وقالوا هذا افك مبين﴾ كذب عظيم واضح لا يشوبه شيء ما من الصدق والعطف على (ظن المؤمنون) الخ فالتوبيخ والتنديم متسلطان عليه ايضا وفيه تنبيه على انه حق على المؤمن إذا سمع قولا في اخيه ان يقول بملأ فيه هذا الذي قيل فيه افك مبين تصريحا ببراءة ساحته كما انه حق عليه إذا سمع ان يظن فيه خيرا ولا يشك في الشر ويذب عنه كما يذب عن نفسه وينفي عنه السوء كما ينفي المتيقن المطلع على الحال وهذا ادب حسن قل القائم في الازمنة الماضية وكان منقطع في هذا الزمان وليتنا وجدنا من يسمع ولا يفشي بل ليتنا وجدنا ابن يسمع ويحكي على لسان غيره بان يقول قال فلان في فلان كذا.

﴿لولا﴾ توبيخ وتنديم * ﴿جاءوا﴾ اي العصبة * ﴿عليه﴾ اي على الافك اي الذي قلنا انه افك * ﴿بأربعة شهداء﴾ وهذا إلى قوله الكاذبون من مفعول القول تقريرا لكونه كذبا فان ما لا حجة عليه كذب كما قال.

﴿فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون﴾ اي يحكم عليهم بالكذب في الحكم الذي امر الله به عباده من ان من قال في احد بهتانا ولا بينة له يحكم عليه بالكذب في حكم الله وشريعته سبحانه وتعالى سواء كذبه في نفس الامر ايضا كما في رامي عائشة فانه كاذب في حكم الله الذي

وقع بين الناس وفي غيبة وهو المراد في الآية أو في الحكم فقط وهذا بان يصدق في قوله ولا بينة له.

ومن قذف ولو صخرة وجب زجره وذمه فكيف من قذف امرأة محصنة مسلمة وكيف من قذف ام المؤمنين رضي الله عنها الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله ﷺ وحبيبة حبيب الله وفي ذلك تعنيف لمن سمع الافك ولم يجتهد في انكاره.

وإذا ان قلنا حرف تعليل فلا اشكال وان قلنا حرف زمان تعلقت بمحذوف خبر لاولئك كما يأتي في عند والفاء صلة لتضمن اذ معنى الشرط وجعلها بعض ظرف زمان اسم شرط والفاء في جوابها وعند متعلق بخبر محذوف اي كاذبون عند الله لا بالكاذبون لئلا يلزم تقديم معمول صلة الموصول عليه الا ان جعلنا ال في الاوصاف حرف تعريف فلا مانع من تعليق عند بـ (الكاذبون).

واجاز بعضهم تقديم معمول صلة (ال) على (ال) وعلى الاول يكون هم الكاذبون مستأنفا أو خبر ثانيا فائدته التنبيه على ان كذبهم كامل حتى ان غيره من الكذب بالنسبة إليه كلا كذب وعلى غير الاول جملة هم الكاذبون خبر أولئك واعلم ان همزة اولئك مضمومة والواو بعدها زائدة في الخط.

لاحظ لها في الاصالة ولا في النطق وانما هي كواو عمرو ويدل على ذلك ضبطها في كتبنا بحلقة حمرا فانها لو كانت من حروف الكلمة الاصلية أو الزائدة لم تسكن سكونا حيا في الخط أي لا تسكن الواو سكونا حيا بعد

ضمة ولا الياء بعد كسرة ولو لم تضبط بتلك الحلقة لتوهم انها حرف تمد به الهمزة مدا مثل مد همزة أو من مد مدا طبيعيا *

﴿ولولا﴾ امتناعية * ﴿فضل الله عليكم﴾ تفضله بانواع النعم التي من جملتها الامهال للتوبة.

وقيل: فضله الاسلام * ﴿ورحمته﴾ في الآخرة بالعفو والمغفرة (ان تبتم) وقيل رحمته القرآن * ﴿في الدنيا﴾ عائد للمفضل * ﴿والآخرة﴾ عائد للرحمة ففي الآية لف ونشر مرتبان * ﴿لمسكم﴾ عاجلا * ﴿فيما أفضتم فيه﴾ (في) للتعليل اي لمسكم لاجل الذي خضتم فيه * ﴿عذاب عظيم﴾ زيادة على اللوم والجلد والخطاب للمعصية.

وان قلت فهذا يقتضي ان عبدالله مرحوم في الآخرة؟ قلت: لا لان الله جل وعلا بسط رحمته له ولغيره على التوبة ورغب فيها فلم يتب ويحتمل ان يراد الفضل والرحمة في الدنيا والآخرة على التوزيع فمن تاب فالفضل والرحمة عليه دنيا واخرى ومن لم يتب فالفضل والرحمة عليه في الدنيا والعذاب العظيم عذاب الدنيا والآخرة لمن لم يتب وعذاب الدنيا لمن تاب والهاء عائدة إلى ما ويصح ان تكون ما مصدريه والهاء للافك اي لاجل افاضتكم في الافك * ﴿إذ تلقونه﴾ متعلق لمسكم ولا ينافي هذا كون العذاب عذاب الآخرة فانهم إذا مسهم عذاب الموت حين التلقي فقد دخلوا في عذاب الآخرة ويجوز تعليقه (بافضتم) والاصل تتلقونه حذفت احد التائين وتلقيه رواية بعضهم عن بعض إياه والهاء للافك وقرىء بادغام الدال في التاء قرىء تتلقونه باثبات البائين وتلقونه بكسر التاء وتلقونه بفتحها واسكان اللام

من لقيه بمعنى لقيته وتلقونه بضمها واسكان اللام وضم القاف من القاه بمعنى اوصلة بعض إلى بعض والقاه عليه واملاه عليه.

وقرأت عائشة وابن يعمر (تلقونه) بفتح التاء وكسر اللام وضم القاف من ولق بمعنى كذب فقال الطبري: من ولق بالشيء إذا اسرع به.

وقرىء (تالقونه) من الولق ايضا.

وقرأت فاطمة: تتلقفونه.

وقرىء تتقفونه من تقفه إذا طلبه ووجده.

وقرىء تقفونه اي تتبعونه .

﴿بالسنتكم﴾ جمع لسان مراعاة لتذكيره وإذا انت جمع على السن ﴿وتقولون بافواهكم﴾ جمع فم اسقطت الميم الزائدة عوضا ورجعت عين الكلمة ولامها فالعين واو واللام هاء والاصل فوه باسكان الواو حيا.

وقيل: بفتحها والميم عوض عن العين واما اللام فحذفت تخفيفا كحذف (لام ودم) والبسط في النحو وانما قال بافواهكم مع ان القول لا يكون الاَ منه اشارة إلى انه كلام لسان لم يوافقه القلب * ﴿ما ليس لكم به علم﴾ بانه حق * ﴿وتحسبونه هينا﴾ سهلا لا اثم فيه * ﴿وهو عند الله عظيم﴾ كبيرة وتباعة فيما بين الله والقائل وفيما بين القائل والمقول فيه.

روي عن بعضهم انه جزع عند الموت فقيل له: فقال: اني اخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وعن بعض لا تقولن لشيء من سيئاتك صغير فلعله عند الله نحلة وهو عندك نقير.

وعن ابن عباس ليس فيما يعصى الله به صغير فاما ان يريد انه ليس لاحد ان يتهاون بذنب ما واما انه نفي الصغيرة استئذان ابن عباس رضي

الله عنهـا على عائشـة وهي تعالج سكرات الموت وعندها عبدالرحمن ابن اختهـا فاذن له وجلس وقـال ابشري ياام المؤمنين فوالله ما بينك وبين ان يذهب عنك كل اذى ونصب فتلقى الاحبة محمدا واصحابه الا ان تفارق الروح جسدها وقد انزل الله براءتك من فوق سبع سموات وما من مسجد في الارض الا ويتـلى فيه ذكـرك ليلا ونهارا وسقـطت قلادتك ليلة الايواء فاحبس النبي ﷺ واصحابه في طلبها حتى اصبح القوم على غير ماء فانزل الله آية التيمم رخصة منه على الناس فوالله انك لمباركة فقالت دعني ياابن عباس من هذا فوالله لوددت اني كنت نسيا منسيا .

والاصرار بعـد الذنب والتهاون به اعظم من الذنب وشر منه وقد وصف الله العصبة بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب بها .

الاول تلقي الافك بالسنتهم بالرواية والسؤال كان الرجل يلقى آخرا فيقول له ما وراءك؟ فيحدثه بحديث الافك فشاع وانتشر في كل بيت وناد

والثاني التحدث به من غير تحقيق .

والثالث استصغارهم لذلك وهو من العظائم ﴿ولولا﴾ فيه ما في لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون * ﴿إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا﴾ لو اسقط الكون لصح ولكن ذكر اشارة إلى معنى قولك ما ينبغي وما اتضح لنا ﴿سبحانك﴾ اما تعجب من عظم الامر الاصل ان يسبحوا الله في كل رواية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه واما تنزيه لله ان تكون زوجة نبيه زانية والانبياء مبعوثون إلى الكفار ليدعوهم فلا يكون معهم منفر كزناء الازواج ولم يكن الكفر عندهم منفرا مانعا لهم عن الاسلام فامراتا نوح ولوط كافرتان .

﴿هذا﴾ اي الذي قيل في عائشة رضي الله عنها قيل أو القذف مطلقا * ﴿بهتان عظيم﴾ كذب عظيم يبهت به المقول فيه ويبقى حيران وحقيقة البهتان ان يقال في احد ما ليس فيه مما يضره والغيبة ان يقال ما فيه ويكرهه.

روي ان ابا ايوب قالت له امرأته ابلغك ما يقول الناس في عائشة؟ فقال: سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الآية على وفق قوله ﴿يعظكم الله﴾ اي ينهاكم والمراد انشاء الوعظ لا استقباله * ﴿ان تعودوا﴾ اي عن ان تعودوا.

وقيل: يعظكم ويذكركم كراهة ان تعودوا أو في ان تعودوا

ويقال: وعظت فلانا في كذا فتركه.

وعن ابن عباس يحرم الله عليكم وعليه فان تعودوا مفعول يعظ * ﴿لمثله ابدا﴾ اي إلى مثله والابد ما استقبل من الدنيا اي يعظكم ايها الناس عن ذلك ابدا فليس يحل لاحد مادامت الدنيا والخطاب لمن في ذلك الزمان والابد مدة حياتهم مكلفين ويقاس عليهم غيرهم وهو أولى * ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ فان الايمان التام يصد عن كل قبيح هيجهم على ترك العود يجعله العود مخرجا عن الايمان التام وبالآية ونحوها منع اصحابنا رحمهم الله وجازاهم عن الصراط المستقيم خيرا ان يطلق على صاحب الكبرة اسم مؤمن * ﴿ويبين الله لكم الآيات﴾ الدالات على الشرائع ومحاسن الآداب * ﴿والله عليم﴾ بالاحوال وبما يليق وبما لا يليق من أمر ونهي * ﴿حكيم﴾ في ذلك وليس من الحكمة ان يعلم نبيه الزنى من زوجته ويقعد عليها ولا ان يجعل زوجة نبي زانية فذلك حرام منفر يخل بمقصود النكاح وقوله: (لولا اذ

سمعتموه قلتم) إلى (حكيم) لقمع الرجل الكذاب المغتاب الفاحش اللسان والشاعر الكثير الهجو ولمن يخاف من شره فمن اراد ذلك فليقرأ الآيات على ماء عنب ابيض ثم يضيف اليه سكرا ثم يصنع منه حلوى او عقيدا أو طعاما ويطعم منه من هذه حالته ثم يكتب الآيات بعسل لم تمسه النار في شقف طين ثم يجعل في الماء الذي يشرب منه من هذه حاله .

﴿ان الذين يحبون ان تشيع﴾ تشتهر باللسان فكانوا يشيعونها بحبهم ان تشيع * **﴿الفاحشة﴾** فاحشة الزنى وغيره وهم العصبة ومثلهم إلى يوم القيامة * **﴿في الذين آمنوا﴾** عائشة وصفوان رضي الله عنهما والنبي ﷺ وابو بكر رضي الله عنه ونحوهم إلى يوم القيامة .

وقال مجاهد: المراد في ذلك قاذفو عائشة وصفوان ومن معهم **﴿لهم عذاب اليم في الدنيا﴾** كالحد والشتم والطرف والعمى والشلل لمن حصلا له وقصد صفوان حسانا فضربه بالسيف فكف بصره **﴿والآخرة﴾** كالعذاب بالنـار وعذاب القبر لمن لم يتب وعذاب القبر والتوبيخ لمن تاب * **﴿والله يعلم﴾** براءة عائشة وصفوان وما في القلوب من الاسرار كمحبة الشياع فهو معاقب على ذلك * **﴿وانتم لا تعلمون﴾** الا بعد اخباري اياكم * **﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رءوف رحيم﴾** بكم لعاجلكم في الدنيا والخطاب للعصبة وكرر ذلك تكريرا للمنة بالامهال مع عظم الجريمة وفي حذف الجواب وذلك التكرار مع ذكر الرافة وذكر الرحمة ايضا بعدها مبالغة عظيمة .

﴿يأأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ جمع خطوة وهي ما بين القدمين في المشي وذلك كناية عن طرقه المهلكة ومنها القذف ومحبة الشياع .

وقرأ غير نافع والبزي وابي بكر وحمزة وابي عمرو بضم الطاء وقرىء بفتحها * ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان﴾ جواب الشرط محذوف اي يهلك وناب عنه قوله * ﴿فانه﴾ اي الشيطان * ﴿يامر بالفحشاء والمنكر﴾ وهذه الفاء تعليل للجواب المحذوف أو تعليل للنهي ولك ان ترجع (الهاء) لمن فتكون الجملة هي الجواب والفحشاء ما فرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع انكره العقل والعادة ام لم ينكراه واصله ما تنكره النفس وتنفر عنه * ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ بالستر لعيوبكم وذنوبكم كالقذف وبالتوبة والحدود الماحية لها إذا ظهر منها ما يجب الحد عليه * ﴿ما زكى﴾ ما طهر من الدنس * ﴿منكم﴾ حال (لأحد) قول في قوله * ﴿من احد﴾ فاعل وقدم حاله عليه ولو كان مجرورا لان الجار صلة .

وقرىء ما (زكى) بالتشديد اي الله (فاحد) مفعول ﴿ابدا﴾ والخطاب على العموم وقيل للعصبة وغيرهم مثلهم * ﴿ولكن الله يزكي من يشاء﴾ يطهره بان يوفقه إلى التوبة ويقبلها عنه * ﴿والله سميع﴾ لاقوالكم ﴿عليم﴾ بنياتكم ولاراضي على العاقل عن الاشتغال بغيره ولا موجب للاهتمام بنفسه مثل هجوم ميتة وحلول رمسه .

قال ابو عمر وابن عبدالبر من زهاد الاندلس وعلمائه عن اسماعيل بن كثير قال : سمعت مجاهدا يقول : ان الملائكة مع ابن آدم فاذا ذكر اخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك مثله وإذا ذكره بشر قالت الملائكة : ابن آدم

للمستور عورته اربع على نفسك أي قف عليها واحمد الله الذي ستر عورتك.

وفي سنن ابي داود عن النبي ﷺ «من حمى مؤمنا من منافق بعث الله ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم ومن رمى مسلما بشيء يريد به شينه حبسه الله عز وجل على جسر جهنم حتى يخرج مما قال» وعنه ﷺ «ما من امرىء مسلم يخذل اخاه في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته وما من امرىء ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته الا نصره الله في موضع يحب فيه نصرته».

قال عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ: من سمع بفاحشة فافشاها فهو كالذي اتاها.

قال مالك بن دينار: كفى بالمرىء شرا ان لا يكون صالحا ويقع في الصالحين .

﴿ولا يأتل﴾ اي لا يحلف ووزنه يفتع والاصل يفنعل حذفت لام الكلمة للجازم فالياء حرف مضارعة والالف فاء الكلمة اعني انها بدل من فائها وهي الهمزة والتاء زائدة واللام عين الكلمة وحذفت الياء بعدها وهي لام الكلمة وثلاثية الباء وبدل لذلك.

قرأ الحسن (ولا يتالّ) بفتح الهمزة أو تشديد اللام مفتوحة محذوفا بعدها ألف للجازم من (تالي) كـ (تدلى) وبدل له ايضا ان ابا بكر رضي الله عنه كان ينفق على مسطح بن اثاثة لقرابته منه.

قيل: كأن ابن خالته ولفقره وكان من فقراء المهاجرين ولما رمى عائشة قال والله لا انفق عليه شيئا ابدا فنزل (ولا يأتل) الخ.

وقيل: (لا يأتل) بمعنى لا يقصر من قولهم (ما الوت) جهدا إذا لم بدخر منه شيئا * ﴿أولو الفضل﴾ أصحاب الغنى * ﴿منكم والسعة﴾ أي الوسع في المال.

وقيل: المراد بالفضل الفضل في الدين ففيه شرف لابي بكر رضي الله عنه * ﴿ان بؤتوا﴾ يعظوا * ﴿اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله﴾ ان فسر (لا يأتـل) بلا يحلف فالتقدير على ان لا يؤتوا أو بلا يقصر فالتقدير في ان يؤتوا.

وقـرأ أبـو حيوة (ان تأتـوا) بالفوقية على طريق الالتفات من الغيبة للخـطاب ويناسبـه (ألا تحبـون) وتلك الصفـات الموصوفات فيكون فيه التخصيص ايتاء على القريب وايتاء المسكين وايتاء المهاجر أو الموصوف واحد عطف بالواو أي ان يؤتوا من جمع هذه الصفات * ﴿وليعفوا﴾ عما صدر * ﴿وليصفحـوا﴾ يعـرضـوا عنـه * ﴿الا تحبـون ان يغفـر الله لكم﴾ الا للتخصيص أو الهمزة للاستفهام الانكاري أو التقريري ولا نافيه والمراد (الا تحبون) ان تعفوا وتصفحوا فيغفر الله لكم ﴿والله غفور رحيم﴾ مع كمال قدرته فاعفوا كما يعفو * اي انفقوا على هؤلاء المذكورين الاقارب والمساكين والمهاجرين ولو كانت منهم جناية عليكم كما ترجون ان يغفر الله لكم مع كثرة خطاياكم ولما نزلت الآية قرأها ﷺ على ابي بكر فقال أبو بكر: بلى احب ان يغفر الله لي ورجع إلى مسطح ينفقه وقال والله لا اترك الانفاق عليه ابدا

ولا انقص شيئا مما كنت افعل له وقد كان يتيما في حجره قبل ذلك وكان بين دار ابي بكر وداره خربة.

وروي ان مسطحا جاءه واعتذر اني كنت اسمع ولا اقول فنزلت الآية فرجع إلى الانفاق وكفر عن يمينه.

قال ﷺ:«من حلف على شيء فرأى خيرا منه فليأت إلى الذي هو خير وليكفر عن يمينه» وفي قوله: (الا تحبون ان يغفر الله لكم) تشريف لابي بكر فانه دعاء إلى المغفرة.

والخطاب عام للحالف بان لا يعود إلى مثل الحلف ولغير الحالف.

وقيل: هو لابي بكر وجمع له تعظيما وقد احتمل الاذى رضي الله عنه ورجع إلى الانفاق لامر الله له بالعفو والصفح كما امر به رسول الله ﷺ في قوله (فاعفو عنه واصفح) فابو بكر ثاني اثنين له ﷺ في كثير من الاخلاق بل في جميعها الا ما خص به النبي ﷺ.

وقيل: حلف ناس من الصحابة ايضا ان لا ينفقوا على من تكلم بشيء من الافك فخوطبوا هم وأبو بكر بذلك.

وقال بعض قومنا:هذه ارجى آيه من حيث لطفه بالقذفة العصاة بهذا اللطف ويرده ان هذا بفضل دنيوي وانما ارجى آية مثلا (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) في المواضع المذكورة وقوله (ياعبادي الذين اسرفوا) وقوله: (الله لطيف بعباده) (ولسوف يعطيك ربك فترضى) فيما قيل: (وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا) وغير ذلك مما يذكر في مواضعه.

ومما جاء في الصفح قوله ﷺ:(رأيت قصورا مشرفة على الجنة فقلت ياجبريل لمن هذه قال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس).

وقوله لمعاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن (مازال جبريل يوصيني بالعفو فلولا علمي بالله لظننت انه يوصيني بترك الحدود).

وقول الحسن إذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله اجر فليقم فلا يقوم الا العافون عن الناس.

وقول علي: (أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة).

وقوله: (إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه).

وقوله: (ان أول عوض الحليم عن حلمه ان الناس له انصار على الجاهل).

وقوله: (للمنتصر لذة العفو يلحقها حمد العافية ولذة التشفي يلحقها ذم الندم).

وكـان المـأمون يحب العفو ويؤثره ويقول لقد حبب اليّ العفو حتى اخاف ان لا اثاب عليه ولو علم أهل الجرائم لذتي في العفو لا ارتكبوها ولو علم الناس حبي للعفو لما تقربوا إليَّ الا بالجنايات.

وقال الرشيد لاعرابي: بم بلغ فيكم هشام بن عروة هذه المنزلة فقال بحملة عن سفيهنا وعفوه عن مسيئنا وحمله عن ضعيفنا لا منّان ان إذا وهب ولا حقـود إذا غضب؛ رحب الجنان سمح البنان ماضي اللسان فأومأ الرشيد إلى كلب صيد كان بين يديه فقال لو كان هذه في هذا الكلب لاستحق به السؤدد .

﴿فائده﴾ يكتب أولوا بالواو وبعد همزة مضمومة بالجر والنصب للفرق بينهم وبين (إلى) الجارة في الرسم وحمل عليهما الرفع وهذه الواو ليست من حروف الكلمة الاصلية ولا الزائدة انما هي كواو عمرو وفي ضبطها بحلقة

حمراء بعد ضمة دليل على ذلك على حد مامر في اولئك ﴿ان الذين يرمون﴾ بالزنى ﴿المحصنات﴾ العفائف عن الزنى * ﴿الغافلات﴾ عما قذفن به بان لا يقع في قلوبهن فعله ﴿المؤمنات﴾ وذلك تعظيم لعائشة فان فيه اشارة إلى انها محصنة غافلة مؤمنة وتهوين وتحقير وذم لقاذفيها مع ان هذه صفاتها استباحة لعرضها وطعنا في رسول الله ﷺ والمؤمنين * ﴿لعنوا في الدنيا﴾ بالحد والبغض والشتم * ﴿والآخرة﴾ بعذاب النار وغيرها استحقوا الاهانة والبعد عن مواطن الخير في الدنيا والآخرة ولذا عبر بالماضي مع ان الآخرة مستقبلة ولانها كالحاضر لانها لابد منها * ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ وذلك في كل مقذوفة مؤمنة محصنة.

وقيل: ذلك في أزواج النبي ﷺ.

وقيل: في عائشة وجمعت تعظيما والتوبة مبسوطة لكل قاذف وذكر بعضهم ان ذلك في حق عبدالله بن ابي بن أبي سلول لا توبة له.

وعن سعيد بن جبير من قذف زوجة من ازواج النبي ﷺ بالزنا فلا توبة له ومن قذف مؤمنة غيرهن فله توبة لقوله تعالى: ﴿ والذين يرمون المحصنات ﴾ إلى قوله ﴿تابوا﴾ ولم يجعل لقذفه عائشة توبة والصحيح ان لهم توبة لدخولهم في تلك الآية وتقييد عذابهم بعذاب التوبة من تلك الآية وغيرها ولان المراد بالفضل والرحمة والتفضل بقبول التوبة وغيره وعن بعضهم ان لكل قاذف توبة الاقاذف عائشة رضي الله عنها.

وكان ابن عباس بالبصرة يوم عرفة وجعلوا يسألونه عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الآيات.

فقال: من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في أمر عائشة ولو فتشت وعيد القرآن كله ووعيد عبدة الاصنام وغيرهم لم تجد فيه وعيدا يساوي قذف عائشة في الغلظ ولا وعيدا الا دون وعيد قذفها نزل فيه آيات مشحونة بأبلغ عقاب وتشنيع على طرق مختلفة كل واحد منها كاف في بابه اوجز واشبع واجمل وافضل واكد وكرر ولو لم ينزل الا هذه الآية لكفى بها إذ جعلهم ملعـونين في الدارين وتوعدهم بالعذاب العظيم في الاخرة وبشهــادة جوارحهم بما افكـوا بانـه يوفيهم الله جزاهم الـذي اهم اهله فيعلمون ان الله هو الحق وما ذلك الا تعظيم لعائشة تعظيما لم يعظمه غيرها واظهار لعلو منزلة رسول ﷺ وبراءة ساحة سيد ولد آدم وخيرة الخلق وغضب شديد في حرمته ونفي التهمة ولا يخفى ذلك على من تأمل آيات الافك.

ولقد برأ الله يوسف بلسان الشاهد (وشهد شاهد من أهلها) وموسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه كما تراه في محله ومريم بنطق ولدها عليهم الصلاة والسلام وكم بين تبرئة هؤلاء وتبرئة عائشة رضي الله عنها في هذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلو على مر الدهور المحفوظ عن التبديل والتغيير.

﴿يوم﴾ يتعلق بالاستقرار الذى تعلق به قوله لهم او بقوله لهم لنيابته عن الاستقرار أو بمحذوف اي يعذبون يوم لا بالعذاب لانه موصوف * ﴿تشهد﴾ وقرأ حمزة والكسائي بالتحتية لان الفاعل ولو كان مؤنثا لكن تأتيته مجازي وهـو ظاهـر مفصـول وقوي التذكير واما جوازه فيكفيه كونه ظاهرا مجازي التأنيث.

﴿عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون﴾.

من قول وفعل تشهد الالسنة قبل الختم على افواههم ثم يختم عليها فتتكلم الايدي والارجل وذلك اليوم يوم القيامة وفي شهادة الجوارح عليهم بغير اختيارهم مزيد تهويل للعذاب ﴿يومئذ بوفيهم الله﴾ يجازيهم فقوله * ﴿دينهم﴾ مفعول مطلق أي جزاءهم أو يوفيهم بمعنى يعطيهم ويحضر لهم فدينهم مفعول به ﴿الحق﴾ اي الواجب عليهم اي الذي استوجبوه بعملهم أو العدل أي جزاؤهم العدل.

وقرىء بالرفع نعتا لله.

وقرأ أبيّ وابن مسعود (يومئذ يوفيهم الله الحق دينهم) بنصب الحق وتقديمه فدينهم بدله.

﴿ويعلمون ان الله هو الحق﴾ الثابت الموجود وهو من اسماء الله تعالى أو هو العدل ضد الباطل فيقدر مضاف اواصله الحاق بوزن فاعل للنسب ﴿المبين﴾ الظاهر بالآيات أو الذي ظهر عدله ومن صفته ذلك لا تسقط عنه اساءة ولا إحسانة فحقه لان تجتنب محارمه ولا يشاركه غيره في الالوهية ولا يقدر على الثواب والعقاب سواءه .

وقيل: معنى (المبين) انه يبين لهم حقيقة ما أوعدهم في الدنيا ﴿الخبيثات للخبيثين﴾ اي الكلمات والافعال الخبيثات للرجال والنساء الخبيثين * ﴿والخبيثون للخبيثات﴾ كذلك وقيل الخبيثات الكلمات الخبيثات * ﴿والطيبات للطيبين﴾ أي الكلمات والافعال الطيبات وقيل الكلمات الطيبات ﴿والطيبون للطيبات﴾ كذلك والمراد ان الخبيث من قول وفعل لا يليق ان يقال أو يفعل الا بالخبيث من الناس والخبيث من الناس

يليق به ذلك والطيب من الناس يليق بطيب القول والفعل ويليق به طيب القول والفعل كل مناسب للآخر.

هذا تفسير الجمهور وذلك كلام جرى مجرى المثل لعائشة وصفوان ان ما رميا به لا يطابق حالهما وفي ذلك تعريض بمدح عائشة وصفوان وذم راميهما.

وقيل: المعنى ان الكلمة الخبيثة انما تصدر من الخبيث والطيبة من الطيب فذلك تعريض بان من نفى عنهما مارميا به طيب ومن رماهما خبيث ودخل في الخبيثين الرجال والنساء وكذا في الطيبين.

وقيل: المعنى النساء الخبيثات يتزوجن الرجال الخبيثين وبالعكس ولو صدق الافكون لما كانت عائشة زوجة رسول الله ﷺ فالحاصل ان عبد الله بن ابيّ هو الخبيث وبه تليق الكلمة الخبيثة وقوعا منه وايقاعا عليه والزوجة الخبيثة وكذلك مثله بخلاف عائشة ومثلها فيليق بها الطيب من القول وزوجها طيب وكذا صفوان *

﴿اولئك﴾ الطيبون ﴿مبرأون﴾ منزهون * ﴿مما يقولون﴾ اي مما يقول الآفكون فيهم وذلك كله على العموم.

وقيل: المراد أهل بيت النبي ﷺ.

وقيل: النبي ﷺ وعائشة وصفوان رضي الله عنهما.

وقيل: عائشة وصفوان عبر عنهما بالجمع.

وقيل: عائشة وجمع لها تعظيما ويجوز ان يكون المعنى اولئك مبرأون من ان يقولوا مثل ما قال الخبيثون الافكون.

ومن فسر الخبيثات والطيبات بالاقوال والافعال ابن عباس ومن فسرهما بالنساء ابن زيد.

﴿لهم مغفرة﴾ بذنوبهم * ﴿ورزق كريم﴾ في الجنة.

وكان مسروق إذا حدث عن عائشة قال حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله المبرأة من السماء وعن عائشة رضي الله عنها لقد (اعطيت تسعا ما اعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حين امر رسول الله ﷺ ان يتزوجني وروى انه اوتي بصورتها في حريرة وقال هذه زوجتك ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان رأسه في حجري وفي يومي ولقد اقبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وان الوحي لينزل عليه في أهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل عليه وانا معه في لحافه واني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلفت طيبا عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما) ﴿ياايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا﴾ وقرىء بكسر الباء لاجل الياء بعدها وكذا فيما ياتي *

﴿غير بيوتكم حتى تستأنسوا﴾ اما من الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش لان من يطرق باب غيره لا يدري ايؤذن له ام لا فاذا اذن له استأنس فكأنه قيل: حتى يحصل لكم الاستئناس بان اذن لكم وما لم يؤذن لك فانت في وحشة أو غير باللازم الذي هو الاستئناس عن الملزوم الذي له الاذن وايضا الاستئناس مسبب والاذن سبب واما من استئناس الذي هو الاستعدام والاستكشاف من آنس الشيء إذا ابصره ظاهرا مكشوفا اي حتى تستكشفوا هل يراد دخولكم ام لا واما من الانس ضد الجد اي حتى تتعرفوا هل ثم انسان وهذا ضعيف لانه لا يصدق بها إذا عرف ان في البيت انسانا

ولا يستفاد منه حكم هذا ولان ظاهره انه إذا عرف ان فيه انسانا دخل وعلى كل حال فتستأنسوا بوزن تستفعلوا والفه بدل من فاء الكلمة وهي الهمزة ونونه عين الكلمة وسينه لام الكلمة وذلك واضح .

وزعم عياض ان تصريف الفعل يابى ان يكون من انس .

وقرأ ابن عباس وابيّ (حتى تستأذنوا) .

وعن ابن عباس وابن جبير انما هي حتى تستأذنوا فاخطأ الكاتب فكتب حتى تستانسوا وليس قولهما في الاخطأ بشيء وهو باطل لا يعول عليه .

وعن الطبري حتى تستأنسوا حتى تؤنسوا أهل البيت بانفسكم بالتنحنح والاستئذان ونحوه وتؤنسوا نفوسكم بان تعلموا بان قد شعر بكم .

وعن ابي ايوب الانصاري قلنا يارسول الله ما الاستئناس قال: ان يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة أو يتنحنح وإذا اذن له تأنى قدر ما يستحفظ منه .

وعن ابن عباس حتى تتحنحوا أو تنتخموا ولابد مع ذلك كله من الاذن والا لم يدخل .

وبيت الانسان هو الذي لا احد معه فيه سواء ان كان ملكا له ام لا أو البيت الذي فيه زوجته او امته وما عدا ذلك فهو غير بيته ولا يدخل الاجير والمعين الا باذن .

وقيل: ان تكرر الدخول استأذنوا مرة واحدة .

﴿**وتسلموا على أهلها**﴾ هذه الواو عطف السابق على اللاحق فان التسليم متقدم على الاستئذان بسواء ان كان الاستئذان ان يضرب الباب أو

بالتكلم ويدل على تقـدمه احاديث تأتي ان شاء الله وهو الصحيح وظاهر كلام الشيخ هود ان تقدمه قول لبعضهم.

واعلم ان التسليم في البيوت واجب كما نصت الآية على ان الدخول حرام حتى يكون الاستئذان والتسليم جميعا وعند الملاقاة سنة مستحبة وقيل واجبه قولان ذكرهما في التاج.

من انكر الاستئذان أو التسليم في البيوت اشرك.

وفي التاج من ترك السلام في البيوت تهاونا هلك وفيه وفيه.

ويروى لا تأذنوا لمن لم يسلم وعصى داخل بلا تسليم ولولا وجوبه ما حكم على تاركـه بالعصيان وهـو ظاهـر الآيه فان النهي في التحريم على الصحيح وهو مذهبنا ما لم تصرفة قرينة وقول صاحب التسهيل في الآيه انه لا ينتهي إلى الوجوب باطل لا يجوز الاخذ به لمخالفته ظاهر الآيه والاحاديث بلا دليل ولعه اراد لا ينتهي إلى الوجوب الذي انتهى إليه الاستئذان بل إلى وجوب دون وجوبه.

ومن دخل باستئذان دون تسليم وجب رده ونهيه رواه أبو داود الترمذي عن كلدة بن حنبل الغساني انه قال بعثني صفوان بن امية إلى رسول الله ﷺ بلبن وجداية وضغايس والنبي ﷺ بأعلى مكة ودخلت ولم اسلم فقال: ارجع وقـل السلام عليكم وذلك بعد ما اسلم صفوان والضغايس صغار القثاء والجداية الصغير من الظبا ذكرا كان أو انثى ويستحب السلام في بيت نفسه ثم رأيت ان الاكثرين يقولون بتقديم السلام على الاستئذان.

وقال بعض متأخر عنه يقول ادخل السلام عليكم والصحيح الاول يقول السلام عليكم أو ادخلوا.

وفي التاج لا يدخل حتى يسلم ويردوا له الجواب ثم يطلب الدخول.

واعلم انه يسلم مرة ويقول ادخل ثلاث مرات.

قيل: بين كل واحدة والاخرى قدر ما يتوضأ ويصلي ركعتين وقيل قدر ما يصليهما.

اتى ابو موسى الاشعري باب عمر رضي الله عنه وقال السلام عليكم ادخل قالها ثلاثا ثم رجع وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الاستئذان ثلاث وان لم يؤذن له رجع».

وروي انه لما رجع ارسل إليه عمر فجاء فذكر الحديث فقال له عمر: والله لتاتيني على ذلك بينة والا عاقبتك فجاء مجلسا للانصار كأنه مدعو فجاء بطلحة فشهد له.

وقيل: قال له ابيّ: فوالله لا يقوم معك الا اصغر القوم وكنت اصغرهم فقمت واخبرت عمر ان رسول الله ﷺ قال ذلك الاول اعلام والثاني مؤامرة والثالث اذن أو رجوع وكذا.

قال الحسن: الاول الملام، والثاني مؤامرة، والثالث إذن أو رجوع.

وقيل: يعيد السلام في الثانية والثالثة ايضا ودخل أحمد بن حنبل على النبي ﷺ ولم يسلم ولم يستأذن فقال له: ارجع وقل السلام عليكم أدخل.

وأستأذن رجل من بني عامر على رسول الله ﷺ فقال: ألجو فقال لامرأة يقال لها روضة قومي إلى هذا فعلميه انه لا يحسن أن يستأذن قولي له:

يقول السلام عليكم ادخل وسمع الرجل قوله لها فقال: ذلك فقال. له: أدخل.

وفي رواية قال لخادمه: اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان.

فقال ابن مسعود: حتى نسلم على أهلها ونستاذنه وكذا كتبه في مصحف

وجاء زيد بن اسلم إلى ابن عم له فقال: أألج؟ ءليكم قال ما الج قل السلام عليكم أادخل؟

وقيل: إذا وقع بصره على انسان قدم السلام والاّ قدم الاستئذان.

قال بعضهم: كنا ونحن نطلب الحديث إذا جئنا إلى باب الفقه فاستأذن رجل منا مرتبن فلم يؤذن له تقدم آخر فاستأذن مرتين مخافة ان يستئذن الرجل منا ثلاثا فلا يؤذن له ثم يؤذن لغيره فلا يستطيع الدخول لانه لم يؤذن له وقد اذن لغيره .

وعنه ﷺ : « لا تأذن المرأة في بيت زوجها وهو شاهد الا باذنه » .

وقال الرجل : يارسول الله استئذن على ابي فسكت ثم قال : استئذن على امي فسكت ثم عاد عليه فقال اتحب ان تراها عريانة ؟ قال لا : قال فاستئذن عليها .

ويستأذن الرجل على اخواته وعلى كل امرأة الا امرأته .

واستأذن عمر على قوم فاذنوا له فقال : ومن معي قيل ومن معك فدخلوا .

والاستئناس في دار فيها بيوت مسكونة واما الحوانيت فاذا اوضع اهلها امتعتهم وفتحوا الباب وقالوا للناس هلموا فلا اذن فيها .

وعن ابن عمر إذا استاذن في بيوت النجار فقيل ادخل بسلام لم يدخل لقولهم ادخل بسلام وكان ﷺ إذا اتى باب قوم لم يستقبله قيل يقف من الجانب الايمن أو الايسر ويقول: السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن عليها يومئذ ابواب ساتره.

وفي موطأ مالك يستأذن الرجل على امه ولو كان معها في البيت رواه حديثا وكانت الجاهلية إذا دخلوا بيتا غير بيوتهم قالوا حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد.

وروى الطبري ان امرأة من الانصار قالت: يارسول الله اني اكون في منزلي على حال لا احب ان يراني عليها لا والد ولا ولد وانه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي وانا على تلك الحال فنزلت الآية.

قال جارالله: كم من باب من ابواب الدين هو عند الناس والشريعة منسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستئذان من ذلك فبينما انت في بيتك اذ وعت عليك الباب بواحد من غير استئذان ولا تحية من تحيات الاسلام ولا جاهلية وهو سمع ما انزل الله فيه وما قال رسول الله ﷺ ولكن اين الاذن الواعية.

واقول ان من ذلك مجاوزة التبين.

قيل: الاذن وفي الوقوف بينهما قبل الاذن خلاف.

وقال رجل يارسول الله استأذن على امي قال: نعم قال: لا خادم لها غيري استأذن عليها كلما دخلت قال اتحب أن تراها عريانة قال لا.قال: فاستأذن فاستأذن * ﴿ذلكم﴾ المذكور من الاستئناس والتسليم * ﴿خيرلكم﴾ من الدخول بغتة أو بتحية الجاهلية ومعنى كون ذلك خيرا من

الـدخـول بغتة أو بتحية الجاهلية انه الحق بالطبع واستر فالمعنى ان ذلك المفروض عليكم من الاستئناس والتسليم خير مما كنتم عليه أو المعنى ذلك خير بفتح الخاء وتشديد الياء مكسورة وغيره شيء لكم فعلى هذا الثاني يكون خيرا خارجـا عن معنى التفضيل ويجـوز ان يكون خبرا غير وصف اصلا فالمعنى ان ذلكم منفعة لكم فغيره مضرة .

ويسمى الدخول بغير اذن الدمور من الدمار وهو الهلاك كأن صاحبه دامر لعظم ما ارتكب .

وفي الحديث «من سبقت عينه استئذانه فقد دمر» أي هلك .

وقد عد بعضهم الدخول بغير اذن كبيرة وعده بعضهم صغيرة وهذا منه بناء على جواز ظهور الصغيرة .

ومشهور المذهب عندنا انه ذنب لا يدري صغيرة أم كبيرة وإذا دخل احد بلا اذن وجب نهيه فان اصر تبين لنا انه فعل كبيرة وهي اصراره وكذا عند من قال انه صغيرة ومن في بيته متجردات يتحدثن مع اهله فله ان يدخل بلا اذن لان البيت والمرأة له والمأمور به ان يسلم أو يذكر الله أو يفعل شيئا يعـرفن به حضـوره ويتـأنى قدر ما يستترن وتدخل بيوت أهل الذمة بعد استئناس ولا سلام .

وفي التاج ان للسيد ان يدخل بيت عبده ان كان فيه وحده بلا اذن لا ان كانت له زوجة فيه ولا على امته إذا كان لها زوج ولا يدخل على امته حينئذ حتى يكون ما يعرفان دخوله به .

ومن ترك الاستئذان تهاونا كفر وان لم يكن تهاونا فلا يكفر الا ان اصر .

وقيل: لا يسعه تركه ولو جهلا وان كان في دار المساكن استأذن على عليها وباب الذي يريد دخوله فان كان على المساكن ستور فله المرور بابها بلا اذن ويجوز دخول خانات الطرق لحر أو برد أو غيرهما.

قال الخراساني: الدخول بغير اذن ليس بكبيرة ولا صغيرة فان كان وليا وقف عنه حتى يستتاب فان مات قيل ولو فيها دخله وقف عنه لعله ندم حين دخل قلت وذلك مذهب المشارقة في الاثبات الانتقال من الولاية إلى الوقوف ومذهب المغاربة مع ذلك فهو عندهم باق على ولايته.

قال: ومن دخل على غير محرمته بلا اذن ولم يتب بعد استتابة فلا ولاية له وهدر قيل دم من دخل بدونه عمدا وقيل لا يضرب حتى يعلم حاله ولعله ملتجىء أو سكران أو غيرهما.

وجاز قيل ضربه إذا علم انه متعد ويندب لمن سكن مع محارمه ان يفعل ما يعرف به ويدخل بيت ان سرق أو احترق أو هدم أو غرق أو فيه منكر بعلم أو تحققت تهمتهم أو مصيبة وبيت الحاكم والمستغيث بلا استئناس وعلى امرأة يضربها زوجها ان استغاثت بالله وبالمسلمين لان صرخت بغير استغاثة والعرس والمأثم.

﴿لعلكم تذكرون﴾ اي انزل عليكم هذا وقيل: لكم هذا لتتعظوا وتعلموا الاصلح لكم ﴿فان لم تجدوا فيها احدا﴾ يأذن لكم * ﴿فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم﴾ اي حق يكون فيها من يأذن لكم فتدخلوا بعد ان ياذن لان الاستئذان لم يشرع لئلا تطلع على العورات فقط بل وعلى ما يتحفظ صاحبه من اطلاع أحد عليه ويدخل باذن صبي من داخل ويأذن من ليس من أهل البيت من داخل.

وقيل: لا يدخل الا باذن من هو أهل البيت لان الدخول بغيره تصرف في ملك الغير بلا اذنه وحمل عليه صاحب هذا القول الآية اي فان لم تجدوا فيها احدا من اهلها فلا تدخلوها حتى يأذن لكم من هو من أهلها ﴿فان قيل لكم ارجعوا فارجعوا﴾ لا تلحوا في الدخول ولا تقفوا على الابواب منتظرين فان هذا ضار لاصحاب البيوت ولا سيما ان كانوا ذوي مروءة مرتاضين في الآداب الحسنة وإذا نهي عن ذلك لادائه إلى ما نكره وجب الانتهاء عن كل ما نؤدي إلى ما يكرهه صاحب البيت من قرع الباب بعنف والتصيح بصاحب الدار ونحو ذلك مما يضر.

وعن ابي عبيد ما قرعت بابا على عالم قط * ﴿هو ازكى لكم﴾ اي الرجوع طيب لكم واطهر لما فيه من سلامة للصدور والبعد من الريبة وانفع بدينكم ودنياكم فان للناس حاجات ولهم اشغال وإذا حضر إلى الباب ولم يستأذن وقعد منتظرا جاز.

كان ابن عباس رضي الله عنهما يأتي دور الانصار لطلب الحديث فيقعد على الباب ولا يستأذن حتى يخرج اليه الرجل فاذا خرج ورآه قال ياابن عم رسول الله ﷺ لو اخبرتني بمكانك فيقول هكذا امرنا ان نطلب العلم.

والنظر من خلل الباب كبيرة ومن رمى الناظر من خلل الباب وضره أو قتله أو فقأ عينه فلا حرج عليه كما روي انه اطلع رجل في باب النبي ﷺ رماه بسهم فقال لو اصابه لهدر دمه.

وفي رواية كان معه عصا اجل بها.

وفي رواية يحك بها رأسه فقال لو علمت انك تنظر لطعنت بها عينك انما الاستئذان من النظر اي شرع لاجل النظر لا للدخول والحديث مروي

بالمعنى وقال «من اطلع في بيت قوم بلا اذن فحذفته ففقأت عينه ما كان عليك حرج» وفي رواية (جناح).

وعن قتادة قال رجل من المهاجرين لقد طلبت عمري كله هذه الآية فما ادركتها ان استأذن على بعض اخواني فيقول لي ارجع فارجع واني مغتبط لقوله تعالى ﴿ هو ازكى لكم ﴾ ويحتمل ان يراد بالقول ارجعوا مجرد عدم الاذن سواء كان بالقول ارجعوا أو بالقول انا مشغولون أو نحو ذلك أو بعدم رد الجواب اصلا لكن يكون فيه استعمال الكلمة في الحقيقة والمجاز ﴿**والله بما تعملون عليم**﴾ فيجازيكم على الدخول بلا اذن ﴿**ليس عليكم جناح**﴾ اي اثم ﴿**ان تدخلوا**﴾ اي في ان تدخلوا ﴿**بيوتا غير مسكونة**﴾ كالفنادق والبيوت المبنية للسابلة وبيوت البياعين التي بنزلونها للبيع ولا يخزنون بها مالا ونحو ذلك فيجوز دخولها بلا اذن للحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة ونحو ذلك .

﴿**فيها متاع لكم**﴾ اي استمتاع ونفع كما مر من دخولها للحر أو البرد وغيرهما والجملة نعت بيوت أو حال منها.

وقيل : المراد بالبيوت الفنادق ينزلها الرجل في سفره يستمتع بها يجعل ما له فيها.

قال ابو بكر رضي الله عنه : يارسول الله ان الله قد انزل عليك آية في الاستئذان وانا نختلف في تجارتنا فننزل في هذه الخانات افلا ندخلها الا بأذن.

وقيل : المراد الخرابات .

وروى انه لما نزلت آية الاستئذان قالوا كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن؟ فنزلت الآية.

وقيل: المراد جميع البيوت التي لا ساكن فيها لان الاستئذان انما جعل لشيء لا يطلع على عورة فان لم يخف ذلك جاز له الدخول بغير استئذان.

وقيل: المراد بالمتاع المال إذا كان لك مال في بيت غير مسكون جاز دخوله بلا اذن والصحيح المنع الا باذن أو منعه صاحبه من ماله.

﴿والله يعلم ما تبدون﴾ تظهرون * **﴿وما تكتمون﴾** وعيد للذين يدخلون الخرابات والدور الخالية للمعاصي كالزنى والشرب وللمطلعين على عورات.

ومحل بسط الكلام على الاستئذان والتسليم كتب الفقه فانظر شرحي على النيل * **﴿قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم﴾** الجمهور على ان الجزم في الآية في جواب (قل) بشرط مقدر بعد الطلب.

وقال الخليل وسيبويه بنفس فعل الامر.

وقال السيرافي: بفعل الامر نائبا مناب الشرط مقدر.

وقال الكسائي: مجزوم بلام الامر محذوفة.

وقال المبرد: مجزوم في جواب أمر محذوف اي قل لهم غضوا يغضوا.

وقيل: مبني.

وعنه ﷺ «إذا لم يشن امروء الا بما عمل فقد سعد» **﴿ذلك ازكى لهم﴾** اطهر وانفع لما فيه من البعد عن الريبة والاشارة إلى ما ذكر من غض البصر وحفظ الفرج * **﴿ان الله خبير بما يصنعون﴾** بالابصار والفروج وغيرها من حركة وسكون واعتقاد فيجازيهم (ويظل الله الرجل الذي دعته امرأة

حسناء فقال: اني اخاف الله في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله) وكذا المرأة التي دعاها رجل كذلك فقالت: ذلك.

وكـان فتى من الزهاد في الكوفة يخرج إلى المسجد فهوته جارية من العرب ولما اشتد ما بها رصدته فقالت: يافتى سالتك بمن ترجو انشدتك الا توقفت عليّ قليلا وسمعت كلامي فارتعد وقيل: نكلي وامضى فهذا موقف التهمة ويحك ما كلام النساء للرجال الذين ليسوا لهن بمحارم.

فقالت: والله ما حملني على ذلك جرأة تقدمت منى على كلام الرجال غير ان المقادير تسوق العباد إلى مثل هذا وحملني على لقائك بنفسي انكم معاشر النساك امثال القوارير يرى أدنى شيء يعيبه وجملة ما اكلمك به اني قد اصبحت وقلبي فارغ من احـوال الدنيا كلها الا منك الله في امري واني اسال الذي بيده مفاتيح قلبك ان يسهل ما عسر من امرك والسلام.

فلما سمـع كلامهـا تغير واطلق ثم قال: اف لشيطان علمك هذا الكلام والله لأكيدنه فيك ثم انصرف إلى مسجده فقدم إليه فطوره فقال: لا حاجـة لي فيه وعرضت له وساوس من امرها فدعا صبحه بدواة وقرطاس وكتب بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد ياجارية انك تدعينني إلى المعاصي كانما لي ولك جُنة من عذاب الله تعالى اعلمي ان الله تعالى إذا عصي ستر وحلم فاذا عاد العبد إلى المعصية عاد الله في ستره وحلمه فاذا اتخذها شعارا وجعلها دثارا غضب الله عليه غضبا لا يقوم لغضبه السموات والارضون وما فيهن وما عليهن.

ياجارية ان يكن ما ذكرت باطلا فاني احذرك يوم الطامة والصاخة والـواقعة يوم تكون السماء كالمهل وتجثو الملائكة على الركب لصولة الجبار

وتصير الكتب بالايمان والشمائل فالسعيد يومئذ من قدم عملا يكون انسا له في وحدته واخا مساعدا له في وحشته وان يكن ما ذكرت حقا فاني ادلك على الطبيب الشفيق الرفيق الذي يداوي مثلك فعليك بصدق المسألة وحقيقة الاستكانة لعله يكشف عنك ما ذكرت فاني متشاغل عنك بقوله تعالى (وانذرهم يوم الآزفة) الآية ثم طوى الكتاب وخرج فاذا هي جالسة فرماه في حجرها فاخذته مسرورة به ورجع هو إلى منزله فاقام فيه اياما لا يخرج إلى مسجده فقال بعد ايام والله لاخرجن فلعلها قد انقطعت فنظر إليها جالسة فهم بالرجوع فنادته يافتى سألتك بالله الا ماوقفت عليّ اكلمك فهذا آخر يوم اكلمك الا بين يدي الله تعالى وقالت قد فهمت ما خوفتني به والله اني لكذلك واعلم يافتى انه كلما طالت المدة عظم البلاء، فعظني فوالله لاقطعن حنجرة طمعي فيك باليأس ولأنفضن كفي منك بالافلاس فقال لها: ياجارية احذرك من نفسك لنفسك وفكيها من حبسك ثم ذهب ليولي فتعلقت به فقال لها: ماوراءك؟ فقالت: تحفظ عني هذه الابيات .

* لا أنس ما أنس منه يوم موقفة — اذ جئت انبئه جهدي وبلواي *

* وقد نشرت له صحفي فغض لها — منه الجفون ولم ينصت لشكواي *

* وطرفه خاشع من خوف سيده — ياحسنه خاشعا من حسن مولاي *

* لألبسنّ لهذا الدهر مدرعة — واهجرن هواي خوف عقباي *

* ولا ابوح بما قد كنت تكرهه — ولا اذعت وان حققت مغناي *

فانصرفت إلى منزلها راكعة ساجدة صائمة قائمة وإذا غلبها امره دعت بكتابه ووضعته على عينيها فقال لها وما يغني عنك هذا وتقول هل دواء غيره .

وكانت إذا جن عليها الليل نادت .

ياوارث الارض هب لي منك مغفرة قد كدت افعل فعل الماجن الزاني

وانظر إلى قلقي يامشتكي حزني بنظرة منك تجلو كل احزاني

ولم تزل كذلـك حتى فارقت الدنيا فبلغ الفتى وفاتها فحزن عليها واخبر والدته وقالت: يابني هلا اخبرتني باول حديثها فازوجك بها فقال اليك عني ياأمـاه والله لقـد وهبتهـا لله تعالى عند أول نظرة نظرت اليها فكنت استحي ان ارجع في شيء وهبته له فلبث الفتى كذلك مدة والجارية ما تختلج بقلبه ثم انه رآها في المنام وعليها ثياب بيض قال:

ما فعل الله بك؟ قالت: غفر لي بثلاث دعوات كنت اقولهن دبر كل صلاة وهي اللهم اني اعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة واعوذ بك من علم يمنع خير العمل واعوذ بك من حياة تمنع خير الممات فقال لها هل تذكرينني قالت والله اني لكثيرة الذكر لك وقد سالت ربي عز وجل ان يجمع بيني وبينك في الآخرة فما لبث الا اياما حتى لحقها.

واحب فتى من المتعبدين جارية في حبه فبعث إليها ياهذه انك وقعت من قلبي موقعا شغلتني به عن كثير مما كنت احبه من طاعة الله عز وجل وذكر الآخرة فكيف السبيل إلى الاتصال بك؟ فارسلت إليه اما كان في طاعة الله تعالى وذكر الآخرة ما يشغلك عن التمسك بحبائل النساء فاستحيى حياء شديدا وقال المعذرة إلى الله فيما صنعت وندم .

﴿وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن﴾ عما لا يحل لهن نظره ولا ينظرن سرة الرجل والأمة وركبتها وما بينهما ويجوز النظر لهن إلى ماسوى ذلك لا لشهوة ولا يجوز لذكر أو انثى النظر بشهوة ولو إلى صخرة .

وعن ابن العربي كما لا يحل للرجل ان ينظر إلى المرأة. لا يحل للمرأة ان تنظر إلى الرجل فان علاقته بها كعلاقتها به وقصدها منه كقصده منها فلا تنظر المرأة إلى شيء من جسد الرجل واستدل على ذلك بحديث ام سليم قالت: كنت انا وعائشة عند النبي ﷺ فدخل ابن ام مكتوم فقال: النبي: ﷺ احتجبا منه فقلنا انه اعمى فقال ﷺ أفعمياوان انتما ولا تنظر المرأة سرة المرأة وركبتها وما بينهما وتنظر ما سوى ذلك لغير شهوة.

﴿**ويحفظن فروجهن**﴾ عن الكشف والزنى * ﴿**ولا يبدين**﴾ لا يظهرن والفعل الماضي ابدى كاعطى ولا ناهية ويبدي مبني على السكون لاتصال نون الاناث به ومحله الجزم ﴿**زينتهن الا ما ظهر منها**﴾ قال ابن مسعود ما ظهر منها الثوب واما بدنها فعورة كله حتى الوجه والكفان واختاره بعض سدا للذريعة.

وقال ابن جبير والضحاك والاوزاعي: ما ظهر هو الثوب والوجه والكفان.

وقيل: ما ظهر منها هو ظهر بحكم ضرورة تحرك فيما لابد منه أو اصلاح شأن.

وعن ابي هريرة السوار والخاتم.

قال القاضي: هي كلها عورة الا ما ظهر عند مناولة الاشياء كالثوب والخاتم حتى الوجه والكفان الا في الصلاة ويظهر الوجه والكفان ولا يظهر إليّ شيء منها الا لضرورة كمعالجة وتحمل شهادة.

وعن ابن عباس ما ظهر الكحل والخاتم وخضاب اليدين والوشمة في الوجه واليد لكن لا يحل عملها.

وعن عائشة السوار والكوع وهو مفصل اليد والخاتم.

وقيل: يجوز النظر إلى وجهها وكفها لضرورة كتحمل الشهادة وان خيف قتله لم ينظر لذلك وان نغين النظر ولا بد فليجتنب الفتنة ولابد.

وفي التاج وجاز النظر كف امرأة وظاهره ووجهها وظاهر قدمها إلى الكعب وقيل يمتنع إلى ظاهرهما والنظر جوز.

قال ابن النير: ادناء الجلابيب على النساء ورفع الخمر فوق الاذنين وستر النواصي وسائر الزينة واجب الا الوجه والبنان وما وراء ذلك حرام على المرأة إذا بدته وعلى الرجل ان نظره لشهوة وعليها النطاق من تحت الدرع ان قدرت على سابغه والا فلتتزر فوقها.

وتنهى النساء عن الجلوس في السكك والخروج يوم مطر أو ريح والرجال ان يظهروا ما فوق الركبة وتحت السرة وعليهم الغض ما استطاعوا ولو عن تهاميات.

عزان يكره للمرأة ان تتطيب أو تتلحف باجود فتخرج من بيتها.

أبو سعيد ان لم يكن خروجها فيما لابد لها منه وان امكن تركه حتى يزول منها الطيب فهو احسن ولا باس قيل ان يشم الطيب من امرأة ان لم يخف فتنة لاباحة الطيب وان عف فهو ازكى ومن تعمد مس حرة أو شعرها من فوق الثوب لشهوة أتى كبيرة وله تقبيل (ابنته) واخته وامه وعمته وخالته ومن يحرم عليه نكاحه ولهن ايضا ذلك لكرامة ورافة لا لشهوة.

ومن تعمد نظر المتبرجة ابدل وضوءه ولامرأة ان تبرز لاجنبي إذا سترت عنه محارمها ولا يبرز هو فخذيه عمن لا يتجرد معه لانهما من العورة والركبة قيل منها.

وقيل: لا ولا تبدي زينتها من سوار في ساعة أو دملوج أو خلخال أو قرط وهي الظاهرة الا لمن في قوله تعالى (الا لبعولتهن) إلى (أو الطفل) الخ والتابع هو الابله الذي لا عقل له ولو كان من ذكر من جهة الرضاع ولا يظهر لغيرهم الا ما ظهر وهي الخاتم في الاصبع والكحل في العين ولا تضع القواعد جلبابهن عند من يتهم بريبة.

وقال بعض اصحابنا المغاربة إذا كانت الزينة في الوجه والكف زينة حلي أو غيره لم يجز اظهارهما.

وقيل: جائزة.

في التاج ايضا وللرجل قيل ان يقعد مع غير محرمته من جيرانه وارحامه ما لم ينظر منها ما لا يحل له نظره ولا يلزمه ان يأمرها ان تكون من وراء باب أو جدار ان خاف ان يدخلها مكروه فان فعلت هي فحسن.

قيل: ويرحب بالمرأة من فوق الثوب فان صافحها من تحته جاز له ان لم يخف فتنة لان له كمامر ان ينظر كفها وخارجها إلى الرصغ وباطن قدمها وان يتعمد مس ذلك لا لشهوة ان لم يخفها وينكر عليها ان اظهرت ما فوق الرصغ والكعب وان عند رحمها ولا يسع حاظرا له ترك الانكار عليه ان قدر لكن بمعروف ورفق من القول وبره انه محسن له وداع له بخير وذلك في الرحم والجار والصاحب والصديق وهو من مكارم الاخلاق ومذاهب أهل الاسلام.

ومن دخل. قيل: على اجنبية فعليه ان ينكر عليها ان اظهرت له ما لا يحل له منها الا ان علم منها انه عندها محرمها من الرضاع وعليه الغض حتى يعلمها محرمته ولا يحل لامرأة مفاكهة طفل بتلذذ وتمنع منها ويكره له ايضا إذا فعل ولا باس على من دخل على متنقبة وتؤمر الاماء بكشف الرؤوس لان عمر رضي الله عنه مرت عليه امة متجلببة فعلاها بالدرة ونهاها عن ذلك وقال تتشبهين بالحرائر يالكاع ولان كسوتها على سيدها قميص.

قال ابن محبوب: من نظر إلى رأس امة أو فخذها لم يفسد وضوؤه وعورتها قيل كالرجل والمس قيل كالنظر.

وان سافرت اجنبية مع رجل فلتضع رجلها على رقبته فوق الثوب إذا ارادت ان تركب ولا باس بمعانقة ام واخت ونحوهما عند قدوم من سفر ان امنت فتنة وتنهى المرأة عن الحمام.

وقيل: الركبة والسرة عورة ولا باس على الرجل ان ابرزهما ولو لغير علة ولا على من ابصرهما نقض الوضوء.

وعن بعض امرنا ان نغضّ عمن استترعنا أو استحيى منا.

وقيل: المستحيية وغيرها سواء في الحرمة وسرة الرجل عند الاكثر ليست بعورة عكس الركبة منه ويكره لها ان ترفع ذيلها على عاتقها أو عن عقبيها وان تعصب بجلبابها وان تبعها عدو فلتستر منه ما قدرت.

ولا لوم عليها ان امتنعت ولا لوم لامرأة ان نجعل جلبابا رقيقا يرى منه نحرها وصدرها ولا لاجنبي نظر ذلك منها وكفرت ان فعلت ونظر منها ولها ان تنظر من امرأة من سرتها إلى ما فوقها ومن الركبة فما تحتها لا لشهوة وكره لها ان تبدي محاسنها لفحلة تشتهي نظر محاسن النساء.

ومن صافح من يحل له نكاحها من فوق الثوب فلا يقبض يدها بيده وله ان يبسط اصابعه وشدد فيه ولشاب قيل مصافحة شابة ان وثقا بانفسهما ولا يحل لامرأة ان تصافح محرما لها ان عرف بفسق واجازه أبو عبد الله ان لم تخفه وله ان يرحب بغير الشابة من فوق الثوب ولها ان تسكن مع اعمى ولو اجنبيا وان لم تخف والعبيد بعد العتق كالاحرار ومعتق امة كغيره في المس والنظر.

وقد مد قيل ابو عبيدة يده إلى ذات فضل يريد ان يرحب بها فقالت نحن نساء لا نرحب بالرجال ولا يرحبون بنا.

وان تعمدت نظر العين السرة والركبة وما بينهما من اجنبي لشهوة لم نقل ركبت حراما وكره لها ان تملأ عينها من غير زوجها ومحرمها وان لغير شهوة الا ان كان لما لابد منه من مباح.

ابن محبوب لا شيء على داخل على امرأة المايعة أو كلام ولا على من ينظر اليها مستترة لا لشهوة ولا يريد منها قبيحا ويكره لها ان تنزع الشعر من وجهها أو جبهتها ولها ان تنزع لحيتها وان حلقت رأسها بلا اذن زوجها اثمت.

ولزوجة الابن ان تغمز لابيه ان اخرج الريبة من القلب وتركه عندي حسن ويرى ان ما تعدى الكفين من المرأة في النار أي ما ابرزت منها فصاعدا وهذا موجب لبراءتها ان فعلت ذلك عند من يحل له النظر اليها عمدا وتستتاب منه.

وفي بعض الآثار انه لا يجوز للمرأة ان تكشف احدى عينيها وتستر الاخرى بل تكشفهما أو تسترهما بان ذلك تشبيه بالفاسقة.

وقال البغوي عن ابن عباس امر نساء المؤمنين ان يغطين رؤوسهن ووجـوههن بالجـلابيب الا عينا واحدة ليعلم انهن حرائر ولها ان تنظر لها موحدة رسها ان تعمد.

ومن نظر ما لا يحل له اجزته التوبة منه دون استحلال المنظور اليه وليستر من نفسه ما ستر الله عليه ولا يحل لها ان تتعرى عند خادمها.

واختلف في النظر إلى متبرجة فقيل: يغض عنها جهده.

وقيل: ليس لها من الحرمة ما لمستتره ولا باس على من نظر منها غير الفرج واختير ترك التعمد بالنظر إليها.

وسئل ابو الحواري عن مغتسلة في فلج أو نهر متجردة ايحل لمحرمتها ان تنزل معها فيه نهارا متجردة ايضا أو موضع اخيها أو ابنها البالغ فقال لا يحل لاحد ان ينظر عورة احد ولو في الماء الا ان كان لا ينظر احدهم الآخر.

هاشم لاخمار على الاماء ولارداء.

أبو علي ولا على النساء نقاب ولا على امرأة ان وضعت جلبابها في ظلمة عند اجنبي حرج ان لم تحدث بينهما ريبة ويكره لها ان تلبس الطيلسان وان تخرج في مطر وترفع ازارها ونعليها الا ان لبست خفين ولا مريد شراء جارية ان يجردها ويضع يده على عجزها من فوق الثوب ويكشف ذراعيها ويمس بدنها وينظر صدرها لا لشهوة ولا امة.

قيل: ان تغمز لغير مولاتها ومولاها مثل الرأس والرجلين ماوثقا بانفسهما.

ونهي ان يصغي الرجل لحديث امرأة لا يملكها ولو من وراء جدار وحولوا بين نسائكم ومحادثة الرجال وبين اطفالكم منهن وبين محادثهن فان

القلوب تحيا وتموت ولو بعد حين وهذا في محل الريب من المراهقين والمسترابات وامرت المرأة ان ترخي الثوب على قدميها والا تخمر وجهها وان لا تاذن لاحد في دخول بيت زوجها الا باذنه ولو والديها أو اخاها ونهيت ان تزين لغير زوجها وان تزيى بزي الرجل ولو في الكلام وان قصت شعرها قيل هلكت وتحلق شعرا يشينها حيث كان الاّ شعر رأسها وحاجبيها وتحلق من فضل رأسها.

لا يجوز لاعمى دخول على اجنبية ولا مساكنتها ولا الدخول بلا اذن واجيز له الخلوة ان امن فتنة.

ويلف الاجنبي يده فيخرج بها حليا من امرأة ماتت معه ولا امرأة أو ولي معه وان لم يجد الا بالمس مس وللمرأة تنظر فرج امرأة لمد مرأة أو قياس حرج أو غيرهما.

ويكره لرجل وامرأة ان يبيتا بمنزل وحدهما ولو وثقا بانفسهما الا ان لم يجدا احدا ونهيت ان تسافر الا مع محرمها أو جماعة ومن اضطر إلى مساكنة اجنبية جازت له والمؤمن في وسع ما وجد له عذر وجاز لها قيل: سفر مع اثنين ولو غير ثقتين وقيل: مع ثلاثة فاكثر حيث لا اولى لها معهم وينهى. قيل: ان يكشف الرجل ركبته بلا ضرورة فلا يكشفها عند الخدمة وطلوع النخلة ولا يختن امرأة جهلا باذنها لم يلزمه صداقها ويكره له تزوجها وان تزوجها لم يبعد ان يفرق بينهما.

وللرجل قيل: التجرد عند من لا يراه قبيحا كمجنون وصبي ونهي تاديبا التعري ليلا ولا يصب عليه غلامه الماء على الصحيح متجردا الا ليلا وتحرى امرأة واحدة فيما يفرج امرأة وحواليه.

وقيل: اثنتان.

وقيل: اربع.

ولا تمشي حتى تغيب عن الناس.

وقيل: لا تمشي حتى لا يسمع صوتها واجيز ان كانت في دار غلب الحق فيها.

واجاز بعض لها ان تمشي مع مسلم إلى حيث شاءت ان لم تخف منه ولا يجوز ان يخرج صوتها من بيتها ولو بالقرآن.

وقيل: يجوز فيما لم يجاوز حزمة حطب.

وقيل: ما لم يجاوز ثلاث حزمات حطب.

وقيل: يجوز مقدار اقطار ثلاثة جمال.

وقيل: سبعة ابعرة.

وقيل: يجوز ما لم نستقص صوتها الا لعذر.

﴿وليضربن بخمرهن﴾ جمع خمار وهو ما يستر به * ﴿على جيوبهن﴾ جمع جيب.

وقرىء بكسر الجيم لاجل الباء وهي قراءه ما عدا نافعا وعاصما وابا عمرو وهشاما.

والجيوب جمع جيب وهو ما يبدو من صدورهن عند فتح طوق ثيابهن ويضربن معنى يلقين فعداه (بعلى) وسمي الصدر جيبا لانه يليه الجيب وهو ما تخرج منه العنق والرأس ويدخلان منه أو يقدر مضاف اي على مواضع جيوبهن.

قيل: ومواضعها النحر والصدر ويجوز ابقاء الجيوب على ظاهرها وهو ما تخرج العنق والرأس وتدخلان منه وكانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وحواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فيبقى الاذنان والنحر والصدر مكشوفة وقد ينكشف اكثر من ذلك فامرن بان يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها.

ويجوز ان يراد بالجيوب ما يعم مخرج اليد ومدخلها فانه قد يتسع.

وعن ابن العربي الجيب الطوق والخمار المقنعة.

وعن عائشة رضي الله عنها رحم الله المهاجرات الاول لما نزلت الآية عمدن إلى مروطهن فشققنها اخمرة وضربن بها على الجيوب.

وعنها ما رأيت نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت الآية قامت كل واحدة إلى مرطها فصدعت منه صدعة فاختمرن فاصبحن على رؤوسهن الغربان والصدع الشق والمرط كساء صوف أو خز أو كتان.

وقيل: الازار.

وقيل: الدرع ﴿**ولا يبدين زينتهن**﴾ الخفية * ﴿**الا لبعولتهن**﴾ اي ازواجهن والواحد بعل.

قال ابن عباس: لا يضعن الجلباب والخمار الا لازواجهن * ﴿**او آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن**﴾ من غيرهن * ﴿**أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني اخواتهن**﴾ سفل من ذكر كله أو علا مسلم او مشرك الا الزوج فلا تتزوج موحدة مشركا فيجوز لهؤلاء كلهم النظر لما تحت ركبة وفوق سرة هذا هو الصحيح اللائق وهو مذهب ابي مسور رحمه الله قال:

وأما ذوو المحارم فلا باس عليها ان لا تحاذر منهم الا تحاذر من النساء مما ردت السرة إلى الركبتين الا من خافت منه من ذوي المحارم أو انى خافت منها من النساء ان يصفنها للرجال أو لمن اراد تزويجها

ومنهم من يرخص ان تصفها لمن اراد تزوجها. وللزوج نظر جميع الزوجة ويكره له النظر لفرجها وكذا هي واما سائر المحارم فيجوز لهم النظر للرأس والعنق والصدر والثديين والساقين والقدمين كالاعمام والاخوال.

وقيل: هم مثل من ذكر في الآية لانهم في معنى الاخوان أو لان الاحوط ان تستترن منهم حذر ان يصفوهن لابنائهم.

ومشهور المذهب ان للزوجين النظر والتمتع مطلقا وكره النظر للفرج وان الاب والابن والاخ والعم والخال وابن الاخ وابن الاخت يحرم عليهم النظر للشعر والصدر والساق وهو قول الحسن.

وقال ابن عباس ينظرون محل القرطين والقلادة والسوارين والحجالين وان ابى الزوج وابنه والتابع لها ان تقوم بينهم كمملوكها في درع صفيق وخمار جديد بلا جلباب واللمس في ذلك كله والنسب كالرضاع وانما حل لمن ذكر في الآية ومثلهم ما حل لهم من التوسعة لكثرة مداخلتهم واحتياجهن إليهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسه القرائب * ﴿أو نسائهن﴾ أي الموحدات من أهل دينهن الذي هو التوحيد وليس لموحدة ان تتجرد بين يدي مشركة أو كتابية لان المشركة لا تتحرج عن ان تصف المرأة للرجل.

وكتب عن ابي عبيدة بن الجراح ان يمنع نساء اهل الذمة ان يدخلن الحمام مع المسلمات فامتثل.

وقيل: النساء كلهن سواء فيجوز لموحدة تجرد عند مشركة.

والمشهور الاول والشرك صيرها ابعد من الاجنبي ولا يجوز ايضا على المشهور ان تنكشف للموحده الفاسقة والتي تلاقي الرجال والتي تقود لهم النساء فهؤلاء كالرجال * ﴿او ما ملكت ايمانهن﴾ اي عبيدهن وكذا عبد للمرأة فيه فهم سهم ولو قليلا وقد مر انها تقوم بين يديه في درعٍ صفيق وخمار جديد بلا جلباب.

قال بعضهم: ويجوز النظر إلى شعرها وعن بعضهم يجوز له ما فوق السرة وما تحت الركبة وان هذا هو ظاهر القرآن وانه مروي عن عائشة وام سلمة رضي الله عنهما.

وعن انس وهب ﷺ عبدا لفاطمة وعليها ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجلها وان غطت رجليها لم يبلغ رأسها.

وقال: ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك.

وقال سعيد بن المسيب: عبد المرأة كالاجنبي وان ما ملكت اليمين المراد به في الاية الاماء دون العبيد فلا يرى عبدها شعرها ونحوه الا ان لم تكن له همة وكان سعيد يقول كقول عائشة وام سلمة.

قالت عائشة: لعبدها ذكوان إذا وضعتني في القبر وخرجت انت حر ثم رجع سعيد عن ذلك وقال لا تغرنكم آية النور فالمراد الاماء.

قال جار الله: وهو الصحيح لان عبد المرأة بمنزلة الاجنبي ولو خصيا.

قال: وعن ميسون الكلابية زوج معاوية ان معاوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال هو خصي قالت يامعاوية اترى ان المثلة به تحلل ما حرم الله.

وعن ابي حنيفـة لا يحل امسـاك الخصيان واستخـدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن احد من السلف امساكهم.

وروي عنه ﷺ «اهدي اليه خصي فقبله» فان صح فلعله ليعتقه أو لسبب ما. والصحيح جواز بيعه وشرائه وامساكه لانه لا مانع من ذلك وقد فعله النبي فادعـاء انـه يحتمل انه قبله ليعتقه أو لسبب تكلف وبعد فانه تكلف لا يمنع من ذلك فانه إذا قبله وامسكه ولو قليلا فالقليل والكثير في هذا سواء.

وايضا الاصل ان يبقى على الاصل من جواز بيعه وشرائه وامساكه واما عبـد الـرجل رجل المرأة فكالأجنبي لا ينظر منها الا الوجه والكفين والقدمين على ما مر في الاجنبي الا ان ملكها بعضا منه.

﴿أو التـابعين﴾ في فضول الطعام البله الذين لا يعرفون شيئا عن أمور النساء كما قال.

﴿غير اولي الاربة من الرجال﴾ بجر غير بدلا من التابعين لا نعتا الا ان قلنا ان اضافة غير تفيد التعريف أو اجزنا نعت المعرفة بالنكرة أو اجزنا نعت المعرف بال الجنسية بالنكرة وبسط ذلك في النحو.

وقرىء بنصب (غير) على الاستثناء أو الحالية وهو قراءة ابن عامر وابي بكر.

والاربـة الحـاجة اي البله الذين يتبعون الرجل إلى بيته بطعام ولا حاجة لهم بالنساء ولا ينتشر لهم ذكر.

قال الثعالبي: والذي لا اربة له من الرجال قليل.

وقيل: يحتمل ان يريد الشيوخ الصلحاء يتبعون الرجل إلى بيته ويغضون ابصارهم عنهن وينفون عن قلوبهم امر النساء والاول قول الحسن

وقيل: الرجال الاحمقون الذين لا تشتهيهم النساء ولا يشتهونهن ولا يغار عليهم الزوج.

وقيل: الذين لا يشتهونهن ولا يستطيعون غشيانهن.

وقيل: قوم كانوا في المدينة طبعوا على غير شهوة النساء والظاهر ان مثلهم يقاس عليهم عند اصحاب هذا القول.

وقال ابن عباس: التابع الاحمق العنين.

وقيل: الشيخ الهرم الذي بلغ به الهرم إلى ان لا يشتهي.

وقيل: المجبوب والخصي.

وقيل: لا يجوز لهما النظر.

وقيل: الممسوح.

وقيل: المعتوه الذي لا ارب له.

وقيل: جميع ذلك داخل في الآية.

وقيل: المراد المخنث.

وكان مخنث يدخل على ازواج النبي ﷺ معدودا من جملة من لا اربة له فدخل ﷺ يوما وهو عند بعض نسائه ينعت امرأة يقول إذا قبلت اقبلت باربع وإذا ادبرت ادبرت بثمان فقال لا ارى هذا يعرف ما هاهنا لا يدخلن عليكم واراد بالاربع اربع عليكن تقبل بهن وبالثمان اطراف الاربعة من الجانبين وصفها بالسمن.

﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ اراد بالطفل الجنس ولذا وصف باسم الجمع.

وقيل: انه موضوع للواحد والجماعة وعلى الاول فهو كقولهم الدينار الصفر والدرهم البيض جمعي اصفر اصفر وابيض.

وقد قاس بعضهم مثل هذا ومعنى عدم ظهورهم على عوراتهن عدم بلوغهم بحد الشهوة.

وقيل: إذا كان يشتهي استترن عنه ولا يكفرن بعدم الاستتار ما لم يلزمه الفرض من قولك: (ظهر زيد على عمر) اي (قوي عليه وغلبه) اي لم يبلغوا أوان القدرة على الوصي أو المراد عدم تعبرهم بين العورة وغيرها من ظهر على الشيء اي اطلع عليه اي لا يعرفون ما العورة واحكام المراهق احكام الطفل ما لم يبلغ وقيل احكام الرجل.

وقرىء (عورات) بفتح الواو وهو لغة هذيل.

قال ابن هشام قرأ بها بعضهم ثلاث عورات وذلك لانهم لم يستثقلوا الحركة على الواو لعروضها.

﴿ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ من خلخال يتقعقع ويقاس على ذلك ما تعلق بايديهن وغيرها وكن إذا مررن على قوم ضربن الارض بارجلهن بصوت الخلخال.

وسماع صوته قيل اشد تحركا للشهوة من ابدائها وهو قول الزجاج أو تضرب رجلا باخرى فيسمع الصوت وسبب ذلك الضرب الرياء للزينة أو بان لها خلخالا.

وقيل: اذا كان لها خلخال ضربت برجلها التي هو فيه الارض ليعلم أنها ذات خلخال وإذا كان لها خلخالان ضربت رجلا باخرى ليعلم ان لها خلخالين وقيل انه ينهى عن المشي بعنف أو بسرعة لتتقعقع ما تعلق بها فائدة شأن المسلمة ان تكشف وجهها كله أو تستره كله الا العينين أو تسترها ايضا وتنظر من تحت الستر إلى جهة الارض واما ستره الاعينا واحدة فلباس المنافقة كذا في بعض الاثار ورأيت في بعض الاثار ان لها ان تكشف عينا فما فوقها وما تحتها وانفها وتستر الاخرى وما فوقها وما تحتها .

﴿وتوبوا إلى الله جميعا ايها المؤمنون﴾ اي لا يخلو أحد من تقصير في أوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه ولاسيما عند الشهاوي.

وقيل: توبوا من تقصيركم فيما ذكر من أول السورة إلى هذا الموضع من الفروض والآداب.

وقال ابن عباس: توبوا مما كنتم تفعلون في الجاهلية لانه يجب الندم عنه والعزم على الكف عنه كلما تذكروا انه وجب بالاسلام.

وعنه ﷺ يقول في اليوم: «رب اغفر لي وتب عليّ انك انت التواب الرحيم مائة مرة».

واي منادى لحرف محذوف والف هاء التنبيه محذوف خطا ونطقا هنا وفي آية (الساحر) وفي آية (الثقلان).

وقرأ ابن عامر بضم هاء الثلاثة في الوصل والباقون يفتحون.

ووقف أبو عمرو والكسائي عليهن بالالف والباقون بغير الف ووجه ضم الهاء لانها تبع للياء .

﴿لعلكم تفلحون﴾ تسعدون في الدنيا والاخرة * ﴿وأنكحوا الايامى﴾ جمع ايم كسيد وهو من لا زوج له ذكرا أو انثى بكرا وثيبا والاصل ايايم بالياء بعد الف لانها اصل لمفرد ومتحركة تأخرت الياء عن الميم وقلبت الفا متحركها بعد فتحة وذلك ان الميم فتحت واصلها الكسر كجوار وذلك تخفيف ويجوز ان يكون الزائدة الياء المدغمة * ﴿منكم﴾ اي من رجالكم ونسائكم اي زوجوا من لا زوجة له بالمرأة ومن لا زوج لها بالرجل منكم * ﴿والصالحين من عبادكم وامائكم﴾ جمع عبد وامة.

وقرىء (من عبيدكم) وخص الصالحين والمؤمنين من العباد والاماء مع ان المراد بالايامى الاحرار والعباد ليعتني بهم فلا يتركوا بلا تزويج ولان احصان دينهم أهم.

وقيل: المراد الصالحون من نكاح والقيام بحقوقه.

قال الحسن: النكاح واجب وهو قول الظاهرية ونهى ﷺ عن ترك التزوج وقال: (من تزوج فقد كمل نصف دينه فليتق الله في النصف الباقي).

وقال: (من احب سنتي فليستن بسنتي) وهي النكاح.

وقال: (من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا).

وقال: (إذا تزوج احدكم عج شيطانه ياويله عصم ابن آدم مني ثلثي دينه).

وقال: (تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم).

كما قال لعلي: (لا تتزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر).

وقال: (يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة ـ اي التزوج ويكني بها ايضا على الجماع ـ فليتزوج فانه ـ اي التزوج ـ اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) ـ بكسر الواو ـ اي خصاء اي دق الانثيين شبه الصوم بذلك النوع من الخصاء في قطع الشهوة.

وقيل: النكاح مستحب لمن قدر عليه والواجب ترك الزنى ومقدماته بما امكن.

ولا يخفى ان من لا تشوق نفسه إلى النكاح أو قدر على ضبطها فترك التزوج في هذا الزمان خير له فليتخل للعبادة وقد ذكر الله عبدا اكرمه وقال (وسيدا وحصورا) اي لا يأتي النساء وذكر (القواعد) ولم يندبهن إلى النكاح وذلك قول الشافعي.

وقال اصحاب الرأي: النكاح افضل وقول الشافعي افضل إذا فسد الزمان قال ﷺ «إذا اتى على امتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والترهب على رؤوس الجبال».

وقال: (يأتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت لكم العزبة).

وفي التاج قال ابو سعيد: سمعت انه لا يجوز للمؤمن ان يقطع نية عن التزوج وعليه الاستغفار منه.

وفي الضياء التزوج فريضة وسقط عن ذي زوجة فرض نية نكاح الاربعة الا ان قدر على مؤنتهن فينويه وان عجز عنه لم يجز له عقد النية فيما يعصي الله فيه.

وقيل: النكاح ندب لا فرض ومن خاف العنت فالتزوج له افضل.

وقال ﷺ: لعكاف بن وداع الك زوجة؟ قال: لا قال: وانت بخير موسر صحيح قال: نعم قال: فانت إذاً من اخوان الشيطان.

وفي رواية ابشر فانت من أهل النار.

وقال: (شراركم عزابكم والمتزوجون المطهرون من الخنا) وقال: (من مات عزبا مات شيطانا).

وقال ليس في الاسلام ترك النكاح.

فصـــــول

الاول:ورد في الحديث انه «لا يصح نكاح الا بولي وان النكاح الواقع بلا ولي باطـل» وفي الآية تلويح إلى ذلك إذ قال (وانكحوا الايامى) الخ امرهم بتزويج الايامى كما امر بتزويج السيد العبد والامة.

وجوز اصحاب الرأي للمرأة تزويج نفسها ولا يعمل به وان تزوجها ولي ولها ولي فوقه لم يفرق بينهما الا ان كان لها اب وزوجها ولي غيره فرق بينهما على الصحيح فان امتنع الولي من التزويج وقد وجد كفوها زوجتها الجماعة أو القاضي.

وان كان الامام زوجها هو او قاضيه وان وكلت احدا فزوجها فقولان:
ومن لا ولي له الا ذو رحم فهو قيل: الجماعة والقاضي والامام وقيل: الامام قبله.

وان زوجتها امرأة بطل النكاح على الصحيح.

والتي لا ولي لها انما يزوجها الامام أو القاضي أو الجماعة وان وكلت من يزوجها جاز.

الثاني:إذا طلب العبد أو الامة التزوج وجب تزويجهما على السيدين .

وقال الشيخ هود لا يجب وتؤمر السيدة من يزوج عبدها أو امتها ولا يصح ان تزوجهما وان تزوجهما وان تزوجا بلا اذنها امرت من يجيزه ان لم يدخلا والا فرق بين المناكحين وكذا ان تزوجا بلا اذن سيدهما .

الثالث:من نظر فرج امرأة أو مسه بيده أو بذكره عمدا في كل حرم كل على الآخر ونسل كل ووالده ووالدته على الآخر ونسل كل على نسل الآخر الا ما نسلا قبل ذلك فيحل بعضه ببعض وهذه فائدة مستطردة كنت ابحث عنها ثم وجدتها وبعضها مشهور ثم اطلعت على قول لبعض العلماء انه يجوز لولد كل ان تزوج ولد الآخر مطلقا .

﴿ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾ صيغ الجمع عائدة إلى الايامى والصالحين وغنى العبد والامة غنى سيدهما وفقرهما فقره .

وقيل : إلى الآخر والشرط مقدر أي يغنهم الله من فضله ان شاء كما صرح به في قوله تعالى (وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء) والمراد ان الله سبحانه وتعالى جعل التزوج من اسباب الرزق .

وقد يتزوج احد ويغتني ويتزوج آخر فيفتقر وليس الزواج موجبا للفقر ابدا ففي ذلك رد لما قد يتوهم الخاطب أو المخطوبة ان الفقر يمنع التزوج ففي فضل الله غنية يغني المتزوج أو المراد ان في فضله غنيه عن المال فانه غاد ورايح والمشهور الاول ولا يمنعكم الفقر عن التزوج فان في التزوج اثبات النسب بخلاف السفاح وفيه البلغة بذلك النسب والمصاهرة وفيه طلب الغناء .

قال ﷺ: اطلبوا الغنى في هذه الآية وقال: (التمسو الرزق من النكاح) وشكا اليه الرجل الفقر فقال عليك بالباءة.

وعن عمر عجبت لمن لا يطلب الغنى بالباءة.

وعن فقير تزوجت وولد لي وتراخيت عن الفقر ولما ولد لي الثاني ازددت خيرا ولما ولد لي الثالث صب الله عليّ الخير صبا وعن بعضهم ان الله وعد الغنى بالتزوج ووعده بالتفرق (وان يتفرقا يغني الله كلا من سعة).

وقيل: الغنى هنا القناعة وقيل: اجتماع الرزقين رزق الزوج ورزق الزوجة.

﴿والله واسع﴾ لخلقه لا تنتهي نعمته ولا يرزأه اغنى الخلائق ﴿عليم﴾ يبسط ويقدر على مقتضى حكمته * ﴿وليستعفف﴾ وليجتد في العفة وجمع الشهوة فالسين والتاء للتأكيد ويجوز كونها للطلب فان المستعفف يطلب من نفسه بالعفاف ويحملها عليه.

﴿الذين لا يجدون نكاحا﴾ لعدم ما يتوصلون اليه به من مهر ونفقة ويجوز ان يراد بالنكاح مابه النكاح من المال أي وليستعففوا عن الزنا ومقدماته * ﴿حتى يغنيهم الله من فضله﴾ في هذا ترجية لهم تربط على قلوبهم ينتظرون الحلال من الجماع مع ما تقدم من الامر بالغض المعين على العفة ﴿والذين يبتغون﴾ يحبون ويطلبون ﴿الكتاب﴾ المكاتبة وهي ان يشتروا انفسهم من مواليهم مصدر كاتب بفتح التاء كالقتال * ﴿مما ملكت ايمانكم﴾ من عبد او امة ﴿فكاتبوهم﴾ خبر زيدت فيه الفاء لشبه مبتدأ باسم الشرط في العموم والابهام وكون الذين مفعولا محذوف على الاشتغال ولا لسلامته من الاخبار بالطلب واختار بعضهم الرفع ولو كان الخبر طلبا في

مقام العموم مثل هذا والنصب في الخصوص مثل (زيدا اكرمه) ويجوز كون (الـذين) مبتـدأ محذوف الخبر على حذف مضاف أي ومن المندوب كتاب الذين يبتغون الكتاب فالفاء وما بعدها للاستئناف وسمي بيع السيد لعبده نفسه اعني نفس العبد كتابا بان السيد كتب وعقد على نفسه عتقه بذلك كتب العبد على نفسه الوفاء بالثمن ولانه كتب عليه الثمن والوفاء به وكتب العبد العتق أو لانه مما يكتب لتأجيله في الجملة أو لانه بنجوم يضم بعضها إلى بعض.

والكتب يطلق على الجمع والضم لكن يجوز بلا اجل واجلين وآجال وبـالنقد وبالكثير والقليل بعمل معلوم كحفر بئر معلومة الطول والعرض وبنـاء دار كذلـك وغرس اشجار ونخل كذلك ويوصف لقلة الجهالة فيه ووجب الاوسط وبغير ذلك فانه كسائر العقود.

قيل: ولا يجوز على قيمته فان اداها عتق كذا عندنا وعند الحنيفية.

وقالت الشافعية: لا يجوز الا مؤجلا منجما ولا يجوز عنده بنجم واحد لانه لا يملك شيئا فعقده حالا يمنع من حصول الغرض لانه لا يقدر على اداء البدل عاجلا والمكاتب عندنا حر.

وقال غيرنا عبد مادام عليه درهم والكتابة عندنا ندبا هذا وهذا الامر للندب وكذا عند المالكية وهو مذهب الحسن والعامة لانه كسائر العقود ولا يجب على احد باخراج ملكه.

وقال عمر رضي الله عنه وابن سيرين وداود: الكتاب فرض ان علم فيهم خير وابتغوا الكتاب على القيمة أو أكثر وان ابتغوه على أقل لم يجب وهو قول عطا ايضا وعمر وابن دينار.

روى ان عبدالله سأل مولاه الكتاب فابى فشكاه بعض إلى عمر فدعاه فامر بالكتاب فابى فضر به بالدرة وتلا ﴿**فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا**﴾ فكاتبه.

واحتج من قال: تجوز الكتابة الحالة باطلاق الآية ومدعي التقييد لا يتبع الا بدليل والاصل حمل المطلق على اطلاقه فيعم الا بدليل والكتابة مبنية على الرفق المندوب لا على رفق واجب كما امر ﷺ ان يكون «سمحا إذا باع سمحا إذا اشترى» وكما يجوز البيع العاجل ومتى شاء البائع طلب المشتري الا في حال اساره.

كذلك تجوز الكتابة العاجلة متى شاء طلبه بشيء يمكن وجوده عنده ولا يقاس على السَّلَم فانه ورد فيه النص على الآجل وحجة من قال انه عبد ما بقي عليه درهم مازعمه عن رسول الله ﷺ «المكاتب عبد ما بقي عليه درهم» والصحيح انه حر ولو لم يؤد ولو حبة شعير وانما ولد بعد الكتاب حر وما ولد قبله عبد الا ان ادخله مولاه الكتاب وولاء لمكاتبه.

والمكاتبة لا توطى بل يجدد نكاحها ان شاءت والخير الصلاح في امر الدين عندنا وهو قول ابي عبيده السلماني.

وقيل: الامانة والقدرة على المال بالاحتراف وهو قول ابن عباس وكان يكره ان يكاتبه وليس عنده حرفة أو عمل وعليه الشافعي ومالك وعن ابن عمرو ومالك والثوري الخير القوة على الكسب وقيل المال.

وكان لسلمان عبد ابتغى الكتابة فقال له سلمان عندك مال؟ قال: لا قال: افتامرني ان آكل غسالة ايدي الناس ولم يكاتبه ويعني بالغسالة الزكاة.

وعن بعضهم لو اراد المال لقال ان علمتم لهم خيرا ولما شرط لانه لا يلزم من عدمه عدم الجواز.

وقيل: الخير الصدق والامانة.

وقيل: الخير البلوغ والعقل والصبي والمجنون لا تصح كتابتهما لان الابتغاء منهم لا يصح ولا عقد لهما في الشيء الكثير.

وجوز أبو حنيفة كتابة الصبي والمراهق وفي المراهق عندنا خلاف.

﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ الخطاب للسادة أو للسادت أو غيرهم ان يعطوا من زكاة ما لهم لمن كاتبوه وهو حر ياخذ الزكاة ولو في غير متولي لتبرأ ذمته هذا مذهبنا ولكن هذا الامر للندب وقيل: للوجوب وقيل: الخطاب للسادات فقط وقيل: المراد بالمال مطلق المال لا الزكاة وان الخطاب عام قال ﷺ «ثلاثة اعانتهم حق المكاتب والمتزوج يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله» وان قلت: كيف يصح ان تعطي زكاة مالك لمكاتبك ثم يردها اليك؟ قلت: ذلك مثل من اعطى صدقة ماله احدا ثم رد ماله لدين له عليه وكمن اعطاها لفقير ثم اشتراها منه أو ورثها أو وهبت له كل ذلك جائز إذا انتفى السوء من القلب.

وكما قال ﷺ: في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية.

فقال عثمان وعلي والزبير وجماعة الشافعي: الخطاب للموالي ان يعطوا من مال الكتابة شيئا وجوبا فقيل يحط الربع ورواه بعضهم مرفوعا.

وقال ابن عباس: يحط الثلث.

وقال الشافعي: عليه ان يحط ما شاء بلا حد ويجبر على ذلك.

وكذا قال مالك لكن لم يوجب الحط واستحسن على ان يوضع عنه الربع.

وقيل: يحط عنه الثلث ندبا.

وقيل: يحط العشر والحط من أول نجومه أولى عند عمرو مبالغة إلى الخير ومخافة ان لا يدرك الوسط والآخر وراء ومالك وغيره ان الوضع من آخرها اولى لانه ربا عجز عن الاداء فيرجع هو وماله للسيد فيعود إليه وضيعته ان وضع قبل الآخر واستظهروا ان لا حرج في رجوعها وقبضها وذلك بناء على انه عبد ما بقى درهم وهو غير مذهبنا كما علمت.

قال نافع: كاتب عبدالله بن عمرو غلاما له على خمسة وثلاثين ألف درهم فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف درهم.

قال ابن جبير: كأنه لم يضع من أول نجومه مخافة ان ترجع إليه صدقته.

واختلف من قال انه عبد ما بقي درهم ان مات قبل اداء النجوم فقال اكثرهم: مات رقيقا مطلقا وهو قول عمر وابنه وزيد بن ثابت وعمر بن عبدالعزيز والزهري وقتاده والشافعي واحمد.

وقال عطاء وطاووس والنخعي والحسن ومالك والثوري واصحاب الرأي: ان ترك وفاء ما بقي عليه من مال مات حرا وما فضل لاولاده الاحرار.

وسبب نزول الآية ان غلاما لحويطب بن عبدالعزيز يسمى صبيحا سأل مولاه ان يكاتبه فابى فنزلت فكاتبه حويطب على مائة دينار واوضع عنه

عشرين دينار أو ادى الباقي وقتل يوم حنين في الحرب ونسب وجوب الوضع للاكثر.

وقيل: المراد بالايتاء الانفاق عليهم بعد ان يؤدوا استحبابا.

وقيل: المراد الاسلاف لهم.

وكاتب عمر عبدا له يكنى ابا امية وهو أول مكاتب في الاسلام فاتاه باول نجم فدفعه إليه عمر فقال: استعن به على مكاتبتك فقال لو اخرته إلى آخر نجم.

فقال: اخاف ان لا ادرك ذلك.

فصـــــل

قال في التاج: المكاتب عندنا حر حين كوتب والثمن عليه ولو ضعف بيعه وان اعطاه المكاتب شيئا قبل الاجل بطيب نفسه حل له اخذه خلافا لابن محبوب وان اعين المكاتب ففضل بيده شيء جعله في مكاتب آخر ومن اجبر مكاتبته على وطء فعليه العقر وفي الحد خلاف.

ومن كوتب على ثمن معين وخدمه سنة فان اوقع المكاتب له البيع بعد انقضائها بهما بمعنى انه إذا انقضت وقع فهو ضعيف وان اوقعه في وقته على ان يخدمه سنة ثبت البيع والاستخدام على وجه العبودية ومعناه انه لا يملك رايه في السنة.

ومن قال لعبده: بعت لك نفسك فقبل ولم يذكرا ثمنا ولا حدا.

قال ابو الحواري: يسعى له بقيمة وعتق.

ومن كاتب عبده وله ام ولد وولد ومال فهم عبيد الا ان اشترطهم والمال للمكاتب الا ان يشترطه السيد أو خفي عنه فللسيد ولا تثبت المكاتبة على وصيف غير معين الا ان يتفقا على شيء والا عتق بقيمته عليه.

وان كاتب مريض عبده أجيز له الثلث ويسعى بالباقي وان شرطت عليه الرجوع إلى الرق إذا عجز عن الاداء لم يجده.

وإذا ايسر عبد وقد عرض عليه مولاه المكاتبة لم تسعه الاقامة على العبودية الا ان اخاف الحمل على الناس وان مات وترك مالا فهو لوارثه بعد اداء ما عليه.

وقيل: مال المكاتب العتيق لمولاهما.

وقيل: الظاهر لهما ان يستثنيه وعليه الاكثر ولا نحب للسيد منع المكاتبة من عبده إذا طلبها وحصل له ثمنها وبعض حثه عليها وبعض حكم عليه بها وجاز ان يعطى دراهم يشتري بها نفسه.

وان قبل المكاتبة تكون عطية له دون سيده.

وقيل: توقف إلى عتقه فتكون له.

وان اقرضه رجل دراهم فاشترى بها نفسه ادركها عليه.

وإذا قال له: بعت لك نفسك بكذا عتق وان لم يرض لانه لا يجوز له ان لا يرضى.

واختير الجواز مكاتبة الوصي لعبد اليتيم.

ومن قال لعبدة :ادلي كل شهر خمسة دراهم وانت عتيق عتق وعليه ذلك ما عاش. ويعطي من الصدقة ومن بيت المال لانه حر ولا نفقة له على مكاتبه.

ومن وطء مكاتبته على علم فانه زنى ولا عليها حد إذا لم تعلم انه زنى .

ولا تجوز المكاتبة بمحرم كخمر وقيل ان اداه عتق وعليه قيمة نفسه .

وان كاتب الذمي عبد على خمر جاز ذلك ولا يحكم للمولى الا بقيمة الخمر.

وثبتت المكـاتبة من عبد صغير يعقل بشرط القيمة آجلة أو مؤجلة أو نجوما والله اعلم .

﴿ولا تكرهوا فتياتكم﴾ اياءكم جمع فتاة وقول السيد فتاي وفتاتي أولى من قوله عبدي وامتي ؛ وقوله ﷺ : «ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي» على جهة الندب بدليل قوله تعالى (عبادكم واماءكم) ﴿على البغاء﴾ الزنى * ﴿ان اردن تحصنا﴾ تعففا عن الزنى شرط للنهي لانه لا يلزم من عدم التحصن جواز الاكراه لارتفاع النبي بامتناع الاكراه منهم أو شرط للاكراه فان الاكراه لا يمكن الا مع ارادة التحصن.

واما التي تريد الزنى فامرها لا يسمى امره لها اكراها فالفتاة إذا ارادت التحصن تصور ان يكون السيد مكرها ويمكن ان ينهى عن الاكراه وإذا لم ترد التحصن فلا يمكن ان يقال للسيد لا تكرهها لان الاكراه لا يتصور فيها وهي تريد التحصن فلا مفهوم للشرط فلا يقال ان الآية تفيد انهن ان لم يردن التحصن جاز اكراههن لان هذا كما علمت غير ممكن عقلا لان الاكراه لا بقاء له عند عدم ارادة التحصن بل هو مضمحل.

هذا ما كان يظهر لي قبل التفكر ثم رأيته منصوصا عليه ولنا ان نسلم ان الآية تدل على انتفاء حرمة الاكراه عند انتفاء ارادة التحصن بحسب الظاهر نظرا إلى مفهوم المخالفة لكن الاجماع القاطع عارضه والنص على ان الزنى حرام مطاوعة أو اكراها يدفع بالقاطع والنص هذا وجه ثالث.

ولنا رابع وهو ان لا نسلم ان التعليق بالشرط يقتضي انتفاء المعلق عند انتفائه لكن هذا انما هو على مذهب من لم يقل بالمفهوم كالحنيفية.

وان قلت انتفاء الشرط بوجب انتفاء المشروط لانه عبارة عما يتوقف عليه وجود الشيء؟ قلت: هذا في غاية السقوط لانه غلط نشأ من اشتراك اللفظ لانا لا نسلم ان الشرط النحوي هو ما يتوقف عليه وجود الشيء بل هو المذكور بعد نحو ان معلقا عليه حصول مضمون جملة اي حكم بانه يحصل مضمون تلك الجملة عند حصوله وكلاهما منقول عن معناهما اللغوي.

يقال: (شرط عليه كذا) إذا جعله علامة الا ترى ان قولنا ان كان هذا انسانا فهو حيوان شرط وجزاء مع ان كونه حيوانا لا يتوقف على كونه انسانا ولا ينتفي بانتفائه بل الامر بالعكس الا ان الشرط النحوي في الغالب ملزوم والجزاء لازم ولا يقال هذا مثال مصنوع فلا يرد نقضا لاننا نقول مثله وارد.

ووجـه خامس وهو انه لاخلاف في ان التعليق بالشرط انما يقتضي انتفاء الحكم عند انتفائه إذا لم تظهر للشرط فائدة اخرى وهنا يجوز ان تكون فائدته المبالغة في النهي عن الاكراه اي إذا اردن العفة فالمولى احق بارادتها.

ووجه سادس وهو ان الآية نزلت فيمن تريد التحصن ويكرهها المولى على الزنى فيكون سببها خاصا فيجيء باللفظ طبقا له.

قال جابر: ان عبدالله بن أبيّ يقول لجاريته اذهبي فابغينا شيئا فنزلت الآية.

وفي رواية كانت له جاريتان مسيكة واميمة يكرههما على الزنى بالاجرة فشكتا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت.

وفي رواية لما جاء الاسلام وكانت معاذة ومسيكه يكرههما كذلك قالت معاذة لمسيكة ان هذا الامر الذي نحن فيه ان يك خيرا فقد اكثرنا منه وان كان شرا فقد آن لنا ان نتركه فنزلت.

وفي رواية ان احدى الجاريتين جاءت ببرد والاخرى بدينار فقال لهما: ارجعا فازنيا فقالتا: والله لا نفعل فقد جاء الاسلام وحرم الزنى فشكتاه إلى رسول الله ﷺ فنزلت.

وقيل: كانت له ست جوار يكرههن على الزنى وضرب عليهن ضرائب معاذة ومسيكة واميمة وغمرة واروى وفتيلة شكا بعضهن إلى رسول الله ﷺ فنزلت.

وكانت عادة اماء الجاهلية يزنين بالاجرة لمواليهن.

وقيل: ان قرشيا اسر ببدر فكان بيد عبدالله المذكور وكانت له جارية من جواريه يراودها القرشي عن نفسه فامتنعت لاسلامها وابن ابيّ يكرهها على ذلك ويضربها رجاء ان تحمل منه فيطلب فداء وله فنزلت.

قال الشيخ هود: فذلك الغرض الذي كان ينبغي.

وقيل: نزلت في شأن رجل يكره امته على الزنى ليكثر ولدها.

ووجه سابع وهو ان ذلك شرط لقوله: (وانكحوا الايامى منكم) وان الايامى النساء فقط وما بينهما فاصل.

نكتة: قيل: ان الاماء كن يزنين بالاجرة لمواليهن برغبة وطوع وانما وجد من معاذة ومسيكة واميمة من كراهية الزنى شاذ.

وإذا قلت: ان سبب نزول الآية ليس خاصا بهن بل انما نزلت الآية ولسن سببا فيها فانما عبر بالماضي على طريقة اظهار الرغبة المتوفرة في ارادتهن التحصن حتى كأن الاماء مطلقا قد أردن التحصن والله اعلم.

﴿**لتبتغوا عرض الحياة الدنيا**﴾ وهو ما ياتين به من اجرة الزنى أو ما يفدى به الولد أو كثرة الولد على ما مر والابتغاء الكسب متعلق بنكر هو ولا يقال يدل على جواز الاكراه لابنية الكسب لاننا نقول: قام الدليل على تحريم الزنى مطلقا فلا يعتبر المفهوم معه ولانهم يكرهونهن للكسب فنهوا عن ذلك الاكراه.

واما الاكراه لغير الكسب فليسوا يفعلونه فلا يفهم من الآية حكمة إذ لم تنزل مطلقة حتى يتعرض فيها لحكم ما لم يفطنوا بل نزلت في مجرد ترك ما يفعلون وايضا إذا حرم الاكراه بالاجرة فاحرى ان يحرم بدونها.

﴿**ومن يكرههن**﴾ على الزنى ﴿**فان الله من بعد اكراههن**﴾ اي من بعد اكراهكم اياهن فحذف الضمير العائد إلى اسم الشرط من الجواب وقال الكوفيون باستتار الفاعل في المصدر.

﴿**غفور رحيم**﴾ اي لهن كما قرأ به ابن مسعود.

وقيل: يقرأ بتقديم لهن ويقول (من بعد اكراههن لهن غفور رحيم).

وكان الحسن إذا قرأ (غفور رحيم) قال: لهن والله لهن والله ويجوز ان يراد غفور رحيم له اي لمن يكرههن او له ولهن وما تقدم اولى بدليل قراءة ابن مسعود ولان الرحمة والغفران يتبادران إلى المكره بفتح الراء لا إلى المكرة بالكسر فظاهر واما في جانب المكره بكسرها وعلى كل حال فالرحمة والغفران مقيدان بالتوبة اما في جانب المكره بالفتح فلأنه بموت الانسان ولا يزني فزناهن بالاكراه ذنب يحتاج المغفرة ولا يغفر الا بالتوبة كما ان زناهن بالطوع كذلك هذا ما يناسب قاعدة المذهب.

وانما الاكراه الذي لا ذنب على من وقع عليه ان تمسك الامة مثلا فيقع عليها رجل.

فافهم كل شيء ولا زعمات جارالله والقاضي في هذا المقام إذ قال انه لا اثم عليها في الزنى إذا اكرهت عليه بالقتل أو ما تخاف منه التلف أو ذهاب العضو من ضرب عنيف أو غيره وانما تأثم ان قصرت عن هذا الحد لكن القاضي لم يصرح بكل ذلك وقال: الاكراه لا ينافي المؤاخذة بالذات ولذا حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص.

﴿ولقد انزلنا إليكم آيات مبينات﴾ اي موضحات بفتح الضاد اي مجعولات واضحات أو آيات بينها الله في هذه السورة أو آيات مبينا فيها بفتح ياء مبينا اي بين فيها الحدود والاحكام أو تبينها الكتب المتقدمة.

وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص هنا وفي (الطلاق) بكسر الياء اسند التبيين للحدود والاحكام اليها مجاز الوقوعة بها أو من بين بمعنى لانها

واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة ومنه المثل (قد بين الصبح لذي العينين) اي تبين وظهر وكذلك يقال في مثل هذه الآية.

﴿ومثلا من الذين خلوا﴾ مضوا * ﴿من قبلكم﴾ وذلك هو قصة عائشة رضي الله عنها سماها مثلا لانها عجيبة كقصة يوسف ومريم فالمراد ومثلا من امثال الذين من قبلكم أو المراد بالآيات والمثل ما في القرآن من ذلك وليس المراد بالمثل قصتها فقط وفي ذلك الانزال تخويف ان يلحقكم ما لحق من قبلكم وتعديد للنعم .

﴿وموعظة للمتقين﴾ كقوله: (لا ياخذكم بهما رافة في دين الله) وقوله: (لولا إذ سمعتموه) إلى قوله: (ولولا إذا سمعتموه) الخ وقوله: (يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا) وخص المتيقن بالذكر لانهم المنتفعون بالموعظة.

وعن ابي الدرداء نزل القرآن على ست آيات آية مبشرة وآية منذرة وآية فريضة وآية تامرك وآية تنهاك وآية قصص واخبار.

وقيل: المراد بالآيات؛ القرآن وبالصفات المذكورة صفاته.

﴿الله نور السموات والارض﴾ قال جابر ابن زيد سئل ابن عباس رضي الله عنه عن قوله تعالى: (الله نور السموات والارض) فقال: عدل السموات والارض وهو هادي من في السموات والارض وكذا قال الحسن وقتادة وعمر ومحمد وأبو مسلم المكي ومجاهد كقوله * ﴿مثل نوره﴾ الخ اي مثل عدله وهدايته فانه سبحانه ليس له مثل.

وفي السؤالات وان قال الله جسم فقد اشرك وكذا ان قال لا جسم كالاجسام يعني وكذا ان قال أو عرض فقد اشرك أو عرض لا كالاعراض

بل يقال شيء لا كالاشياء قال وكذا ان قال نورا ونور لا كالانوار أو نور النور فقد اشرك يعني ان لم يقصد بالنور ما اريد به في الآية.

وان قال (الله نور السموات والارض) فذلك توحيد ومعناه عدل السموات والارض.

وقيل: هادي من فيهما.

وقيل: منورهما اي خالق نورهما ﴿ مثل نوره ﴾ اي مثل هذا.

قال: في شرح الجهالات الا ترى إلى قوله ﴿ مثل نوره ﴾ فجعل المثل للنور والله تعالى ليس له مثل وقد قال الله تعالى (ولا تضربوا لله الامثال) ونوره هدايته نور السموات والارض هادي من فيهما وانما لم يجز اطلاق النور على الله سبحانه وتعالى لان النور اما جسم كجرم النار وجرم الشمس واما عرض كشعاعهما الواقع على الاجسام والله لا يوصف بعرض ولا بجسم والنور الذي بمعنى الشعاع كيفية تدركها الباصرة أو لا وتدرك بواسطتها سائر المبصرات.

ثانيا فاطلاق اسم النور (لله) اما لانه كما يهتدى بالنور في الاماكن المظلمة يهتدي بالله سبحانه في ظلمات الجهل كقولهم للرئيس في التدبير نور القوم واما على حذف مضاف اي مولى نور السموات والارض ونورهما مراد به الكواكب والشمس والقمر وشعاعهما والنار وشعاعها أو نورهما الملائكة والانبياء والشريعة أو جميع ذلك على جواز الجمع بين الحقيقة والمجاز واما على منور السموات والارض فانه نورهما بما ذكر وقد قرىء الله منور السموات والارض واما على ان النور بمعنى العدل الذي هو وصف بل قائم

مقـام الـوصف أو الذي هو مصدر فيقدر مضاف اي ذو عدل السموات والارض واطلق النور على العدل لان العدل كالنور والجور كالظلمة.

واما على معنى موجد السموات والارض وانما اطلق النور واريد به الموجد لان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور الوجود كما ان اصل الخفاء العدم والله سبحانه موجود بذاته موجد لغيره.

واما على ان النور هو الذي به تدرك الباصرة أو الذي يدرك به اهلها الاشياء من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به أو لمشاركتها له في توقف الادراك عليه ثم اطلق النور على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانه يدرك نفسها وغـيرهـا من الكليات والجـزئيات المعـدومـة والموجودة وتغوص في بواطنها ويتصرف فيها بالتركب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهي إذا من سبب يفيضها عليها الله سبحانه وتعالى ابتدأ أو بتوسط من الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام ولذلك سموا انوارا.

ويقـرب منـه قول ابن عباس: هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون واضـافتـه اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما قاله القاضي البيضاوي ولا محذور فيه.

قال العلامة الحـاج إبراهيـم بن عبد الرحمـن وانمـا سـمى مولانا نفسه نورا لانه هو الضياء المظهر للاشياء فاذا سمى ما يظهره غيره بحسب الادراك نور فلان تسمى ما يظهر تلك الاشياء من حيز العدم إلى الوجود نورا أولى واحرى بل هو النور.

وفي الحديث الرباني (من عرف نفسه عرف ربه ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا وفؤادا فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وما وسعني سمائي ولا ارضي ووسعني قلب عبدي وانا جليس عبدي إذا ذكرني ومن تقرب اليّ شبرا تقربت إليه ذراعا ومن تقرب اليّ ذراعا تقربت اليه باعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة).

وقال ﷺ: «لي وقت لا يسعني فيه غير ربي وانا لست كاحدكم انما اظـل عنـد ربي يطعمني ويسقيني» لورود الارواح الثلاثة على قلبه الروح الامين وروح القدس وروح الامر وكل منها مورد ومصدر.

فمورد الاول الذي هو جبرائيل السلام ظاهر قلبه الشريف ومصدره من سدرة المنتهى ويسمى عالم الملك وعين اليقين.

ومـورد الثـاني باطن قلبـه وهو يلقيه الله سبحانه على جهة الالهام ومصدره من عالم العرش ويسمى عالم الملكوت وعين اليقين.

ومورد الثالث السويدا ومصدره من عين القدرة الربانية ويسمى عالم الجبروت وحق اليقين ومن هذا تبين لك معرفة الشريعة والحقيقة والتكوين والتمكين.

فالاولى هي الاقـامـة بوظائف العبودية بجميع حدودها والمجاهدة الظاهرة في الطريق الموصلة إلى الرب سبحانه على ما اشار اليها بقوله (اياك نعبد).

والثانية اقامة مشاهدة الربانية في باطن الطريقة المذكورة فسر هذه في الاولى كسر الزبد في لبنه والكنز في معدنه اذ لا يتأتى الاول بدون المخض ولا الثاني بدون الحفر واليها اشار بقوله (اياك نستعين).

والثالثة عبارة عن انتقال من حال إلى حال وترق من مقام إلى مقام وإلى زيادة ونقصان ووصف من كان في الطريق غير واصل منزله وعليه حالة سيدنا محمد ﷺ في بدء امره حيث قال له: اقرأ فقال له: ما انا بقارىء ثلاث مرات فقال له: (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق).

وحالة نبينا موسى عليه السلام حين رجع من مناجاة ربه.

والرابعة هو حال من وصل منزله فانه حينئذ آمن مطمئن لاستيلاء سلطان الحقيقة عليه ولم يزل في حضرة جليلة ومشاهدة انيسة كما هو حال مولانا محمد ﷺ على ما سبقت الاشارة إليه وكذا السيد الخضر عليه السلام لكونه موسوما بالعلم اللدني.

ونظير هاتين قصة زليخة ويحباتها مع يوسف عليه السلام وله سبحانه بين الاجساد والارواح رابطة ربانية وعلاقة روحانية ولكل منها ارتباط بصاحبه يختص الله بها من يشاء من عباده وينزله منازل حبه ويشهده مشاهد قربه ممن اشرفه على جوارحه واستعملها في مصالحة إذ لا يكون ذلك منه الا بلزوم المجاهدة وحسن المراقبة فحينئذ يتأتى له الوصول إلى تلك المشاهد والجلوس في تلك المقاعد.

وانظر إلى ما قال الله تعالى لنبيه وحبيبه في كتابه (ومن الليل فتهجد به نافله لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) ولا يطمع في الوصول إلى منزل محبوبه من ليس له محصول من طاعة ربه ومن ظن انه يفتح عليه شيء من هذه الطريقة أو يكشف له شيء من هذه الحقيقة من غير لزوم مجاهده ولا معالجة شروط مراقبة فقد غلط وسها وركب متن عمياء وخبط خبط عشواء.

وقيل: نور السموات والارض مزينهما زين السموات بالقمرين النجوم والارض بالانبياء والعلماء والمؤمنين.

وقال العلامة هود: (مثل نوره) الذي اعطى المؤمن في قلبه.

وقيل: نور السموات والارض الذي اصلحها وبه قوام أمورها.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي (الله نَوَّرَ) بفتح النون والواو وتشديدها وفتح الراء وفتح ضاد (الارضَ).

وكذا قرأ عليّ؛ اي نشر فيها الحق أو نور قلوب اهلها أو نورها بالنجوم والقمرين والنار.

﴿كمشكاة﴾ كوة غير نافذة في لغة الحبشة والعرب تنطق بها على لغة الحبشة.

وقال ابو موسى الاشعري المشكاة الحديدة أو الرصاصة التي فيها القنديل في جوف الزجاجة والاول اصح * ﴿فيها مصباح﴾ صفة مشكاة والمصباح في مشكاة اضوأ منه في غيرها.

وعن بعض ان في اضافة النور لضميره عز وجل في قوله (نوره) دليلا على ان اطلاق النور عليه في (الله نور السموات والارض) ليس على ظاهره وذلك واضح وان المصباح سراج ضخم ثاقب.

وقيل: المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة ﴿المصباح في زجاجة﴾ في قنديل من الزجاج * ﴿الزجاجة﴾ وقرىء بفتح الزائين وكسرهما * ﴿كأنها كوكب دري﴾ مضيء يلمع كالزهرة منسوب إلى الدر وهو الاضاءة أو فعيل من الدرء بالهمزة بعد الراء بمعنى الدفع قلبت

همزته ياء وادغمت فيها الياء الزائدة وذلك لانه يدفع الظلام بضوئه أو يدافع ضوءه بعضه ببعض من كثرة اللمعان.

وقرأ أبو بكر (الدرء) بالهمزة مع كسرة الراء مشددة وضم الدال وقرأ ابو عمرو والكسائي (درىء) بكسر الدال والراء مع تشديدها وبعدها ياء ساكنة وبعد الياء همزة.

وقرىء (دريء) كسكينة وإذا وقف حمزة سهل الهمزة على اصلها.

وقرىء بتقديم الهمزة ساكنة على الراء.

وقيل: من (در النجم) طلع وارتفع وكأن التشبيه كالكوكب لان الكوكب لا يكسف ولا يخسف كذا قيل.

وقيل: منسوب إلى الدرة وهي اللؤلؤة.

وعن الضحاك؛ الكوكب الدري الزهرة.

قيل: يحتمل ان يكون المعنى ان الزجاجة بالمصباح كذلك أو انها في نفسها لصفائها وجودة جوهرها كذلك * ﴿**يوقدُ من شجرة مباركة**﴾ ضمير (يوقد) للمصباح.

وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر (توقد) بالمثناة الفوقية اي (الزجاجة) ويقدر مضاف اي (مصباح الزجاجة) أو اسند اليها الايقاد لانه في مصباح والمصباح فيها.

وقرىء بالمثناة مفتوحة اي تتوقد الزجاجة كالقراءة المذكورة لكن الاسناد في هذه وقوعي وفي تلك ايقاعي.

وقرىء (يوقد) بالتحتية مضمومة وفتح الواو القاف مشددة (ويوقد) بفتح الياء والواو والقاف المشددة والاصل يتوقد حذفت التاء لاجتماع

الزيادتين الياء والتاء وهو غريب (ومن) للابتداء اي ابتداء توقد المصباح من شجـرة مبـاركـة اي كثيرة النفع بان رؤية فتيلته يزينها وغرقت فيه وتنكير الشجرة تفخيم لشأنها كما ضخمت ايضا بوصفها بالمباركة وبيانها بعد الابهام بقوله.

﴿زيتونة﴾ وشجرة الزيتون نبتت في الارض التي بارك فيها للعالمين الارض المقدسة وبارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم وفي الحديث (عليكم بالزيت فانه مصحة من الباسور) كلوا وادهنوا ويسرج به ويدهن وهو ادام واصفى الادهان واضوأها وهي أول شجرة نبتت بعد الطوفان.

وعن بعضهم: المراد بالزجاجة والزيتونة زجاج الشام وزيتونه لانهما اجود واصفى .

﴿لا شرقية ولا غربية﴾ نعتان لزيتونة عطف ثانيهما على اولهما والمراد انها غير الذي تقع عليها الشمس وقتاً دون وقت مثل ان تقع عليها وقت شروقها فقط أو وقت غروبها فقط بل هي شرقية غربية معا تقع عليها طول النهار فان ثمرتها انضج واصفى.

وقيل: المعنى لا في موضع تقع الشمس عليها دائما فتحرقها ولا في موضع تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفي الحديث «لا خير في شجرة ولا نبات في مقنـاة» وهي المكان الذي لا تطلع عليه الشمس ولا خير فيهما في مضحى اي في موضع يشتد فيه الحر.

وقيل: المعنى انها لا في شرقي المعمور ولا في غربه بل في وسطه وهو الشام فان زيتونه اجود.

وقيل: لا نصرانية يصلون إلى المشرق ولا يهودية يصلون إلى المغرب وهو بيت المقدس.

وقيل: ليست من شجر الدنيا والا كانت شرقية أو غربية وانما هو مثل وهو الحسنة * ﴿يكاد زيتها﴾.

وقرأ السوسي: بابدال الدال زايا وادغامها بعد تسكينها في الزاي بعدها * ﴿يضيء﴾ لذاته * ﴿ولو لم تمسسه﴾ وقرىء بالتحتية * ﴿نار﴾ لشدة لمعانه وصفائه ﴿نور﴾ اي ذلك النور * ﴿على نور﴾ اي نور متضاعف تناصر في المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق مما يقوي النور ويزيده اشراقا بقيته فان المصباح في مشكاة تجتمع فيها ضوؤه بخلاف غيرها فان الضوء يتفرق فيه وصفاء الزيت وجودته مما يزيد الضوء وكذا الزجاجة الصفية يتدافع فيها النور.

﴿يهدي الله لنوره﴾ قال ابن عباس دين الاسلام وهو نور البصيرة * ﴿من يشاء﴾ وهو الذي تدبر بعين قلبه وانصف من نفسه ومن لم يتدبر فكالاعمى الذي سواء عليه جنح الليل الدامس وصحوة النهار الشامس.

قال الشيخ هود ـ رحمه الله ـ: ذلك مثل قلب المؤمن يكاد يعرف الحق قبل ان يتبين له لما يذهب إليه قلبه من موافقته الحق وإذا تبين له صار نور على نور كنور الزجاجة ونور الزيت ونور النار وفي شرح الجهالات مثل المصباح الذي هو نور وضياء بالهدى والايمان الذي في القلب.

وفي عبارته قلب لان المراد تشبيه الهدى والايمان في قلب المؤمن بالمصباح في المشكاة وذكر الزجاجة زيادة في الاشراق ثم ذكر الزيت الذي

يستمد منه المصباح مثل ما يمد الله به قلب المؤمن من البيان والدلائل والشواهد التي لا غاية لها.

وقيل: ذلك مثل نور المؤمن كما قرأ ابي بن كعب مثل نور المؤمن وابن مسعود مثل نور القلب.

وعن أُبيّ مثل نور من آمن به وهذا صفة تفسير لقراءة غيره وذلك بان شبه صدره بالمشكاة وشبه قلبه في صدره بالزجاجة في المشكاة وشبه معرفته بربه بالمصباح في الزجاجة وشبه قلبه بالكوكب الدري وشبه امداد تلك المعرفة بالزيت الصافي المذكور وقد مد ذلك السراج بالاشتعال شيئا فشيئا تدريجيا.

وعن ابي بن كعب: المشكاة المؤمن والزجاجة قلبه والمصباح ما فيه من الايمان والقرآن والشجرة الاخلاص فهو كشجرة خضراء ناعمة نضرة لا تصيبها الشمس إذا طلعت ولا إذا غربت لا يصيبه شيء من الفتن ان اعطى شكر وان ابتلى صبر وان حكم عدل وان قال صدق ويكاد يعرف الحق قبل ان يتبين له قوله نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره إلى النور يوم القيامة.

وعن ابن عباس يكاد زيته إلى اخره يعمل بالهدى قبل ان يأتيه العلم فاذا اتاه ازداد هدى على هدى.

وقال الكلبي: نور على نور ايمان المؤمن وعمله وقيل نور الايمان ونور القرآن وقيل: المصباح القرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المعرفة يضيء نورها في قلبه بلا نار وقيل: يكاد حجة القرآن يتضح وان يقرأ وهو نور انزله الله على نور اقامه الله قبل نزول القرآن من الدلائل

والاعلام وقيل المشكاة بشرية المؤمن والمصباح التوحيد والزجاجة القلب شبه المشكاة بالبشرية لما بينهما من اشتراك في الظلمة نزول منها بالمصباح ومن الانسان بالتوحيد والقلب الطف كالزجاجة فشفافتها يطرح اشعة النور على ما يحاديها من الاجرام وشفافة القلب تعبر عنه اشعة انوار التوحيد إلى الجوارح.

كما قال ﷺ: في مصل يعبث بلحيته لو خشع قلبه لخشعت جوارحه وقيل: هو مثل لنور سيدنا محمد ﷺ شبه عبد المطلب بالمشكاة لصيانتها وابنه الذي هو اعز اولاده عليه وهو عبدالله بالزجاجة لصفائها وصونه والنبي بالمصباح لانارته التي كانت في الاصل فيهما والشجرة ابراهيم عليه السلام لكون اكثر الانبياء منه وهو لا شرقي اي نصراني ولا غربي اي يهودي ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا.

وقال كعب: المشكاة صدره ﷺ والزجاجة قلبه والمصباح النبوة والشجرة شجرة النبوة يكاد نوره يتبين قبل ان يأتيكم به.

وعن ابن عمر المشكاة جوفه ﷺ والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي فيه ولا شرقية ولا غربية لا يهودي ولا نصراني والشجرة المباركة ابراهيم ونور على نور قلبه وقلب ابراهيم.

وقال محمد بن كعب القرطي: المشكاة ابراهيم والزجاجة اسماعيل والمصباح محمد عليهم الصلاة والسلام فهو نبي من نسل نبي.

وعن كعب: هو ﷺ المشكاة أو هي صدره والنبوة وما يتصل بها من علمه وهديه المصباح وقلبه الزجاجة والوحي الشجرة والحجج والبراهين الزيت.

وعن ابي بن كعب: المشكاة صدر المؤمن والمصباح الايمان والعلم والزجاجة قلبه والشجرة القرآن وزيتها الحجج والحكم التي تضمنها فهو على احسن حالٌ يمشي في الناس كالحي يمشي في قبور الاموات وانما كان التشبيه بالمشكاة في القول بان ذلك تمثيل المهدي لاشتمالها على المصباح والهدى محفوف بظلمه اوهام الناس وتشبيهه بها اوفق من تشبيهه بالشمس وقيل ذلك تمثيل ما منح الله عباده من القوى المدركة الخمس التي ناط بها المعاش والمعاد فالمشكاة القوة الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس لان محلها كالكوة ووجهها إلى الظاهر لا تدرك ما وراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والزجاجة القوة الخيالية وهي التي تحفظ صور تلك المحسوسات بتعرضها على القوة العقلية متى شاءت كما ان الزجاجة تقبل صور المدركات من الجوانب والقوة الخيالية تضبط الانوار العقلية وتستنير بما تشتمل عليه من المعقولات كالزجاجة تستنير هي وما يحاذيها بالضوء والمصباح القوة العقلية المدركة للحقائق الكلية وذلك انها مستنيرة بالادراكات الكلية والمعارف الالهية والشجرة القوة المفكرة وهي التي تؤلف المعقولات ليستنتج منها علم ما لم يعلم وذلك انها كالزيتونة المنتجة باثمار لا نهاية لها الا إلى غاية وزيتها مادة المصباح مجرد عما يوسخ وتلك القوة لها ثمرات لا نهاية لها مجزة عن اللواحق الجسمية واقعة بين الصور والمعاني منصرفة في النوعين منتفعة منهما والزيت القوة القدسية وهي التي تتجلى فيها لوائح الغيب واسرار الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء وهي صافية كالزيت وشديدة الذكاء حتى اضاءت بالمعارف بلا تفكر ولا تعليم اعني انها تترتب تلك المعارف على ما سبقها من التعليم.

قال القاضي : وذلك تمثيل للقوة العقلية فانها في بدء امرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تستنير بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للنور وذلك التمكن ان كان بتفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالتي يكاد زيتها يضيء لانها بالكاد تعلم وان لم تتصل بالوحي والالهام الذي مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا حصلت لها العلوم بحيث يتمكن من استحضارها متى شاءت كانت كالمصباح فاذا استحضرها كان نور على نور * ﴿فصل﴾ قيل تضمنت هذه الآية الله نور الخ مائة نوع من البديع وقالوا من كتبها إلي بغير حساب في رق غزال بمداد من دواه من له حظوة في العلم وسعادة ثم يطويه قبل صلاة عصر الجمعة مستقبلا صائما للجمعة والخميس قبلها وانما يكتب ذلك بعد قراءة يس مستقبلا متطهرا فاذا صلى العصر قرأ الكهف والكتاب في يده ثم يطويه ويحمله عليه كان مقبولا محبوبا مرزوقا متفرسا بالفراسة الحسنة تكون في قلبه كنور رشيد الصواب وجهيا سعيدا ويقال على العينين الرمداءين في كل صبيحة ثلاث مرات بسم الله الرحمن الرحيم دخل الرمد بسلامة ويخرج بها وانكفت الدمعة وانجلت الحمرة بالف الف لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم الله نور السموات والارض إلى نور على نور يذهب باذن الله .

﴿ويضرب الله الامثال للناس﴾ ايضا للمعقول حتى يقرب من المحسوس * ﴿والله بكل شيء﴾ محسوس أو معقول ظاهر أو خفي * ﴿عليم﴾ فيه وعد ووعيد * ﴿في بيوت﴾ متعلق بمحذوف نعت لمشكاة أو

حال اي كمشكاة كائنة في بيوت وانما جازت الحالية من مشكاة للوصف بقوله فيها مصباح.

والمشكاة مراد بها ثلاث فاكثر لان الواحدة تكون في بيت واحد والمراد واحدة ويقدر مضاف اي في بعض بيوت او افراد ذلك لان المراد ماله بهذا الوصف بلا اعتبار وحدة او كثرة ويجوز تعليقه بـ (يوقد) محذوفا أو يوقد في بيوت كذلك مرادا بالمصباح.

والمشكاة ثلاثة فاكثر أو يقدر المضاف ويكون تقييدا للمثل به لما يكون كالبدل أو مبالغة فيه فان قناديل المسجد تكون اعظم أو تمثيلا لصلاة المؤمنين او ابدانهم بالمساجد ويجوز تعليقه بـ (يسبح) فيكون قوله على هذا توكيدا لفظيا ولا يتعلق بـ (يذكر) لان يذكر معطوف على (ترفع) وترفع صلة ان فكأنه هو صلة ومعمول الصلة لا يتقدم على الموصول على الصحيح ومعمول المعطوف لا يتقدم على العاطف ويجوز تعليقه بـ (يسبح) محذوفا مبنيا للمفعول والمراد بالبيوت المساجد بدليل الوصف بقوله ﴿**اذن الله ان ترفع**﴾ وقيل المراد مسجد مكة ومسجد المدينة وبيت المقدس.

وقيل: مسجد موضوع على التقوى بنى فيه رسول الله ﷺ كما بني مسجد المدينة ووضع الحجر الاسود في موضعه من الكعبة وقد بنى الكعبة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وبنيت بعدهما وجعلاها قبلة وبيت المقدس بناه داود وسليمان عليهما السلام فتلك اربعة مساجد بناها انبياء.

والقول الاول وهو ان المراد جميع المساجد قول ابن عباس قال المساجد بيوت الله في الارض تضيء لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الارض.

قال ابو ذر: سمعت رسول الله ﷺ: «يقول من بنى مسجدا ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له في الجنة بيتا».

وعن علي عن رسول الله ﷺ (من بنى مسجدا من ماله بنى الله له بيتا في الجنة وانما يتقبل الله من المتقين).

وعن كعب: في (التوراة) ان بيوتي في الارض المساجد فمن توضأ واحسن وضوءه وزارني في بيتي اكرمته وحقا على المزور ان يكرم زائره (واذن الله) امر ورفع المساجد تعظيمها عن قول ما لا يعني وكلام الدنيا والخناء والنجس والاقذار ولا تقام فيها الحدود ولا توقع فيها مبايعة ولا يحكم فيها أو يحلف وهل يتخاصم فيها عند حاكم وهو من سؤال حق ولا يحكم الا خارجه وجور فيه ايضا اولا قولان وان دخل مسجدا مارا به من باب ليخرج من آخر فصل بينهما بركوع أو دعاء ليخرج عن ان النهي عن اتخاذ المساجد طريقا وجازت فيه مصافحة واخذ سلاح من كضعيف وانفاق على صنع معروف واستخبار عن مطر وسلامة مسافر وموت مفقود ويعزي فيه من امات وليه ويهنىء من ولد له او اشترى شيء أو لبس جديدا أو قدم غائبه أو نحو ذلك ويخطب فيه وينكح ويطلق السنة ويراجع فراجع كتب الفقه.

وقيل: رفع المساجد بناؤها.

وعن الحسن ما امر الله ان ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم * ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ عام فيما يتضمن ذكره فتدخل فيه المذاكرة في افعاله والمباحثات في احكامه.

وعن ابن عباس: المراد تلاوة القرآن * ﴿يسبح له﴾ ينزهه * ﴿فيها بالغدو﴾ في الغدو وهو الصباح واصله مصدر غدا اطلق للوقت ولذا حسن اقترانه بالآصال * ﴿والآصال رجال﴾ الآصال جمع اصيل.

وقال الصبان جمع أُصُل بضمتين الذي هو جمع اصيلة وهو العشي والمراد تعميم الاوقات وذكر الطرفين كاف في ذلك.

وقرىء (الآيصال) وهو الدخول في الاصيل كالاظهار وهو الدخول في الظهيرة والفعل اصل واظهر.

وقيل: تسبيح الغدو صلاة الفجر وتسبيح الآصال صلاة الظهر والعصر.

وقيل: والمغرب والعشاء.

وقال ابن عباس: صلاة الضحى وصلاة العصر وان ركعتي الضحى لفي كتاب الله وما يغوص عليها الاغواص.

وعنه ﷺ «من صلى البردين اي الفجر والعصر دخل الجنة».

وعن ابي أمامه عنه ﷺ «من خرج من بيته متطهرا إلى صلاة مكتوبة كان أجره كأجر المحرم بالحج ومن خرج إليه ليصلي الضحى لا يعنيه الا ذلك فأجره كأجر المعتمر وصلاة على اثر صلاة لا لغو بينهما تكتب في عليين».

وخص الرجال بالذكر لانهم اولى بعمارة المسجد وعبادة المرأة في دارها خير من عبادتها في المسجد ولانها لا تجب عليها عمارتها ولا جمعة ولا جماعة.

وقرىء (تسبح) بالتاء لتاويل الرجال بالجماعة.

وقرأ أبو جعفر بها مع فتح الباء فالباء في الغدو صلة والغدو نائب والمسبح بفتح الباء هو الله ولكن اسند التسبيح إلى الغدو والاصل اسنادا

ايقاعيا لوقوعه فيها وأتت الغدو ولان المراد به اوقات الغدو ولان الآصال جملة أوقات وضم اليها الغدو وكأنه قيل تسبح الاوقات الغدو والآصال والرجال على هذه القراءة فاعل لمحذوف أي يسبح رجال بكسر الباء كما في قراءة ابن عامر وعاصم يسبح بالتحتية وفتح الباء والنائب على هذه القراءة له أو فيها أو بالغدو أو اخذ المجرورات وحده والاول أولى.

وقيل: هذه قراءة ابن عامر وابي بكر وفي القراءتين حذف المسند لكونه مع المسند إليه جوابا لسؤال كأنه قيل من يسبحه فقيل يسبحه رجال وفيهما فضل على قراءة الجمهور يكرر الاسناد اسند التسبيح أولا اجمالا إلى احد الظروف في القراءة الاخيرة وإلى الغدو بزيادة بائه في التي قبلها ثم اسند إلى الرجال تفصيلا والاسناد مرتين أوكد وأقوى والاجمال ثم التفصيل وقع في النفس بل الاسناد ثلاثة اثنان جمال احدهما المذكور والثاني المقدر في السؤال وهو قولك من يسبحه فانه سؤال عن تعيين الفاعل والسؤال لا تعيين فيه والاخر تفصيل وهو المحذوف المسند رجال وفضلهما ايضا بوقوع احد الظروف عمدة في الاخيرة ووقع الغدو عمدة في التي قبلها والجميع فضلة في قراءة الجمهور ويكون ذكر فاعل التسبيح كحصول نعمة غير مترقبة لان اول الكلام غير مطمع في ذكره بخلاف ما إذا بني الفعل للفاعل فانه مطمع في ذكر الفاعل ولك تفضيل قراءة الجمهور بسلامتها عن الحذف وباشتمالها على ايهام الجمع بين المتناقضين من حيث الظاهر لان جعل الظروف فضلات يوهم ان الاهتمام بها دون الاهتمام بالفاعل وتقديمها عليه يوهم ان الاهتمام بها فوق الاهتمام به وبان في اطماع أول الكلام في ذكر الفاعل مع تقديم

الظروف تشويقا اليه فيكون حصوله اوقع واعز * ﴿لا تلهيهم﴾ تشغلهم * ﴿تجارة﴾ اي شراء ﴿ولا بيع﴾ والتجارة تعم الشراء والبيع.

والمراد هنا خصوص الشراء لذكر البيع بعدها ويجوز ارادتهما معا فيكون ذكر البيع تخصيصا بعد تعميم لمزيته لانه يتحقق الربح بالبيع فهو ادخل في الالهاء من غيره واما الشراء فالربح فيه مظنون وهو اصل التجارة ومبدؤها.

وقيل: التجارة الجلب وهو الغالب في البيع والشراء.

وقيل: المراد بالتجارة مطلق المعاملة المظنون فيها الربح بولغ بالتخصيص بعد التعميم وبافراد ما هو اهم من انواع التجارة وهو البيع لتحقق الربح به كما مر.

والظاهر ان الآية تحتمل معنيين:

الاول ان المراد لا تجارة لهم ولا بيع اصلا فضلا عن ان يلهوا بهما فهم طرحوا الدنيا كلها وتفرغوا للآخرة بالكلية.

والثاني ان يكون فيها ايماء بانهم ذو تجر وبيع ومع ان التجر مما يلهي عن الاخرة ولا سيما البيع لم يلههم التجر ولا البيع.

﴿عن ذكر الله﴾ فلهم اوقات يخلون فيها بالذكر فاذا كانوا في تجر وبيع ذكروا ايضا وذكرهم لساني قلبي وقلبي فقط بان يكونوا إذا تعرض لهم حرام في تجر أو بيع تذكروا ان الله حرمه فلا يفعلونه.

وعن عمر رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال: (يجمع الله الناس في صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي فينادي مناد سيعلم الجمع

لمن الكرم اليوم ثلاث مرات ثم يقول اين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع ثم يقول اين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الخ ثم ينـادي منـادي سيعلم الجمـع لمن الكرم اليوم ثلاث مرات ثم يقول اين الحمادون الذين يحمدون ربهم.

وعن ابن عباس: (إذا كان يوم القيامة نادي مناد ستعلمون اليوم من اصحاب الكرم ليقم الحمادون لله على كل حال فيقومون فيسرحون إلى الجنة ثم ينادي ثانية سيعلمون من اصحاب الكرم اليوم ليقم الذين كانت جنوبهم تتجافى عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فيقومون فيسرحون إلى الجنة ثم ينادي ثالثة ستعلمون اليوم من اصحاب الكرم ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع إلخ. فيقومون فيسرحون إلى الجنة).

رواه القرطبي في تذكرته وهي كتاب الفه في المشرق بعد هجرته من قرطبة من جزيرة الاندلس لما تغلبت النصارى عليها وقبل ان يأخذو قرطبة وبعـد اخـذهم اياها لحقه شيخه إلى المشرق واخبره باخذهم قرطبة وكان شيخه ممن حضر قتال قرطبة.

وروى الشيخ هود ذلك وزاد في كل نوع عند تمام الكلام عليه انه اكثر مما قبله وان النوع الاول قليل.

﴿**واقام الصلاة**﴾ الاصل واقامة بالتاء عوضا عن عين الكلمة أو عن الف افعال على الخلف في المحذوف حذفت التاء وعوضت عنها الاضافة والاصل اقوام بكسر الهمزة نقلت فتحة الواو للقاف فالتقى ساكنان الواو والف فحـذفت الواو وهي عين الكلمة حذفت الالف وقيل انه لما نقلت الفتحة قلبت الواو الفا لتحركها في الاصل وانفتاح ما قبلها ولو كان ما بعدها

ساكنا فحذفت الالف الاولى وقيل: الثانية وبسطت ذلك في النحو والصرف.

واختار ابن هشام ان المحذوف الثانية لزيادتها وقربها من الظرف وهو مذهب سيبويه والخليل وابن مالك.

وقال الاخفش والفراء: المحذوف الاولى ويقويه تعويض التاء والمعهود ان التاء تعوض عن الاصل وحذف تلك التاء غير مقيس لكنه كثير مع الاضافة.

وقيل: مقيس مع الاضافة وقد حذفت التاء المعوضة عن فاء الكلمة مع الاضافة في قوله واخلفوك عن الامر الذي وعدوا اي عدة الامر ان كتب الف واحد بعد الدال وان كتبت بالغين فجمع غدوة بمعنى ناحية اي اخلفوك نواحي.

قيل: حسن حذف التاء في الآية ذكرايتاء (بعد) وهما متشاكلان * ﴿وايتاء الزكاة﴾ المال المفروضة في وقتها لا يؤخرونها عن الحسن وابن عباس وفي رواية عن ابن عباس الزكاة الطاعة وعن سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فاقيمت الصلاة فقام الناس واغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر نزلت فيهم الآية ﴿يخافون يوما﴾ مفعول يخافون

﴿تنقلب فيه القلوب والابصار﴾ الجملة نعت ليوم يعني انهم مع ماهم عليه من الذكر والطاعة خائفون لذلك اليوم لعظمه وهوله وتقلب القلوب تحركها عن مواضعها تتصعد وتتسفل وتقلب الابصار ايضا تحركها عن مواضعها وقيل: تقلب القلوب تغيرها من الهول وكذا الابصار وتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار ما لم تكن تبصر وترجو النجاة تارة

وتيأس اخرى أو تخاف وتنظر الابصار هكذا وهكذا لا يدري من اين يؤخذ به ويؤتى كتابه من اليمين أو الشمال.

وقيل: تقلب القلوب تيقنها بعد شك أو انكار * ﴿ليجزيهم الله احسن ما عملوا﴾ اي ثواب احسن ما عملوه أو ثواب احسن عمله فما موصول اسمي او جر في واحسن بمعنى حسن فانظر ما ياتي في سورة الزمر او احسن بمعنى ثواب بمعنى حسن واما مساويء اعمالهم فمغفورة.

وزعم بعضهم ان التقدير جزاء احسن ما عملوا ويرده ان اسم التفضيل لا يضاف إلى ما ليس هو بعضا منه واللام متعلق بمحذوف اي فعلوا ذلك ليجزيهم أو يخافون أو بتلهيهم بل بلا النافية أو يسبح * ﴿ويزيدهم من فضله﴾ اشياء كثيرة عظاما ليست عوضا لاعمالهم ولم تخطر ببالهم ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ اي يوسع عليهم في الرزق.

يقال ينفق فلان بغير حساب أي يوسع كأنه لا علم عنده بما ينفق وهذا في الفضل اي يرزق ما يزيدهم تفضلا منه بغير حساب واما الثواب على ما عملوا فله حساب وفي ذلك تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة والجود ونفاذ المشيئة.

﴿والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة﴾ اي في قيعة جمع قاع كجار وجيرة.

وقيل: مفرد بمعنى القاع وهي الارض المستوية.

وقرىء بقيعات بزيادة الف.

وقرىء بقيعاة بجمعه جمع سلامة والسراب شعاع يرى في الفلاة وهي القيعة نصف النهار عند اشتداد الحر شبيه بالماء الجاري لما ضرب الله سبحانه

مثلا للمؤمن ضرب مثلا للكافر بان اعماله التي يحسبها تنفعه عند الله يجدها على غير ما يحسبها ويخيب امله كالسراب يراه الانسان فيظنه ماء وما هو بماء. وقوله بقيعة نعت سراب * ﴿يحسبه الظمآن ماء﴾ العطشان وخص الظمآن لتشبيه الكافر به في شدة الحاجة يطمع ان عمله ينفعه ويخيب كما يطمع الظمآن في السراب انه ماء فاذا هو ليس بماء وكان الكافر يوم القيامة يرى السراب بالساهرة وقد غلب عليه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فياتيه فلا يجده ماء.

وقيل: ان الآية نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية كان يتعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية وكفر في الاسلام.

وقيل: ان الآية في المنافقين اقروا بالله ربا وبمحمد ﷺ نبيا وبما جاء به حقا ولم يعملوا لله شيئا وحسبوا ان الله يثيبهم على الاقرار ولو لم يكن العمل حتى إذا صاروا في الآخرة لم يجدوا ثواب الاقرار وذلك يظهر له عند الموت وتلك الجملة مستأنفة أو نعت لسراب أو حال له.

﴿حتى إذا جاءه﴾ اي جاء إلى موضع السراب يظن السراب ماء والضمير للقيعة بمعنى الموضع وان قلنا القيعة جمع فالمواضع المتصلة موضع واحد واسع أو للموضع دل عليه المقام أو للسراب * ﴿لم يجده شيئا ووجد الله عنده﴾ هاء عنده للظمآن والمراد وجد عقاب الله عنده أو زبانية الله او وجده محاسبا اياه أو الهاء للسراب اي ياتيه فلا يجده شيئا ويجد زبانية الله عنده وهو في كل مكان فيعتلونه إلى جهنم فيسقونه الحميم والغساق والرجوع من جانب المشبه إلى جانب المشبه به أو بالعكس جائز كما ترى أو يقدر

محذوف اي فكذلك الكافر في يوم القيامة يظن عمله نافعا فاذا جاءه لم يجده شيئا .

﴿فوفاه حسابه﴾ احضر له حساب عمله أو احضر له جزاءه على اعماله وهو النار ﴿والله سريع الحساب﴾ لا يشغله حساب عن حساب ﴿أو كظلمات﴾ عطف على كسراب والظاهر أن (أو) للتنويع تنويع اعمالهم إلى حسنة فهي كسراب وإلى قبيحة فهي كظلمات بعضها حسنة وبعضها قبيحة أو هي للتقسيم كذلك أو للتفصيل كذا يظهر ثم رايت القاضي قال: هي للتنويع أو للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات في الدنيا والسراب في الآخرة (أو) للتخيير لان اعمالهم كالسراب لعدم منفعة فيها أو كالظلمات لخلوها عن نور الحق وفيه بحث من حيث ان شرط التخيير تقدم الامر وامتناع الجمع على المشهور والامر غير متقدم والجمع غير ممتنع لجواز تشبيه اعمالهم بسراب وظلمات جميعا فانها في فسادها وجهالتهم فيها ظلمات * ﴿في بحر لجي﴾ نسب إلى اللج وهو معظم ماء البحر فالمراد البحر العميق ﴿يغشاه﴾ اي البحر * ﴿موج﴾ والجملة صفة بحر أو حالة منه أو من ضمير مستتر في (لجي) ويغشاه يغطيه ويعلوه * ﴿من فوقه موج﴾ نعت موج والهاء للموج والمراد امواج كثيرة مما ذكر فيه كثير * ﴿من فوقه﴾ اي فوق الموج الثاني * ﴿سحاب﴾ غطى النجوم وحجب انوارها والجملة نعت الموج الثاني ولك ارجاع الهاء للبحر فتكون نعتا له او حالا على مامر وارجاعها للموج الاول فتكون الجملة نعتا له أو حالا منه .

ويجوز ان يراد التشبيه بظلمات البحر في يوم سحاب غطى الشمس فان قعر البحر مطلقا شديد الظلمة * ﴿ظلمات﴾ اي هذه ظلمات .

قال عمرو قرأ البزي (سحاب) بغير تنوين والباقون بالتنوين.

وقرأ ابن كثير (ظلمات) بالخفض والباقون بالرفع يعني ان ابن كثير جر ظلمات بدلا من الاولى في رواية غير البزي فينون (سحاب) ولاضافة سحاب في رواية البزي عنه.

﴿بعضها فوق بعض إذا اخرج يده لم يكد يراها﴾ لم يقرب ان يراها لشدة الظلمة.

وقيل: معناه لم يرها الا بعد جهد والاول ابلغ اي لم يكن قريبا من رؤيتها فضلا عن ان يكون رأى وخص اليد لانها قيل من اقرب شيء يراه الانسان وضمائر مذكر المواقع في البحر ولو لم يجري له ذكر لدلالة المعنى عليه.

قيل: ذكر الله ثلاثة انواع من الظلمة ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة السحاب وكذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل.

وقال الشيخ هود في الظلمات: انها ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة الليل.

وقيل: الظلمات الاعمال الفاسدة والمعتقدات الباطلة والبحر اللجى صدر الكافر وقلبه والموج هو الضلال والجهالة والشك والسحاب شهوته في الكفر واعراضه عن الايمان والطبع على قلبه؛ كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره للظلمة يوم القيامة **﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾** اي من لم يوفقه الى الدين والايمان والهداية فلا موفق إلى ذلك.

وقالت فرقة ذلك في الآخرة اي من لم يرحمه وينور حاله بالمغفرة والرحمة فلا رحمة له.

قال عياض: والاول أليق بلفظ الآية وأبين ذلك متلازم فان من كان له ذلك في الدنيا كان له ما ذكر في الآخرة ومن كان له ما ذكر في الآخرة فقد كان له ذلك في الدنيا * ﴿الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض﴾ قيل الرواية قلبية اي (الم تعلم علما يشبه المشاهدة) في اليقين بالوحي او بالاستدلال او بهما (ان الله) ينزهه عن كل نقص اهل السموات والارض العقلاء وغير العقلاء جمادا وحيوانا (ومن) لتغليب العقلاء أو هي للعقلاء فقط وهم الملائكة والثقلان.

والتسبيح يكون بلسان المقال وبلسان الحال والطبع والاكثر على ان المراد العقلاء وغيرهم الحيوان والجماد.

﴿والطير﴾ عطف خاص على عام على تفسير الاكثر لمزية الطير بخاصية وهي جعل الاجرام الثقيلة قادرة على الوقوف في الجو باسطة اجنحتها كما قال * ﴿صافات﴾ حال من الطير فذلك حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره والطير من جملة ما في الارض.

وان قلنا ان (من) واقعة على الملائكة والثقلين أو اعتبر ان ما في الجو غير ما في الارض كان ذلك عطفا مغايرا * ﴿كل﴾ أي كل واحد من ذلك كله أو من الطير ﴿قد علم﴾ الله * ﴿صلاته﴾ اي دعاءه ﴿وتسبيحه﴾ فدعاء الملائكة والثقلين في الصلاة وغيرها ودعاء الطير في غيرها وكذلك يقال في التسبيح هذا ما يظهر لي وهو ظاهر تفسير الزجاج.

وقال مجاهد: الصلاة لبني آدم والتسبيح لسائر الخلق.

وقيل: ان ضرب اجنحة الطير صلاته وتسبيحه.

وقال: كل قد علم صلاة نفسه وتسبيح نفسه.

وقالت فرقة: كل قد علم صلاة الله وتسبيح الله اللذين امر بهما ولا يبعد ان يلهم الله الطير ذلك كما الهمها علوما دقيقة في اسباب معيشتها لا يكاد العلماء يهتدون اليها او نشبه حال كل في الدلالة على الحق والميل إلى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك ﴿**والله عليم بما يفعلون**﴾ ولو كان الانسان لا يعلم تسبيح الحيوان والجماد ﴿**ولله ملك السموات والارض**﴾ وما فيهن من ذات وصفة وفعل كل ذلك خلق له وملك له.

وقيل: خزائن المطر والرزق؛ قيل: والنبات.

﴿**وإلى الله المصير**﴾ اي الرجوع والبعث وهو مصدر ميمي * ﴿**الم تر ان الله يزجي**﴾ يسوق برفق وفسره بعض بمجرد السوق ومن ذلك (بضاعة مزجاة) يزجيها كل احد اي يدفعها ولا يرضاها ﴿**سحابا**﴾ يكون مفردا كما هنا ويكون جمعا.

وفسره بعضهم الازجاء بالانشاء * ﴿**ثم يؤلف**﴾ بالواو خالصة عند ورش وعن نافع وقرأة بغير همزة * ﴿**بينه**﴾ اي بين اجزائه فانه يكون قطعا ويضم الله بعضه إلى بعض فيكون قطعة واحدة ولذلك صحت كلمة (بين) كقول امرىء القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل　　　بسقط اللوى بين الدخول فحومل

اي بين مواضع الدخول وهو مكان.

﴿ثم يجعله ركاما﴾ الركام الذي بعضه فوق بعض يتكاثف ﴿فترى الودق﴾ المطر * ﴿يخرج من خلاله﴾ من فقوقه وهي مخارجه والهاء للسحاب وهو جمع خلل كجبل وجبال.

وقرىء من خلله بالافراد * ﴿وينزل﴾ وقرىء بالتخفيف واسكان النون على انه من الانزال * ﴿من السماء﴾ من الغمام وكل ما علاك فهو سماء ولو سقفا (ومن) للابتداء * ﴿من جبال﴾ (من) للابتداء ايضا فيكون من جبال بدلا من قوله (من السماء) بدل بعض ان اعتبرنا ان السماء شاملة لتلك الجبال وبدل اشتمال ان اعتبرنا انها غير شاملة لها * ﴿فيها﴾ نعت لجبال والضمير للسماء * ﴿من برد﴾ حال نجبال أو صفتها أو حال ضميرها المستتر في (فيها) او نعت ثان لجبال (ومن) للبيان اي (من جبال كائنة في السماء) هي برد أو للتبعيض والبرد القطع البيض الجامدة تنزل من السماء صغارا أو كبارا كالحجارة وتسمى حب الغمام وقيل: الثلج.

قال ابن عباس: اخبر الله ان في السماء جبالا من برد قال رجل لابن عباس اتينا الليلة بمطر الضفادع فقال صدق ان في السماء بحارا أو قيل: (من) الثانية للتبعيض فتعلق بـ (ينزل) كالاولى اي بعض جبال وهي مغنية عن مفعول (ينزل) وعلى انها للابتداء فمفعول (ينزل) محذوف اي (ينزل كثيرا).

وقيل: (من) الثالثة للابتداء.

قال ابن هشام: قال الفارسي: (من) الثالثة زائدة في المفعول بناء على جواز زيادتها في الايجاب.

وقيل: المراد بالسماء؟ السماء المظلة التي بينها وبين الارض خمسمائة عام وان فيهـا جبالا من برد كما ان في الارض جبالا من حجر وقدرة الله صالحة لذلك ولا مانع عقليا ولا سماعيا لذلك.

وقيل: ليس المـراد فيها أو بينها وبين الارض جبالا من برد حقيقة ولكن المراد انه ينزل منها أو مضاء بينها وبين الارض مقدار جبال في الكثرة من برد كما يقال (فلان عنده جبال من ذهب وجبال من علم وجبال من مال).

قيل: والحقيقة اولى حملا للفظ على ظاهره والامر كذلك.

قال القاضي والمشهور: ان الابخرة إذا تصاعدت ولم يتخللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتـد الـبرد تقـاطـر مطرا فان اشتد بان وصل إلى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والانزال بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر أو الثلج وكل ذلك بارادة الله وقدرته * ﴿فيصيب به﴾ بالبرد ﴿من يشاء﴾ فيهلكه به أو ماشيته أو حرثه أو الكل.

قال بعضهم: رأيت امرأة بالبادية وقد جاء البرد وذهب بزرعها فجاء الناس يعزونها فرفعت رأسها إلى السماء وقالت: اللهم انت المأمول الحسن الخلف وبيدك التعويض مما تلف فافعل بنا ما انت أهله فان ارزاقنا عليك وآمالنا مصروفة اليك فلم ابرح حتى مر رجل من الاجلاء فحدث بما كان فوهب لها خمسمائة دينار؛ اجاب الله دعوتها وفرج في الحين كربتها.

﴿ويصرفه عمن يشاء﴾ لا يضره ويجوز ارجاع الهائين إلى السحاب والبرد ينزل منه أو من جهته ﴿يكاد سنا﴾ وقرأ السوسي بادغام الدال في السين والسنا بالقصر الضوء واما السنا بالمد فالشرف والمجد.

وقد قرىء به هنا ايضا بمعنى العلو والارتفاع ﴿برقه﴾ وقرىء بفتح الراء تبعا للياء أو على انه جمع برقة بفتحها.

وقرىء بضم الباء واسكان الراء جمع برقة بضم الباء واسكان الراء وبرقة بضمتين اتباعا وبرقة بضم ففتح جمع برقة بضم فاسكان بمعنى مقدار من البرق كغرفة وغرف ﴿يذهب بالابصار﴾ هذه الباء معاقبة لهمزة التعدية.

وقرىء بضم الياء وكسر الهاء مضارعا بـ (أذهب) بهمزة التعدية فالباء زائدة والابصار مفعول به.

ونسبت هذه القراءة لابي جعفر المدني والمراد بالابصار ابصار الناظرين يكاد البرق يزيلها لفرط اضاءته والمفرد (بصرا) بمعنى النظر أو بمعنى العين فيقدر مضاف على هذا الاخير اي يزيل نظر الابصار وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد فان الضوء مناسب للحرارة وقد تولد من البرد المناسب للبرودة والبرودة ضد الحرارة ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ يأتي بكل منهما بدل الآخر أو ينقص من احدهما ويزيد في الآخر فيطول احدهما ويقصر الآخر ويستويان ايضا.

واستواؤهما من جملة التقليب فانهما كانا غير مستويين ثم استويا أو وتقليبهما تغيير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور أو تقليبهما فعل ذلك جميعا بهما.

وعن أبي هريرة عنه ﷺ عن الله تعالى: (يسبني ابن آدم بسب الدهر وانا الدهر؛ بيدي الامر اقلب الليل والنهار) فالدهر من اسمائه تعالى أو المعنى انا الذي يفعل ما تنسبونه للدهر والدهر الزمان مخلوق مثلكم اتصرف فيه.

وفي رواية (يؤذيني ابن آدم) اي يفعل فعلا يؤذي في الجملة والا فالله لا يضره شيء ولا ينفعه أو (يؤذي دهري) فان الزمان لا يرضى بمعصية الله.

﴿ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار﴾ والاشارة إلى التقليب أو اليه والى غيره مما تقدم من البرق والمراد بالابصار العقول فان من لم يستعمل عقله كالاعمى.

فائدة. قال ﷺ: (اطلبوا اجابة الدعاء عند اقامة الصلاة وعند نزول الغيث).

﴿والله خلق كل دابة﴾ حيوان يدب على الارض وقرأ حمزة والكسائي (خالق كل دابة) باسم الفاعل والاضافة.

﴿من ماء﴾ نكرة لان المقصود من ماء مخصوص وهو النطفة أو هو من نطفة مخصوصة فان نطفة خلقت منها دابة غير نطفة خلقت منها الآخر.

وقال القزويني والتفتازاني: التنكير للافراد أو النوعية اي كل فرد من افراد الدواب من نطفة معينة هي نطفة ابيه المختصة به أو كل نوع من انواع الدواب من نوع من انواع المياه وهو نوع النطفة التي تختص بذلك النوع من الدواب.

وان قلت: إذا اريد الماء المشروب لم تدخل فيه الملائكة والجن؟ قلت: لا ضير في عدم دخولهم لان المراد ما نشاهده وهم لا نشاهدهم وقد لا نسلم عدم دخولهم.

فقد قيل: ان الملائكة من ريح خلقت من الماء.

والجن من نار خلقت من الماء.

واما آدم فخلق من تراب مخلوق من ماء أو مخلوط بماء.

وان قلت: ان اريد بالماء النطفة لم تدخل فيه دواب لم تخلق من نطفة بل من مجرد تراب أو طعام أو شراب أو غيره؟ قلت: نزل الغالب منزلة الكل وان (علقنا) من ماء بمحذوف نعت (لدابة) لم يرد علينا شيء .

﴿فمنهم﴾ هذا الضمير اصل في العقلاء واستعمل هنا في العقلاء وغيرهم تغليبا * ﴿من يمشي على بطنه﴾ كالحيات والحيتان واستعمل (من) بغير العاقل هنا وفي قوله: ﴿ ومنهم من يمشي على اربع ﴾ لوقوعها في تفصيل عموم شمل العاقل وغيره فان كل دابة عام شامل للعاقل وغيره وقد فصله بمن بفتح الميم ومن بكسرها وسمي الزحف على البطن مشيا استعارة لشبهه بالمشي أو لمشاكلة (يمشى) على رجلين ويمشي على اربع ﴿ومنهم من يمشي على رجلين﴾ كالآدمي والظاهر استعملت فيه (من) للعاقل وغيره تغليبا مثل (افمن يخلق كمن لا يخلق) مع زيادة تقدم العموم ولك ان تجعل (من) في المواضع الثلاثة نكرة موصوف وحكمها حكم الموصولة.

﴿ومنهم من يمشي على اربع﴾ كالانعام والبهائم والسباع وليس المراد الحصر في ذلك فان قولك منه كذا ومنه كذا تارة يستعمل في الحصر وتارة في غيره فمن الحيوان ما يمشي على ثلاثة ارجل ومنها ما يمشي على اكثر من اربع

كالعناكب والعقارب ومنها ما له اربع واربعون رجلا وغير ذلك بل ذلك نادر لا يرد على الحصر.

وقيل: ان ماكان اكثر من اربع له انما يعتمد في المشي على اربع والباقي تبع لها ولا يبعد ان يكون ماله ثلاث اعتماده على اثنين وانكر بعضهم ان يكون لدابة ثلاثة ارجل.

وفي قراءة ابيّ (ومنهم من يمشي على اربع ومنهم من يمشي على اكثر) وانما قدم ما يمشي على بطنه لانه اعجب واعرف في القدرة إذ يمشي بغير آلة المشي وذكر بعده ما يمشي على رجلين فقط ﴿يخلق الله ما يشاء﴾ مما علم ومما لم يعلم وما خطر على بال وما لم يخطر والاصل واحد والقدرة تتنوع والحكمة تقتضي ذلك * ﴿ان الله على كل شيء قدير﴾ فيفعل ما يشاء لا يعجزه شيء فلا يسارع احد إلى انكار شيء حكي له من صنع الله ﴿لقد انزلنا آيات مبينات﴾ القرآن * ﴿والله يهدي﴾ يوفق * ﴿من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ إلى دين الاسلام الموصل إلى ادراك الحق والفوز بالجنة *

﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا﴾ اي يقول المنافقون صدقنا بتوحيد الله وبرسالة محمد واطعناهما.

قال الحسن: كان الرجل منهم يكون بينه وبين الرجل من المؤمنين خصومة فيدعوه إلى النبي ﷺ فان علم ان الحق له جاء معه إلى النبي ﷺ وان علم ان عليه لم يجيء اليه.

وروي انها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في ارض فجعل اليهودي يجره إلى رسول الله ﷺ والمنافق يجره إلى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف وكان المنافق مبطلا.

وروي ان المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي خصومة في ماء وارض فقال المغيرة: اما محمد فليست آتيه ولا احاكم إليه فانه ببغضني واخاف ان يحيف علي.

﴿ثم يتولى﴾ يعرض عن طاعة الله ورسوله والامتناع عن قبول الحق قال ﷺ: (من دعي الى حكم المسلمين ولم يجب فهو ظالم) ﴿فريق منهم من بعد ذلك﴾ من بعد قولهم آمنا ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾ المعهود الموافق قلوبهم السنتهم والاشارة إلى جميع المنافقين القائلين: (آمنا بالله وبالرسول واطعنا) فانهم المراد للقائلين اخبرنا الله ان جميع هؤلاء القائلين منتف عنهم الايمان أو الاشارة إلى الفريق المتولي وحده سلب الايمان عنه لتوليه *

﴿وإذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم﴾ الرسول * ﴿بينهم إذا﴾ حرف مفاجأة رابطة لجواب إذا الشرطية * ﴿فريق منهم معرضون﴾ عن الحكم أو عن الاجابة إذا دعاهم داع إلى حكم الله ورسوله اي ما في شريعتهما ليحكم به رسوله سارع فريق منهم إلى الاعراض إذا كان الحق عليهم وهذا بيان المتولي ومبالغتهم فيه ذكر الله ورسوله لان حكم رسوله حكمه في الحقيقة لكن الحاكم ظاهر أو المدعو إليه حقيقة هو رسوله والذي خصه بقوله ليحكم ولم يقل ليحكما وايضا ذكر الله تعظيما والاصل إذا دعوا إلى رسول الله ليحكم كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد .

﴿وان يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين﴾ منقادين طائعين مسرعين لعلمهم بانك لتحكم لهم ان كان الحق لهم كما تحكم عليهم إذا كان عليهم لا لهم (إليه) متعلق بـ (يأتوا) فان (يأتي ويجيء) يتعديان بالى وبانفسها أو متعلق بمذعنين وقدم للاختصاص والمفاضلة.

والفريق الآخر لا يعرض ولم يذكره لان عدم اعراضه لا ينفعه مع كفر باطنه ولان الكلام في الذم * ﴿افي قلوبهم مرض﴾ كفر وميل إلى الظلم والاستفهام توبيخي ﴿ام ارتابوا﴾ شكوا فيك بان رأوا منك التهمة فزالت ثقتهم بك او شكوا في امر نبوتك * ﴿ام يخافون ان يحيف الله﴾ يميل بالظلم ﴿عليهم ورسوله﴾ (وام) متصلة بجوازها بعد الاستفهام ولو غير حقيقي ويجوز ان تكون المتوسطة للاضراب اي بل شكوا في نبوتك * ﴿بل اولئك هم الظالمون﴾ اضراب عن القسم الاخير وعن الثاني ان جعلت ام فيه متصله فأما الاول فمتحقق فان مقام النبوة واضح عدله يمنعانه عما يزيل الثقة عنه وبمنعـانـه عن الحيف فما امتناعهم الا لمرض قلوبهم فبظلمهم هو مرض قلوبهم وميل نفوسهم إلى الحيف لهم وخوفه العدل ﴿انما كان قول المؤمنين﴾ خبر كان . ﴿إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم﴾ مثل ما مر.

وقـدر بعض إلى كتـاب الله * ﴿ان يقـولـوا سمعنـا﴾ الـدعاء * ﴿واطعنـا﴾ وهـذا التعليم لآداب الشرع ذكـر قول المنافقين وهم ظالمون لانفسهم ولمن له الحق ولا يريدون المحاكمة في مجلسه ﷺ لانه لا يتم لهم فيه انكار الحق وذلك لا يجوز واتبعه بقول المؤمنين (وان يقولوا) اسم (كان) بالتاويل وقول: خبرها.

وقرأ الحسن (قول المؤمنين) بالرفع على انه اسم كان والنصب اولى لان (ان) والفعـل اوغـل في التعـريف اذهمـا بمنـزلة الضمير من المعرف بالاضافة والضمير لا يقبل التنكير وما هو اولى في التعريف فهو اولى لكونه اسما لناسخ أو مبتدأ.

وقرىء ببناء (يحكم) للمفعول والنائب ضمير مستتر عائد إلى الحق اي ليثبت الحق بينهم لهم او عليهم او عائد إلى الحكم المفهوم من الفعل كأنـه قيل: ليفعل الحكم بنا على جواز نيابة المصدر غير المختص بل هو مختص إذ قدر معرفا بال.

وقيل: النائب بين بناء على جواز نيابة الظرف الذي لا يتصرف مع بقاء النصب فيه ويقدر الرفع . ﴿واولئك﴾ الذين هذه صفتهم * ﴿هم المفلحـون﴾ النـاجـون * ﴿ومن يطع الله ورسـولـه﴾ في الفرض والسنة ﴿ويخش الله﴾ على ذنوبه ﴿ويتقه﴾ يحذر معاصيه باثبات صلة الهاء وهي الياء وذلك رواية ورش عن نافع وهي قراءة الجمهور.

وقـرأ يعقـوب بالاختـلاس وهـو رواية قالـوا انها عن نافع اعتدادا بالساكن المحذوف قبل الهاء واسقط الياء.

وقـرأ ابو عمرو وابو بكر وخلاد بخلاف عنه بسكون الهاء وحفص بسكون القاف تشبيها للياء المفتوحة والقاف والهاء بكلمة واحدة مسكونة الوسط كما تسكن تخفيفا وسط (علم وفزح وشهد وكتف) وتسكن الهاء في الوقف اجماعا.

وقيل: المعنى من يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل.

وسأل بعض الملوك عن آية كافية فتليت له هذه الآية.

وفي منهـاج الغـزالي التقـوى في القـرآن الخشية والهيبة نحو (واياي فاتقـون؛ واتقـوا يوما) الخ والعبادة نحو (يأأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقـاته) وتنزيه القلب عن الذنوب وهو حقيقة التقوى نحو (ومن يطع الله

ورسـولـه ويخش الله ويتقه) ذكر الطاعة والخشية وذكر التقوى فعلمت ان حقيقة التقوى معنى سوى العبادة والخشية وهي تنزيه القلوب عن الذنوب .

﴿فـاولئـك هم الفـائـزون﴾ بالنعيم الدائم ﴿واقسموا بالله جهد ايمانهم﴾ جهد اليمين بلوغ غاية شدتها وتوكيدها كقولك : (جهد نفسه) اي بلغ اقصى وسعها .

وعن ابن عباس ؛ من قال بالله فقد جهد يمينه (وجهد) مفعول مطلق بـ (أقسم) اي (اقسموا غاية يمينهم) هذا هو التحقيق والضمير ان المنافقين لئن امرتهم بالجهاد * ﴿ليخرجن﴾ اليه .

وقيل : لئن امـرتهم بالخـروج عن ديارهم وامـوالهم ليخرجن وكانوا يقولون للنبي ﷺ اينما كنت نكن معك ؛ لئن خرجت خرجنا ؛ وان قمت قمنا ؛ وان امرتنا الجهاد جاهدنا ؛ ولما نزل بيان كراهتهم لحكم رسول الله ﷺ قالوا لو امرتنا ان نخرج من ديارنا واموالنا ونسائنا لخرجنا فكيف لا نرضى بحكمك؟ ! .

(وليخـرجن) جواب اقسموا واللام هي اللام المؤكدة لجواب القسم واما لام (لئن) فهي اللام الموطئة له وجواب (ان) محذوف اي يخرج .

وقيل : اقسموا ولم يستثنوا وفيهم الضعيف والمريض ومن يوضع عنه الخروج ممن له العذر * ﴿قل لا تقسموا﴾ على الكذب * ﴿طاعة معروفة﴾ اي طاعتكم طاعة قد عرفت منكم وهي الطاعة باللسان لا يطابقها الاعتقاد ولا الافعـال منكم أو المـطلوب منكم طاعة معروفة انها طاعة متحققة لا

اليمين للطاعة النافية (وطاعة) خبر لمحذوف أو طاعة معروفة اي بينة خالصة على قدر الاستطاعة حرر هذه اليمين الكاذبة فهي مبتدأ محذوف الخبر.

وقيل: فاعل لكون محذوف اي لتكن طاعة معروفة بناء على جواز حذف لام الامر والفعل المجزوم بها وهو لولى من حذفها وحدها وبقاء المضارع.

وقرأ اليزيدي طاعة معروفة بالنصب اي اطيعوا طاعة * ﴿ان الله خبير بما تعملون﴾ من طاعتكم باللسان دون القلب والفعل وسائر سرائركم فيحاربكم .

﴿قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول﴾ بالقول والقلب والفعل * ﴿فان تولوا﴾ اعرضوا عن الطاعة وهو مضارع بتاء الخطاب بدليل قوله (وعليكم ما حملتم) والاصل تتولوا حذفت احدى التائين امرهم في قوله اطيعوا على لسان النبي ﷺ بطريق الغيبة اذ لم يقل اطيعوا بل قال: (قل اطيعوا) بان امر نبيه ﷺ بتبليغ ما امروا به على الحكاية مبالغة في تبكبتهم كانه قال يقول لكم الله (اطيعوا) وصرف الكلام عن الغيبة إلى الخطاب على طريق الالتفات وهو ابلغ في تبكيتهم * ﴿فانما عليه﴾ على محمد ﷺ * ﴿ما حمل﴾ ما فرض عليه حمله اي الامانة به وهو التبليغ * ﴿وعليكم ما حملتم﴾ من الطاعة ويجوز ان يكون تولوا فعلا ماضيا ولا تقدر فيه تاء فالضمير للغيبة فيكون بينه وبين قوله (وعليكم ما حملتم) التفات.

قال زيد بن سلمة: يارسول الله إذا كان علينا امر اخذونا بالحق واذا كان لنا منعوناه كيف نصنع؟ فأخذ الاشعث بثوبه ليجلسه فقال ارسله اي الثوب حتى يجيبني او تغيب الشمس فقال: اسمعوا واطيعوا فانما علي ما

حملت وعليهم ما حملوا * ﴿وان تطيعوه﴾ في امره * ﴿تهتدوا﴾ إلى الحق * ﴿وما على الرسول الا البلاغ﴾ اسم مصدر اي التبليغ والمصدر بلغ المخفف اي عليه ان يبلغ اليكم الحق على لسانه بتخفيف لام بلغ ورفع الحق . ﴿المبين﴾ الواضح من ابان بمعنى بان والموضح من ابان بمعنى اظهر اي قد ادى ﷺ الواجب عليه وهو التبليغ فان توليتم فضر عليكم او اطعتم فنفع لكم لا ضر عليه ونفعه هو حاصل بالتبليغ * ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض﴾ يجعلهم خلفاء يتصرفون في الارض تصرف الملوك في مملوكاتهم ويزيل الملك عن المشركين والمنافقين.

وقد صدق وعده بان فتح لهم البلاد العربية والعجمية مكث ﷺ بعد الوحي مع اصحابه عشر سنين وامروا بالصبر على اذى الكفار فكانوا يصبحون يمسون خائفين ثم امروا بالهجرة إلى المدينة وامروا بالقتال وهم على خوفهم في المدينة لا يفارق احدا منهم سلاحه فقال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فنزلت الآية فقال ﷺ: «ما بقي الا قليل حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس فيه حديدة».

قال المخالفون: عن الضحاك ان الذين آمنوا هم عمر وابو بكر وعثمان وعلي وان استخلافهم امامتهم العظمى وسيأتي قد مرّ أيضا ما يدل على بطلان دخول عثمان وعلي في ذلك ومفعول وعدد محذوف اي اعدهم للاستخلاف وليستخلفنهم جواب لمحذوف اي وعدهم الاستخلاف واقسم ليستخلفنهم أو جواب للوعد فانه لتحققه في منزلة القسم فيجاب كالقسم .

﴿كما استخلف الذين من قبلهم﴾ من بني اسرائيل بعد هلاك الجبابرة بمصر والشام وغيرهما والمسلمين الذين من قبلهم مطلقا من بني اسرائيل وغيرهم ودخل في ذلك الانبياء وغيرهم اورثهم ارضهم واموالهم .

وقرأ ابو بكر استخلف بالبناء للمفعول فاذا ابتدأ ضم الهمزة ومن بناه للفاعل إذا أبدى كسرها * ﴿وليمكنن لهم دينهم﴾ يثبته لهم وينصرهم ويعملون به ظهورا * ﴿الذي ارتضى﴾ اختاره * ﴿لهم﴾ وقد اظهره والحمد لله وهو دين الاسلام على سائر الاديان ووسع لهم في البلاد وملكوها * ﴿وليبدلنهم﴾ يعوضنهم .

وقرأ ابن كثير وابو بكر باسكان الباء وتخفيف الدال من الابدال والاول من التبديل * ﴿من بعد خوفهم﴾ من الكفار * ﴿أمنا﴾ ضد الخوف .

قال عدي بن حاتم بينما انا عند النبي ﷺ اذ اتاه رجل فشكا إليه الفاقة اي (الفقر) ثم اتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال: ياعدي هل رأيت الحيرة؟ قلت: لم ارها ولقد انبئت عنها قال: فان طالت بك الحياة فلترين الظعينة أي المرأة في هودج ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا الا الله قلت في نفسي: فاين هؤلاء الذين قد اخذوا البلاد؟ قال: ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد احدا يقبله منه وليلقين الله احدكم يوم القيامة وليس بينهما ترجمان يترجم له اي ترجمان من جنسه والا فهناك ملك يتكلم بما اراد الله .

فكأنه قال ليس بين احدكم وبين ملك الله ترجمان كما كان النبي ﷺ في الـدنيا ترجمانا بين الملك والعباد أو ليس بين كلامه تعالى وبين احدكم ترجمان بل يخلق الله تعالى كلاما يسمعه بلا متكلم به فانه قادر على خلق الارض مستقلا بنفسه فليقولن: (الم ابعث اليك رسولا فيبلغك) فيقول بلى يارب فيقول: الم اعطك مالا وافضل عليك فيقول: بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى الا جهنم.

قال عدي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فكلمة طيبة».

قال عدي: فرأيت الـظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله وكنت فيمن فتح كنوز كسرى ولئن طالت حياة لترون ما قال ابو القاسم يخرج ملء كف الرجل ذهبا ولا يؤخذ منه؛ ذكره أبو عبدالله محمد ابن اسماعيل.

وفي ايام ابي بكر وعمر وعثمان وعليّ بعدهم كانت الفتوح العظيمة وتمكن الدين لاهله.

(والاستخـلاف) في الآية تملك المسلمين اموال الكفار وقد وقع ذلك في آيات دليل صحة نبوة النبي ﷺ.

وعن سفـانـة سمعت رسول الله ﷺ يقول الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون ملكا.

قال القرطبي: تدور رحى الاسلام لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين وسبع وثلاثين.

وكانت خلافة ابي بكر سنتين قيل وثلاثة اشهر وقيل سنتين وثلاثة اشهر وواحد وعشرين يوما وكانت خلافة عمر عشر سنين وستة اشهر.

قيل : وعشرة ايام .

وكانت خلافة عثمان اثنتي عشرة سنة .

وقيل : الا اربعة عشر يوما .

وكانت خلافة علي اربع سنين وتسعة اشهر.

وخلافة الحسن ستة اشهر ثم نزل عنها.

ورأيت في شرح مسلم الآتي ان خلافة عثمان اثنتا عشرة سنة الا عشرة ايام .

وقيل : الا ثمانية ايام والمراد بالسنة وذلك كله العام والذي يحفظ عن الجواهري العلامة ابي الفضل ان خلافة ابي بكر سنتان واربعة اشهر الا عشرة ايام وخلافة عمر عشر سنين وثلاثة اشهر وخلافة عثمان اثنتا عشرة سنة وخلافة علي سنتان وثمانية اشهر وتسعة عشر يوما .

وقيل : المراد في الآية الخوف من العذاب والامن منه في الآخرة .

﴿يعبدونني﴾ مستأنف في حكم التعليل وهو لبيان مقتضى استخلافهم وامنهم او حال من (الذين) او من الضمير (هم) في (ليستخلفنهم) أو في (ليبدلنهم) وفي ذلك تقييد للوعد بالثبات على التوحيد وما يترتب عليه ﴿لا يشركون بي شيئا﴾ الجملة حال من واو (يعبدونني) ﴿ومن كفر بعد ذلك﴾ الانعام منهم والانعام يحصل بانجاز الوعد وحصول الخلافة والمراد بالكفر كفر النعمة وهو المسمى عندنا كفر النفاق أو المراد كفر

الشرك بالارتداد * ﴿فاولئك هم الفاسقون﴾ الكاملون في النفاق أو الشرك وقيل: من كفر بعد هذا الذي انزلت فاولئك هم الفاسقون فسق شرك.

واقول والله اعلم بغيبه: أن اول من كفر تلك النعمة وجحد حقها عثمان بن عفان جعله المسلمون على انفسهم واموالهم ودينهم فخانهم في كل ذلك زاد في مسجد رسول الله ﷺ ووسعه وابتاع من قوم وابى آخرون فغصبهم فصاحوا به فسيرهم للحبس وقال قد فعل بكم عمر هذا فلم تصيحوا به فكلمه فيهم عبدالله بن خالد بن اسيد فاطلقهم من السجن وقد جمع في ذلك غصب المال وقذف عمر رضي الله عنه وعزل سعد بن ابي وقاص عن الكوفة بلا حدث منه رضي الله عنه واستعمل اخاه لامه وهو الوليد بن عقبة ونزل (واتقوا فتننة) بحضرة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وعثمان وعلي فقال لعثمان بك تفتح وبك تنشب وقال لعلي: انت امامها وزمامها وقائدها تمشي فيها مشي البعير في قيده.

وقال: لضرس بعض الجلوس في نار جهنم اعظم من جبل احد وقال: يثور دخانها تحت قدمي رجل يزعم انه مني وليس مني الا ان اوليائي المتقون واول ما نقم المسلمون على عثمان انه لم ينفذ ما اوصاه به عمر في ابنه عبيد الله وقد قتل جفينه والهرمزان في السوق بخنجر وقد اسلما وحسن اسلامهما. وقيل: (جفينة) نصراني لامرهما ابا لؤلؤة بقتل ابيه فيما قيل فاوصى الستة الذين جعل الامامة شورى بينهم ومن ولي منكم فليكلف ابني عبيدالله البينة انهما امرا ابا لؤلؤة بقتلي فان لم يات بها فليقد بهما فجعل عثمان يعتل بعلل وعبيدالله يدعي بينة غائبة وعبيدالله هذا ولد في عهد رسول الله ولم يرو عنه؛ حدّه عمر في الخمر.

وقعد في مقام رسول الله ﷺ في المنبر وكان ابو بكر نزل درجة وعمر درجتين وادخل عثمان الحكم ابن ابي العاص طريد رسول الله ﷺ ولعينه المدينة وقد طرده ﷺ إلى جزيرة تسمى دهلك لانه هجاه بسبعين بيتا من شعر فقال اللهم اني لا احسن الشعر فالعنه بكل بيت وقد كلم ابا بكر عثمان واناس من بني امية في ادخاله فقال قد ضللت إذاً وما انا من المهتدين.

ولما تولى عمر كلموه فاغلظ عليهم ولما تولى عثمان ادخله واعطاه مائة ألف درهم من فيء المسلمين واعطى مروان بن الحكم خمس المال المجلوب من افريقية حين فتحت واخاه الحارث بن الحكم مائة الف درهم من صدقة البحرين وعبدالله بن خالد بن اسيد بن ابيّ ستمائة ألف درهم من صدقة البصرة وارسل اليه أبو موسى الاشعري بمال عظيم من صدقة البصرة فقسمه بين اولاده واهله بالصحائف وحمى مواطن المطر من ارض البادية لاهله وخاصته وعزل عمال عمر بلا حدث وهم فقهاء من السابقين الاولين واستعمل السفهاء من أهل بيته وقرابته؛ استبدل بالصالح الطالح وبالعالم الجاهل استعمل الوليد بن عقبة اخاه لامه على الكوفة وهو طالح واستعمل عبدالله بن عامر على البصرة وهو ابن خاله وعبدالله بن سعد بن ابي سرح على مصر وهو اخوه من الرضاعة ويعلا بن امية على اليمن وهو حليف لبني امية وأسيد بن الاخنس ابن شريق الثقفي حليف بني زهرة وهو ابن عمة عثمان ولم يدع صالحا الا عزله واستعمل من يرجو طاعته ونصره.

عزل عمارا عن الكوفة وكان اميرا عليها وعلى الصلاة والقضاء وعزل عنها ابن مسعود وكان على بيت المال فيها وعزل عنها عثمان بن حبيب وكان على خراجها وارضها وصلى عثمان بالناس في منى اربع ركعات وكان ﷺ والخليفتان

بعده يصلون بها اثنتين وحرق المصاحف لما نسخا وحرم قراءة ابن مسعود وابيّ بن كعب وامر ان يقرأ الناس على حرف واحد ومن خالف مثل به .

وقد قال ﷺ : (من سره ان يقرأ القرآن غضا كيوم انزل فليقرأ قراءة ابن ام عبد) وهو ابن مسعود واستلف من مال الله مالا عظيما وابى ان يرده وكان الوليد المذكور تلعب السحرة بين يديه ويشرب الخمر ويصلي سكران بها وما اقام عليه حدا ولا عزله وقتل دينار أو أجمع المهاجرون والانصار ان يقيده عثمان فابى واستخلف على الكوفة بعد الوليد سعيد بن ابي العاص بن امية فعمل فيها مثل عمل الوليد لكن لم يظهر شرب الخمر لكن كلمه خيار الكوفة فعزله وجاءته إبل من الصدقة فوهبها لبعض بني الحكم فاخذها عبدالرحمن بن عوف فقسمها بين المسلمين وهو أول من اجترأ عليه ومنع الاعراب لها ليسقط اسهام من الغى .

وكان ﷺ والخليفتان بعد دعائهم للجهاد اجتمعت الصحابة وفيهم عبدالرحمن قدموه وخلعوه وكتبوا إليه كتابا فجاءه به عمار فوصفهم عثمان بانهم اعداء الله وامر غلاما وطء بطن عمار ففتقه حين دخل عليه بالكتاب ودعا عليا ليعينه على ان له عيرا اولها بالمدينة وآخرها باليمن فقال علي: لقد اكثرت أو كان من مالك؟ فقال أو من مال قوم جالدوا عليه باسيافهم؟ وقال شيخ من أهل مكة لابي ذر: ما منزلة عثمان عندكم؟ فقال: اما لكم تستقون عليه الماء فقال اي والله لقد تركته في الدار فقال والله لعثمان شر من ذلك الحمار وكان عمار يقول فيه الحق ويعيبه وكان عثمان يكذبه وينسبه إلى الكذب عن رسول الله ﷺ والى طعن في دين الله وقال لعلي: ان رسول الله ﷺ اخذك سارقا ومامنعه عن قطع يدك الا قرابتك منه وهذا منه كذب على علي وعلى رسول الله ﷺ ونسبه له إلى الميل في

الحكم فقال فيه ﷺ ان عثمان فرعون هذه الامة وكذا قالت عائشة ونفى ابا ذر بلا وطاء على جمل.

وعن ابن مسعود مايوزن لعثمان يوم القيامة ذباب فقال رجل ذباب فقال ولا جناح ذباب وعنه وددت انا وعثمان برمل عالج يحثو عليَّ واحثو عليه حتى يموت الاعجل فقيل إذاً يغلبك فقال لا يعين الله كافرا على مؤمن ودخل ﷺ بيتا فيه اثنا عشر رجلا منهم ابن مسعود وعثمان يذكرون الدجال فقال والذي نفسي بيده ان في البيت مما هو اضر على امتي من الدجال قال ابن مسعود ومضوا كلهم ولم يغتن واحد منهم الامة وبقيت انا وعثمان وامر عبدا له اسود غليظا طويلا اسمه زمعة فاخذ ابن مسعود اخذا عنيفا فضرب به الارض فدق اضلاعه وذلك في المسجد فزجرتهم عائشة فقال: اسكتي او لاملأنها عليك سودانا وكان ذلك سبب موت ابن مسعود وقال له: استغفر لي فقال: لئن كنت كما اقول فما ينفعك وحبس عطاءه خمس سنين في كل سنة خمسة آلالف درهم.

وروي ان زمعة حمله فالقاه خارج المسجد فدق اضلاعه وروي انه حمله فقال له انشدك الله ان تخرجني من المسجد ولما أوصله الباب جعل يضرب الجدار بعجزه حتى كسر عصعصه وفلق انثييه وايضا دق اضلاعه.

وقال ابن مسعود في مرضه هذا بحضرة عثمان وصحابه انشدكم الله تعلمون ان رسول الله ﷺ قال في مواضع ثلاثة «اللهم اني رضيت لامتي من رضي لها ابن ام عبد وسخطت لها من سخط فقالوا: اللهم نعم فقال عبدالله: اللهم لا ارضى لامتي خليل عثمان بن عفان قال ذلك مرارا وقال لعمار: أدفنتموه ولم تعلموني ياابن السوداء؟ فقال له عمار: فانت ابن الهاوية فنزل إليه وجعل يضربه ويطأه وكتب لبعض بني معيط ليأخذوا من بيت المال ماشاء فدخل عليه

ابيّ بن كعب فقال له: انت الذي تصك إلى بيت مال المسلمين ياابن الهاوية ياابن النار الحامية هلكت وأهلكت فقال له عثمان لولا انك شيخ وليس فيك موضع العقوبة لعاقبتك ومدح رجل عثمان فحثا العفر أي التراب في فيه.

ورفعت عائشة رضي الله عنها نعلي رسول الله ﷺ وقميصه فقالت هاتان نعلا رسول الله ﷺ وهذا قميصه لم يبلين وقد بليت سنته ان فيكم فرعون او مثله تعني عثمان وهو يقول إنما هذه امرأة ورأيها رأي امرأة وعقلها عقل امرأة ورفعت ورقات من المصحف على عود من وراء حجابها وعثمان يخطب على المنبر فقالت ياغادر اقرأ ما في كتاب الله ان تصاحب تصاحب غادرا فقال لتنتهين او لادخلن عليك سود الرجال وحمرها فقالت لقد لعنك رسول الله ﷺ وما استغفرلك ورفعت قميصه على جريدة فقالت يا نعثل هذا قميصه ﷺ لم يبل حتى غيرت سنته ومر عثمان في المسجد فنادته عائشة يافاجر ياغادر خنت امانتك وضيعت رعيتك وحلال دمك لولا الغواة الذين يمنعونك لذبحتك كالشاة فقال: (امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا) الآية. فقال رجل كذبت ياعثمان قال حذيفة والله ما يعدو عثمان ان يكون فاجرا في دينه اخرق في معيشته وقال وددت ان ما في كنانتي من سهم في بطنه وقذف رسول الله ﷺ والخليفتين بعده إذ قال ان رسول الله ﷺ كان يؤثر بني هاشم وأبو بكر بني تميم وعمر بني عدي فوالله لاخصن بني امية على رغم الانوف فقال عمار: فانفي يرغم قال: ارغم الله انفك ونزل اليه فوطئه وغشي عليه وفتق بطنه وكان عبدالرحمن بن حنبل أشد الناس على عثمان يذكر جوره ويبرأ منه فضربه عثمان مائة سوط وحمله على بعير فطاف به المدينة وحبسه موثقا بالحديد مازال عليّ يكلمه فيه حتى خلى سبيله وسيره إلى خيبر.

وفي علي قال :

نفسي فداء علي حين خلصني من كفر بعد اغلاظ على صفد

ونفى نفـراً من الكوفة إلى الشام منهم الاشتر وثابت بن قيس الهمذاني وحميد بن زياد وزيد وحنظلة وصعصعة ولدي صوحان وجندب بن زهير العامري وحبيب بن كعب الازدي وعروة بن الجعد وعمر بن الحمق الخزاعي وابن الكوا ولما شاعت خيانته فارسل إليه المسلمون ان يتوب فامر عماله بالتضييق في الرزق والعطايا ليرجع الناس إليه وقد عطل الحدود وارسل إليه المهاجرون والانصار تب او اعتزل او تقتل فانعم لهم بالاستقامة بعهود ومواثيق فلم يف بها فارسلوا إلى من بالثغور ان هلموا فقد ضيع دين محمد هنا فاجتمعوا فقتلوه وقد غدر بعد العهد وكتب إلى بعض عماله اقتل فلانا وفلانا وعاقب فلانا وفلانا بكذا وهم نفر من الصحابة وقوم من التابعين باحسان اطلع المسلمون على كتاب فيه ذلك على جمل مع غلام له فجاءوا بذلك كله إليه وفي الكتاب طابع خاتمه وكتب إلى معاوية بالشام وإلى أهل الشام ان ينصروه وجعل يتأهب للقتال واتخذ جندا عظيما من الحبشة والسودان بشراء وغيره.

وكانت عائشة ترفع كل جمعة سربال رسول الله ﷺ وتقول هذا سرباله لم يبل وقد بلي دينه وقالت ليته في غرازتي اقذفه في اليم.

قال محمد بن سلمة الانصاري : ما رأيت يوما اقر للعين ولا اشبه بيوم بدر قط من يوم قتل عثمان قال حذيفة : قتل وهو كافر وكذا قال ابن مسعود واستغفر رجل لعثمان فحثاه عمار بالتراب فقال له اتستغفر له ياكافر واما علي بن ابي طالب فلقد قتل من المسلمين كثيرا وقتل رجالا مشهودا لهم بالجنة على لسان رسول الله ﷺ منهم حرقوص وعمار المشهود لهما بالجنة ولقاتلهما بالنار وعلي امر بقتل هؤلاء.

وعن الحسن لا يرى قاتلهم الجنة ومثل ذلك قالت عائشة واما معاوية فمتهتك مظهر لم يحتج ان يؤول ما ظهر من فسقه وقد لقنه رسول الله ﷺ وانما بسطت بعض مساوىء عثمان لقول الخازن وهو من الشافعية ان اول من جحد حق النعمة وفسق قتلة عثمان وانما ذكرت ذلك ليكون قذى في عينيه وفي عيني القاضي البيضاوي وغيرهما ويلهما اعتمدا على سراب وما ذكر به ثابت عندنا وعند من تكلم في هذا النوع من المخالفين كالنوبي والقرطبي والابي وغيرهم .

فائدة زعم الخازن عن غيره انه ما قتل نبي قط الا قتل به سبعون الفا ولا خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون الفا .

﴿واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الرسول﴾ ذلك استئناف او عطف على اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولو طال الفصل لان حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه والفاصل وعد لما تضمنه المعطوف عليه فكأنه جزء منه وكرر الامر بطاعة الرسول تأكيدا لوجوبها وتعليقا للرحمة بها أو بطاعة الله المندرجة تحتها طاعة الرسول ومراد بالرحمة الرحمة في قوله * **﴿لعلكم ترحمون﴾** كما علق الاهتداء بالطاعة في قوله (وان تطيعوه تهتدوا) والمراد افعلوا ذلك وارجوا رحمة الله فانكم إذا فعلتم ذلك على ما يريد الله ويحبه رحمتم * **﴿لا تحسبن الذين كفروا معجزين﴾** لنا * **﴿في الارض﴾** عن ادراكهم واهلاكهم وفي الارض متعلق بمعجزين والخطاب للنبي ﷺ والذين مفعول أول ومعجزين مفعول ثاني أو التاء ثأنيث الذين لانه اسم جمع لا جمع مذكر سالم وهو فاعل مجاز تأنيثه كما جاز تأنيث جمع التكسير مثل قامت الرجال ومعجزين مفعول اول وفي الارض مفعول ثاني او الذين فاعل ومعجزين مفعول ثاني وفي الارض متعلق به والمفعول الاول ضمير الذين اي لا تحسبنهم جماعة الذين كفروا انفسهم معجزين والهاء للذين

يعدها لانه في نية التقديم أي لا تحسبن جماعة الذين كفروا أنفسهم معجزين وحذفت الهاء لانها والذين ومعجزين لشيء واحد.

.

وقـرأ حمزة وابن عامـر (لا يحسبن) بالتحتية وفيه ضمـير الـرسـول (والذين) مفعول أول (ومعجزين) مفعول ثاني وفي الارض متعلق به ولا ضمير فيه (والذين) فاعله (ومعجزين) مفعول أول وفي الارض مفعول ثاني أو (الذين) فاعله (ومعجزين) مفعول ثاني وفي الارض متعلق به والمفعول الاول محذوف اي لا يحسبن الذين كفروا معجزين او لا يحسبن الذين كفروا وانفسهم معجزين على حذف ما مر * ﴿ومأواهم﴾ مرجعهم * ﴿النار﴾ مستأنف عائد على (ولا تحسبن الذين كفروا معجزين) في المعنى كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار تصبهم ولابد أو معطوف عليه بناء على جواز عطف الخبر على الانشاء والاسمية علىٰ الفعلية والذين كفروا المراد بهم الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم أو المعموم * ﴿ولبئس المصير﴾ النار.

قال ابن هشام: اختلف في دخول لام الابتداء في غير باب (ان) على شيئين احدهما خبر المبتدأ المقدم نحو (لقائم زيد).

وفي امـالي ابن الحاجب لام الابتداء يجب معها المبتدأ والثاني فعل المضارع نحو (ليقوم زيد) اجازه ابن مالك ولما لقي زاد لما لقي الماضي الجامد نحو لبئس ما كانوا يعملون وبعضهم المعترف المقرون بقد نحو (ولقد كانوا عاهدوا الله) والمشهور ان هذه لام القسم .

﴿يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم﴾ العبيد والاماء وغلب العبيد وعبر بالذين كما ان الخطاب للرجال والنساء فغلب الرجال.

وقيل: (الـذين ملكت ايمانكم) المـراد بهم هنـا هم العبيد فقط والصحيح الاول ورجحه الطبري وذلك تأديب من الله سبحانه لعباده في تداخلهم بعدما ادبهم فيما مر لكن فصل بالوعد على الطاعة والوعيد على المعصية.

روي ان مدلج بن عمرو وكان غلاما انصاريا ارسله ﷺ وقت الظهر إلى عمر رضي الله عنه ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت اي والله لوددت ان الله عز وجل نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات يعني الثلاث الآتية الا باذن ثم انطلق معه إلى النبي ﷺ فوجده قد نزلت عليه هذه الآية وهي من الآيات المنزلة بسبب عمر وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه.

وقيل: نزلت في اسماء بنت ابي مرشد قالت: انا لندخل على الرجل والمرأة ولعلهما يكونان في لحاف واحد.

وقيل: دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فاتت رسول الله ﷺ فقـالت: أخدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها؟ فنزلت الآية فوجب على العبيد والاماء البالغين ان لا يدخلوا في الساعات الثلاث الا باذن ووجب على السـادات ان يأمـروا عبيدهم واماءهم غير البالغين

واطفال المسلمين بالاستئذان فيهن ويعلموهم اياه فالامر للوجوب وقيل: نسخ.

وقيل: نسخ في جانب الاطفال المسلمين بقوله وإذا بلغ الاطفال الخ.

وقيل: ان الامر في الآية للندب فيجوز للعبيد والاماء والاطفال الاحرار ان لا يستأذنوا على السادات والآباء في تلك الساعات.

وممن قال بنسخها سعيد بن المسيب.

وعن عكرمة ان نفرا من أهل العراق قالوا: يا ابن عباس كيف ترى في هذه الآية التي امرنا بها ولا يعمل بها احد (يأأيها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم) الخ فقال ان الله عليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب ربما دخل الخادم أو الولد أو يتيم الرجل والرجل على اهله فامر الله باستئذان ثم جاء الله بالستور وبسط الرزق فاتخذ الناس الستور فرأى الناس ذلك قد اغناهم عن الاستئذان ذكره في كتاب الناسخ والمنسوخ وذكره ايضا ابو داود.

وليس في ذلك ما يدل ان ابن عباس يقول بنسخها وليس مجرد وجود الستر وبسط الرزق مجوزا لان يقال بالنسخ.

وممن قال ليست منسوخة الشعبي فقال له موسى: عن ابي عائشة ان الناس لا يعملون بها فقال: الله المستعان.

وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة لا والله ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها.

وعن ابن عباس ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن كله يعني استئذان الاماء والعبيد والاطفال وغيرهم وقوله: (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) والناس يقولون اعظمكم بيتا وقوله: (إذا حضر القسمة) إلى (آخره) قال: آية لا يؤمن بها اكثر الناس آية الاذن واني لآمر جارتي ان تستأذن عليّ وساله عطاء استأذن على اختي؟ قال: نعم وان كانت في حجرك تمونها.

قال ابن مسعود: عليكم ان تستأذنوا على آبائكم وامهاتكم واخواتكم.

وقال بعضهم: دخلت على ابن عباس فاراني وصيفة له خماسية قال ما تدخل عليّ هذه في الثلاث الساعات الا باذن.

﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ يعني من الاحرار وعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله والمراد بالحلم في الآية الجماع في النوم إذا كان تاما بان تخرج منه النطفة أو تكون بمنزلة الخروج بان تنفصل عن مواضعها وفي القاموس الحلم بضمتين والاحتلام في الجماع النوم.

وقرأ ابو عمرو بسكون اللام وفي حكمه خروج النطفة وانفصالها عن مواضعها مطلقا والمراد اطفالكم الذين لم يبلغوا الحلم وعرفوا امر النساء واما الذين لم يعرفوها فلا يجب امرهم بالاستئذان.

فصل

الاحتلام بلوغ للذكر باتفاق واختلف في الانثى ويكون لهما ثلاث شعرات سود في الفرج أو الابط بلوغا.

وقيل: شعرتان سوداوان.

قيل : واحدة سوداء غليظة ويكون للانثى علامة بلوغ تكعب الثديين تكعبا غير زائد والحيض والحمل وإذا لم تكن علامة بلوغ لاحدهما فاذا بلغ خمسة عشر عاما واتمها فهو بالغ وقيل اربعة عشر للانثى وخمسة عشر للذكر والقولان في المذهب الاول قول الشافعي وابي يوسف واحمد.

وقال أبو حنيفة:لا يكون الذكر بالغا ان لم تكن له علامة الا ان بلغ ثمان عشرة سنة ولا الانثى الا ان بلغت سبع عشرة سنة واراد ببلوغ العدد استكماله وكان عليّ يعتبر البلوغ مطلقا خمسة اشبار واعتبر بعضهم غلظ كلام الذكر وغلظ ما ارتفع من انفه مع سعة ذلك المرتفع .

﴿ثلاث مرات﴾ مرتان في اليوم لا يدخلون فيها بغير استئذان ومرة في الليل كذلك كذا قيل بناء على ان النبي بعد طلوع الفجر وقبل صلاته والحق ان المراد قيل صلاة الفجر سواء طلع الفجر أو لم يطلع.

وان النهي بعد صلاة العشاء إلى ما قبل صلاة الفجر.

والمرة هنا الوقت وثلاث ظرف متعلق بقوله ليستأذنكم * ﴿من قبل﴾ جار ومجرور بدل من ثلاث وان قلنا بزيادة من الداخلة على قبل وبعد كما هو مذهب ابن مالك فالبدل المجرور وحده يقدر نصبه وحين معطوف على الجار والمجرور معا لا على المجرور وحده والا لجر الا ان قلنا بزيادة من يجوز كون نصبه بالعطف على نصب المقدر.

قيل:ويجوز ان يكون من قبل خبر المحذوف اي هن من قبل سواء تأصلت من او ازدادت ﴿صلاة الفجر﴾ لانه وقت القيام من النوم وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ولانه قد وجد الرجل عاريا أو مع امرأته في جماع ﴿وحين تضعون ثيابكم﴾ للقيلولة أي ثياب اليقظة ﴿من الظهيرة﴾

بين للحين والظهيرة اسم لوقت الظهر لكن ليس المراد وقت صلاة الظهر لانه لا يجوز النوم بعد دخول الوقت والظاهر انه كان في عادته القيام قبل خروجه بقدر لحوق الصلاة بوظائفها لم يحرم وكذلك ان امرأن يوقظه والمراد الظهيرة هي وقت اشتداد الحر قيل الزوال * ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾ لانه وقت تجرد عن لباس اليقظة ولبس لباس النوم.

فائدة منع بعضهم جعل (ثلاثاً) مفعولا مطلقا يستأذن لانهم لم يؤمروا بالاستئذان (ثلاثا) بل بالاستئذان في الثلاث قلت الحق الحق جواز كونه مفعولا مطلقا فيكون من قبل متعلقا بالاستئذان ومحط الامر مجموع الاستئذان والاوقات الثلاث.

﴿ثلاث عورات لكم﴾ خبر لمحذوف اي هذه ثلاث عورات وسمي كل واحد من تلك الاوقات عورة لان الناس يختل سترهم والعورة الخلل ومنه رجل اعور أو مبتدأ خبره ليس عليكم الخ أو لكم أو محذوف اي يختل فيها تستركم.

وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالنصب بدلا من ثلاث مرات.

وقرأ الاعمش بفتح الواو على لغة هذيل ذكره ابن هشام لكن لم يصرح بالاعمش.

قال ابن هشام: ايضا ثلاث مرات ظرف اي في ثلاثة اوقات.

وقيل: مفعول مطلق اي ثلاث استئذانات والاول هو الصحيح لانه قد بين ذلك بقوله سبحانه من قبل صلاة الفجر الخ فليحمل عليه (ولقد مننا عليك مرة اخرى) فتفرض ظرفا وثلاث عورات بدل من ثلاث مرات اما على انه ظرف على حذف مضاف اي اوقات ثلاث عورات واما على غير

حذف جعلت الاوقات انفسها عورات لحصول انكشاف العورات فيها مثل (نهاره صائم وليله قائم) ومن رفع فالتقدير عنده هذه اوقات ثلاث عورات أو هذه ثلاث عورات على المجاز الذي بينا *

﴿ليس عليكم ولا عليهم﴾ المماليك والصبيان ﴿جناح﴾ حرج في الدخول عليكم بغير استئذان * ﴿بعدهن﴾ اي بعد تلك الاوقات اي في غيرهن والجملة مستأنفه أو نعت لثلاث قبله نصبت أو رفع

وزعم بعضهم انها نعت له ان رفع لا ان نصب.

﴿طوافون عليكم﴾ اي هم طوافون عليكم بيان لوجه جواز دخولهم في غير تلك الاوقات بدون استئذان لانهم يكثر طوافهم عليكم اي مخالطتهم ودخولهم.

﴿بعضكم على بعض﴾ اي يطوف بعضكم على بعض أو بعضكم طائف على بعض تطوفون عليهم للاستخدام أو يطوفون عليك الخدمة والمعروف عند الناس التحفظ في غير تلك الاوقات فاتيح الدخول لهؤلاء بغير استئذان وفي الاية دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلاث وغيرها.

﴿كذلك يبين الله لكم الايات﴾ يوضح لكم الاحكام مثل ذلك التوضيح * ﴿والله عليم﴾ باحوالكم ﴿حكيم﴾ فيما شرع لكم.

وزعم بعضهم ان الاستئذان مطلقا منسوخ ﴿وإذا بلغ الاطفال منكم﴾ اي من الاحرار ﴿الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾ اي كما استأذن الذين سبقوهم بالبلوغ والذين ذكروا قبلهم في قوله: (ياايها

الـذين آمنوا لا تدخلوا) الآية فوجب على الطفل إذا بلغ ان يستأذن على الناس في بيوتهم في كل وقت.

واستـدل بعضهم بالآية على وجـوب الاستئـذان للعبد البالغ على سيدته ويرده ان المراد في الآية الاحرار * ﴿كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾ كرر ذلـك تأكيدا لامر الاستئذان ﴿والقواعد﴾ جمع قاعد والمرأة القاعدة هي التي قعدت عن الحيض والحمل لكبرها لا تحيض ولا تلد.

قال ربيعة: هي التي تستقذر من كبرها.

قال بعض اصحابنا: هي التي يقبحها التزيين.

قال بعض اصحابنا: يجوز النظر لمتبرجة وعجوز وتهامته وامه لا بشهوة.

وفي التاج القواعد اللاتي لا يردن ولا يردن ولا تضع مع ذلك جلبابها عند من يتهم بريبة ومن تعمد نظرا لمتبرجة ابدل وضوءه وفي غيره نحو والنظر إلى مافوق سرة اي المتبرجة وما تحت ركبتيها بلا شهوة.

﴿من النسـاء الـلاتي لا يرجـون﴾ الـواو لام الكلمة والنون فاعل والفعل مبني على سكون الواو لاتصال نون الاناث به مثل (الا ان يعفون).

﴿نكاحا﴾ لا يطمعن في النكاح من كبرهن فالمدار على عدم الاشتهاء لا تشتهي ولا تشتهى فلو تركت النكاح وكانت لا تلد ولا تحيض وكبرت لكن تشتهي أو تشتهر لوجب عليها ستر رأسها وجسدها الا ما حل من غيرها.

﴿فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن﴾ من جلبات ورداء وقناع فوق الخـمار ولا تضـع خمارها ويبدو رأسها عند بعضهم ويجوز عند آخرين وهو

ظاهر اطلاق الآية والثواب يعم الخمار والعرب تقول: (امرأة واضع) للتي وضعت خمارها.

﴿غير متبرجات بزينة﴾ اي من غير ان يردن بوضع الجلباب والرداء اظهار زينتهن كقلادة وسوار وخلخال اي يصعن ولا يردن ذلك بل تخفف برج الشيء فهو بارج اي ظهر ومنه البرج طلب الظهور تكلفة أو المراد بالزينة؛ الزينة المحرم كشفها * ﴿وان يستعففن﴾ يتورعن وضع ثيابهن * ﴿خير لهن﴾ لانه ابعد من التهمة وانفى للريبة ﴿والله سميع﴾ لمقالهن للرجال * ﴿عليم﴾ بمقصودهن * ﴿ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج﴾ معوج الاعضاء لكسر أو غيره * ﴿حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تأكلوا﴾ اي في ان تأكلوا (وفي) متعلقة مما تعلق به على الاعمى وهو الاستقرار أو متعلق (بعلى الاعمى) لنيابته عن الاستقرار والخطاب في (تأكلوا) يعم من خوطب بالكافات والتاء في ملكتم ويعم الاعمى والاعرج والمريض من تغليب المخاطب على الغائب.

﴿من بيوتكم﴾ اي البيوت التي تنسب اليكم سواء كانت لكم أو كانت لازواجكم وكن فيها أو غلقت أو كانت لاولادكم وولد الرجل بعضه وحكمه حكمه وفي الحديث «ان اطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه».

وقوله: «انت ومالك لابيك» على ما فيه من بسط في الفقه وسبب لاكل القرابة والولد اقرب من عدد من القرابات.

﴿أو بيوت آبائكم أو بيوت امهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت اخواتكم أو بيوت اعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت اخوالكم أو بيوت

خالاتكم أو ما ملكتم مفـاتحه﴾ تصرفه سميت التصرف مفتحا وذلك ما يكون تحت يد الانسان من صيعة أو ماشية أو مال بوكالة أو بمؤاجرة أو يحفظ أو يؤخذ منه لبن وتمر ونحوهما والمفتح ما يفتح به الشيء شبه مال الرجل من التصرف في المال بالمفتاح.

وقيل: المراد بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه.

وقال الضحاك: المراد الذي لكم مختصين به عن سائر العيال عندكم مفتاحه.

وقرأ بعضهم (مفتاحه).

وقـرأ سعيد بن جبير (وما ملكتم مفاتيحه) البناء للمفعول وتشديد اللام وبباء بين التاء والحاء.

﴿أو صديقكم﴾ أي أو بيوت صديقكم والصديق بمعنى الاصدقاء هنا فانه يطلق على الواحد والجماعة كالخليط والعد.

واباح الله للاصحاء ان يأكلوا من بيوت من ذكر وان يطعموا الاعمى والاعرج والمريض منها.

روي انهم كانوا يدخلون على الاصحاء لطلب الطعام فاذا دخلوا على رجل ولم يكن عنده شيء ذهب بهم إلى بيت ابيه أو امه أو من سمى الله فكانوا يتحرجون بذلك فيقولون ذهب بنا إلى غير بيته فنزلت الآية.

وربما كان للمطعمين لهؤلاء من تلك البيوت ايضا تحرج في قلوبهم والآية منسوخة فليس لك ان تأكل ولا ان تطعم من ذكر الا من مالك.

وقيل: المراد الاطعام والاكل من مال الغير بدلا له أو بقرينة تبين ان صاحب المال مجيز فلا نسخ.

وقيل: المراد ليس ملى الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج في مؤاكلة مقابليهم ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوت آبائكم الخ بدلالة أو قرينة.

قال ابن عباس رضي الله عنه: لما انزل الله عز وجل (ياايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والعميان والعرجى وقالوا الطعام افضل الاموال وقد نهى الله عن اكلها بالباطل والاعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض يضعف عن التناول ولا يستوفي من الطعام حقه (وعلى) بمعنى في اي ليس في الاعمى حرج اي ليس عليكم في مؤاكلة حرج وهكذا قيل كان العميان والعرجان والمرضى يتحرجون يتحرج الاعمى عن اكل اطيب الطعام ومن بين ايدي الناس وان تسبق يده والعرجان يتحرجون ان يأخذوا مواضع واسعة وكان الناس يستقذرون الاكل مع المرضى والعرجى ايضا ويستقذرون الاكل مع المريض إذ لا يخلو من رائحة تؤذي من عرق أو جرح أو من سائل انف أو نحو ذلك فيتحرج عن ان يضر الناس فنزلت الآية.

فعلى هذا القول (على) للاستعلاء كما في القول الاول.

وقيل: كان المسلمون اذا عزوا دفعوا مفاتيحهم لهم ولاقاربهم ويبيحون لهم الاكل فتحرجوا فنزلت الآية.

خرج الحارث بن عمرو غازيا وخلف مالك بن زيد في بيته وماله ولما رجع رآه مجهودا وقال: ما اصابك؟ قال: لم يكن عندي شيء ولم يحل لي ان آكل من مالك فنزلت اباحة لهم ان يأكلوا من بيوت من استخلفهم.

وقيل المعنى ليس على هؤلاء الاصناف حرج في التخلف عن الغزو ولا على الاصحاء في الاكل من البيوت المذكورة فالكلام تم في ولا على المريض حرج.

والقول الآخر لا يلائم ما قيل ولام بعد لانما قيل في التحفظ والاستئذان ما بعد في الاكل ولكن ذلك جائز مثل ان يستفتيك مسافر عن الافطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فتقول ليس على المسافر حرج في الافطار ولا عليك باحاج ان تقدم الحلق.

وورد في الاكل من مال الصديق ان معمرا قال لقتادة: لا تشرب من هذا الجب قال: انت لي صديق فما هذا الاستئذان قال: النقاش.

عن ابن عباس:الصديق اوكد من القريب الا ترى استغاثة الجهنميين (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) ودخل الحسن داره وادا حلقة من اصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص واطيب الاطعمة وهم مكبون عليها يأكلون فتهللت اسارير وجهه سرورا وضحك وقال: هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين.

وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ ما شاء فاذا حضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا بذلك.

قال الحسن: كنا في بيت صحابي فتناول منا رجل بسرا وقال لصاحب البيت: قد تناولت بسرا فقال هو لك حلال وان لم تذكره لانك من اخي.

وعن جعفر بن محمد من عظم حرمة الصديق جعله الله تعالى من الانس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والاب والاخ والابن وقالوا: إذا دل ظاهر الحال على رضى المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح

وربما سفح الاستئذان وثقل كمن قدم اليه طعام استاذن صاحبه في الاكل منه .

واختلف اصحابنا في الاكل بالدلالة فاجيزت ومنعت واجيزت بشرط ان يتيقن انه لو وجده صاحب المال يأكل لرضى واجيزت بشرط ذلك وبشرط ان يسر صاحب المال أكل وتمنع اتفاقا ان علم منعا أو كراهية ولم يظن انه يرضى .

ودخل ﷺ دار بريرة فأكل طعامها وهي غائبة وكان الحسن عند بقال يوما فجعل ياخذ التين والفستق فيأكل فقال له هشام : ما بدالك في الورع ياابا سعيد فقال: يالكع اتل عليّ آية الاكل فتلا (ولا على انفسكم) إلى (وصديقكم) فقال الصديق من استروحت إليه النفس واطمأن اليه القلب .

وكان الشافعي عند الزعفراني ببغداد وكان الزعفراني يكتب في كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان ويدفع إلى الجارية فإخذها منها الشافعي يوما وزاد فيها لونا آخر فعرف الزعفراني ذلك فاعتق الجارية سرورا بذلك .

فائدة : قال القاضي : كان الاكل من بيوت هؤلاء مباحا في أول الاسلام فنسخ او ابيح إذا علم رضى صاحب البيت بإذن أو قرينه فلا احتجاج في الحقيقة به على ان لا قطع بسرقة مال من ذكر في الآية (انتهى بتصرف) .

وعن بعضهم : نسخت الآية بقوله تعالى (لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) ويرده ان هذه متقدمة النزول وبحديث (ان دماءكم واموالكم عليكم حرام) الخ وقوله : (لا يحلبن احدكم ماشية احد الا باذنه) ولآية الاستئذان ويرده ان الاستئذان إذا حصل بعده الاذن صح الاكل من البيت

المدخول فيه وايضا (لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) المراد به التعدي والخدع ونحو ذلك .

﴿ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا﴾ اي مجتمعين فهو هنا ﴿أو أشتاتا﴾ جمع شتيت أي متفرقين نزلت لتخرج المريض والاعرج والاعمى عن الاكل مع الاصحاء ولتخرج الاصحاء عن الاكل معهم مخافة ان يزيدوا عنهم في الاكل أو ان يأكلوا الاطيب.

وقيل: نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة يتحرجون ان يأكل الرجل وحده فربما قعد الرجل منتظرا نهاره إلى الليل فان لم يجد من يأكل معه أكل ضرورة وقد اجهده الجوع.

وقال بعضهم: كان بنو كنانة في الجاهلية يحرمون ان يأكل الرجل وحده أو يشرب وحده وقيل: لا يأكلون الا مع الضيف.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الغني يدخل على قريب وصديق له فيدعوه إلى طعامه فيقول والله اني لاحرج ان آكل معك وانا غني وانت فقير فنزلت.

وقيل: نزلت في قوم من الانصار إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الا مع ضيفهم.

وقيل: في قوم منهم تحرجوا عن الاجتماع إلى الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض * ﴿فاذا دخلتم بيوتا﴾ من تلك البيوت لتأكلوا بدليل الآية * ﴿فسلموا على انفسكم﴾ اي على اهلها الذين هم وانتم كواحد للدين والقرابة أو الصداقة قولوا السلام عليكم.

وقيل: المراد إذا دخل بعضكم على بعض فليسلم الداخل سواء في تلك البيوت أو في غيرها والمعنى اذا اردتم الدخول وشارفتموه فسلموا.

وقيل: المراد إذا دخلتم بيوتا لا احد فيها لكم أو لغيركم فليسلم الداخل على نفسه وسائر المؤمنين بان يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وإذا قال ذلك ردت له الملائكة.

وقيل: يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام علينا من ربنا ويقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله بركاته ويعني باهل البيت مالكيه ان كانوا متولين او من له سكونه ان كان متوليا وان لم تكن ولآية عنى به من الملائكة.

وقيل: يقول السلام علينا من ربنا وعلى عباد الله الصالحين.

وقيل: المعنى إذا دخلتم بيوتا فيها عيالكم فسلموا على اهلكم فهم احق بالسلام.

وعن ابن عباس: البيوت المساجد إذا دخلتموها فقولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

وزاد بعضهم عنه ان يقول بعد الصالحين تحية من عند الله.

وفي رواية عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ان المراد بالبيوت المسكونة اي سلموا على من فيها من أهل دينكم والرواية الاولى اصح عنه.

وعن ابي امامة عنه ﷺ (ثلاثة في رعاية الله رجل خرج غازيا في سبيل الله عز وجل يتوفاه الله جل وعلا فيدخله الجنة أو يرده بما نال من اجر وغنيمة ورجل راح إلى المسجد يتوفاه ويدخله الجنة أو يرده بما نال من اجر وغنيمة

ورجل يدخل بيته بسلام) وعن انس عنه ﷺ (اذا دخلت على اهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى اهل بيتك).

وعنه خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين وروى تسع سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا قال لي لشيء كسرته لم كسرته وكنت واقفا على رأسه اصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال: الا اعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت: بلى بابي وامي يارسول الله قال: «متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصلي صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين».

قال الشيخ هود:اذا دخل الرجل بيته سلم عليهم وإذا دخل المسجد قال بسم الله سلام على رسول ﷺ اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك ان كان المسجد قليل الاهل أسمعهم التسليم وان لم يكن فيه أحد قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام علينا من ربنا وكذا يقول إذا دخل بيتا غير مسكون.

وقيل:يستحب للرجل إذا دخل منزله ان يقول السلام علينا من ربنا والحمد لله رب العالمين

قال: ويسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والصغير على الكبير والقليل على الكثير وراكب الدابة على راكب البعير وصاحب الحمار والبغل على الفارس (انتهى).

والماشيان افضلهما البادي والفقير على الغني والحافي على المنتعل والنازل على الطالع والرعية على الامام وقاضيه وعامله ومدين على غريم وكل ضعيف على قوي ومفضول على فاضل اداء لحق الفاضل

وقيل: بالعكس في ذلك كله للتواضع وان سلم قاعد على ماش جاز ويسلم ذو وسع على ذي ضيق وآمن على خائف.

وقيل: بالعكس ايضا فيهما وجاز بين رجال ونساء بمنزل أو فحص وكره سلام رجل على امرأة فيه وجاز على محرمته.

قال: ولا يسلم الرجل على النساء وكان ابن عمر يسلم عليهن وكذا غير واحد من السلف.

وقيل:إذا كان النساء في الطريق فلقيهن رجل فاجلسن ويسلم عليهن الرجل اي او وقفن فيسلم ويحتمل ان يريد إذا كن في الطريق واقفات.

ولا يسلم على مجنون وفي الصبي قولان.

قال ذكر عن رسول الله ﷺ: انه مر بغلمان فسلم عليهم وانه قال السلام اسم من اسماء الله قال ابن مسعود فافشوه بينكم.

فلمن سلم على قوم فردوا عليه فضيلة وان لم يردوا عليه من هو خير وهم الملائكة عليهم السلام والبسط في الفقه.

فصـــــل

سلام الرجل على أهله والسلام في بيت لا أحد فيه مستحبان.

واختلف اصحابنا هل يسلم على من في المسجد اولا؟ قولان.

﴿تحية﴾ بتشديد الياء مصدر حي بالتشديد والاصل تحيية باسكان الحاء وكسر الياء الاولى وتخفف الثانية نقلت كسرة الياء للحاء فادغمت الياء في الياء وهو مفعول مطلق لسلموا كقولك اقعدوا جلوسا.

قال هشام ومن قدر في (قعدت جلوسا) عاملا محذوفا من لفظ المصدر وهو سيبويه قدر في الآية مثله اي (حيوا تحية) والتحية طلب سلامة وحياة

للمسلم عليه ﴿من عند الله﴾ اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه فهو نعت (تحية).

واجيز تعليقه بـ (تحية) لان التحية طلب للحياة من الله سبحانه وتعالى * ﴿مباركة﴾ لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها زيادة الخير والثواب * ﴿طيبة﴾ لانه تطيب بها نفس المحيى بها وتستجلب بها مودته.

قال ﷺ: (للمسلم على المسلم ست خصال يسلم عليه إذا لقيه ويشمته إذا عطس ويعوده إذا مرض ويجيبه إذا دعي وينصحه إذا غاب عنه ويشهد جنازته إذا مات) وقال (ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل ان يتفرقا) قال ابن عباس: مباركة طيبة جميلة حسنة.

﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ ذكره ثلاث مرات تاكيدا وتفخيما لما تلاه في كل موضع من الثلاث وذكر بعد هذه قوله * ﴿لعلكم تعقلون﴾ لانه المقصود منه اي تعقلون الحق والخير في الامور * ﴿انما المؤمنون﴾ اي الكاملون في الايمان * ﴿الذين آمنوا بالله ورسوله﴾ من صميم قلوبهم ولهذا صح الاخبار بالذين آمنوا بالله ورسوله عن المؤمنين وافاد بل يصح وتفيد ولو لم تقدر ذلك لتقييد ذلك الخبر بالعطف على صلته في قوله * ﴿وإذا كانوا معه على امر جامع﴾ امر بجمعهم كالخطبة وخطبة الجمعة وحرب وعيد ومشاورة في امر ونحو ذلك مما يجب فيه الاستئذان من امام الامارة في الانصراف عنه أو يندب ومن ذلك حفر الخندق حول المدينة والاجتماع لارهاب العدو واسناد الجميع الامر تجوز في الحكم ومبالغة والجامع حقيقة الامام أو غيره.

وقرىء جميع * ﴿لم يذهبوا﴾ عنه لعذر * ﴿حتى يستأذنوه﴾ ويأذن لهم لانـه إذا جمعهم فلا جليل احتاجهم فيه فمفارقته بلا اذنه يشق عليه ويشعب رأيه فلذلك شدد فيه وجعل الاستئذان ثالث الايمان بالله ورسوله وجعله يكمل الايمان به لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه والمنافق الذي من عادته التسلل

وجعل الجملة مصدرة بانما واوقع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول احاطت صلته بالايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث اعادة على اسلوب آخر وهو قوله .

﴿ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله﴾ فانه يفيد ان المستأذن مؤمن والذاهب بغير اذن منافق .

وقيل : ان الآية نزلت في وقت حفر الخندق فكان المؤمنون يستأذنون والمنافقون يذهبون بلا اذن وكان الرجل إذا اراد الخروج من المسجد لحاجة أو عذر والنبي ﷺ على المنبر يوم الجمعة لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ بحيث يراه فيعرف انه انما قام ليستأذن فيأذن له ان شاء .

قال مجاهد : اذن الامام يوم الجمعة ان يشير بيده والظاهر انه لابد من الاستئذان ولو كان الشيء مما لابد ان يأذن له فيه فانه يخبر الامام ان لم تكن خطبة فياذن له وان كانت فعل ما يعلم به انه يريد الخروج وان حاضت امرأة في المسجد أو اجنب رجل أو يعرض له مرض اخبره بنطق او بما يعلم به ولا ينطق في الخطبة .

وقيل : لا يحتاج هؤلاء إلى الاستئذان .

﴿فـاذا استأذنوك لبعض شأنهم﴾ امرهم وفي التعبير ببعض مبالغة وتضييق كأنه قيل لا تتعرضوا للاذن الا لبعض ما اهمكم * ﴿فأذن لمن شئت منهم﴾ في الانصراف وهو الذي اضطره ما لابد منه كالبول والغائط والذي الجأه مهم وقد علم صفاءه وان شئت فلا تأذن لهذا الذي لم يضطر وكذا كل من لم يضطر.

قال بعضهم: إذا اضطره غائظ أو بول قام حيال الامام وامسك انفه.

وقيل: المراد ببعض شأنهم الكناية عن البول والغائظ ولو كان كذلك لم يقيد الاذن بالمشيئة كذا قيل.

قلت: ذلـك قول الشيخ هود وهـو صحيح والجواب من جانبه ان المشيئة تابعة لعلمه بصدق المستأذن عن بعضهم ان ذلك تفويض للامر إلى رأي رسول الله ﷺ واستدل بعض ان بعض الاحكام مفوضة إليه ﷺ والمانع يقيد المشيئة بان تتبع علمه بصدق المستأذن اي (فأذن لمن له عذر) فيكون قد اوجب الله على الامام والنبي قبله ان ياذن لذي العذر * ﴿واستغفر لهم الله﴾ والمراد استغفر لجميع المؤمنين.

وقيل: المعنى استغفـر لمن اذنت لهم لان الاستئذان ولو كان لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على الدين الا عذرا لا يحتمل التأخير فلا قصور في الاستئذان له وفي الاستغفار تأسيس للمؤمنين ورحمة ورأفة بهم والاحسن الافضل ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا وكذلك ينبغي ان يكون الناس مع ائمتهم ومقدميهم في الدين والعلم ينصرونهم ولا يخذلونهم في نازلة ولا يتفرقون عنهم *

﴿ان الله غفور﴾ لفرطات العباد ﴿رحيم﴾ بالتيسير عليهم * ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول﴾ اي نداءه * ﴿بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾ بان تقول في ندائه يامحمد يارجل أو ياهذا أو نحو ذلك مما هو غير تعظيم كالنداء من وراء الحجرات ورفع الصوت بل نادوه بما يدل على رفعة مثل يانبي الله يارسول الله مع توفير وتعظيم وخفض صوت هذا تفسير مجاهد.

وقال ابن عباس: لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض احذروا دعاءه إذا اسخطتموه فان دعاءه مستجاب ويضعفه ان الدعاء لا يتعدى بنفسه إلى المدعو عليه أو له الا ان جعل بعضا منصوبا على نزع الخافض والذي يطابق ما تقدم قبل هذه الآية ان يكون المعنى لا تجعلوا دعاءه اياكم كدعاء بعضكم بعضا في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة إلى اجابته واجبة والرجوع بغير اذنه محرم ويلي هذا الوجه ان يكون المعنى لا تجعلوا دعاءه اياكم كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه واجب الاجابة في كل حال فكلما دعاكم فاجيبوه.

واجاز جارالله والقاضي ان يكون المعنى لا تجعلوا دعاء رسول الله كدعاء صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم تارة يجيبه وتارة يرده فان الله يجيب دعاءه في كل ما دعاه وهو وجه صحيح جائز.

﴿قد يعلم الله﴾ قد للتحقيق ﴿الذين يتسللون﴾ قد يعلم الذين يخرجون قليلا قليلا من المسجد في الخطبة من غير استئذان من وسط الجمهور أو من طرفهم مثل تدخل اي دخل قليلا قليلا * ﴿منكم لواذا﴾

اي ملاوذة مصدر لاوذ كقاتل قتالا وهو المساترة اي يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج خفية أو يلوذون بمن يؤذن له فينطلق معه كأنه تابعه وذاك ان المنافقين يثقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي ﷺ.

قال ابن عباس: وقيل: كان ذلك منهم في حفر الخندق.

وقيل: امر الجهاد ولواذا مفعول مطلق تضمينا للتسلل معنى الملاوذة أو للملاوذة معنى التسلل أو حال مبالغة أو على حذف مضاف أي ذوي لواذا والتاويل بالوصف أي (ملاوذين).

وقرىء لواذا بفتح اللام مصدر لاذ على غير قياس أو اسم مصدر لاوذ ﴿فليحذر الذين يخالفون عن امره﴾ يخرجون عنه ولذا عدى يخالف (بعن) أو لتضمنه معنى يعرض أو ينصرف والهاء للرسول أو لله * ﴿ان تصيبهم﴾ اي حذر ان تصيبهم أو لئلا تصيبهم * ﴿فتنة﴾ بلاء في الدنيا * ﴿أو يصيبهم عذاب اليم﴾ في الآخرة.

وعن ابن عباس: الفتنة القتل.

وعن عطاء: زلازل واهوال.

وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جائر.

وقيل: الفتنة اظهار نفاقهم والعذاب القتل.

وقيل: ان (ليخالفون) مفعولا محذوفا (يخالفون) المؤمنين عن امره وحذف لان المقصود بيان المخالف بكسر اللام والمخالف عنه بفتحها.

واستدل بعضهم على ان الامر للوجوب بالآية لدلالتها على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل على حسنه المشروط بقيام المقتضى له وذلك يستلزم الوجوب. ﴿الا ان لله ما في

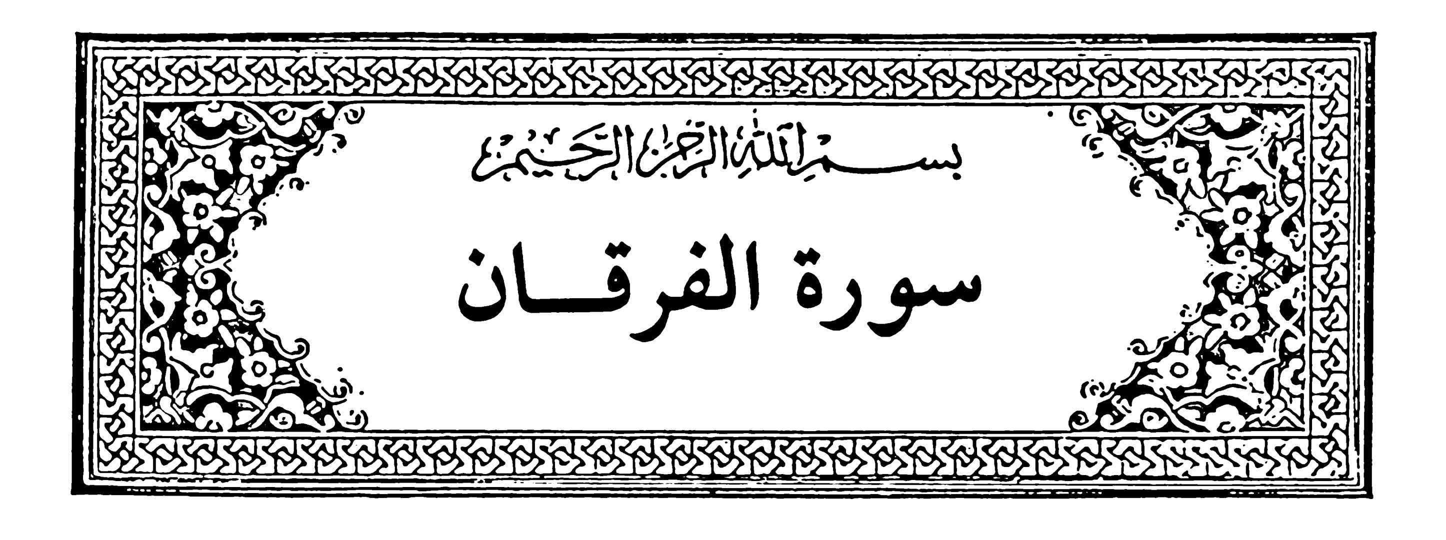
السموات والارض﴾ ملكا وعبيدا وخلقا * **﴿قد يعلم ما انتم عليه﴾** ايها المكلفون من النفاق والايمان والمخالفة والموافقة والاخلاص.

وقيل: ان الخطاب للمنافقين وان المعنى ما انتم عليه من النفاق والمخالفة وقد للتحقيق ادخلها تأكيدا للوعيد فانه يعلم ويجازي واصل (قد) ان تكون مع المضارع للتقليل وان تكون معه للتحقيق وتصح ان تكون للتكثير كما في قوله:

اخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله

وقال ابن هشام: ومن معاني قد للتقليل وهو اما تقليل وقوع الفعل نحو (قد يصدق الكذوب اني) واما تقليل متعلقه نحو: (قد يعلم ما انتم عليه) اي ما هم عليه أقل معلوماته وزعم انها في ذلك للتحقيق الخ **﴿ويوم يرجعون إليه﴾** متعلق بـ (ينبىء) المذكور بعده المقرون بفاء الزائدة وذلك يوم القيامة وبين قوله: (انتم) إذا قلنا انه للمنافقين وبين ما قبله التفات من الغيبة للخطاب وبينه وبين ما بعده التفات من الخطاب بللغيبة (وواو يرجعون) للمنافقين هكذا (هاء) ينبئهم (وواو) عملوا.

وقيل: للمكلفين مطلقا فيكون بين قوله: (ويوم يرجعون) الخ وقوله: (قد يعلم ما انتم عليه) ان قلنا الخطاب فيه للمكلفين مطلقا التفات من الخطاب إلى الغيبة * **﴿فينبئهم بما عملوا﴾** من الخير والشر توبيخا ومجازاة * **﴿والله بكل شيء﴾** من اعمالهم * **﴿عليم﴾** اللهم ببركة سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وببركة السورة اخزِ النصارى واهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الفرقان

مكية في قول الجمهور.

وقيل: مدنية.

وقيل مكية: ﴿الا والذين لا يدعون مع الله﴾ إلى ﴿رحيما﴾ فمدني.

وآيها سبع وسبعون.

وكلمها ثمانمائة واثنتان وتسعون.

وحروفها ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثون حرفا.

قال ﷺ «من قرأ سورة الفرقان لقى الله يوم القيامة وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب».

وفي رواية (بغير حساب ولا نصب).

وقالوا من كتبها ثلاث مرات وعلقها على جسده وتعرض لمكان فيه ثعبان أو شيء من الهوام لم يضره باذن الله تعالى.

قيل: لم يضره من ركب دابة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تبارك﴾ اي تعالى وتزايد عن كل شيء في صفاته وأفعاله * ﴿الذي نزل الفرقان على عبده﴾ وقيل: تكاثر خيره ووصل الذي بانزل الفرقان بدلالة الفرقان على تعاليه ولما فيه من كثرة الخبر.

وقيل: (تبارك) بمعنى دام ومنه بركة الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وفي الفرقان دلالة على دوامه (وتبارك) لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا لله سبحانه وتعالى (والفرقان) القرآن واصل مصدر (فرق) بالتخفيف بمعنى الفرق العظيم وسمي به القرآن لفرقه بين الحق والباطل وصاحبيهما فرقا عظيما ولفرقه بين المحق والمبطل باعجازه أو لانه لم ينزل جملة واحدة بل مفروقا.

وزعم الخازن انه قال (نزل) بالتشديد لتكثير التفريق بين الحق والباطل والحلال والحرام بالقرآن.

وعن مجاهد سمي فرقانا لفرقه بين الحق والباطل ولا يخفى ان العبد سيدنا محمد ﷺ.

وقرأ ابن الزبير على عباده بالجمع وهم سيدنا محمد ﷺ وامته قبل والانبياء على ان الفرقان جنس الكتب السماوية .

﴿ليكون﴾ اي عبده محمد ﷺ.

قاله ابن زيد او الفرقان ويقويه قراءة ابن الزبير (على عباده) بالجمع كما مضى آنفا * ﴿للعالمين﴾ الانس والجن * ﴿نذيرا﴾ اي منذرا فهو وصف

وانـذارا فهو اسم مصدر (انذر) ويقدر مضاف أو يؤول بالوصف أو يترك كذلك مبالغة.

(والمنـذر) المخوف وجملة (نزل الفرقان على عبده) الخ وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة للذي أو جعلت صلة له باعتبار من تيقن ذلك وهو النبي ﷺ والمؤمنون * ﴿الذي﴾ بدل من الذي أو خبر لمحذوف أو منصوب بمحذوف على المدح ولا خير في الفصل بين البدل والمبدل منه لان الفاصل صلة وما تعلق بها * ﴿له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا﴾ هو الفرد في وحدانيته وفيه رد على النصارى * ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ هو منفرد في الالوهية وفيه رد على من يقول باثنين نور وظلمة ومن يقول الله خلق الخير وابليس خلق الشر فان الخالق الله وعلى عَبَدة الاصنام ودل على ذلك بقوله * ﴿وخلق كل شيء﴾ فيه رد ايضا على من قال: (الشيطان يخلق الشر) وبه يبطل قول من قال: (ان ريح المروحة يخلقه محركها) ﴿فقدره تقديرا﴾ وان قلت الخلق والتقدير بمعنى قلت الخلق الايجاد على حسب الارادة كخلق الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة والتقدير هنا تهيئة لما اراد منه كالادراك مثلا من الانسان والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المنوعة ومداولة الاعمال المختلفة ونحو ذلك من امر الـدين والدنيا ووفق كل حيوان إلى مصالحه أو التقدير تقدير الاجل والرزق ونحو ذلك أو الخلق مجرد الايجاد والتقدير جعله غير متفاوت وتسويته.

وقـال بعضهم: كل شيء يقـدر حتى هذه وهذه مشيرا بسبابته إلى لسانه وابهامه وضعها عليهما.

﴿واتخذوا﴾ اي المشركون ﴿من دونه﴾ اي الله * ﴿آلهة﴾ اصناما * ﴿لا يخلقون﴾ استعمل الواو في الاصنام لانها عندهم بمنزلة العقلاء * ﴿شيئا﴾ الخلق هنا بمعنى العمل اي لا يعملون شيئا والجملة نعت (آلهة) ﴿وهم﴾ في هذا اللفظ ما في الواو ﴿يخلقون﴾ اي يعملون بالبناء للمفعول لانها تنحت وهذا الضمير ايضا للاصنام وتصور وذلك رد على المشركين كيف يعبدون من يعمل ولا يعمل ويصح ان يكون الخلق الايجاد (ويخلق) الثاني بمعنى الماضي غير انه ليوافق الاول أو الحكاية حال ماضية لم يخلقوا فيها أو نظر إلى جنس آلهتهم وهي الشجر فانه مازال ينبت لكن هذا لا يتم في الحجرية فان الحجر خلق مرة ﴿ولا يملكون﴾ اي لا يستطيعون * ﴿لانفسهم ضرا ولا نفعا﴾ اي دفع ضر ولا جلب نفع ويصح الا يقدر الجلب ابقاء للنفع على المعنى المصدري ﴿ولا يملكون موتا﴾ اي لم تكن في قبضتهم بوقعة الواحد على غيره أو نفسه أو يدفعه إذا جاء أو الموت اسم مصدر هو الاماتة أي لا يملكون الامانة.

﴿ولا حياة ولا نشورا﴾ فيهما ما في (موت) والنشور الخروج من القبر ومن لم يقدر على ذلك ليس بالآلهة ﴿وقال الذين كفروا﴾ النضر بن الحارث بن عبد الدار واصحابه من كفار قريش * ﴿ان هذا الا افك﴾ ما هذا القرآن الا كذب مصروف عن وجهه * ﴿افتراه﴾ اختلقه محمد * ﴿واعانه عليه قوم آخرون﴾ هم اليهود.

وقيل: عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وابو فكيهة الرومي.

وقيل: جبر ويسار وعداس.

وقيل: عيش أوْ يعيش كان غلاما لحويطب بن عبد العزى اسلم وحسن اسلامه وغيره من أهل الكتاب.

وقيل: سلمان الفارسي.

قيل: كان معمرا وغيره

وقيل : جبر ويسار كانا بمكة يصنعان السيوف ويقرآن التوراة والانجيل وإذا مر رسول الله ﷺ وقف عليهما ويسمع ما يقرآون وغيرهما.

وقيل: غير ذلك فانظر (النحل).

زعم المشركون انما يقرأه سيدنا محمد ﷺ ان ما يلقيه إليه هؤلاء من اخبار الامم وغيرها ويعبر بعبارته فذلك اعانة منهم.

وقيل: عداس هو غلام عتبة .

﴿فقد جاءوا﴾ اي الذين كفروا * ﴿ظلما﴾ اي ظلما لانفسهم بالكفر اعنى الشرك ولغيرهم اذ جعلوا الكلام المعجز فكان مختلقا متلفقا من اليهود (وظلما) مفعول (جاءوا) واجيز ان يكون الاصل (إلى ظلم) فحذف الجار وانتصب المجرور * ﴿وزورا﴾ كذبا شديدا ضارا وهو البهتان نسبوه ﷺ إلى الاخذ عن هؤلاء ونسبوا القرآن إلى معان مأخوذة عن هؤلاء بعبارتهم أو تعبيره ﷺ وهو والقرآن بريئان من ذلك وكيف يكون كلام العجمي معجزا لفصحاء العرب جميعا.

﴿وقالوا﴾ اي الكفار * ﴿اساطير الاولين﴾ اي القرآن اساطيرهم اي ما سطره المتقدمون اي كتبوه من الاخبار والاباطيل جمع اسطار او جمع اسطورة ﴿اكتتبها﴾ اي كتبها لنفسه كقولهم استكب الماء واصطبه إذا سكبه وصبه لنفسه واخذه وهذا منهم كذب فانه ﷺ لا يكتب ولا يقرأ الكتابة الا

ان ارادوا بكتابته امره بالكتابة ويصح تفسير اكتتبها من أول مرة يطلب كتابتها.

وقرىء بالبناء للمفعول اصله (اكتتبها) له كاتب ثم حذفت اللام فصار مجروره منصوبا منفصلا فيقال: (اكتتبها اياه كاتب) وحذف الفاعل الذي هو (كاتب) وناب عنه المنصوب على نزع الخافض وهو (اياه) فكأن يدله ضمير رفع مستتر وكأن الفعل مبني للمفعول.

﴿فهي تملى﴾ اي تلقه * ﴿عليه﴾ من الكتاب الذي كتبت فيه إذ قد امر غيره بكتابتها وطلب كتابتها فلما كتبت كانت تلقى عليه ليحفظها لانه لا يكتب ولا يقرأ لتتم معجزته أو مرادهم تلقى عليه ليكتبها بنفسه كذبا منهم فانه لا يكتب وجملة اكتتبها مستأنفة او حال من اساطير محكية وعلى كل حال يكون ذلك إلى (اصيلا) من كلامهم.

وقال الحسن: ان اكتتبها الخ من كلام الله فاما على انه زاد في كلامهم ما كان في قلوبهم أو ما اوجبه كلامهم واما على انه بقطع الهمزة وبفتحها على انها همزة استفهام انكاري وعلى قوله يكون الوقف على (الاولين) ﴿بكرة﴾ غدوة * ﴿واصيلا﴾ عشيا والمراد بذكر الوقتين تعميم الاوقات أو المراد بهما خصوصهما للخلاء فيهما لان البكرة حين ينتشر الناس فيهما والاصيل حتى يأوون مساكنهم في آخره ويجتمعون في أوله ووسطه في السوق.

فصـــــــل

اخـرج البخـاري والنسـائي واحمد في صلح الحديبية انه ﷺ اخذ الكتاب وليس يحسن ان يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله وادعى أبو الوليد الباجي وهو من علماء الاندلس لادعى انه ﷺ كتب بيده بعد ان لم يكن يحسن الكتابة فشنع عليه علماء الاندلس في زمانهم ورموه بالشرك وان الذي قال يخالف القرآن حتى قال قائلهم:

برئت ممن شرى دنيا باخره وقال ان رسول الله قد كتبا

فجمعهم امير الاندلس فاستظهر ابو الوليد عليهم بما لديه من المعرفة فقال: هذا لا ينافي القرآن بل يؤخذ من مفهوم القرآن لانه قيد النفي بما قبل ورود القرآن.

قال الله جل وعلا (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) وبعد ان تحققت اميته وهي كونه لا يكتب ولا يقرأ الكتابة وتقررت معجزته بذلك وأمن الارتياب لا مانع من ان يعرف الكتابة بعد ذلك من غير تعليم فتكون معجزة اخرى.

وذكر ابن دحية ان شيخه ابا ذر الهروي وابا الفتح النيسابوري وجماعة من علماء افريقية وافقوا ابا الوليد واحتج بعضهم لذلك بما اخرجه ابن ابي شيبة من طريق مجالد عن عون بن عبدالله ما مات رسول الله ﷺ حتى كتب وقرأ.

قال مجالد: فذكرته للشعبي فقال: صدقت سمعت ذلك يذكر.

وقـال عياض: وردت آثـار تدل على معرفته بحروف الخط وحسن تصويرها كقوله لكاتبه «ضع القلم على اذنك فانه أذكر لك اني اكتب في وقت السماع».

وقـوله لمعاوية «الق الدواة ـ بكسر اللام ـ اي ادخل فيها ليقة من صوف أو قطن أو غيرهما وحرف القلم وفرق السين ولا تعور الميم» إلى غير ذلك.

قال: وهذا وان لم يثبت انه كتب فلا يبعد ان يرزق علم وضع الكتابة انه أوتى علم كل شيء.

واجـاب الجمهـور بضعف هذه الاحاديث وعن قصة الحديبية بان القصة واحدة والكاتب فيها هو علي بن ابي طالب وقد صرح في الحديث المسور بن مخرمة بان عليا هو الذي كتب فيحمل على ان النكتة في قوله: (فاخذ الكتاب وليس يحسن ان يكتب البيان) ان قوله: (ارني اياها) انه انما احتاج الى ان يريه موضع الكلمة التي امتنع عليّ من محوها لا لكونه كان لا يحسن الكتابة وعلى ان قوله بعد ذلك (فكتب) فيه حذف تقديره فمعناها فاعادها لعلي فكتب أو اطلق (كتب) بمعنى (امر بالكتابة) وهو كثير كقوله: (كتب إلى قيصر) و(كتب إلى كسرى) وعلى تقدير جملة على ظاهره فلا يلزم من كتابة اسمه الشريف في ذلك اليوم وهو لا يحسن الكتابة ان يصير عالما بالكتابة ويخرج عن كونه أميا فان كثيرا مما لا يحسن الكتابة يعرف صور بعض الكلمات ويحسن وضعها بيده وخصوصا الاسماء ولا يخرج بذلك عن كونه أميا ككثير من الملوك.

ويحتمل ان يكون جرت يده في الكتابة حينئذ وهو لا يحسنها فخرج المكتوب على وفق المراد فتكون معجزة اخرى في ذلك الوقت خاصة ولا يخرج بذلك عن كونه أميا .

واعترض السهيلي على ذلك بانه يناقض كونه أميا لا يكتب وهي الآية التي قامت بها الحجة فلو جاز ان يصير بعد ذلك يكتب لعادت الشبهة ولقال المعاندون: كان يحسن ان يكتب لكنه كتم .

والحق ان معنى (فكتب) (فامر عليا ان يكتب) .

وفي دعوى ان كتابة اسمه الشريف فقط على هذه الصورة يستلزم مناقضة المعجزة ويثبت كونه غير امي نظر كثير والله اعلم .

قاله السهيلي: ومن عجيب ما رأيت اني رأيت نسخة بخط قليل المثل في الجـودة والحسن من تفسير القرآن للامام الثعالبي من علماء المشرق وكاتبها من رجال الاندلس وذكر فيها ان امير المؤمنين ابا الوليد حبسها على المسجد الجامع بمالقه ورأيت انها نسخت منذ ستمائة عام أو سبعمائة عام فانظر كم بقى يقرأ به في الجامع ثم اخذت النصارى الاندلس بلدة بعد اخرى وكم بقي في تلك البلاد ثم تناولته الايدي إلى ان بلغ بلادنا هذه بلاد بني مصعب وكم بقي فيه إلى ان بلغ يدي مع بعد المسافة بيننا وبين تلك البلاد فسبحان الفعال لما يريد .

﴿قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض﴾ لانه افحمكم جميعا واخبر عن اشياء مستقبلة واشياء لا يعلمها الا عالم الاسرار سبحانه وتعالى فكيف يكون اساطير الاولين وذكر نفسه بعالم السر تلويحا إليهم بانه قد علم ما اسروه من كيد رسول الله ﷺ ومن قول باطل فيه أو في القرآن *

﴿انه كان غفورا رحيما﴾ ولولا ذلك لعاجلكم بالعقوبة على كيدكم وقولكم فانكم على كيدكم فانكم قد استوجبتم بمكابرتكم ان يصب عليكم العذاب صبا.

وفي ذلك تنبيه على انه قادر على انقاذ الوعيد المشار إليه بعلم السر فانه لا يوصف بالمغفرة والرحمة الا القادر على العقوبة.

﴿وقالوا مال هذا الرسول﴾ ما مبتدأ استفهامية واللام جارة لاسم الاشارة وكتبت مفصولة في مصحف عثمان كذلك على خلاف قاعدة الخط وخط للمصحف طريقة لا تغير اي ما لهذا الذي يدعي الرسالة وفي ذلك تصغير لشأنه واستهانة به وفي تسميته رسولا سخرية * ﴿ياكل الطعام﴾ حال من ذا ﴿ويمشي في الاسواق﴾ ان صح ما يزعم من انه رسول فما باله كأن حاله كحالنا في اكل الطعام ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما ناكل ونتردد لقصر نظرهم فاوجبوا ان يكون الرسول مَلَكا لا يأكل ولا يتعيش وظنوا ان تمييز الرسل بامور جسمانيه وانما هو باحوال نفسانية ومشى في الاسواق لتواضعه وكانت صفته في التوراة انه لم يكن ضحايا في الاسواق *

﴿لولا انزل اليه مَلَك فيكون معه نذيرا﴾ ليعلم صدقه بتصديق المَلك له فيما قال اي ان كان رسولا آكلا وماشيا في الاسواق فهلا كان معه ملك يصدقه ويسانده في الانذار والتخويف.

و(لولا) هذه التوبيخ من الكفار للنبي ﷺ وللمؤمنين وتنديمه على قوله انه رسول وتنديم المؤمنين على تصديقه فالماضي بعدها على اصله ويجوز ان تكون للتحضيض فالماضي بعدها للاستقبال ويدل له المضارعان بعد فانهما معطوفان عليه ويجوز ردهما لمعنى المضي أو جعلهما لحكاية الحال الماضية

فيطابق كونها للتوبيخ والتنديم ونصب يكون في جواب التحضيض أو التوبيخ .

وقرىء بالرفع عطفا على جملة (انزل) .

﴿أو يلقى اليه كنز﴾ من السماء يغنيه عن المشي في الاسواق لطلب المعاش ويستعين به على اعدائه وسمي ما ينزل من السماء كنزا مع ان الكنز المالُ المدفون لان الكنز يطلق ايضا على المال المستور في وعاء فيصح ان يريدوا ذلك ويطلق ايضا على المال المجموع أو شبهوا ما يلقى اليه بما دفن في الارض لان كلا خفيّ ومحفوظ .

﴿او تكون له جنة﴾ بستان * ﴿يأكل منها﴾ اي ان لم يكن له كنز من السماء قلا اقل من ان يكون له جنان كما يكون لرؤساء القرى أو لا اقل من ان يكون له جنان يأكل منها ونصيب من فضلته فتكون له المزية علينا ويؤيد هذا قراءة حمزة والكسائي بالنون .

ونسب الشيخ هود هذه القراءة للكوفيين لا للرجلين المذكورين منهم فقط والنسبة الاولى نسبة إلى أبي عمر الداني من علماء دانية من بلاد الاندلس وهي شرقي الاندلس .

﴿وقال الظالمون﴾ المشركون للمؤمنين والمراد الكفار المذكورن في الآية السابقة النضر وعبدالله بن امية ونوفل بن خويلد وغيرهم والاصل (وقالوا) ووضع الظاهر موضع الضمير تشنيعا عليهم بانهم ظلموا فيما قالوا * ﴿ان﴾ اي ما * ﴿تتبعون الا رجلا مسحورا﴾ سحر وغلب على عقله وصرف عن الحق .

وقيل: مفعولا ذا (سَحَر) بفتح الحاء اي رأيت وهي التي تكون في البطن يعنون انه بشر لا ملك.

قال الكلبي: ان ابا سفيان بن حرب وابا جهل وعتبة بن ربيعة في رهط من قريش استمعوا لصلاة النبي ﷺ ولما فرغ قال ابو سفيان: لعتبة ياابا الوليد اناشدك الله هل تعرف شيئا مما يقول قال عتبة: اللهم اني اعرف بعضا وأنكر بعضا؛ قال ابو جهل: لا والذي الكعبة بيته ما عرف مما يقول لا قليلا ولا كثيرا وان تتبعون الا رجلا مسحورا.

﴿انظر كيف ضربوا لك الامثال﴾ اخترعوا لك صفات كقولهم: (ان هذا الا افك افتراه) واعانه عليه قوم آخرون وقولهم: (اساطير الاولين اكتتبها) وقولهم: (مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق) وقولهم: (ساحر وشاعر وكاهن مجنون) و(لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة فيأكل منها وان تتبعون الا رجلا مسحورا).

﴿فضلوا﴾ عن الحق فلم يجدوا طريقا إلى الحق فلم تتميز لهم صفة النبي من صفة المتنبي فهم متحيرون لا يجدون قولا يستقرون عليه * ﴿فلا يستطيعون سبيلا﴾ إلى الهدى أو لا يستطيعون سبيلا صحيحا إلى القدح في نبوتك ﴿تبارك الذي أن شاء جعل لك﴾ في الدنيا * ﴿خيرا من ذلك﴾ الذي ذكروا من كنز وجنان ولكن اخره إلى الآخرة لانه خير وابقى.

وعن ابن عباس (خيرا) من المشي في الاسواق والتماس المعاش * ﴿جنات﴾ بدل من (خيرا) * ﴿تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا﴾

ديارا عظاما مشيدة مشتملة على بيوت أو محل (يجعل) جزم على الجواب فجزم (يجعل) عطفا على محله.

وقرىء بالرفع اما لان الشرط إذا كان ماضيا أو مضارعا مع (لم) يجوز اهمال اداة الشرط عن الجواب الذي هو مضارع فيرفع ويجعل هنا معطوف على الجواب فكأنه جواب وهو مضارع.

واما على الاستئناف بوعد ما يكون له الآخرة وهو الذي يذكره العلماء مشتهرا كالمرادي وغيره.

وتلك القراءة اعني قراءة الرفع قراءة ابن كثير وابن عامر وابي بكر.

وقرىء بالنصب على ان الواو افادت مفهوم (مع) والناصب (ان) مضمره وجوبا ومصدر يجعل معطوف على مصدر مقدر من الجواب اي (ان شاء يكن جعله لك خيرا من ذلك وجعله لك قصورا) وانما جاز ذلك لان مضمون الجزاء لم يتحقق وقوعه فكأن الواو وقعت في جواب الاستفهام فان الاستفهام لم يتحقق ما كان سؤالا عنه.

قال المرادي وغيره والظاهر ان قراءة ادغام لام (يجعل) على لام (لك) بناء على جزم يجعل ويضعف كونها على رفعه أو نصبه بعد حذف الحركة وقد اوحى الله إلى رسول الله ﷺ (ان شئت جعلت لك جبال مكة ذهبا وفضة واطيل عمرك حتى تريد الموت وتسير معك تلك الجبال حيث شئت ولا انقص من اجرك شيئا) وذلك اوحى إليه حين قرب اجله واوحى اليه قبل ذلك ايضا.

وقال ﷺ: (جاءني ملك ان حجزته لتساوي الكعبة والحجزة معقد الازار فقال يامحمد: ان ربك يقرئك السلام ويقول ان شئت جعلتك نبيا

وان شئت جعلتك ملِكا ـ بكسر اللام ـ فنظرت إلى جبريل فاشار اليّ إلى ان ضعَ نفسك فقلت يجعلني نبيا عبدا فكان بعد ذلك لا يأكل متكئا يقول آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد).

وعن ابي امامة عن النبي ﷺ (عرض عليّ ربي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت: لا يارب ولكن اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك وإذا اشبعت حمدتك وشكرتك).

قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: لما عير المشركون رسول الله ﷺ بالفاقة وقالوا: (مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق) الخ حزن فأتاه جبريل فقال له: ربك يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وبينما هما يتحدثان اذ ذاب جبريل وكان كالعدسة فقال ﷺ: مالك قال فتح باب من ابواب السماء لم يفتح قط واني اخاف ان يعذب قومك بتعييرهم اياك بالفقر فبكيا وعاد جبريل كحاله فقال: ابشر يامحمد هذا رضوان خازن الجنة قد اتاك بالرضى من عند ربك فاقبل حتى سلم عليه وقال له: يامحمد ربك يقرئك السلام ومعه سفط من نور يتلألأ ويقول لك هذه مفاتيح خزائن الدنيا اتيت بها لك مع انه لا ينقص لك مما عندي في الآخرة مثل جناح بعوضة فنظر إلى جبريل كالمستشير فضرب جبريل يده إلى الارض فقال تواضع لله فقال يارضوان لا حاجة لي فيها فالفقر احب إليّ فلئن اكن عبدا صابرا شكورا خير من غيره فقال رضوان: اصبت اصاب الله بك فلئن تكن عبدا صابرا شكورا خير لك من غيره وجاء نداء من السماء ورفع جبريل رأسه فاذا السموات فتحت ابوابها إلى العرشْ واوحى الله عز

وجل إلى جنة عدن ان تدلي غصنا من اغصانها عليه غرفة من زبرجدة خضراء لها سبعون الف باب من ياقوتة حمراء فقال جبريل: يامحمد ارفع رأسك وبصرك فرأى منازل الانبياء عليهم السلام وغرفهم وإذا منازله فوقهم ومناد ينادي يامحمد ارضيت فقال: رضيت يارب فاجعل عطائي في الدنيا ذخيرة في الآخرة للشفاعة.

ويروى ان هذه الآية نزل بها رضوان .

﴿بل﴾ خبر ابتداء لا عاطفة الا على قول من يجيز عطف الجملة بها * ﴿كذبوا بالساعة﴾ يوم القيامة كأنه قال بل أتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة فقصرت افكارهم على الحطام الدنيوي وظنوا ان الكرامة بالمال فطعنوا فيك لفقرك فلذلك كذبوك لا لما تعجلوا من المطاعن الفاسدة أو فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب فيصدقونك فيما وعدك الله في الآخرة وهم لا يؤمنون بها قاله القاضي وجارالله .

﴿واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا﴾ نارا شديدة التوقد .

وقال الحسن: اسم من اسماء جهنم .

وقيل: اسم الدركة من دركات النار وعليهما فالظرف باعتبار المكان * ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد﴾ اي إذا كانت بمرأى منهم كقولهم (دورهم تتراءى وتتناظر) .

وقوله ﷺ: في المؤمن والمشرك (لا تترأى نارهما) اي لا يتقاربان بل بحيث تكون احداهما بمرأى من الأخرى على المجاز فان النار ليست رائية والمراد في الحديث تباعد المؤمن عن المشرك والمكان البعيد اقصى ما ترى منه وقيل المراد هنا مسيرة عام

وقيل: مائة عام وتجوز ان تكون الرؤيا حقيقة بان يخلق الله تعالى للنار حياة وعقلا ورؤية.

وقيل:على حذف مضاف اي رأتهم زبانيتها وقيل بينما الناس في بالمحشر إذ جيء بجهنم فيراها الخلق كلهم قيل من مسير خمسمائة عام عليها سبعون الف زمام على كل زمام سبعون الف ملك يحبسونها عن الخلق وجوههم كالجمر واعينهم كالبرق فاذا تكلم احدهم تناثرت من فيه النار بيد كل ملك مرزبة عليها سبعون ألف رأس كامثال الجبال وهي إخف في يده من الريشة لها رؤوس كرؤوس الحيات واعينهم زرق تريد ان تنقلب على الخلائق من غضب الله عز وجل ويقول الجبار جل جلاله ياجبريل ائت بجهنم فيأتي بها فيقول اجيبي خالقك فطارت وزفرت على الخلائق وشهقت غضبا على من عصى الله ويسمع الخلائق وانتفضت خزنتها متواثبين على الخلائق غضبا على من خالف امر الله فتساقطوا جثيا على ركبهم وولوا مدبرين وترى كل امة جاثية وسقط بعضهم على بعض منكوسين على الوجوه وينادي الظالم بالويل والثبور وينادي الصديق نفسي نفسي لذلك الزفير الشديد كما قال الله سبحانه .

﴿سمعوا لها تغيظا وزفيرا﴾ التغيظ الغليان وهو مما يسمع فلا حاجة إلى قول بعض ان سماع (التغيظ) علمه الا انه قيل (التغيظ) غير الغليان مما لا يسمع والزفير الصوت.

وقيل: الرؤية والتغيظ والزفير لزبانيتها (ولها) حال من (تغيظا وزفيرا) او اللام بمعنى (من) فتعلق بـ (سمعوا) وبينما الناس كذلك إذ زفرت النار زفرة ثانية يتساقطون منها على وجوههم ثم زفرة ثالثة يتساقطون عليها ايضا

ثم يشخصون بابصارهم ينظرون من طرف خفي فعند ذلك تنشب قلوب الظالمين في حناجرهم وتذهل عقول السعداء والاشقياء جميعا.

ويقال: اذا اجتمعت الخلائق ببيت المقدس زفرت جهنم فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خرّ لوجهه وظن انه لو جاء بعمل سبعين نبيا ما نجا فعند ذلك تاهت عقول المرسلين فيقال لهم: ماذا أجبتم؟ فيقولون لا علم لنا ثم رجعت عقولهم فيشهدون بالتبليغ على قومهم.

﴿وإذا أُلقوا منها مكانا ضيقا﴾ قال ابن عباس وابن عمر: تضيق عليهم كما يضيق الرمح في الزج (ومنها) حال من (مكانا) ويجوز ان يكون (من) بمعنى (في) فيعلق بـ (أُلقوا) وعلى الاول (فمكانا) ظرف متعلق بـ (أُلقوا) وعلى الثاني ظرف من مجموع الجار والمجرور؛ جمع الله عليهم عذاب النار وعذاب التضييق فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض.

وقرأ ابو بكر بسكون الياء.

﴿مقرّنين﴾ قرنت ايديهم إلى اعناقهم بالسلاسل وهذا عذاب ثالث.

وقيل: يقرن مع كل كافر شيطانه الذي اضله في سلسلة يلعن كل واحد منهما الآخر وفي ارجلهم الاصفاد والتشديد للتكثير.

﴿دَعَوا هنالك﴾ اي ثم * ﴿ثُبورا﴾ هلاكا يقولون ياثبوراه! بصورة النداء ومرادهم التوجع والاستغاثة أو الثبور هلاك الموت تمنوا الموت لشدة رأوا.

وعن ابن عباس: الثبور الويل واول من يكسى من النار ابليس وبعده من اتبعوه فيقول ياثبوراه! ويقولون: كذلك؟ وهو امامهم حتى يقفوا

على النار فينادي كذلك وينادون كذا روى قومنا في تفسير الآية والحق انه ينادون مرة واحدة فيقال لهم :

﴿لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا﴾ الخ الا ان اريد بهذا الثبور الواحد الـذي نهوا عن الاقتصار عليه الثبور الذي يدعونه بعد وقوفهم على النار ﴿وادعـوا ثبـورا كثيرا﴾ لكثرة انواع العذاب كل نوع منها ثبور لشدته أو لتجـدده او لان عذابهم لا ينقـطع فهو في كل وقت ثبور * ﴿قل أذلك﴾ المتوعد به * ﴿خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون﴾ والرابط محذوف مفعول به أي وعدها فان الوعد يجوز تعديه لاثنين فالمتقون مفعول به نائب الفاعل والاستفهام التقريري والتفصيل تقريع وتهكم واضاف الجنة للخلد للمدح والدلالة على خلودها دون جنة الدنيا ويجوز ان تكون الاشارة إلى المذكور من الكنز والجنة الدنيويين المذكورين.

﴿كانت لهم جزاء ومصيرا﴾ في علمه وفي اللوح المحفوظ قبل خلقهم أو لتحقق الوقوع بعد حتى كأنهم قد جوزوا بها وصاروا اليها والجزاء جزاء اعمالهم والمصير المرجع وذكر المرجع مع ذكر الثواب لان النعمة لا تتم الا بطيب المكان وسعته وموافقته والا تنغصت كما ان العذاب يتزايد بصعوبة المكان وضيقه وظلمته فذكر ان الجنة ثواب لهم يتقلبون اليها وبسكونها لا ثواب لهم يثابون بها وينتفعون بها وبسكنون خارجها.

وقال القاضي : ذكر المرجع لانه لا يمنع كونها جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم. والمتقون عندنا من اتقى الشرك والتكذيب والموت على الكبيرة لا هو من يتقي الشرك والتكذيب فقط.

﴿لهم فيها ما يشاءون﴾ بخلاف الدنيا فانه لا يتم لاحد كل ما شاء فيها.

وان قلت فقد يشتهي السعيد الولادة في الجنة ومنزلة كمنزلة من فوقه أو اكبر؟ قلت: لا يكون في قلبه اشتهاء ذلك باذن الله فان الولادة لا تكون في الجنة ولا يدرك منزلة من فوقه وانما يلقي الله في قلوبهم اشتهاء الممكن واشتهاء ما يليق بمراتبهم وما ابيح لاهل الجنة كلهم كالتزاور.

﴿خالدين﴾ وبالخلود في النعمة تتم النعمة لانها إذا كانت ستنقطع تنغصت وهو حال من احد ضمائرهم لازمة ويجوز ان يتنازع فيها عوامل الضمائر على مذهب ابن معط من جواز التنازع في الحال والتمييز ﴿كان﴾ وعدهم ما ذكر فاسم كان ضمير عائد إلى الوعد المعلوم ويجوز عوده إلى (ما يشاءون) * ﴿على ربك﴾ التعبير بعلى الدالة على الوجوب انما هو لامتناع الخلف في وعده ووعيده سبحانه فالذي تفعله لوعدك منك كأنه واجب عليك وذلك لان الله سبحانه لا يجب عليه شيء عندنا وعند جمهور قومنا بل قضاؤه في الازل بشيء سابق على وعده المقتص للانحاز به للمخلوق في القرآن أو غيره * ﴿وعدا﴾ باق على ظاهره ان رجع ضمير كان للوعد الذي هو بالمعنى المصدري والا فبمعنى الموعود به * ﴿مسئولا﴾ سأله الناس بقولهم في الدعاء (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) (وآتنا ما وعدتنا على رسلك) وسأله الملائكة لهم (ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم) * ﴿ويوم﴾ متعلق بيقول بعده على تقدير اما لو على زيادة الفاء وليس معنا زيادة حرف في القرآن انه لا معنى له بل له معان بعضها اطلعنا عليه وبعضها لم نطلع عليه.

ويجوز كونه مفعولا لمحذوف اي واذكر.

ويجوز عطفه على معنى ذلك لجواز عطف الزمان على المكان والعكس ﴿يحشرهم﴾ وقرىء بكسر الشين وقرأ ابن كثير وحفص بالتحتية قاله ابو عمرو الداني الذي ذكره صاحب الدرر اللوامع في قوله :

سلكت في ذاك طريق الداني   اذ كان ذا حفظ وذا اتقان

وزاد بعضهم يعقوب انه قرأ بالتحتية والضمير لله جل وعلا والهاء للكافرين **﴿وما يعبدون من دون الله﴾** قال الكلبي وعكرمة والضحاك: يعني الاصنام وهو الموافق للتعبير بـ (ما).

وقال مجاهد: يريد الاصنام والملائكة وعيسى وعزير.

قيل: والجن.

وقال: الحسن الملائكة ونسبت القول إلى الاصنام اما لان الله ينطقها أو لان حالها كالتكلم وقيل المراد الملائكة وعيسى وعزير والجن استعمالا بـ (ما) العقلاء وعلى الاحتمال الثاني يكون القول مستعملا في حقيقته ومجازه ان قلنا: قول الاصنام حالها.

وان قلت: إذا اريدت الاصنام والعقلاء المذكورون فلم غلب في الاصنام فعبر بـ (ما) ولم تغلب العقلاء فيعبر بـ (من)؟ قلت: غلب الاصنام تحقيرا واعتبارا لكثرة عبادها.

وعن بعضهم: انها وضعت للعقلاء وغيرهم؟ قلت: بل لغيرهم ولشيء لا يدري ما هو عاقل ام غير عاقل مثل ان ترى شيئا مغطى أو من بعيد فتقول (انظر ما تحت الغطاء) أو (انظر إلى ما ظهر) واستعماله في العاقل

باعتبار صفته حقيقة على الواضح وتحتمله الآية اعتبارا بجانب العبادة واستعماله في العاقل وغيره مجاز وفي العاقل وحده مجاز .

﴿فيقول﴾ فيه تبعا لقوله من دون الله التفات من التكلم للغيبة فمقتضى الظاهر (وما يعبدون من دوننا) فنقول وانما قلت تبعا لان الالتفات حقيقة انما هو في قوله (من دون الله) واما الغيبة في (يقول) فتابعه للغيبة فيه كذا يظهر لي .

وقرأ ابن عامر فنقول بالنون * ﴿أأنتم﴾ بتحقيق الهمزتين وبابدال الثانية الفا وبه نقرا وتسهيل الثانية وادخال الف بين المسهلة والاخرى وتركه * ﴿اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل﴾ والاستفهام في أنتم للتقرير وفيه تقريع وتبكيت للعبدة والاضلال؛ الايقاع في الاضلالة والخطاب لما عبد والعباد العابدون وهؤلاء بدل عبادي أو بيان والسبيل مفعول مقيد أي ضلوا عن السبيل فحذف عن للمبالغة أو مفعول مصرح ليضمن ضل معنى فقد أو نحوه ويجوز ان تكون ام للاضراب كأنه قيل بل ضلوا عن السبيل لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد الفصيح وانما لم يقل اضللتم عبادي هؤلاء ام ضلوا السبيل لانه ليس السؤال عن الفعل ووجوده لانه لولا وجود لما توجهه العيان وانما السؤال عن الذي تولاه فلابد من ذكره وايلائه حرف الاستفهام حتى يعلم انه السؤال عنه وحذف متعلق اضللتم اي عن السبيل.

ويجوز تقدير (السبيل) منصوبا مفعولا ثانيا له ويجوز تنازعه مع (ضلوا في السبيل) ﴿قالوا﴾ اي المعبودون * ﴿سبحانك﴾ الخ هذا الجواب هو

فائدة السؤال فجواب المعبودين بكت العابدين حيث كذبهم المعبودون فتزيد حسرتهم فيفرح المؤمنون بها وبنجاتهم وبفضيحة اولئك.

وفي ذكره في القرآن لطف بالمكلفين وليس اضلال الله عبيده جبرهم على الضلال او طبعهم عليه ولكن ترك توفيقهم وقد يسر لهم ما ينجون به من الضلال فيتعروا وتفضل عليهم وعلى آبائهم من غير سابقة فجعلوا كفر النعمة بدلا من شكرها وكانت النعمة سببا في الكفر ونسيان الذكر وقد تبرأ المعبـودون من اضلال العابدين واستعاذوا بالله سبحانه ان يكونوا مضلين فالله اشد تبرؤاً واضافوا اليه التفضل عليهم وما هو الا ليعبدوه فعصوه وقد علم بانهم يعصون.

ولفظ (سبحـانـك) امـا تعجب من المعبودين لانهم ملائكة وانبياء معصومون فما ابعدهم عن الاضلال المختص بابليس وحزبه وبعضهم جماد لا يقدر على شيء ما واما ليدلوا على انهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بهم الاضلال والجماد ايضا يسبح واما لتنزيه الله سبحانه عن الانداد وان يكون له ملك أو نبي أو غيرهما ندا

﴿مـاكان﴾ اسمها ضمير الشأن (وان نتخذ) فاعل ينبغي والجملة خبرهـا (وان نتخـذ) اسمهـا وليست شأنية وفي (ينبغي) ضميره ولا باس بتقديم خبر كان الفعلي على اسمها لانه لا يلتبس بالمبتدأ وكان زائده .

﴿ينبغي﴾ يستقيم * ﴿لنـا ان نتخذ من دونك﴾ اي غيرك يتعلق بمحذوف مفعول ثاني * ﴿من اولياء﴾ من زائدة لتأكيد النفي واولياء مفعول اول اي كيف نتخذ وليا من دونك ونحن معصومون؟ او كيف نتخذ أولياء من دونك وهم لا يقدرون على ضرنا أو نفعنا والضار النافع انت؟

وإذا كان الامر ذلك فبالاولى لان نامر احدا يعبدنا أو يعبد غيرنا من خلقك ويصح ان يكون (نتخذ) متعديا لواحد هو أولياء ومن دونك متعلق بـ (نتخذ) أو حال من (أولياء).

وقرأ ابو جعفر المدني (ان نتخذ) بالبناء للمفعول وكذا زيد بن ثابت فيكـون متعـديا لاثنين الاول الضمير المستتر والثاني (اولياء) و(من) صلة دونـك متعلق بالفعل أو حال من (اولياء) ولا مانع من تقديم الحال على صاحبها المجرور بحرف زائد (اولياء) على هذه القراءة بمعنى آلهة كذا ظهر.

ويجوز ان يجعل من الثانية للتبعيض متعلقة بمفعول ثاني أو متعلقة بالفعل على انه متعد لواحد ومن الاولى متعلقة به ايضا.

قيل: وتنكر (اولياء) من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام.

ثم ظهر ان ابن هشام قال: ان (من) لا تزد في ثاني (ظن) ولا في ثالث (اعلم) وان هذه القراءة شاذة وان ابن مالك حملها على شذوذ زيادة.

من الحال وان ما ذكره ابن مالك فاسد في المعنى لانك إذا قلت: (ما كان لك ان تتخذ عمرا) في حالة كونه خاذلا لك فانت مثبت لخذلانه على اتخاذه فيلزم ان الملائكة اثبتوا لانفسهم الولاية .

﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ من قبلهم بإطالة العمر وسعة الرزق فاتبعوا شهواتهم * ﴿حتى نسوا﴾ اي تركوا * ﴿الذكر﴾ ما انزل على الانبياء فمن لم يدرك النبي فنسي ما نزل من قبله كالانجيل ومن ادركه فنسى ذلك والقرآن.

وقيل: النسيان مقابل الحفظ ويجوز كون (الذكر) بمعنى تذكر آلاء الله وذكر الله * ﴿وكانوا قوما بورا﴾ هالكين لعدم شكر النعم عبدوا غيره واكلوا رزقه قاله مجاهد.

وقيل: (بورا) فاسدين واصله مصدر بمعنى الهلاك والفساد استعمل بمعنى اسم الفاعل ويجوز بقاؤه على المعنىٰ المصدري فيقدر مضاف او بلا تقدير مبالغة كأنهم نفس الهلاك أو الفساد ولكونه مصدرا يوصف به الواحد وغيره.

ويجوز كونه جمع بائر على غير قياس كـ (عائذ) وعوذ.

وقيل: كانوا في قضاء الله قوما بورا * ﴿فقد كذبوكم﴾ الواو للمعبودين والكاف للعابدين التفاتا من الغيبة إلى خطابهم بالاحتجاج والالزام الرائعين ولاسيما مع الالتفاف وحذف القول اي قال الله فقد كذبوكم وفي اخباره تعالى بتكذيب المعبودين العبدة خزي وتوبيخ.

﴿بما تقولون﴾ اي في قولكم أو في ما تقولونه وهو قولهم: (انهم آلهة) أو قولهم: (اضلونا) أو (جميع ذلك).

ويجوز كون الباء للمصاحبة كقولك: (كرهت زيدا بماله) أي مع ماله ولا يجوز ان يكون مجرورها بدلا اصطلاحيا الا انْ قيل بزيادتها فيكون بدل اشتمال والزيادة خلاف الاصل ولاسيما في البدل.

وقرأ ابن كثير (بما يقولون) بالتحتية اي كذبوكم بقولهم: (سبحانك ما كان ينبغي) الخ كقولك: (كتبت بالقلم).

﴿فما تستطيعون صرفا﴾ اي لا تستطيع الآلهة اصناما أو غيرها صرف العذاب عن انفسهم فضلا عن غيرهم فان اريد الاصنام فالواو لتنزيلها عند عابديها منزلة العقلاء.

وقيل: الصرف التوبة فالضمير للعابدين كما يصح ان يكون لهم مع تفسير الصرف بالدفع.

وقيل: الحيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال اي لا يستطيع العابدون أو المعبودون حيلة ينجو بها مما قدر له أو ينجو بها غيره أو المراد لا يستطيع العابدون صرف التكذيب ومذهب مجاهد رد الواو للعابدين.

﴿ولا نصراً﴾ لا تستطيع الآلهة نصر عابديها أو العابدين نصر انفسهم والاول قول الحسن وكذلك في (صرفا).

وقرأ حفص بالتاء الفوقية والخطاب للعابدين * ﴿ومن يظلم منكم﴾ الخطاب لجميع المكلفين والظلم الشرك والنفاق.

وقال الحسن: الشرك.

وقيل: الخطاب للمؤمنين.

وقرأ ابيّ بن كعب (ومن يكذب منكم) * ﴿نذقه عذابا كبيرا﴾ شديدا في الآخرة.

وقرىء (يذقه) بالياء التحتية وفيه ضمير مستتر عائد لله أو للظلم المدلول عليه بـ (يظلم) والاذاقة مقيدة بعدم التوبة اجماعا ولا عفو عندنا لغير تائب * ﴿وماأرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق﴾ فكيف تستدلون على عدم رسالة محمد بأكله الطعام ومشيه في

الاسواق ومفعول (ارسلنا) محذوف (ومن المرسلين) نعته اي وما ارسلنا احدا من المرسلين.

وان قلت: فِلمَ قال: (انهم يأكلون ويمشون؟) قلت: لان المعنى ما ارسلنا هذا وما ارسلنا هذا وما ارسلنا هذا وهكذا الخ وجملة انهم الخ حال من ذلك المفعول المحذوف ويقدر مفعول (ارسلنا) بعد الا اي (الا رسلا) فجملة (انهم) الخ نعته وعلى كل حال فالحذف لدلالة (ارسلنا والمرسلين) وقيام الوصف مقامه.

وقرىء (يمشون) بالبناء للمفعول من الامشاء اي تمشيهم حوائجهم والناس.

وقرىء بفتح همزة ان وادخال اللام في خبرها شذوذا وقاله المبرد وكيف لا وهو لغة .

﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ بلاء وامتحانا وفيه دليل على القضاء والقدر والخطاب للمكلفين بل للناس مطلقا وذلك تسلية لرسول الله ﷺ لاغتياظه بما يقول المشركون من كذب وتعبير بالفقر اي جرت حكمتي بابتلاء بعض الناس ببعض.

وقال ابن عباس: ابتلى المرسلين بالمرسل إليهم يعادونهم ويعاندونهم ويقولون فيهم اقوالا كاذبة فاصبر ولتسمعن من الذين آتوا الكتاب (الآية).

وقيل: ابتلى الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم.

وقيل: نزلت في ابتلاء الفقراء بالاغنياء هل يصبرون.

وقيل: انت يامحمد فتنة لهم كذبوك لفقرك ولو جعلناك غنيا لكانت طاعتهم لك للدنيا أو ممزوجة بالدنيا من اطاعك مع فقرك فهو المخلص.

وقيل: كان ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والنضر بن الحارث ومن في طبقتهم يقولون ان اسلمنا وقد اسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وابو ذر وابن مسعود وعامر بن فهيرة وغيرهم من فقراء المسلمين ترفعوا علينا اذلالا بالسبق فامتنعوا عن الايمان فذلك فتنة.

وقيل: قالوا ان اسلمنا كنا مثل هؤلاء فابتلي الشريف بالوضيع إذا اراد ان يسلم ورأى سبقه امتنع.

وقيل: نزلت في ابتلاء الفقراء بالمستهزئين يقولون انظروا إلى هؤلاء الذين اتبعوا محمدا من موالينا واراذلنا.

وعن الحسن: الابتلاء عام قال رسول الله ﷺ: (ويل للمالك من المملوك ان لم يحسن إليه وويل للملوك من المالك إذا لم يطعه وويل للغني من الفقير ان لم يعطه حقه وويل للفقير من الغني ان لم يصبر وطمع واخذ بلا رضى وويل للعالم من الجاهل ان لم يعلمه وويل للجاهل من العالم ان لم يتبعه وويل للشديد من الضعيف اذا ظلمه ولم ينصف له من غيره وويل للضعيف من الشديد ان لم يصبر لقضاء الله).

وعن ابي الدرداء (ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل مرتين).

وروي (سبعا).

ولما عرض الله على آدم ذريته فرأى فضل بعضهم فقال: (يارب لو شئت ساويت بينهم فقال ياآدم ليشكرني ذو الفضل ويصبر غيره فاثيبهم).

وقيل: الغني فتنة الفقير يقول مالي لم اكن مثله والصحيح فتنة المريض والشريف فتنة الوضيع.

﴿اتصبرون﴾ مفعول فتنة وهو معلق عنه بالاستفهام وانما نصب مفعولا لانه بمعنى النظر كأنه قال: (ينظركم اتصبرون) أو مفعول لمحذوف اي لنعلم اتصبرون وهذا كله على طريق المجاز لان الله علم في الازل من يصبر ومن لا يصبر.

وقيل: الاستفهام للامر اي اصبروا ﴿وكان ربك بصيرا﴾ بمن يصبر ومن يجزع.

وعن ابي هريرة عنه ﷺ (إذا نظر احدكم لمن فضل عليه بالمال والجسم فلينظر إلى من هو دونه في المال والجسم).

وفي رواية «انظروا إلى من هو اسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تردوا نعمة الله عليكم».

وقيل: كان ربك بصيرا فيما يبتلي به من صواب وغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك اقاويلهم فان في صبرك سعادة وفوزا في الدارين.

فائدة قال ﷺ: (من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة) رواه عمر رضي الله عنه.

وفي رواية عنه «وبنى له بيتا في الجنة».

واعلم انه لما كثر الباطل في الاسواق وظهرت المناكر فيها كره العلماء دخولها تنزيها عن البقاع التي يعصى الله فيها ولئلا يشاهد منكرا مع انه لو شهدوه وغيروه ولم يتغير فقد ادوا الواجب واثبتوا ولم يجب عليهم الخروج منه حتى يقضوا حاجتهم.

﴿وقـال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ لا يؤملون لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث والرجاء بمعنى الخوف وهو لغة تهامة اي لا يخافون لقاءنا بالشر وما لقاء الله الا الصيرورة إلى دار جزائه ولا يجوز ان يكون اللقاء بمعنى الرؤية لايهامه ان المؤمنين يرجونها مع انه رؤيته من المحال.

قال يرى في الآخرة فهو منافق ومن قال يرى في الدنيا فهو مشرك * ﴿لولا﴾ فيه ما في (لولا انزل إليه مالك) ﴿انزل علينا الملائكة﴾ رسلا إلينا ويخبروننا رسالة محمد ﷺ.

﴿أو نرى ربنا﴾ فيأمرنا بتصديقه واتباعه يحتمل ان يكونوا عالمين ان الله لا يرسل الملائكة إلى غير الانبياء وان الله لا يصح ان يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون واما ان يكونوا عالمين بذلك وارادوا التعنت باقتراح سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة .

﴿لقـد استكـبروا في انفسهم﴾ تعـظموا واعتقدوا الكبر عن الحق والعناد واعتقدوا ذلك في قلوبهم واستكبروا في انفسهم بمعنى عظموا شأنها حتى ارادوا لها ما يختص بالانبياء وافـرد من غيرهم وهـو نزول المـلائكـة وتحدثهم وان استكبار هؤلاء هو طلبهم لأنفسهم الرؤية المخصوصة ببعض الانبياء.

﴿وعتوا﴾ من عتا بالالف ولذا فتحت التاء واسكنت بالواو واسكانا حيا ولـو كان من (عتي) كرضي لضمت التـاء وسكنت الـواو تسكينا ميتا والمعنى جاوزوا الحد في الظلم * ﴿عتوا﴾ مصدر كالقعود غير انه ادغم الواو في الواو ﴿كبيرا﴾ فذلك غاية الطغيان إذ عرضوا عن الآيات المعجزة وطلبوا مجيء الملائكة وما هو محال في حق كل مخلوق وهو رؤية الباري جل وعلا

وجملة (لقد استكبروا في انفسهم) إلخ في حسن أستئنافها غاية في الرد عليهم وفي التعجيب بهم كأنه قيل: (والله لقد عظم شأنكم) ان جاءتكم الملائكة وكلمتكم او رأيتم ربكم الذي رؤيته محال عن كل مخلوق دنيا واخرى وجاء على طريقة تلك الجملة وقوله: (علت ناب كليب بوأها) بعد قوله: (وجارة جساس ابانا بنابها).

فجارة كليب مبتدأ واسم تلك الجارة بسوس وهي خالة جساس وهو جساس بن مرة الشيباني واباء بهمزة ساكنة بعد الباء فعل ماض ونا فاعل والمعنى قابلنا بفتح الباء وسكون اللام وهو التساوي في القود يقال ابا زيد عمرا ببكر إذا قتله به وجملة (ابانا) خبر المبتدأ وبنابها جار ومجرور ومضاف إليه أي بناقتها متعلق بـ (أبانا) والباء للبدل ونابها ناقتها وكلبا مفعول ابانا وهو اسم رجل رمى ناقة بسوس بسهم فماتت فشكته بسوس لجارها جساس بن اختها فقال لها لاقتلن غدا فحلا هو اعظم من ناقتك يعني كليبا ولما بلغ كليبا ذلك ظن انه يعني فحلا له يسمى عليان فقال: دون غليان خرط القتاد فقتل كليبا فساوى دمه بدم ناقة وهذا عجيب فقال: علت ناب اي عظمت قيمتها أو من العلو بالمهملة وذلك فعل وفاعل وكليب مبتدأ (وبواءها) خبره بمعنى مقابلها اي سويت به والجملة نعت (ناب).

﴿يوم يرون الملائكة لا بشرى﴾ الفه للتأنيث فهو ممنوع الصرف ﴿يومئذ للمجرمين﴾ يوم الاول مفعول لا ذكر اي اذكر يوم يرون الملائكة في جملة الخلائق وهو يوم القيامة واذكر يوم يرون ملائكة الموت أو ملائكة العذاب بعد الموت أو ظرف لمحذوف اي يمنعون البشرى يوم يرون الملائكة

وهـو ايضا يوم الموت أو البعث ودل على هذا المحذوف الذي هو يمنعون البشرى قوله (لا بشرى) الخ وجملة (لا بشرى) مستأنفة.

والمجرمون من مات مشركا أو المراد من مات مشركا ومن مات منافقا أو المراد الكفرة المذكورون عبر عنهم بالظاهر تقبيحا لهم بالاجرام واشعارا بانه المانع للبشرى (ولا) نافيه مهملة (وبشرى) مبتدأ وعلى هذا يصح تعليق اليوم الاول بما تعلق به للمجرمين وهو الاستقرار الخبري وبقوله (للمجرمين) لنيابته مناب الاستقرار وذلك بناء على انه لا صدر للا النافية المهملة مطلقا أو ما لم تقع في صدر جواب القسم وإذا علق يوم بما تعلق به للمجرمين أو بقوله للمجرمين فيومئذ بدله أو تأكيده وكذا ان علق بشرى بناء على جواز تقديم معمول المصدر واسم المصدر عليهما مطلقا أو ان كان ظرفا أو ان لم ينحل الفعل وحرف مصدر وان لم يعلق بشيء من ذلك بل مفعول لا ذكر أو ظرف بـ (يمنعـون) فيومئـذ ليس توكيدا له ولا بدلا الا ان يقال هو توكيد أو بدل

وآخر وفصل به بين اجزاء الجملة بل هو حينئذ متعلق بما تعلق به للمجـرمـين أو ببشرى أو بلا بنـاء على جواز التعليق لحرف المعنى مطلقا وللمجرمين متعلق بمحذوف خبر المبتدأ.

ويجوز كون يومئذ متعلق بمحذوف خبره وللمجرمين خبر ثان أو متعلق بما تعلق به يومئذ الواقع خبرا ويومئذ لنيابته عن الاستقرار ولك ان تقول (لا) عاملة عمل (ان) فبشرى اسمها معرب ان علق يومئذ به ومبني ان لم يعلق به وخبرها للمجرمين ويومئذ ان لم يعلق بها أو باسمها وان علق باحدهما فلهما خبر الواحد وهو للمجرمين وان جعل يومئذ خبرها فلك ان تعلق للمجرمين استقر الخبر أو بيومئذ فيكون لها خبر واحد ايضا.

ولك ان تقول: (لا) عاملة عمل (ليس) وهو ضعيف لذكر خبرها وخبرها هو على حد الخبر إذا جعلت عاملة عمل (ان) وكونها عاملة عمل (ان) أولى من اهمالها ومن اعمالها عمل ليس ويجوز على كل حال تعليق يومئذ بقوله للمجرمين لنيابته عن الاستقرار إذا جعل خبرا بناء على جواز تقديم معمول الظرف والجار والمجرور النائبين عن الاستقرار إذا كان ذلك المعمول ظرفا.

ويجوز تعليق يومئذ باستقرار قوله للمجرمين.

واجاز بعضهم تعليق (للمجرمين) ببشرى أو بمحذوف نعته وفيه على الاول الاخبار عن لا او عن المبتدأ قبل استكمال متعلقه أو نعته وهو ضعيف.

ويضعف كون يوم الاول مبتدأ مبنيا لانه ولو اضيف لجملة لكن اضيف لجملة فعلية فعلها معرب وعليه فلا بشرى الخ خبر كذا ظهر لي والرابط يومئذ لانه بمعنى فيه على انه ليس بدلا ولا توكيدا أو محذوفا يقدر لفظ فيه وذكر ابن هشام وغيره بعض ذلك .

﴿**ويقولون**﴾ اي المجرمون أو الكفرة المذكورون أو الملائكة وهما روايتان عن مجاهد والاولى عن ابن جرير ﴿**حجرا محجورا**﴾ قال سيبويه (حجرا) مفعول مطلق لمحذوف وجوبا مثل (معاذ الله) وعمرك بالنصب وقعدك.

قال: يقول الرجل للرجل: اتفعل كذا فيقول حجرا وهو من حجره منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنعه المكروه فاصله الفتح ولكنه لما اختص بموضع وهو انه انما يقال عند لقاء مكروه كلقاء العدو وهجومه وغيره

مما يكره غيره إلى الكسر وإلى الضم وهو قراءة الحسن وإلى فتح الجيم مع كسر الحاء.

كما جوزوا كسر قاف (قعدك) بعد تعين فتحة واوجبوا فتح عين (عمرك) بعد جواز ضمه ومحجورا نعت مؤكد له كقولك: (موت مائت) و(ذيل ذائل).

والذيل الهوان والتحقيق ان يقولوا حجرا محجورا معطوف على لا النافية وما بعدها لان المعنى يبشرون ولان المعنى تنتفي عنهم البشرى والمعنى انهم يطلبون نزول الملائكة وهم إذا رأوهم يوم الموت أو القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون ويقولون عند رؤيتهم ما يقولون عند لقاء العدو والشدة النازلة وهجموا مكروه وهو قولهم (حجرا محجرا) استعاذة من الله ان يمنع لقاءهم وكانوا يقولون إذا رأوا في شهر حرام من قتلوا وليه (حجرا محجورا).

وإذا قلنا: ان القائلين الملائكة فالمعنى حراما محرما عليكم الغفران والجنة اي حرم الله ذلك عليكم حراما محرما.

وعن مجاهد حراما محرما عليكم البشرى اي (يحرمها عليكم حراما محرما) تقول لهم الملائكة: ذلك إذا خرجوا من قبورهم.

وعن ابن عباس تقول الملائكة: (حراما محرما) ان يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله محمد رسول الله ﷺ * **﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾** لا قدوم هنا حقيقة ولا مجاز لكن ذلك كله مجاز مركب شبه انهم واعمالهم في حال كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقِرى ضيف وفك اسير ونحو ذلك من المكارم بحال قوم خالفوا سلطانهم فقدم إلى

اشيائهم وما تحت ايديهم فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يبق لها أثرا وذلك انه لا ثواب لتلك الاعمال في الاخرة مع الكفر.

وعن الداوودي عن مجاهد قدمنا عملنا وعن عياض قدمنا قصد حكمنا وانفادنا ونحو ذلك والهباء ما في ضوء الشمس من الكوة وفي المثل أقل من الهباء وهمزته عن واو بدليل الهبوة وقيل الهباء ما يتناثر من الغبار بحوافر الدواب.

وقال ابن عباس: هو تسفيه الريح من التراب وحطام الشجر وروي الاول عن ابن عباس والمنثور المفرق وهو نعت للهباء أو مفعول ثان بعد مفعول ثان وأصل (جعلناه هباء منثورا) انما هو على طريقة (زيدا اسدا) اي كـ (هباء) منثورا وكاسد ثم جعل جزءا من اجزاء المجاز المركب وذلك انهم عملوا ما عملوه من المحاسن ولم يخلصوها لله لشركهم وتضييعهم الفرائض فلم ينفعهم الله بها كما لا ينتفع بالهباء المتفرق الذي لا يمكن لنا جمعه وانما تفرقت اعمالهم إلى اغراض قصدوها لا لله.

﴿اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا﴾ المكان الذي يكونون فيه في اكثر اوقاتهم جالسين يتحدثون * ﴿واحسن مقيلا﴾ المكان الذي يأوون إليه للاستراوح إلى ازواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما ان المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك شبه مكان السعيد بموضع يأوى إليه الرجل في الدنيا يستريح فيه أو ينام في القائلة وذلك ان السعيد قد ذهب عنه هول المحشر وتعب الدنيا ولا نوم في الجنة ولا تعب وما دخل باب الجنة الا وقد ذهب عنه كل ضرر واشتهاء النوم وايضا مكان القيلولة لا يخلو في الدنيا من التمتع بالازواج غالبا وفي لفظ حسن رمز إلى ما يتزين به مقيلهم من حسن

الوجوه وملاحة الصور وغير ذلك (ومستقر) اسم مكان من السداسي على وزن اسم المفعـول منـه ومقيلا اسم مكان من الثلاثي على وزن (مفيل) (مفعيل) بفتح الميم واسكان الفاء وكسر العين والاصل مقيل بسكون القاف وكسر الياء نقل كسرها للقاف ويجوز ان يراد بواحد من مستقر أو مقيلا الزمان أو المصدر وبالآخر المكان لكن قياس المصدر الميمي من قال يقول ان يقال مقالا بوزن مفعل بفتح العين فتنقل حركة الياء للقاف وهي الفتحة وفي هذا اشارة إلى زمانهم ومكانهم انها اطيب مكان وزمان إذا جعل احدهما زمانا والآخر مكانا ولا مانع من جعل الكل (زمانا) أو مصدرا فانه لا يتم طيب الاستقـرار والقيلولـة او زمـانها أو مكانها الا وقد طاب غيرهما فاذا طاب الاستقرار والقيلولة مثلا فقد طاب زمانها بان كان معتدلا ومكانها بان كان ممهـدا لينـا مثلا وهكذا (وخير) اسم تفضيل اصله (أخْيَر) حذفت الهمزة ونقلت فتحة الياء للخاء وذلك تخفيف فنون لزوال وزن الفعل (واحسن) اسم تفضيل فاما خارجان عن معنى التفضيل ولو ميز لان ممن اجاز خروج اسم التفضيل من اجـازه ولـو ميز اي مستقرهما ومقيلها حسنان بخلاف مستقر الناريين ومقيلها فانها قبيحان.

وأما باقيان على معنى التفضيل اي مستقرهم ومقيلهم اطيب من كل ما يتخيل من مستقر ومقيل أو اطيب من مستقر الكفار ومقيلهم في الدنيا.

واعلم ان العرب تفضل البلد بحسن المقيل لانه يبدو فساد هواء البلد بوقت القايلة فاذا كانت قايلة بلد حسنة جاز البلد الفضل استقر السعيد في الجنة لا يخرج والشقي في النار لا يخرج يجاء برجلين غني وفقير فيحاسب الغني فاذا هو لم يعمل خيرا قط فيؤمر به إلى النار ويحاسب الفقير فيقول ما اعطيتني

مالا احاسب عليه فيقول الله جل وعلا صدق عبدي فيؤمر به إلى الجنة ثم يتركان ماشاء الله فيدعى صاحب النار فاذا هو مثل الفحمة فيقال له كيف وجدت مقيلك؟ فيقول: شر مقيل يارب فيقال له عد. ويدعى صاحب الجنة فاذا هو مثل القمر ليلة البدر فيقال كيف وجدت مقيلك؟ فيقول: خير مقيل يارب فيقال له عد.

وعن ابن عباس من لم يقل في الجنة يومئذ فليس من اهلها وعنه اني لاعلم اي ساعة يدخل أهل الجنة.

يدخلونها نصف النهار حين يشتهون الغذاء.

وعن ابن مسعود لا ينتصف النهار الا واهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار.

وروي أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم.

وابن عباس يقول في اوائله وقت ارتفاع النهار وكذا قال النخعي وابن جريج.

وروي ان يوم القيامة يقصر على المؤمن كما بين العصر والمغرب.

وروي انه يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة في الدنيا.

﴿ويـوم﴾ معطوف على يوم أو يومئذ أو متعلق بما يتعلق به الرحمن فيومئـذ الآتي بدل منـه او توكيد ان علق هذا اليوم بما تعلق به الرحمن * ﴿تشقق﴾ بتشديد الشين والقاف الاولى بوزن تتفعل اصله تتشقق بتائين وتخفيف الشين ابدلت التاء الثانية شينا وادغمت الشين بعد التسكين.

هذه قراءة نافع وابن كثير وابن عامر ويعقوب.

وقـرأ (تشقق) بتخفيف الشين اصله تتشقق حذفت احدى التائين ﴿السماء بالغمام﴾ الباء سببية وتعليلية اي تنشق ليخرج منها الغمام وهو الغمام المـذكـور في قولـه: (هـل ينـظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) او هي باء الآلة مجازا فانه لما كان انشقاق السماء بسبب خروج الغـمام منها جعل الغمام كأنه الذي تنشق به السماء كقولك: (شققت السنام بالشفرة فانشق بها) ويجوز ان تكون بمعنى (عن) بناء على جواز مجيىء الباء بمعنى عن.

قال ابن هشام ولو لم يتقدم سؤال يقال: (انشقت الارض بالنبات) اي شقها الله بطلوعه فانشقت به ويقال: (انشقت عنه) اي ارتفعت عنه عند طلوعه وذلك غمام ابيض رقيق ما نزل قط الا على بني اسرائيل في التيه تنـزل فيه المـلائكـة بايديهم صحف اعـمال العبـاد ويجـوز إن تكون الباء للمصاحبة فتعلق بمحذوف حال.

﴿ونزل الملائكة﴾ بضم النون وكسر الزاي مشددة وفتح اللام ورفع الملائكة.

وقرأ ابن كثير بنونين الاولى مضمومه والثانية مسكنه وكسر الزاي مخففة ونصب الملائكة.

وقرىء (وتنزل الملائكة) بفتح التاء واسكان النون وكسر الزاي وضم اللام ورفع الملائكة.

وقراءة (ونزلت الملائكة) بضم النون وكسر الزاي مشددة وادخال التاء التأنيث ورفع الملائكة.

وقـرىء (وانـزل الملائكة) بضم الهمزة واسكان النون وكسر الزاي مخففة وفتح اللام ورفع الملائكة.

وقرىء (ونزل الملائكة) بفتح النون والزاي المخففة واللام ورفع الملائكة.

وقرىء (ونزل) بضم النون وكسر الزاي مشددة وضم اللام ونصب الملائكة بحذف نون الماضي وابقاء نون المضارع وهو شاذ ذكره الشيخ خالد وابن هشام قال جارالله: هو قراءة أهل مكة .

﴿تنزيلا﴾ قال ابن عباس: تنشق كل سماء وينزل ملائكتها تدور بالجن والانسان وملائكة كل سماء على الضعف من ملائكة السماء التي تحتها ان كان تحتها سماء وبعد نزول ملائكة السابعة تنزل الكروبيون وحملة العرش * ﴿الملك يومئذ الحق﴾ نعت للملك * ﴿للرحمن﴾ خبر ويومئذ متعلق بما يتعلق به بالرحمن أو متعلق بالملك أو بمحذوف معرف نعت الملك.

والمعنى ان الملك يوم القيامة الذي هو الملك حقا انما هو للرحمن لم يجعل احدا يتصرف فيه كمالك الدنيا ويزول ملك كل احد يومئذ الا ملكه.

والحق خبر وللرحمن متعلق به او حال من الحق أو ضميره لانه بمعنى الملك يومئذ هو الملك الثابت للرحمن.

قيل: أو متعلق بـ (أعني) ويومئذ متعلق بالملك أو بمحذوف معرف نعته أو الحق نعت ويومئذ متعلق بمحذوف خبر وللرحمن خبر ثاني أو متعلق باستقرار يومئذ او بيومئذ وفيه الاخبار قبل النعت * ﴿وكان﴾ ذلك اليوم * ﴿يوما على الكافرين﴾ متعلق بقوله * ﴿عسيرا﴾ وقدم للحصر والفاصلة ولا يعسر ذلك اليوم على المؤمنين اللهم اجعلني منهم برحمتك ومنك وفضلك

وعبر بالرحمن تلويحا بان عنده رحمة عظيمة يرحم بها في ذلك اليوم الشديد الهـول المؤمنين والعسير الشديد ولا يقال هو صفة مشبهة كيف قدم عليه متعلق لان نقـول انها يمتنع تقديم معمولها الذي عملت فيه بحق الشبه بالفعل وهو الفاعل والمشبه بالمفعول لا ما عملت فيه لما فيها من الحدث نعم لا يتقدم الحال والتمييز عليها والمصدر ﴿ويوم﴾ معطوف على يوم من تلك الايام أو يقدر له ذكر أو يعلق يقول الاتي .

﴿يعض الـظالم على يديـه﴾ كنـاية عن شدة الحسرة والغيظ لترتب البعض عليها والكلام بذلك في طبقة من الفصاحة واي طبقة ويجد السامع به من الاستحسان ما لا يجده بذكر المكنى عنه وليس هناك بعض حقيق .

وقيل: انه لا كناية في ذلك بل يعض على يديه حقيقة قلت وجود العض حقيقة لا يمنع من الكناية لان الكناية لا تمنع من ارادة الحقيقة معها فعبر بالعض على اليد وهو واقع لا محالة ومشعر بشدة الحسرة والغيظ .

ذكر بعض انه يأكل يديه إلى المرفقين فتنبتان ويأكلهما فتنبتان ولا يزال كذلك والظالم كل مشرك .

وقيل: المراد ايضا المنافق مع المشرك وهو قول مجاهد .

وقيل: المراد عقبة بن ابي معيط بن ابن اميه بن عبد شمس وكان يكثر مجالسة رسول الله ﷺ .

وقيل: اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله ﷺ فابى ان يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين فشهد وكان ذلك حين قدم من سفره وكان لا يقدم منـه الا صنع طعاما ودعا إليه اشراف قومه وكان ابيّ بن خلف غائبا وهو صديق له ولما قدم اخبره بقصته مع رسول الله ﷺ فقال صبأت ياعقبة قال:

لا والله ما صبأت ولكن دخل عليّ رجل فابى ان يأكل من طعامي الا ان اشهد له بانه رسول الله فاستحييت ان يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له ومـا كان ذلك من قلبي فقال ابيّ: لعنة الله وجهي من وجهك حرام ولا ارضى منك الا ان تبصق في وجهه ونطا عنقه ففعل به ذلك وهو ساجد في دار الندوة واخذ فرث دابة أو وعاء ولدها والقاه على كتفه.

وقيل: اشترط عليه مع البصاق ووطء عنقه ان يلطم عينيه ففعل.

روي انه لما بصق إليه رجع بصاقه على وجهه واحرقته وكان فيه اثر فقال له رسول الله ﷺ «لا القاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف» واسر يوم بدر فأمر عليا فقتله.

واما ابيّ فطعن ورجع إلى مكة ومات فيها.

وقيل: قتله ﷺ في المبارزة وذلك كله يوم احد ونزلت الآية.

وقيل: اسلم عقبة لما كان رسول الله ﷺ يعظه فقال ابيّ وجهي من وجهك حرام ان بايعت محمدا فكفر وارتد ارضاء له فنزلت الآية.

فهو الذي يعض يديه يوم القيامة ويقاس عليه غيره قياسا واخذا من عموم اللفظ وذلك قول عطاء.

وقيل: الذي قتل عقبة عاصم بن ثابت بن افلح الانصاري قال: يامحمد اليّ من الصبية قال: إلى النار وممن فسر الظالم بعقبة بن ابي معيط بن عباس رضي الله عنه وجماعة.

وروي ان عقبة لم يسلم ولكنه جنح إلى الاسلام فنهاه ابيّ فقبل نهيه

قال السهيلي: لم تصرح باسمه ليشعر بعموم الوعيد لامثاله.

﴿يقـول ياليتني اتخـذت﴾ يقـرأ بالادغام للذال في التاء وبالاظهار والادغام اكثر.

وقرأ ابو عمرو بفتح الياء * ﴿مع الرسول﴾ محمد ﷺ * ﴿سبيلا﴾ طريقا إلى النجاة وهو دين الاسلام ولم تتشعب بي طرق الضلالة او اراد اني كنت ضالا ولم يكن لي سبيل قط فليتني حصلت في صحبة الرسول سبيلا لنفسي والياء للتنبيه أو للنداء فالمنادى مقدر ﴿ياويلتا﴾ اي ياويلتي قلبت الكسرة فتحة والياء الف فالالف هذه ضمير المتكلم ضمير خفض على سبيل النيابة بل البدلية والويلة الهلكة ناداها توجها أو الويلة الهلكة التي بمعنى الموت فيكون نادى للموت تعال فهذا وان طبت.

وقـرىء ياويلتي بالياء على الاصل هذا ولا مانع من ان يريد بقوله (ياويلتا) انه يقول هذه الكلمة تعظيما لما لزمه من العذاب أو يقولها مهملا كما يقولها الواقع في الضر * ﴿ليتني لم اتخذ فلانا خليلاً﴾ كل من صحب خليل سوء واضله يقول ياليتني لم اتخذه خليلا ويذكره باسمه.

ومن قال: الظالم عقبة قال اراد بفلان (أبيّ) وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن اسماء الاجناس * ﴿لقد اضلني عن الذكر﴾ اي القرآن أو ذكر الله سبحانه أو موعظة الرسول ﷺ أو كلمة الشهادة أو العزم على الاسلام أو الكل ﴿بعد إذ جاءني﴾ وتمكنت منه * ﴿وكان الشيطان﴾ ابليس لانه حامل على الضلالة أو جنس الشياطين أو كل من تمرد من انس وجان أو الخليل المضل لانه في الاضلال كالشيطان وهذا من كلام الظالم أو من كلام الله سبحانه .

﴿للانسان﴾ الكافر * ﴿خذولا﴾ كثير الخذلان وعظيمه واليه حتى يورده الهلاك ونزل عليه البلاء فيتركه ولا ينفعه بشيء ويتبرأ منه وذلك عام في كل متصاحبين على معصية.

قال ﷺ:(مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك يعطيك منه أو تبتاع أو تتعلق بك رائحة ونافخ الكير يحرقك وان لم يحرقك تنلك رائحة خبيثة).

وقال:(المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالله).

وقال:(لا تصاحب الا مؤمنا ولا يأكل طعامك الا تقي).

﴿وقال الرسول﴾ محمد ﷺ * ﴿يارب ان قومي﴾ هم قريش * ﴿اتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾ متروكا يقول ذلك في الآخرة أو قاله في الدنيا اشتكاء إلى الله فيكون في الحكاية تخويف شديد لان الانبياء إذا التجأوا إليه وشكوا قومهم عاجلهم العذاب وترك القرآن عدم حفظه وعدم الايمان به وعدم العمل به والمشركون فعلوا ذلك كله وكل واحد منهم ايضا ترك له.

وعنه ﷺ (من تعلم القرآن وعلق مصحفه ولم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يارب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقضي بيني وبينه).

وروي «من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفه» وروى يقول: (يارب العالمين) رواه انس واخرجه الثعلبي عن ابراهيم ابي هدبة.

قال ابن حجر وهو كذاب قال ابن منبه على المؤمن ملازمة المصحف وان لا يعلوه الغبار في البيت وهو مشغول بغيره ومن نسي القرآن حشر أجذم

وقـال: «عرضت عليّ اجور امتي حتى القداة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت عليّ ذنوبها فلم ار ذنبا اعظم من نسيان سورة أو آية اوتيها الرجل».

وتفسير (مهجورا) بما مر هو قول ابن زيد.

وقال مجاهد: هو من هجر إذا هذا والاصل (مهجورا فيه) فحذف الجـار ووصل الضمير وناب واستتر اي زعموا انه هذيان وكذب واساطير الاولين وسحر وشعر ونحو ذلك لا شيء يعتمد عليه.

وقيل: معناه انه إذا كان يقرأ هجروا فيه والغوا لئلا يسمعوه أو يسمعه غيرهم واصله ايضا مهجورا فيه.

واجيز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود بمعنى الجلد والمعقول بمعنى العقل والمعنى اتخذوه هجرا اي لغوا.

وقـرأ غير نافع والبزي وابي عمرو باسكان الياء وصبره الله سبحانه وتعالى واوعده النصر بقوله * ﴿وكذلك﴾ الخ اي كما جعلنالك عدوا من قومك * ﴿جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين﴾ فاصبر كما صبروا وفي ذلك دليل على انه تعالى خالق الشر كما خلق الخير والعدو يطلق على الواحد واكثر والظاهر ان المرا دهنا الجماعة ولا ترى نبيا مرسلا بعد آدم الا له جماعة اعداء ويكون طبق قوله فانهم عدوا لي .

﴿وكفى بربك﴾ الباء زائدة في الفاعل دخلت لتضمين الفعل معنى (اكتفي) قاله الزجاج قال ابن هشام وهو من الحسن بمكان.

وزعم بعضهم ان الفاعل ضمير الاكتفاء.

﴿هاديا﴾ إلى طريق قهرهم * ﴿ونصيرا﴾ لك عليهم (وهاديا) حال ويضعف كونه تمييزا انه وصف.

وفي التعبير بربك التفات من التكلم إلى الغيبة واختار هذا الاسم دلالة على انه موصل بره إليه وكافله. ﴿وقال الذين كفروا لولا﴾ اي هلا وهي للتوبيخ والتنديم * ﴿نزل عليه﴾ على محمد * ﴿القرآن جملة واحدة﴾ كما نزلت التوراة والانجيل والزبور.

قال ابن عباس: قالوا: لو كان من عند الله لنزل جملة كتلك الكتب وقائل ذلك قريش.

وقيل اليهود وذلك فضول من الكلام ومماراة بما لا يجدي لان امر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة او مفرقا ولو كان كلام بشر يقوله بمهلة وتفكر تهذيبا له لفعلوا مثله وقد عجزوا ان يأتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا باصغر سورة انما يصح ان يقولوا: (لولا انزل عليه جملة واحدة) لو قدروا عليه (منجما) ومعنى قولي باصغر سورة بسورة قليلة الالفاظ ولست اعني تصغير شيء من القرآن.

﴿كذلك لنثبت به فؤادك﴾ الكاف متعلقة بمحذوف اي لم ينزل عليه القرآن جملة وانزلناه مفرقا والاشارة إلى عدم انزاله جملة وهو انزاله مفرقا وذلك المحذوف دل عليه قولهم لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة لانهم مما طلبوا نزوله جملة الا وقد كان ينزل مفرقا ولابد من ذلك التقدير ولو على القول بعدم تعلق الكاف وهو ضعيف وبذلك المحذوف تنعلق اللام ايضا.

ويجوز ان يكون كذلك صفة لمصدر محذوف وذلك من كلام الله واما كلام الكفرة فتم في قوله جملة واحدة.

ويجوز ان يتم قولهم في قوله ذلك ويبتدىء كلام الله بقوله (ليثبت) الخ فتكون الاشارة إلى ما سبق من كتب الله فتعلق الكاف بـ (نزل) قبلها أو

يجعل كذلك نعتا لمصدر محذوف وتعلق اللام بمحذوف اي انزلناه مفرقا أو لم ننزله جملة لنثبت به فؤادك.

وتثبيت فؤاده تقويته على حمل الاذى والصبر فانه إذا نزل عليه جبريل تجدد عهده وزال همه أو المراد تقوية قلبه بتفريقه على حفظه شيئا فشيئا لانه لا يكتب ولا يقرأ بخلاف موسى وداود وعيسى فلو نزل عليه جملة ما قدر على تلقفه أو المراد تقوية قلبه لنزوله بحسب الوقائع فان نزوله بحسبها يوجب مزيد بصيرة وغوصا في المعنى وايضا فان كل نجم منه معجز فيكون معجزا لهم عند كل نجم فيطمئن قلبه لذلك ويثبت وايضا في نزوله مفرقا معرفة الناسخ والمنسوخ وانضمام القرائن الحالية إلى الدلالات القطعية فانه يعين على البلاغة .

﴿ورتلناه ترتيلا﴾ معطوف على الجملة المقدرة للكاف أو اللام أو للام.

قال ابن عباس: بيناه تبيينا.

وقيل: أتبنا به آية بعد آية أو اكثر في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين اقوال بحسب اقامته بعد البعث بمكة.

واصل الترتيل في الاسنان وهوتفليجها * ﴿ولا يأتونك بمثل﴾ أي بحجة أو شبهة في ابطال امرك وسبق السؤال المعنت مثلا لانه عجيب كأنه مثل في البطلان يريدون به القدح في نبوتك * ﴿الاجئناك بالحق﴾ الدافع له المثبت لنبوتك قالوا: (لولا انزل إليه ملك) الخ فاجاب الله (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا) وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم الخ وقالوا: (لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) فاجاب الله بانه انزله مفرقا تثبيتا وانه اعجزهم

كل نجم من نجومه * ﴿واحسن تفسيرا﴾ قال مجاهد: اي بيانا وقيل تفصيلا .

﴿الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم﴾ الذين مبتدأ خبره جملة قوله * ﴿اولئك شر مكانا﴾ منزلا ومصيرا والمراد المشركون مطلقا أو هؤلاء الذين يجادلون سيدنا محمد ﷺ.

وقيل: الذين خبر لمحذوف اي هم الذين ومفعول لمحذوف ذما فالمراد المجادلون.

﴿واضل سبيلا﴾ تمييز محول عن المبتدأ وهو محول عن الفاعل معنى ايضا وعلى كل حال فهو قد اسند اليه الضلال كأنه قيل سبيلهم اضل أو ضل سبيلهم ضلالا زائد وذلك مجاز في الاسناد مبالغة والضال حقيقة هو صاحب السبيل وشر واضل اسما تفضيل باقيان على معناهما اي مكانهم وسبيلهم افج من كل مكان وسبيل وخارجان عن معناهما أو باقيان على معناهما بطريقة غير الطريقة الاولى اي شر وأضل من محمد اي ان كان محمد بمكان قبيح وسبيل ضلال فانتم شر واضل منه إذ تسحبون على وجوهكم إلى النار فان كان حقيرا فانتم احقر ويجوز ان يراد بالمكان الشرف والمنزلة.

وقيل: ان ذلك متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خبر (مستقرا واحسن مقيلا).

وفي رواية عنه ﷺ (يحشر صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه) فقال رجل: يارسول الله ﷺ ايحشر الكافر على وجهه قال: اليس الذي امشاه في الدنيا على الرجلين قادرا ان يمشيه على وجهه يوم القيامة).

قال قتادة عند ذكره وهذا الحديث بلا وعزة ربي.

فصـــــل

الاصح انه نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ثم نزل منجما.

قال ابن عباس: (فقراء ولا يأتونك بمثل) الخ (وقرآنا فرقنا) الخ إذا حدث المشركون شيئا احدث الله لهم جوابا وكان في بيت العزة من سماء الدنيا.

وقيل: نزل إلى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدر أو ثلاث وعشرين ليلة قدر أو خمس وعشرين ليلة قدر في كل ليلة قدر ما ينزل إلى الدنيا في السنة قاله مقاتل والحليمي والماوردي وابن شهاب.

وقيل: ابتدأ انزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما في اوقات مختلفة.

وقيل: نزل من اللوح المحفوظ جملة ونجمته الحفظة على جبريل في عشرين سنة ينزل به على النبي ﷺ.

وقيل: نزل جملة إلى السماء تفخيما لأمره وامر النبي ﷺ وامته باعلام سكان السموات ان هذا اخر الكتب على خاتم الرسل لاشرف الامم ثم نزل شيئا فشيئا فجعل له الامرين الانزال جملة والانزال تفريقا تشريفا لمن ذكر وقيل جاء القرآن والنبوة من باب الرحمة فوضع القرآن في بيت العزة ليدخل في حد الدنيا ووضعت النبوة في قلبه ﷺ ثم جاء جبريل بالرسالة ثم بالوحي وهذا حظ ابرزه الله للامة بمبعثه ﷺ.

وقال السخاوي نزل جملة إلى السماء تعظيما لشأن بني آدم عند الملائكة وتعـريفـا لعناية الله عز وجل بهم ولذا امر سبعين الفا من الملائكة شيعوا الانعام إلى النبي ﷺ وزاد بان امر جبريل باملائه على السفرة وامرهم بنسخه وتلاوتهم له.

وفي انزاله مجملا مساواة لموسى عليه السلام وغيره وللنبي محمد ﷺ فضل تنجيمه إلى الدنيا.

وان قلت: (انا انزلناه في ليلة القدر) ان لم يكن من جملة القرآن الذي نزل جملة فما نزل جملة وان كان منه فما وجه العبارة؟ قلت: اجاب ابو شامة بان المعنى انـا حكمنـا بانزاله في ليلة القدر وقضينا به أو ننزله جملة تامل والتحقيق انه نزل إلى السماء بعد مبعثه.

وقـد روى ابن حجـر أن التـوراة نزل لست مِن رمضان والانجيل لثلاث عشرة والزبور لثمان عشرة والقرآن لأربع وعشرين مضت وصحف ابراهيم لاول ليلة وهو المطابق لقوله: (شهر رمضان) الخ وقوله: (انا انزلناه في ليلة القدر).

وروى ابن ابي شيبة نزلت الكتب ليلة اربع وعشرين.

قال ابو شامة: نزل منجما ليكثر النزول فيتجدد العهد في كل نزول فيحدث له السرور ويشتد قلبه وفي ذلك عناية به وكان ﷺ اجود ما يكون في رمضان لكثرة لقائه جبريل.

وزعم بعض من عاصر السيوطي ان الكتب ايضا نزلت منجمة ويرده ما رواه ابن جبير عن ابن عباس قال: قالت اليهود: يااباا القاسم: (لولا نزل

هذا القـرآن جملة واحدة كما نزلت التوراة على موسى) فنزل (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) وفي رواية عنه قال: قال المشركون: وكذا رواه قتادة والسدي فعدم الرد عليهم في ذلك وعد وله إلى بيان حكمة التفريق دليل على صحة نزول التوراة جملة والا رد عليه بانها لم تنزل جملة كما انهم لما قالوا ما له يأكل ويمشي في الاسواق واجاب بان الرسل كلها كذلك ولما قالوا لا همّ له الا النساء اجاب بقوله: (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا) الخ.

قيل: ويدل لانزال التوراة جملة مجملة قوله: (فخذ ما آتيتك) وقوله: (وكتبنا له في الالواح) الخ وقوله: (اخذ الالواح) وفي نسختها الخ وقوله: (وإذ نفتنا الجبل) الخ.

وعن ابن عباس اعطي موسى التوراة في سبعة الواح من زبرجد لما جاء بها بني اسرائيل رآهم عكوفا على العجل يعبدونه رماها من يده فرفع الله منها ستة اسباع.

وقيل: كانت من سدر الجنة طول كل لوح اثنا عشر ذراعا.

وعن ابن ابي حاتم عن ثابت بن الحجاج جاءتهم التوراة جملة فكبر عليهم الامر فابوا ان يأخذوها حتى ظل عليهم الجبل ولو نزل القرآن كذلك جملة لنفر كثير من الناس عنه لكثرة فرائضه ومناهيه فاول ما نزل سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا أقبل الناس إلى الاسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل اول شيء (لا تشربوا الخمر) لقالوا لا ندع الخمر ابدا ولو نزل (لا تزنوا) قالوا لا ندع الزنا ابدا وكان ينزل خمس آيات وعشرا واكثر واقل

وقد نزل عشر آيات في قصة الافك جملة وعشر من أول المؤمنين ونزل (غير اولى الضرر) وهو بعض آية وكذا (وان خفتم عيلة) الآية ونزل الانعام جملة.

واما قول عمر (تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات) فانه ينزل عليه ﷺ خمسا خمسا ومن حفظه خمسا خمسا لم ينسه فالجواب والله اعلم انه إذا نزل عليه كثير اخذه عن جبريل خمسا خمسا.

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة أو جنس ما انزل عليه التوراة وغيرها * ﴿وجعلنا معه اخاه هارون﴾ بدل أو بيان ﴿وزيرا﴾ معينا له في الدعوة واعلاء كلمة الله ولا تنافي الوزارة النبوة فان المتشاركين في امر يتوازرون عليه وكان يبعث في الزمان الواحد انبياء يتعاونون.

وقال الشيخ هود قال الحسن وزيرا شريكا في النبوة والرسالة وذلك قبل ان تنزل عليه التوراة. ﴿فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ وهم القبط ﴿فدمرناهم﴾ اهلكناهم بالغرق ﴿تدميرا﴾ واصل الكلام (فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم تدميرا) فاختصر بذكر الذهاب في قوله: (اذهبا) الملزم لهم الحجة ويذكر التدمير جزاء لتكذيبهم وحذف الوسط لان المقصود الالزام والجزاء تحذيرا ان يحل لكفار قريش ما حل بالقبط أو نحوه.

قال القاضي: والمقصود ايضا التعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع.

وقرأ عليّ (فدمرتهم).

وقرأ بعضهم فدمرانهم بنون التوكيد الشديدة والالف فاعل للفعل الماضي وفيها تأكيد الماضي بالنون وهو شاذ نادر.

﴿وقوم نوح﴾ اي واغرقنا قوم نوح وذلك على الاشتغال فيكون قوله: (اغرقناهم) في نية التقديم على لما ويقدر جواب للما دل عليه (اغرقناهم)

وليس قولـه : (اغـرقناهم) جوابا بـ (لما) الا لم يفسر عاملا قبل (لما) لان الجواب لا يعمل فيها قبل الاداة على المشهور فلا يفسر عاملا قبلها الا ان نبينا على غير المشهور.

ولك ان تقول: ناصب (قوم) محذوف من باب الحذف لمجرد الدليل لا على طريقة الاشتغال فيكون (اغرقناهم) جوابا.

ولك ان تقول: التقدير (ودمرنا قوم نوح) لا عطف على (دمرناهم) لان تدميرهم ليس مسببا عن تكذيب القبط موسى.

لكن بعض النحاة يقول بجواز عطف قصة على اخرى ولو لم يكن بينهما ربط ويجوز نصبه بـ (اذكر).

﴿**لما كذبوا الرسل**﴾ نوحا ومن قبله او كذبوا الرسالة مطلقا ونفوها فيكونون كذبوا جميع الرسل كما هو معتقد البراهمة لعنهم الله نسبوا إلى رجل يقال له برهام قرر لهم ذلك واعتقدوه وكذبوا نوحا وحده وتكذيب نبي واحد كتكذيب الانبياء جميعا لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد أو لان نوحا لما طال لبثه فيهم فكأنه رسل * ﴿**اغرقناهم**﴾ بالطوفان * ﴿**وجعلناهم للناس**﴾ اي جعلنا اغراقهم او قصتهم * ﴿**آية**﴾ عبرة * ﴿**واعتدنا للظالمين**﴾ المشركين قوم نوح وغيرهم أو هم المراد فوضع الظاهر موضع الضمير اظهار الظالم * ﴿**عذابا اليما**﴾ سوى ما يصيبهم في الدنيا كالاغراق ﴿**وعادا**﴾ عطف على هاء جعلناهم.

قيل: أو على الظالمين لان المعنى واوعدنا الظالمين أو على قوم نوح إذا قدرنا له دمرنا او اهلكنا وذكر (عاد) وهم قوم هود * ﴿**وثمودَ**﴾ قوم صالح وهو في الاصل اسم لابيهم الاكبر وقرىء بترك التنوين تاويلا بالقبيلة *

﴿واصحاب الرس﴾ الرس اسم بير لاصحابها.

وقيل: البير غير المطوية.

وقيل: واد باليمامة وآبار وهو قول الحسن.

وقيل: قرية فيها.

وقيل: اصحاب الرس قوم يعبدون الاصنام ذوو آبار ومواش فبعث الله اليهم شعيبا فدعاهم إلى الاسلام فتمادوا في طغيانهم وفي ايذائه فبينما هم حول الرس انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم.

وعن قتادة ووهب اصحاب الرس واصحاب الايكة قومان ارسل إليهم شعيب.

وقيل: ارسل إلى اصحاب الرس واصحاب مدين.

وقيل: اصحاب الرس اصحاب البير في اليمامة ارسل اليهم نبي فقتلوه.

وقيل: اصحاب قرية فيها قتلوا نبيهم وهم بقية ثمود.

وقال سعيد بن جبير: هم اصحاب حنظلة ابن صفوان عليه السلام ابتلاهم الله بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتح بالاعجام وبالاهمال وفتيح بتحتية وجيم او فتخ بالاعجام وكانت إذا افقدت الصيد نزلت على صبيانهم فتخطفهم وتأكلهم في الجبل ولذلك سميت مغربا ومغربة وعنقاء مغرب بالاضافة وبالوصف والميم مضمومة والراء مكسورة في كل والغين ساكنة لبعد طيرانها فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم قتلوه فاهلكهم الله.

وقيل: الرس بير في انطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار.

وقيل: قوم كذبوا نبيهم ودسوه في بير اي دسوه فيها.

وقيل: الـرس الأخدود واصحابه اصحاب الاخدود ويأتي كلام في الشعر ان شاء الله .

﴿وقرونا بين ذلك كثيرا﴾ نعت لقرون وبين متعلق بمحذوف نعت ايضا والقرون اهل اعصار والقرن عشر سنين وقيل عشرون وقيل ثلاثون وهكذا إلى مائة وقيل مائة وعشرون والاشارة إلى ما ذكر من الاقوام اي ما بين قوم نوح وعاد وما بين عاد وثمود ما بين ثمود واصحاب الرس أو ما بين قوم نوح واصحاب الرس.

وعن بعض ما بين عاد واصحاب الرس * ﴿وكلا ضربنا له الامثال﴾ بينـا لهم القصص العجيبة وما جرى على من كذب الرسل واقمنا عليهم الحجـة واصروا فاهلكناهم ونصب (كلا) على الاشتغال بفعل يدل عليه ضرب الامثال اي وانذرنا كلا أو وحذرنا كلا *

﴿وكلا تبرنا تتبيرا﴾ اي وفتتنا كلا تفتيتا ومنه التبر الفتات الذهب والفضة والزجاج بمعنى (أهلكناهم اهلاكا) ﴿ولقد أتوا﴾ اي كفار مكة اي مروا مرارا في متاجرهم إلى الشام * ﴿على القرية التي امطرت مطر السوء﴾ امطرت بالحجارة وهي سدود عظمى قرى قوم لوط عليه السلام.

قيل: كانت خمسا اهلك الله اربعا باهلها وبقيت واحدة اهلك الله سبحانه بالحجارة من السماء من كان داخل القرية ومن كان من اهلها خارجا

عنها وكذا الثلاثة الاخرى واما الخامسة فقيل نجت لان اهلها لا يعملون الخبائث * ﴿افلم يكونوا يرونها﴾ فيعتبروا والاستفهام للتقرير والتوبيخ *

﴿بل كانوا لا يرجون نشورا﴾ بعثا كانوا كفرة لا يتوقعون بعثا وعاقبة فلم ينظروا ولم يتعظوا وكان مرورهم عليها كمررو دوابهم أو لا يأملون بعثنا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الثواب او الرجاء الخوف على لغة تهامة * ﴿وإذا رأوك ان﴾ اي ما * ﴿يتخذونك الا هزوا﴾ موضع هزؤا أو مهزأ به نزلت في ابي جهل كان إذا مر مع اصحابه قال * ﴿اهذا الذي بعث الله رسولا﴾ الجملة محكية بقول مقدر أو مفعول لهزؤ على الحكاية لان فيه معنى القول (والذي) خبر لهذا والاشارة للاستحقار بدليل انهم عبروا بعبارة من يسلم الرسالة وهم على غاية انكارها ولو قالوا هذا الذي زعم انه بعثه الله رسولا لم يكن استهزاء أو كان استهزاء دون الاستهزاء الذي يفيده (هذا الذي بعث الله رسولا).

...

وفي الآية دليل على انه لا يقرن الجواب بالفاء إذا صدر بـ (ان) النافية دخلت على الفعل .

﴿ان﴾ مخففة من الثقيلة وهي مهملة أو عاملة في ضمير شأن أو ضميره ﷺ اي انه * ﴿كاد ليضلنا﴾ الجملة خبر (كاد) واللام فارقة بين النفي والاثبات (وكاد واسمها وخبرها) خبر (لان) ان قيل بعملها اي قرب ان يصرفنا .

﴿عن آلهتنا﴾ اي عن عبادتها لاجتهاده في الدعاء إلى التوحيد وكثرة حججه ومعجزاته التي تقبلها القلوب وان انكرتها الالسنة.

﴿لـولا﴾ حرف يدل على امتنـاع الاضـلال المـذكور لوجود الصبر المذكور في قوله * ﴿ان صبرنا﴾ (ان) مصدرية والفعل في تأويل مصدر مبتدأ اي (لولا صبرنا) بسكون الباء والخبر محذوف وجواب لولا محذوف اي (لولا ان صبرنا لاضلنا) واما قرب الاضلال فواقع ويحتمل ان يكون المعنى (لولا ان صبرنا لكاد يضلنا).

ففي الاول نفي الاضلال واثبات قربه نحو قول من شارف الهلاك (كدت اهلك لولا الله).

وفي الثاني نفي قرب الاضلال فينتفي الاضلال من باب أولى فيكون (لولا ان صبرنا دفعا) لما تضمنه (ان كاد ليضلنا) كما يقولِ القائل: (زيد هالك لولا الله).

﴿عليها﴾ اي على عبادتها.

قال جارالله: ولولا في مثل ذلك جارية من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقييد للحكم المطلق ولعله اراد معنى الاحتمال الاول الذي ذكرت * ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب﴾ اي مابه العذاب من نار واغلال وغير ذلك أو جعل العذاب مما يرى مبالغة كأنه متجسم محسوس.

﴿من اضـل سبيلا﴾ وفي ذلك دليل على انهم لا يفوتونه وان طال امهالهم وفيه وعيد وهو ايضا كالجواب لقولهم: (ان كاد ليضلنا) لانه نسبة رسول الله ﷺ إلى الضلال بالالتزام فان نسبته إلى الاضلال تستلزم ضلالته

لانه لا يضل غيره الا من هو ضال في نفسه بان الاضلال انواع من الضلال .

﴿ارايت من اتخذ الهه هواه﴾ الاصل ان تلك الهمزة للتقرير (ورأيت) بمعنى (ابصرت) ومن مفعول به فذلك التركيب موضوع لهذا المعنى ثم استعمل في التعجب فكأنه قيل تعجب يامحمد منه فذلك من المجاز المركب فذلك انشاء منقول إلى انشاء آخر فان الاستفهام انشاء والتعجب انشاء ولك ان تقول (رأيت) بمعنى (علمت وعرفت) متعد لواحد هو (من) ونقل إلى معنى (اخبرني) هو ايضا مجاز مركب من نقل انشاء إلى انشاء فان الامر انشاء وعلى الوجهين فالمنصوب استصحب فيه الاصل فلم يدخل عليه (من) في الاول ولا (عن) في الثاني لان التجوز في المجموع لا في الفعل وحده وهكذا في (ارايتك هو الذي كرمت عليّ) ونحوه.

هذا ما ظهر لي فانظر سورة الاسراء.

وان جعلت التجوز في (ارايت) وحده قدرت من اي تعجب ممن اتخذ أو واخبرني عمن اتخذ بناء على جواز نزع الخافض أو يقال هذا مما سمع فيه وقد اجازة الاخفش للغير بشرط امن اللبس وان يتعين لفظ الحافظ وموضعه أو يقال المعنى اخبرني خبر من (اتخذ) فحذف المضاف وكذا في مثل الآية (والهه) مفعول ثان قدم للعناية به (وهواه) مفعول أول كقولك: (علمت منطلقا زيدا) لاعتنائك بالمنطلق اعنى لاعتنائك بزيد من حيث انه منطلق لا من حيث ذاته وذلك ان ذلك الكافر اطاع هواه وبنى عليه دينه لا يتدبر دليلا ولا يلقي إلى الحق اذنا ولا عقلا وكأن الرجل يعبد حجرا فاذا رأى احسن منه رمى به واخذ آخر ومنهم الحارث بن قيس السهمي .

﴿افانت تكون عليه وكيلا﴾ مستأنف على التحقيق واخطأ من جعل ذلك مفعولا ثانيا ومدخول الهمزة محذوف والفاء عاطفة عليه أو مستأنفة اي اتجبره فانت تكون الخ أو الهمزة مما بعد الفاء اي اتجبره على الاسلام وتكون حفيظا له عن اتباع هواه لا تستطيع ذلك ولا اكراه في الدين وما عليك الا البلاغ والاستفهام تقريري أو انكاري.

قال الكلبي : الآية منسوخة بآية القتال .

﴿ام تحسب ان اكثرهم يسمعون﴾ سماع تفهم ﴿او يعقلون﴾ ما تقول لهم فتهتم بشأنهم وتطمع في ايمانهم فاما ان يريد ما ذكرت فيكون ما بعد ذلك مبنيا عليه ومزيدا للكشف عن حالهم واما ان يريد تشبيههم بالصم المجانين فيكون ما بعده غير مبني عليه لكنه كشف لحالهم بطريق اخرى وام للاضراب والهمزة وهذا ذم لهم اشد من الذم الذي قبله للاضراب به عن هذا الذي قبله وانما ذكر الاكثر ولم يعمم لان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق ومنعه عن الايمان الاستكبار وحب الرئاسة وكفى به داء عضالا .

﴿ان هم﴾ اي ما هم * ﴿ الا كالانعام﴾ لا يتعظون كما لا تتعظ الانعام ما لم يخلق الله لها عقلا وكما ان الانعام تسمع صوت الوعظ ولا تعقل حقيقته فكذلك هم يسمعون الصوت ولا يتعلق بقلوبهم فيعملوا به فليسوا تؤثر فيهم الآيات والمعجزات فهم باقون على الشرك والمعاصي ﴿بل هم اضل سبيلا﴾ من الانعام فان الانعام ولو كانت تنقاد لاربابها التي تعلفها وتسقيها وتعرف من يحسن إليها ومن يسيء وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لراعيها ومشاربها لكن قد ضلت عن منافع لا تهتدي إليها وعن اجتناب مضار فانها لو رأت مثلا ابرة مغروزة بالارض أو سيفا لم تجتنب

وطء ذلك ولو كان يضرها ومثل ذلك كثير فهي ضالة ضلالة دنيوية وضلالة الكفار اشد لانها اخروية دائمة وايضا دنيوية مخزية الا تراهم بأقبل على ما يحل به مالهم ودمهم ويسبي ذراريهم الاذراري قريشي لا يسبي .

وقيل العرب كلها لا تسبى ذريتهم وانت خبير ان الكفار لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه إليهم من ايتائه الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا تذوقون العقاب الذي هو اشد المضار.

ويجوز ان يكون وجه اسم التفضيل وجها آخر غير ما مر وهو ان الانعام ضالة عن طريق الآخرة اي غير عارفة به وغير عاملة له لان الله تعالى سبحانه لم يخلق لهم من التمييز ما يوجب ذلك لكنها لم تعتقد باطلا ولم تكسب شرا وهؤلاء ضالون عن طريق الآخرة ومعتقدون للباطل ومكتسبون للشر فضلالتهم اشد.

ووجها آخر هو أن ضلالتها لا تضر احدا وضلالتهم تؤدي إلى هيجان الفتنة وصد الناس عن الحق.

ووجها آخر هو ان ضلالتهم اشد لتمكين الله اياهم بالعقل على الحق وهي لا عقل لها فلا تقصير منها.

ووجها آخر هو انهم اضل من كل من يتصف الضلالة.

ووجها آخر هو اضل بمعنى (ضالون) اي بل هم ضالون سبيلا بخلاف الانعام فانها تسبح وتذكر الله وتؤمن بالرسل .

﴿الم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ اي إلى فعل ربك والفعل ولو كان لا يرى ولكنه لما كان اثره يرى جعل كأنه يرى أو هو لصحته وقوته كأنه شيء

متجسم يرى او يقدر إلى مفعول ربك يقال رأيته ورأيت إليه ونظرته ونظرت إليه (ومد الظل) بسطه لينتفع الخلق به أو الاصل (ألم تر إلى الظل كيف مده ربك) فغيره إلى (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل) اشعارا بانه ليس المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم الا كالمشاهد المرئي فكيف بالمحسوس منه أو الرؤيا قلبية اي أو لم ينته علمك إلى ربك (كيف مد الظل).

قال الحسن: (مد الظل) من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

وقيل: من الاسفار إلى طلوعها.

وانما وصفه بالمد لانه ظل لا شمس معه وذلك الوقت على القولين اطيب الاوقات لان الظلمة الخالصة تنفر الطبيعة عنها وتسد النظر وشعاع الشمس يكل البصر وحرها يسخن الجو ولذلك وصفت الجنة بمد الظل قال الله سبحانه ﴿وظل ممدود﴾ وجملة (كيف مد الظل) مستأنفة (وكيف) حال وهذا الاستئناف نحوي بمعنى انه لم يتقدمها طالب رفع او نصب أو جر او جزم أو الجملة بدل وسيأتي كلام ان شاء الله في (افلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت).

﴿ولو شاء لجعله ساكنا﴾ بان لا يطلع عليه الشمس فيكون ساكنا ابدا لا يزول بل لو شاء لم يزل بطلوعها وذلك قول مجاهد.

أو المراد بمد الظل بسطه في مواضعه التي هو فيها يعقبه لنقص أو زيد ففي المساء يزيد وفي الصباح ينقص وبذلك ينتفع الخلق وعلى هذا فجعله ساكنا جعله لاصقا باصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة ونحو ذلك غير

منبسط بان يجعل الشمس ابدا على وضع واحد وفي تسميته ساكنا ما يدل على تسميته متحركا في قوله: (مد الظل) فكأنه قال: حرك الظل ولزم من التحريك التحرك.

وعن بعض ان المراد جعله ابدا لا يتحرك بان يجعل الشمس كحالها قبيل الزوال * ﴿ثم جعلنا﴾ التفات من الغيبة إلى التكلم .

﴿الشمس عليه﴾ على الظل * ﴿دليلا﴾ فانه لا يظهر الحسن حتى تطلع الشمسَ في بعض الاجرام وانما تعلقنا الظل وتصورناه لتميزه بالشمس.

حكى الطبري انه لولا الشمس لم يعلم ان الظل شيء ولولا الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة والاشياء تعرف باضدادها والظل الذي في الليل ولو تصورته فالاعتبار زوال الشمس أو معنى كون الشمس دليلا عليه ان النـاس يستدلون بالشمس وباحوالها في مسيرها على احوال الظل من كونه ثابتا في مكان وزائلا ومتسعا ومتقلصا فيبينون حاجتهم إلى الظل واستغنائهم عنه على حسب ذلك.

وقيل: معنى كونها دليلا انها تتبعه وتقبضه.

﴿ثم قبضنـاه إلينـا قبضـا يسيرا﴾ اي ازلناه بايقاع الشمس موقعه وسميت ازالته قبضا اي كفا مشعر بان مده تيسير مع ان المد ايضا فية مساواة للبسط والبسط مقابل القبض وفي القبض بيسر وخفاء على مهل شيئا فشيئا من المنافع ما لا نحصيه ولو قبض دفعة لتعطلت تلك المنافع وعطف بثم في الاولى لزيادة فضل جعل الشمس دليلا على فضل مد الظل وفي الثاني لزيادة

قبضهـا بيسر على المد وعلى جعلها دليلا جعل التباعد في الفضل كتباعد المسافة أو عطف يتم ليعد جعل الشمس دليلا عليه عن أول طلوع الفجر وعن الاسفار وبعد تمام القبض عن أول طلوعها.

وقيل: مد الـظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة وبسط الارض تحتهـا فالقت السماء ظلها على الارض وذلك قبل خلق الشمس ولو شاء لجعل الظل ابدا ساكنا بان لا يخلق الشمس ثم خلقها وسلطها على ذلك الظل ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع المدلول الدليل ثم نسخه وقبضه قبضا سهلا أو خلق الشمس عليه دليلا لطريق من يهديه فانه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها ثم يقبض إلى ان ينتهي غاية نقصانه أو المراد بقبضه قبضة عند قيام الساعة لقبض الاجرام فانه يكون بسبب الاجرام فاذا زالت يومين زال فيكون ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاءه بانتبا اسبابه وقوله إلينا اليق بهذا الاخير.

قال جارالله : وكذلك قوله : (يسيرا) كما قال : (ذلك حشر علينا يسير) يدل على هذا الاخير.

والمشهور ان الفعل الذي ليس ظنا ولا يقينا ولا فقد أو عدم أو راى العلمية لم يعمـل في ضميري شيء واحد و(نا) في (قبضناه وإلينا) لواحد سبحانه وتعالى فاما ان يقدر مضاف اي إلى (ملكنا) واما ان يقال ذلك غير ممنوع إذا عمل في واحد منها بواسطة الحرف .

﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباسا﴾ فلو تعرى احد بوسط جماعة في ليلة مقمرة رجل كان أو امرأة من جميع ما يستره لم يتبرأ منه ولا انتقض وضوء

الناظر إليه لكن التعري مكروه ولو في خلوة وظلمه ولما كانت الظلمة تغشى على الشيء وتمنع نفوذ البصرانية كاللباس سمي الليل لباسا.

﴿والنوم سباتا﴾ راحة للأبدان بقطع العمل والسبت القطع وسمي المسبب وهو الراحة باسم السبب وهو القطع واللازم وهو الراحة باسم الملزوم وهو القطع واسند ذلك المسبب اللازم إلى النوم لتحققه به أو السبات الموت كقوله عز وجل (يتوفاكم بالليل) فان النوم موت من الموتين وفيه قطع الاحساس وهذا الوجه الاخير اولى لان مطابقة قوله

﴿وجعل النهار نشورا﴾ له اشد من مطابقته للاول لان النشور الانتشار للمعيشة وليس غير مطابق للاول بالكلية فانه مطابق لان في النشور عدم راحة الابدان ثم ظهر لي انه ليس باولى لان النشور يصح ان يكون بمعنى البعث من النوم ونشورا بمعنى الانتشار اي جعل النهار دا نشورا ومنشورا فيه أو سماه نشورا مبالغة والمعنى ان الناس ينتشرون فيه للمعاش أو النشور البعث من النوم وفيه تنبيه على البعث بعد الموت.

قال لقمان عليه السلام لابنه: يابني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر.

وقيل: ان لقمان ولي غير نبي.

﴿وهو الذي ارسل الرياح بشرى﴾ وقرأ ابن كثير (ارسل الريح) بالافراد واراده الجنس * نشرا جمع نشورا بفتح النون اي ناشرات السحاب اي جامعة له.

وقرأ ابن عامر بسكون الشين اما جمعا له آخر أو تخفيفا.

وقرأ حمزة والكسائي بسكون الشين وفتح النون على انه مصدر جعل حال مبالغة أو بتأوله بالوصف اي ناشرات أو يقدر مضاف اي ذوات نشر.

وقرأ عاصم بُشرا بباء موحدة مضمونة وسكون الشين جمع (بشير) بمعنى (مبشرا) واصله الضم سكن تخفيفا وهو ايضا جمع.

وقيل: هو فخفف (بشرا) بضم الشين كالباء جمع (بشور) بفتح الموحدة وبشرى.

﴿بين يدي رحمته﴾ يعني قدار المطر وذلك استعارة ﴿وانزلنا من السماء ماء طهورا﴾ الحق ان طهورا اما صفة مبالغة اي هو في نفسه طهور فلا يستفاد من الاية انه مطهر لغيره لانه صفة مبالغة من طهر بالتخفيف وهو لازم لا متعد.

واما اسم لما يقع به التطهير كالوضوء بفتح الواو اسما لما يقع به التوضؤ والوقود بفتح الواو اسما لما يقع ايقاد النار به وعلى هذا يصح الاستدلال بالآية على ان الماء مطهر لغيره لكن الدليل إذا طارقه الاحتمال سقط به الاستدلال وقد احتمل طهور ان يكون صفة مبالغة.

واما ان يقال: ان الدليل وهو الآية اخص من المدعي وهو الماء مطلقا من حيث ان الماء في الآية ماء السماء فقط فقد يجاب عنه بان الدليل ايضا عام لانه لا ماء في الارض الا وقد نزل من السماء والغالب في فعول بفتح الفاء ان يكون صفة مبالغة أو اسما على حد ما مر.

وقد جاء ايضا بمعنى مفعول كناقة ركوب ومصدرا كالقبول واسما على غير حد ما مر كالذنوب اسما للدلو كما يأتي ان شاء الله.

وعن احمد بن يحيى: الطهور هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره فان كان هذا تفسيرا متلقى عن العرب أو شرحا لبلاغته في الطهارة كان سديدا والا فليس (فعول) من التفعيل في شيء إذ لا يستعمل (خروج) بفتح الخاء بمعنى مخرج بكسر الراء المشددة بل بمعنى كثير الخروج.

ووصف الماء بطهور إكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا انه من حقهم حين اراد الله لهم الطهارة ان يؤثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم وان يترفعوا عن قذورات المعاصي كما رفعهم ربهم بالطهارة فان الماء الطهور انفع وأهنأ مما خالطته نجاسة.

وفي الحديث (طهارة اناء احدكما إذا ولغ فيه كلب يغسله سبعا أولاهم او آخراهن بالتراب).

واجيز غسله ثلاثا بالماء وحده.

واجيز يكون الاولى والاخيرة بالتراب والوسطى بالماء.

ورخص بعض اصحابنا ان لا ينجسه الا ان ولغ فيه ولغتين.

ورخص بعضهم ان لا ينجس ان ولغ ثلاثا.

ورواية قومنا طهارة اناء ولغ فيه الكلب ان يغسل سبعا احداهن بالتراب وإذا كان الماء قدر قلتين أو اكثر لم ينجسه الا ما غير لونه او طعمه او رائحته.

ورخص بعضهم ان لا ينجس الا ان غير لونه وطعمه ورائحته ان كان ماء مطر ورخص مطلقا وان كان اقل من القلتين نجس بكل نجاسة وقعت فيه ولو لم يتغير شيء من ذلك.

وزعم بعضهم انه لا ينجس الا ان تغير شيء من ذلك.

وزعم ابو حنيفة ان الماء المستعمل في البدن لأداء عبادة من غسل ووضوء ايضا نجس.

ورواه بعضهم عن ابي يوسف وكان بعض من يقول بذلك يتخذ جلدا يتوقى به عن ثيابه.

وفي التاج الماء المستعمل في وضوء أو غسل جنابة أو حيض يجوز شربه وغسل النجس به.

واجاز مالك الوضوء به والاغتسال به بعد ذلك.

واجاز بعض قومنا الوضوء والاغتسال بماء تغير باوراق الاشجار وبماء تغير بما لا يختلط كالدهن لان تغير المائية للمجاورة لا للمخالطة .

﴿لنحيي به بلدة ميتا﴾ لم يقل ميتة لتأويل البلدة أو لان ميتا غير جار على الفعل كمفعول بمعنى فاعل ومفعال فاستوى فيه المذكر والمؤنث ولان اصله مييت بكسر الياء الاولى واسكان الثانية سكونا ميتا وهي الزائدة قدمت هذه الثانية فسكنت سكونا حيا لوقوعها بعد فتحة وادغمت في الثانية حذفت احدى اليائين فبقيت الاخرى وهي الساكنة أو المتحركة ثم سكنت فقبل

التقديم والحذف وزنه فعيل وفعيل يجوز تذكيره مع المؤنث اذا ظهر انه جرى على المؤنث شبه عدم اخراج الارض النبات وعدم نمو ما كان منه بالموت وشبه اخراج الله النبات بالماء وانما ما وجد منه باحياء.

﴿ونسقيه﴾ اي الماء مضارع اسقى يقال اسقيته ماء اي اشربته إياه.

وقيل: المراد في الآية نجعله للانعام والأناسيّ سقيا.

وقرأ (نسقيه) بفتح النون مضارع سقى يقال سقاه ماء وأسقاه اياه اي جعله شاربا وهو معنى اشربته اياه.

﴿مما خلقنا﴾ الجار والمجرور حال من قوله ﴿انعاما وأناسيّ﴾ أي ليشرب منه الحيوان من أنعام وأناسي محتاجين اليه غاية الحاجة لشربهم وزوروعهم وثمارهم * ﴿كثيرا﴾ وانما نكر الانعام والاناسى لان المراد نوع من ذلك وهم أهل البادية الذين يعيشون بماء السماء وانعامهم واما اهل المدن والقرى فيقيمون بقرب الانهار والاودية وخص ذكر الانعام لان منافع الناس متعلقة بها فالإنعام عليها بالماء كالإنعام عليهم.

واما الطير والوحوش فانها تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب.

وقدم احياء الارض واسقاء الانعام لان حياة الناس بهما ولانهم إذا ظفروا بما يكون به احياء الارض واسقاء الانعام لم يعدموا سقياهم.

قيل: (أناسيّ) جمع (أنسي) ويجوز ان يكون جمع (انسان) اصله اناسين وهو جمع تكسير قلبت النون ياء وادغمت فيها الياء على الوجهين حذفت الياء المدغمة تخفيفا كما يقال: في تباطير ودنانير قناطر ودنانر وفي اناعيم جمع انعام أناعم.

وقرىء بتشديد الياء فلا حذف.

وقال ابن هشام: أناسي جمع انسان لا أنسي.

قال الشيخ خالد: لان (أنسيّ) آخره ياء النسب وما ختم بياء النسب لا يجمع على فعالا.

قال ابن مالك: ولو كان جمعا في أنسي لقيل في جمع جني جناني وفي جمع تركي تراكي.

قال ابنه: وهذا لا يقوله احد.

وفي القاموس انه جمع أنسى وان يحيى بن الحارث قرأ بتخفيف الياء له.

والقول: بانه جمع (انسان) قول سيبويه والقول بانه جمع (أنسي) قول مبرد.

﴿ولقد صرفناه﴾ اي الماء * ﴿بينهم﴾ مرة ببلدة ومرة ببلدة ومرة في وقت ومرة في وقت آخر ومرة وابلا ومرة طلا ومرة جودا ومرة رذاذا ومرة ديمة ومرة رهاما.

وقيل: المراد تصريفه جعله مرة في بلدة وأخرى في أخرى.

وقيل: المراد كونه على تلك الصفات من وابل وغيره.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما «ما عام بأمطر من عام ولكن الله سبحانه وتعالى قسم ذلك بين عباده على ماشاء» وتلا هذه الآية.

وفي رواية عنه: ولكن الله يصرفه في الارض.

وعن ابن مسعود: يرويه «ليس من سنة بأمطر من سنة ولكن الله عز وجل قسم هذه الارزاق فجعلها في هذه السماء الدنيا فهذا القطر ينزل منه في كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم وإذا عمل قوم بالمعاصي حول الله عز

وجـل ذلـك إلى غيرهم واذا عصـوا جميعا صرفه الله إلى البحر وإلى ما لا ينتفعون منه.

وروي مرفوعا «ما من ساعة من ليل ولا نهار الا والسماء تمطر فيها يصرفها الله حيث يشاء».

ويحتمل ان يكون المراد (صرفناه) بينهم في الانهار أو في المنافع.

وقيل: الضمير للريح والريح يذكر ويؤنث.

وقيل: الضمير للقرآن.

قيل: ويعضده قوله (وجاهدهم به جهادا كبيرا) فان الظاهر ان هاءه للقرآن.

وقيل: الهاء عائدة إلى القول اي (لقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وسائر الكتب).

﴿ليذكروا﴾ ليتفكروا في قدرة الله ويعرفوا كمالها ويعرفوا حق النعمة في ذلك فيشكروها أو ليعتبروا بصرف المطر عنهم والريح أو بالصرف إليهم والاصل ليتذكروا ابدلت التاء ذالا وادغمت في الذال.

وقرىء بسكون الذال وضم الكاف وهو قراءة حمزة والكسائي.

وروي ان المـلائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه لا يختلف ولكن ينزع من موضع لآخر ﴿فابى﴾ كره.

﴿اكثر الناس الا كفورا﴾ كفران النعم بان لم يستعملوها في الطاعة أو الكفور جحودها بقولهم مطرنا بنوء كذا؛صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في اثر سماء من الليل واقبل على الناس فقال: هل تدرون ما قال ربكم قالوا: الله ورسوله اعلم قال: اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فمن

قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب ومن قال: مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب».

وان قلت: فهل يكفر من يعتقد ان المطر والانواء خلق لله عز وجل وان الانواء دليل على المطر؟ قلت: لا.

وعنه ﷺ (لو حبس الله المطر عن امتي عشر سنين ثم صبه عليهم لاصبحت طائفة منهم كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا).

وعن الحسن عنه ﷺ (ثلاثة لا يدعهن الناس الفخر في الاحساب والعز في الانساب والاستسقاء بالانواء).

﴿**ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا**﴾ نبيا ينذر اهلها فيخف عليك ثقل الرسالة لكن ارسلناك للناس كافة تعظيما لك وايثارا بالاجر العظيم فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق.

﴿**فلا تطع الكافرين وجاهدهم به**﴾ اي بالقرآن عما ينهونك عنه من طاعة الله وذلك جهاد باللسان بمكة قبل الامر بالقتال كانوا لا يألون جهدا في العناد والخلاف فامره الله ان يقابلهم بالاجتهاد في ازالة باطلهم.

ويجوز عود الضمير لترك طاعتهم المدلول عليه بقوله (فلا تطع) وعوده إلى كونه نذيرا للناس كافة المدلول عليه بقوله (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) أي جاهدهم بسبب كونك نذيرا للناس كافة.

﴿**جهادا كبيرا**﴾ جامعا لكل مجاهدة فان مجاهدة السفهاء باللسان على طريق الاحتجاج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف ولا سيما مع كثرة من بعثت إليهم وشدة عتوهم ففي جهادهم مشاق عظام .

﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ ارسلهما متجاورين بحيث لا يختلطان يقال مرج الدابة إذا خلاها.

وقيل: افاض احدهما على الاخر واخلطهما * ﴿هذا عذب﴾ ضد المالح * ﴿فرات﴾ قامع للعطش من فرط عذوبته حتى يضرب لحلاوة * ﴿وهذا ملح اجاج﴾ شديد الملوحة حتى يضرب للمرارة وقرىء بفتح الميم.

قال جارالله: ولعل اصله (مالح) فخفف بحذف الالف كما يقال في بارد برد.

﴿وجعل بينهما برزخا﴾ حاجزا لا يختلط احدهما بالاخر فيكونا بحرا واحدا وذلك حجز قدرة.

﴿وحجرا محجورا﴾ منعا ممنوعا ومحجورا نعت توكيد كأنه قيل منعا منعا قويا من الاختلاط والكون بحرا واحدا والاصل حجرا محجورا لفظ يقوله من وقع عليه مكروه كبغي كاَن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا ان نكون بحرا واحدا وجعل كلا منها في صورة الباغي فهو يتعوذ منه وذلك مجاز بالاستعاذة من حسن الاستعارات واشدها على البلاغة كما قال (لا يبغيان) اي لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة.

وعن بعضهم (حجرا محجورا) حدا محدودا.

قال عياض: المراد التنبيه على قدرة الله في ان بث في الارض مياها عذبة كثيرة في وسط اللجاج تحت البحر المالح وترى مياها عذبة في جزائر البحر المالح فالبحران يراد بهما جمع الماء العذب الفرات والماء المالح الاجاج.

وقد ذكر بعضهم ان المياه العذبة المنصبة في البحر تنزل إلى اسفل البحـر وتشربه حيوان البحر وعن بعضهم سمى الماءين الكثيرين الواميعن بحرين.

وعن بعضهم: ان المـراد مثـل دجلة والبحـر المـالح تدخله فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمه.

وقيل: المراد بالبحر العذب النهر العظيم كالنيل وبالمالح البحر الكبير ويحتمل ان يكون مراد من قال سمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين.

وعن الحسن البرزخ والحجر هو ما بين البحرين من الارض.

قال القاضي: فتكون القدرة في الفعل واختلاف الصفة.

﴿**وهـو الـذي خلق من الماء**﴾ النطفة أو الماء المشروب فان النطفة تولدت من ماء وغيره ﴿**بشرا**﴾ انسانا.

وقيل الماء المشروب والبشر آدم وهو مخلوط من ماء وتراب وقيل الماء الطين لانه خلق من الماء واصله ماء * ﴿**فجعله نسبا وصهراً**﴾ وهذا يدل على ان البشر الانسـان اولاد آدم وان قلنـا (آدم) فالمـراد جعل اولاده بل جعلهم له لانهم بعضـه وحـذف مضافين في الآية اي جعله ذوي نسب وهم الذكور ينسب إليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر اي اناث يصاهر بهن اي يخالط بهن تكون القبيلة بعيدة فاذا تزوجت منها امرأة فقد خالطتهم فذلك تقسيم للبشر على قسمين ذكور واناث كقوله: (وجعل منه الزوجين الذكر والانثى) ولك تقدير مضاف واحد اي جعل امره نسبا وصهرا أو جعله ذا نسب وصهر بان يتزوج ذكرا كان أو انثى طلبا للتناسل.

وقيل: النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه.

وقيل: النسب من القرابة والصهر الخلطة التي تشبه القرابة مثل ام زوجتك وبنتها.

وقد حرم الله جل وعلا سبعا من النسب وسبعا من الصهر ذكرت في النساء

فائدة؛قبل جعل الله الماء في خلقه البشر ليجتمع ويتسهل ويقبل الاشكال .

﴿وكان ربك قديرا﴾ كامل القدرة حيث خلق من النطفة الواحدة ذكرا وانثى وقد يخلق منها توأمين ذكرا وانثى وحيث خلق من نطفة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع مباعدة أو حيث خلق آدم عليه السلام من ماء وتراب * ﴿ويعبدون من دون الله ما لاينفعهم ولا يضرهم﴾ يعبدون (الكفار) ما يستطيع نفعا لنفسه أو غيره ولا ضرا لاحد وهو الاصنام أو كل معبود كالملائكة وعيسى وعزير اذ لا مخلوق يستقل بنفع أو ضر الا ما قدر الله له واجراه على يده * ﴿وكان الكافر﴾ جنس المشركين.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: المراد ابو جهل.

قال عياض: هو سبب النزول واللفظ عام * ﴿على ربه﴾ على دين ربه متعلق بقوله * ﴿ظهيرا﴾ اي كان معينا للشيطان واتباعه على دين ربه بالمعاصي وعبادة الاصنام وغيرها والعداوة والمراد على نبي ربه.

وقيل معنى الظهير؛ هين ذليل يقال ظهرت بفلان وظهرته اي جعلته وراء ظهري لا التفت إليه فيكون كقوله (اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم) الخ.

وإذا اريد بالكافر الجنس فقد اعتبر اللفظ في قوله على ربه واما ظهيرا فيطلق على الفرد وعلى غيره وكقوله والملائكة بعد ذلك ظهير لانه فعيل بمعنى فاعل الا إذا جعل ظهير بمعنى (ذليل) فيحتمل ان يكون بمعنى فاعل كذلك كما يدل عليه التفسير بذليل وهين ويحتمل ان يكون بمعنى مفعول اي مجعولا ذليلا هينا.

وأصله مظهور به فكان الحذف والايصال والاستغناء بفعيل عن مفعول فعلي هذا الاحتمال الثاني فلم يراع الا اللفظ لان فعيلا بمعنى مفعول لا يطلق على غير الواحد الا بالتثنية والجمع وارادة الجنس .

﴿ومارسلناك الا مبشرا﴾ بالثواب على الايمان والطاعة * ﴿ونذيرا﴾ بالعقاب الكفر والمعصية في الدنيا والاخرة * ﴿قل ما اسألكم عليه من اجر﴾ لا اسألكم على القرآن أو تبليغ الوحي مطلقا أجرا ما * ﴿الا من شاء﴾ الا فعل من شاء * ﴿ان يتخذ إلى ربه سبيلا﴾ بالايمان والعبادة وانفاق المال في سبيل الله تقربا إلى رحمة الله ورضاه وليس ذلك باجر للنبي ﷺ لكنه شبهه بالاجر من حيث انه المقصود بالقرآن وتبليغ الوحي فكأنه قال ما اجري على ذلك الا ان يتخلصوا من عذاب الله إلى رحمته ففي ذلك ما لا يخفى من تمام الشفقة إذ عد تعرضهم للثواب وتخلصهم من العقاب اجرا وافيا مرضيا به لا يطلب سواه وفي ذلك قلع من شبهة الطمع في اموالهم وغيرها من اصلها كقول والد لولده وقد سعى ولده مالا ما اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظه ولا تضيعه فكأنه قال ان كان حفظك له ثوابا فاني اطلب الثواب وفي ذلك ايضا اشعار بان طاعتهم كما يعود عليهم نفعها

كذلك يعود عليه ولا ينقص من ثوابهم شيء لانه امر لهم بها ودليلهم عليها فكأنها اجر على فعل شيء.

ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا اي لكن من شاء ان يتخذ إلى ربه سبيلا فليفعل.

وقيل: المراد ما اتخذ السبيل إلى الله إنفاق المال في سبيله وعلى كل حال فالمراد مثلا إلى رحمة ربه أو إلى جنته أو إلى رضاه .

﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾ هو الله عز وجل ثق به واسند امرك كله إليه فانه يكفيك شرهم ويغنيك عنهم لانه الحقيق بالتوكل عليه لدوام حياته ومن توكل على حي يموت ضاع عند موته وقيل مؤته ان ترك الله .

وكتب رجل إلى آخر أن صديقي فلانا مات فمن كثرت بكائي عليه ذهب بصري فاجابه الذنب عليك حيث احببت الحي الذي يموت هلا احببت الحي الذي لا يموت فلا تحتاج إلى البكاء عليه.

قال بعض السلف لا يصح لذي عقل ان يثق بعد هذه الآية بمخلوق.

وعنه ﷺ «ماكربني امر الا تمثل لي جبريل فقال: يامحمد قل توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد الله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الـذل وكبره تكبيرا» أوصي الله إلى داود عليه السلام (ياداود من دعاني اجبته ومن استغاثني اغثته ومن استنصرني نصرته ومن توكل عليّ كفيته فانا كافي المتوكلين وناصر المستنصرين وغياث المستغيثين ومجيب الداعين).

﴿وسبح بحمده﴾ تسبيحا كائنا مع حمده او سبح وانت حامد فالظرف نعت لمصدر محذوف او حال من ضمير (سبح) اي قل: (سبحان الله والحمد الله) أو صلِّ له شاكرا لانعمه أو نزهه عن صفات النقص مثنيا عليه بأوصاف الكمال طلبا لمزيد النعم بالشكر عليها أو سبحه بقولك: الحمدلله أو بنحوه فانه يتضمن تنزيها وتعظيما.

وعنه ﷺ (من قال كل يوم سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت ذنوبه ولو كان مثل زبد البحر) اي ان لم يصر وخرج ﷺ عن جويرية رضي الله عنها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد ان اضحى وهي جالسة فقال: مازلت على الحال التي فارقتك عليها قالت: نعم فقال النبي ﷺ: «لقد قلت بعدك اربع كلمات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنته سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته والحمدلله كذلك).

وفي رواية «سبحان الله وبحمده ولا اله الا الله والله اكبر عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته» ﴿وكفى به﴾ الباء صلة لتأكيد الكفاية والهاء في محل جر بها وفي محل رفع على الفاعلية لكفى ﴿بذنوب عباده﴾ متعلق بقوله * ﴿خبيرا﴾ حال أو تمييز والحالية أولى باشتقاقه أي هو عالم بما ظهر من ذنوبها وما بطن فيجازيهم فليس لك من امرهم شيء آمنوا أو كفروا لست احتاج إلى غيري في علم أو قدرة وذلك وعيد شديد.

﴿الذي﴾ خبر لمحذوف اي هو الذي او نعت ثان للحي أو بدل منه أو مبتدأ خبره الرحمن.

﴿خلق السموات والارض وما بينهما﴾ اي ما بين النوعين اللذين احدهما السموات والآخر الارض والمراد ما بين كل سماء فالاخرى وما بينهن وبين الارض.

﴿في ستة ايام﴾ بيان للقدرة ولكنه حقيقا ان يتوكل عليه لانه خالق الكل والمتصرف فيه وتحرض على عدم العجلة فانه قادر ان يخلقهن وما بينهن في اقل من لحظة والمراد ستة ايام من ايام الدنيا اي مقدار الستة لانه لا ليل ولا نهار.

وقال مجاهد: أولها يوم الاحد واخرها يوم الجمعة فكان عيدا للمسلمين.

ووجهه ان يسمي الله تعالى تلك الايام للملائكة مقدرة بهذه الاسماء فلما خلق الشمس وادارها جرت التسمية على ذلك.

وقيل: ستة ايام من ايام الآخرة واليوم الف سنة وكانت ستة ولا اقل ولا اكثر لحكمة استأثر الله بها.

وكذا كون الزبانية تسعة عشر ولكن قد فسر بعضهم حكمته كما يأتي وكون الشهور اثنى عشر والسموات سبعا والارضين سبعا والصلوات خمسا وغير ذلك.

﴿ثم استوى على العرش﴾ استولى عليه والترتيب انما هو في الاخبار ولا مهلة أو (ثم) للترتيب والمهلة لكن في علو الشأن فان شأن العرش اعظم من شأن السموات والارض وفي غير هذه الآية بعض بسط.

﴿الرحمن﴾ إذا لم يجعل خبرا للذي فهو بدل أو بيان من الحي أو الذي الاول.

والثاني إذا ربما تقدم البدل على البيان وان لم نجعل الذي الثاني بدلا فلا تقديم هنا للبدل على البيان ويجوز كون الرحمن بدلا من ضمير استوي أو نعتا ثالثا أو ثانيا للحي.

وربما تقدم البدل على النعت وان لم نجعل الذي الثاني بدلا فلا تقدم هنا للبدل على النعت.

ويجوز كونه خبرا لمحذوف وكونه فاعل (استوى) اقامة للظاهر مقام المضمر فلا ضمير لاستوى.

وقرىء بجره فيكون نعتا للحي أو بدلا منه أو بيانا وفي تعدد البدل قولان.

﴿فاسأل به﴾ اسأل يامحمد او بالانسان بالرحمن والباء بمعنى عن * ﴿خبيرا﴾ مفعول سأل أي اسأل من يخبرك عنه من أهل الكتاب أو الهاء لما ذكر من الخلق والاستواء.

وان قلت إذا كان الخطاب لسيدنا محمد ﷺ فما فائدة سؤاله هو عالم؟ قلت: فائدته التصديق له فيستريح لذلك ويصدقه الناس ايضا لتصديق الخبير له.

وان كان الخطاب للانسان فالامر واضح.

وقيل: الخطاب له ﷺ والخبير الله سبحانه أو جبرائيل عليه السلام اسأله يخبرك عن صفاته ورحمته وكذا ان سأل عالما بالكتب المتقدمة أو سأل الانسان عالما بها يخبره عن ذلك.

وقيل: المامور بالسؤال الانسان والخبير النبي ﷺ ويجوز عندي ان يكون من التجريد البديعي اي اسأل بسؤاله خبيرا كقولك: (رأيت به اسدا)

اي رأيت برؤيته والمعنى (ان سألته وجدته خبيرا) وانما قدرت المضاف هنا لصلاحيته والا فلا يقدر رفع من تجريدية في قولك: (لي من زيد صديق حميم) لفوات المبالغة في تقدير حصل لي من حصوله (صديق حميم).

ويجوز ان يقدر مضاف في التجريد الذي في الآية فيكون على طريقة (اسأل بفلان البحر) تبالغ في اتصافه بالسماحة حتى نزعت منه بحرا في السماحة وكون الباء بمعنى (عن) مذهب ابن هشام وغيره على ما مر.

قال وزعم البصريون انها سببية وانها لا تكون بمعنى (عن) اصلا وفيه بعد لانه لا يقتضي قولك: (سئلت بسببه) ان المجرور هو المسئول عنه.

وقال ابو حيان: ان الباء متعلق باسأل باقية على بابها يعني على معنى قولك وقع السؤال بكذا.

وقيل: هي على بها متعلقة بخبير.

أو قيل: هي متعلقة بإسأل بمعنى (عن) و(خبيرا) حال من الهاء والمسئول لم يذكر.

وقيل: الرحمن مبتدأ مراد به اللفظ خبره فاسأل به على زيادة الفاء في الخبر وكانوا ينكرون هذا الاسم فقال اسأل من علم الكتب المتقدمة بل بعضها يخبرك انه اسم لله عز وجل فانه مذكور في التوراة والانجيل او ذكر ما يرادفه فيهم.

وقيل: الباء على اصلها تضمين للسؤال معنى الاعتناء.

وقيل: زائدة في مفعول اسأل و(خبيرا) حال وعلى بعضهم لا يرجع في طلب العلم بهذا إلى غيره .

﴿وإذا قيل لهم﴾ لكفار مكة * ﴿اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾ يعطفون كلامهم على كلام امرهم بالسجود او يقرنونه بواو الاستئناف فجاء بالواو وما بعدها مقولا للقول وما خبر والرحمن مبتدأ كانوا لا يعرفون ان الرحمن من اسماء الله ويقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة يعنون مسيلمة الكذاب لعنه الله وكان يقال له (رحمن) اليمامة وقولهم (وما الرحمن) اما سؤال عن المسمى به والسؤال عن المجهول الجنس بما واما سؤال عن معناه لانهم لم يستعملوه في كلامهم وانما يقول: (زيد راحم ورحيم ورحوم) واما سؤال انكار انكروا ان يكون اسما لله * ﴿انسجد لما تأمرنا﴾ يامحمد لانسجد له ونحن لا نعرفه فالاستفهام للانكار وما مصدرية اي نسجد لامرك إنما من غير عرفان أو اسم اي لما تأمرناه اي تامرنا بالسجود له فحذف المضاف والحرف وانتصب الضمير ووصل وحذف فيكون مما ورد فيه النصب على نزع الخافض كقوله: (امرتك الخير).

وقد قاسه بعضهم في السعة.

وقرأ حمزة والكسائي (يامرنا) بالتحتية على انه من كلام بعضهم لبعض انسجد لما يأمرنا محمد .

﴿وزادهم﴾ القائل اسجدوا للرحمن أو قوله أو الامر لهم بالسجود أوامره * ﴿نفورا﴾ عن الايمان والسجود.

وعن بعضهم ضمير زائد عائد للمقول وهو جملة اسجدوا للرحمن وان ضمير (يامر) بالتحتية يحتمل العود للمسمى بالرحمن لانه ولو كان القائل لهم: (اسجدوا للرحمن) هو النبي ﷺ لكن قد علموا انه يقول الذي امرني ان اقول لهم ذلك هو الله وهو الرحمن.

﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجا﴾ قال الشيخ هود: البروج النجوم يعني الكبار لظهورها لان التبرج الظهور.

وقيل: البروج الاثنا عشر التي تذكر في فن الفلك سميت بالبروج وهي القصور العالية لانها هذه الكواكب كالمنازل لسكانها واعني بهذه الكواكب الدراري السبعة وذلك قول ابن عباس وهي اعني البروج.

الاول الحمل بفتح الحاء والميم ويقال له الكبش.

والثاني الثور بمثلثة مفتوحة وواو ساكنة.

والثالث الجوزاء بفتح الجيم واسكان الواو والمد ويقال له التوأمان تثنية توأم وهو احد الولدين من بطن واحد في حمل واحد.

والرابع السرطان بفتح السين والراء.

والخامس الاسد.

والسادس السنبلة بضم السين والباء واسكان النون ويقال لها العذراء.

والسابع الميزان بكسر الميم واسكان الياء.

والثامن العقرب.

والتاسع القوس بفتح القاف واسكان الواو.

والعاشر الجدي بفتح الجيم واسكان الدال مهملة.

الحادي عشر الدلو.

والثاني عشر الحوت بضم الحاء واسكان الواو ويقال له الرشا وهو الحبل الذي يسقى به الماء.

والدراري.

اولها المريخ وله الحمل والعقرب.

والثاني الزهرة ولها الثور والميزان.

والثالث عطارد وله الجوزاء والسنبلة.

والرابع القمر وله السرطان.

والخامس الشمس ولها الاسد.

والسادس المشتري وله القوس والحوت.

والسابع زحل وله الجدي والدلو.

والستة الاولى من البروج تسمى شمالية لانها شمال خط الاستواء.

والستة الثانية جنوبية لانها جنوب ذلك الخط

والثلاثة الثانية صيفية والثلاثة الثالثة خريفية والثلاثة الرابعة شتائية.

وفي الفلك التاسع محل يقال له نقطة المشرق وهو محل شروق الشمس يوم الاعتدال الربيعي الذي هو أول الحمل.

والاعتدال الخريفي الذي هو أول الميزان.

ومحل آخر يقال له نقطة المغرب وهو محل غروب الشمس في اليومين المذكورين وبين النقطتين خط مقدر لا محقق ممتد من نقطة المشرق إلى نقطة المغرب يسمى خط الاستواء لاستواء الليل والنهار عند طلوع الشمس من النقطة الاولى وغروبها في الثانية واقعة عليه.

فالبروج التي على شمال ذلك الخط شمالية والتي على جنوبه جنوبية.

والمفرد برج ـ بضم الباء واسكان الراء ـ وهو منزلتان وثلث تقريبا.

﴿وجعلنا فيها سراجا﴾ هو الشمس لقوله: (وجعل الشمس سراجا).

وقرىء (سرجا) بضم السين والراء وهو جمع سراج والمراد القمر والكواكب الكبار.

﴿وقمرا منيرا﴾ مضيئا بالليل.

وقرأ الحسن والاعمش بضم القاف واسكان الميم جمع قمراء يقال ليلة قمراء فيقدر مضاف اي ولا قمر منيرا اي ولا ليال قمر منيرا ولما حذف المضاف بقي نعته على حاله مفردا وانما اضاف ذا الواقعة على السماء لليالي القمر لان القمر في السماء ولا يبعد ان يكون القمر بضم فاسكان.

والقمر ـ بفتحتين ـ واحدا كالرشد والرشد والعرب والعرب.

وان قلت كيف تكون الشمس والقمر والبروج في هذه السماء وما فيها الا القمر؟ قلت: المراد بالسماء الجنس فيشمل سماء الشمس وهي الرابعة وسماء القمر وهي هذه وسموات المنازل التي اثنتان منها وثلث هن برج.

أو المراد سماء الدنيا ومعنى كون ذلك كله فيها انه يتراءى منها ويترسم عليها فالقمر فيها حقيقة وغيره في غيرها بل القمر وغيره سواء فان القمر ايضا ليس لاصقا بها بل هو في جو فوقها تحت الثانية اقرب إليها من الثانية.

وقيل: القمر والشمس من تحتها مما يلي الارض.

وقيل: هو والشمس والنجوم فيها.

وان قلت: إذا كان القمر تحتها وكذا الشمس فليسا في السماء؟ قلت: السماء ما علاك فالفضاء الذي هما فيه سماء وايضا هما إلى جهة السماء والمشهور ان القمر في السماء الاولى التي تلينا وعطارد في الثانية والزهرة في

الثالثة والشمس في الرابعة والمريخ في الخامسة والمشتري في السادسة وزحل في السابعة وباقي الكواكب في الفلك الثامن ولا شيء منها في التاسع .

﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة﴾ اما اسم بمعنى العوض

قال ابن عباس: خلفة خلفا وعوضا يقوم احدهما مقام صاحبه فما فاتك عمله من خير وصلاح في احدهما عملته في الآخر.

وجاء رجل إلى عمر رضي الله عنه فقال فاتتني الصلاة الليلة فقال ادرك ما فاتك من ليلتك في نهارك فان الله جعل الليل والنهار خلفة وذلك قول الحسن.

واما مصدر للهيئة كالركبة والجلسة على معنى انه يخلف ما فاته في احدهما في الآخر كما مر فيقدر مضاف اي (ذو خلفة) أو على معنى ان كلا منهما يعقب الآخر يأتي خلفه فيقدر مضاف ايضا ويحتمله كلام عمر فكأنه قال: ادرك ما فاتك من ليلك في نهارك فان الله قد جعل لك نهارا يتبع ليلا .

وقيل: المراد تخالفهما بياضا وسوادا وهو قول مجاهد .

﴿لمن اراد ان يذكر﴾ يتذكر الله ويتفكر في صنعه ليستدل بذلك على وجود صانع حكيم واجب الوجود لذاته رحيم بالعباد قاله مجاهد.

وعن عمر والحسن وابن عباس: لمن اراد ان يتذكر ما فاته من خير وصلاح ونحوه في احدهما فيستدركه في الذي يليه.

وقرأ حمزة وحده يذكر بسكون الذال وضم الكاف من ذكر بمعنى تذكر.

وقرأ ابي بن كعب (يتذكر) .

﴿أو اراد شكورا﴾ لنعم ربه التي منها سكونه ليلا وابتغاؤه من فضله نهارا .

والمراد اراد العبادة شكرا للنعمة حيث جعلهما يتعاقبان توضيحا لعبادة عباده له عز وجل فمن فاته عمل في الليل استداركه في النهار ومن فاته عمل في النهار استدركه في الليل .

﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا﴾ اي مشي هون بمعنى سكون وتواضع لا يلتفتون ولا يجدون النظر ولا يمرحون (فهونا) مصدر النائب عن المصدر الذي هو مفعول مطلق والاصل مشي هون كما مر أو هو مصدر بمعنى الوصف مفعول مطلق اي مشيا هينا أو حال اي (هينين) .

واضاف العباد للتخصيص فان من لم تكن صفته ما ذكره الله فهم عباد لابليس اي تابعوه والكل خلق لله وملك له وايضا اضافهم للتفضيل وبعض يطلق التخصيص والتفضيل لمعنى او أضافهم إليه لانهم الراسخون في عبادته دون غيرهم وحملا لعباد بالكسر والتخفيف جمع عبد على عباد بالضم والتشديد جمع عابد وعباد مبتدأ خبره جملة (اولئك يجزون الغرفة) وما بينهما بعضه اعتراض وبعضه اوصاف أو خبره (الذين) من قوله (الذين يمشون على الارض) .

وفي الحديث «المؤمنون هينون لينون» .

قال بعضهم : المؤمن لا يضرب بقدمه الارض ولا يخفق بنعله اشرا ولا يركب في السوق.

وقيل: معنى (هونا) ان امرهم كله يقومون به على حسن ولين.

وقال مجاهد: معناه حلم ووقار.

وقال ابن عباس: الطاعة والعفاف والتواضع.

وقال الحسن: حلما ان جهل عليهم لم يجهلوا.

وقيل عنه: يمشون حلماء علماء مثل الانبياء لا يؤذون الذر لسكون وتواضع وخشوع.

وفي الحديث «الا اخبركم بمن يحرم على النار» أو قال «بمن تحرم عليه النار؟ كل مؤمن هين سهل»

فائدة لا يقتل النمل الصغار ولا الكبار.

وقيل: يقتل لانه يؤذي.

وقيل: يقتل الصغار لا الكبار.

وفي الاثر من قتل نملة اي ولو خطأ فعليه درهم اي للفقير.

وفي لفظ ابي عزيز ان بعضهم رخص ان لا يلزم قاتلها درهم *

﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾ بما يكرهون * ﴿قالوا سلاما﴾ مفعول لقالوا اي قالوا هذا اللفظ وهذا اللفظ في كلامهم إذا قالوه منصوب على انه مفعول مطلق لمحذوف اي (سلمتم منا سلاما) اي سلامة لا نجازيكم على قولكم أو نسلم منكم تسلما فأناب (سلاما) عن (تسلما) فهو على هذا اسم مصدر والمعنى عليه انا نفعل معكم ما نخرج به عن السلامة منكم.

وقيل: المراد قالوا قولا شديدا يسلمون فيه من الاثم ويدفعون برفق والمراد بالجهل السفه.

وقلت: الادب قيل: ذلك منسوخ بآية القتال.

قلت: لا نسخ هنا لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة في الكلام مطلوب في كل زمان مع كل احد مشركا كان أو موحدا وكان الحسن البصري إذا قرأ هذه الآية قال: هذا وصف نهارهم ثم إذا قرأ ﴿**والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما**﴾ قال هذا وصف ليلهم وفيه تحريض على قيام الليل والمراد السجود والقيام في الصلاة (وسُجَّد) جمع (ساجد) والقيام جمع (قائم).

قيل: أو مصدر اجري مجراهم وخص سجود الليل وقيامه لانه العبادة بالليل امتن واقوى وابعد من الرياء وذلك للخلوة وجمع العقل واراحة النفس عما تشتهي من نوم.

قال ابن عباس: من صلى بعد العشاء الاخيرة ركعتين أو اكثر فقد بات لله ساجدا وقائما.

قال ﷺ: من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة

وقيل: المراد الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء وأخر (قياما) للمفاضلة ولو كان القيام سابقا على السجود والواو لا ترتب.

﴿**والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما**﴾ خسرانا لازما ومنه الغريم لا لحاجة ولزومه.

قال محمد بن كعب في قوله تعالى: ﴿**إن عذابها كان غراما**﴾ يعني ما ما نعموا في الدنيا، ان الله سأل الكفار عن النعمة فلم يردوها فأغرمهم فادخلهم النار، وكل غريم يفارق غريمه الا جهنم.

وفي الآية اشعار بان هؤلاء العباد المؤمنين مع اغضائهم عمن ضرهم واجتهادهم في العبادة خائفون من العذاب مبتهلون في صرفه عنهم لعلمهم

ولعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على استمرار أحوالهم لانهم لا يدرون بما يختم لهم.

﴿انها ساءت مستقرا ومقاما﴾ ساءت بمعنى بئست ومستقرا ومقاما اسما مكان اي مكان الاستقرار ومكان الاقامة وهما تمييزان عطف الثاني على الاول وفي (ساءت) ضمير اسم (ان) وذانك التمييزان محولان عن الفاعل ولا نحتاج إلى تقدير المخصوص بالذم أو يقال في (ساءت) ضمير مبهم في الذهن يسفره التمييز وانت لان المستقر والمقام هما جهنم والمخصوص محذوف وهو الرابط اي (ساءت مستقرا ومقاما) هي وايضا الربط يقع بالضمير والتمييز لانهما في الحقيقة مقولان على جهنم.

ويجوز كون (ساءت) بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم (ان) ومستقرا (حال) أو فاعل وقوله: (ان عذابها كان غراما) تعليلي جملي مستأنف عائد لقوله: (اصرف) على إنه من مقولهم وان كان من مقول الله جل وعلا فعائد إلى (يقولون).

وقوله: (انها ساءت) الخ تعليل لذلك التعليل اولا صرف أو ليقولون لكن ان كان تعليل ليقولون تعين ان يكون من مقول الله والا احتمل.

وعنه ﷺ: (من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة اللهم ادخله الجنة ومن استجار من النار ثلاثا قالت النار اللهم اجره من النار).

﴿والذين إذا انفقوا﴾ على عيالهم وانفسهم * ﴿لم يسرفوا﴾ لم يجاوزا حد الكرم ﴿ولم يقتروا﴾ لم يضيقوا تضييق الشحيح.

وقرىء بتشديد التاء ويقتروا بفتح الياء التحتية وضم التاء وبفتح التحتية وكسر التاء.

وقراءتنا بضم التاء وكسر التاء وهي قراءة نافع وابن عامر.

وقال القاضي والكوفيون قال أبو عمرو الداني : قرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء التحتية وضم التاء .

وقال شيخ الاسلام : قرأ المدنيان وابن عامر بضم الياء وكسر التاء وابن كثير والبصريان بفتح الياء وكسر التاء والباقون بفتح الياء وضم التاء .

وقيل : الاسراف الانفاق في المحرمات والاقتار منع الواجب وعلى كل حال فالمراد إذا انفقوا لم تجدهم مسرفين ولا مقترين على حد قوله :

إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة

وإذا ارادوا الانفاق أو شارفوه لم يسرفوا ولم يقتروا وكذا ظهر.

والصحيح ان المراد (الانفاق على العيال والانفس) لانه الظاهر واكثر المفسرين ان الذي لا يسرف هو المنفق في الطاعة وان افرط والمسرف المنفق في المعصية وان قل ما انفق .

وعن ابن عباس (المقتر) هو الذي يمنع حقا عليه وهذا قول لغيره ايضا .

قال بعضهم : والوجه ان يقال ان النفقة في المعصية امر قد حظرته الشريعة قليله وكثيره وهؤلاء الموصوفون منزهون عن ذلك وانما التأديب بهذه الآية في نفقة الطاعة والمباح وذلك في الصحابة .

قيل : كانوا لا يأكلون طعاما للتلذذ والتنعم ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة بل يأكلون ما يسدون به جوعتهم ويعينهم على العبادة ويلبسون ما يسترون به العورة ويكنهم من الحر والقر.

قال عمر رضي الله عنه (كفى سرفا ان لا يشتهي رجل شيئا الا اشتراه فاكله) وسمع رجل رجلا يقول: لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير

وشكر عمر بن عبد العزيز عبد الملك بن مروان حين زوجه بنته فاطمة واحسن اليه فقال: وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن.

وكان ابن لعبد الملك حاضراً فقال لعبد الملك: أنما هو كلام أعده لهذا المقام فسكت عبد الملك ولما كان بعد ايام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته واحواله فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك انه اراد ما في هذه الآية فقال لابنه: يابني هذا ايضا مما اعده وعليّ ما فهم عبد الملك من كلام عمر بن عبد العزيز يكون عمر بن عبد العزيز ممن يفسر الانفاق بالانفاق على العيال والانفس.

﴿وكان بين ذلك قواما﴾ واسم كان ضمير الانفاق وخبرها (قواما) وبين متعلق بمكان أو متعلق بمحذوف خبر كان (وقواما) خبر ثان او (حال) من ضمير الاستقرار في بين وهو حال مؤكدة لان القوام الوسط والعدل سميا بذلك لاستقامة الطرفين كما سميا بسواء لاستوائهما وما بين الاسراف والاقتار هو الوسط والعدل ايضا.

فقد علمت ان معنى (بين ذلك وقواما) واحد فلا يصح قول بعضهم ان بين اسم كان مبني لاضافة لمبني (وقواما) خبرها للزوم الاخبار بالشيء عن نفسه فلا يكون الخبر مفيدا ما لم يفده الاسم.

وقرىء بكسر القاف وهو ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والقـوام في كل احد بحسب حاله بالعيال والصبر وغير ذلك وخير الامور

اوسطها وكان ﷺ لا ينهى ابابكر الصديق رضي الله عنه عن التصدق بجميع ماله لان ذلك وسط بنسبة جلده وصبره في الدين ومنع غيره عن ذلك .

﴿والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر﴾ هذا ونحوه مما مر أو يأتي من عطف الصفات لموصوف واحد.

ويجوز ان يريد بكل واحد موصوفا آخر فيكون الله مدح كل جماعة بما بالغت فيه مع اشتراك الكل في اصل الخير وفروعه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ان ناسا من أهل الشرك قتلوا واكثروا وزنوا وبالغوا فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: ان الذي تقول وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا ان لما علمنا كفارة فنزلت (والذين لا يدعون مع الله الها آخر).

﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون﴾ إلى قوله: (الا من تاب) الخ وانه اتى وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ قال: يارسول الله اتيك مستجيرا فاجرني حتى اسمع كلام الله فقال ﷺ: كنت احب ان اراك على غير جواري فانت اليوم فيه حتى تسمع كلام الله قال: فاني اشركت بالله وقتلت النفس التي حرم الله قتلها وزنيت فهل يقبل الله مني توبة؟ فصمت رسول الله ﷺ حتى نزل (والذين لا يدعون) الخ فتلاها عليه فقال: ان فيها شرطا لعلي لا اعمل صالحا انا في جوارك حتى اسمع كلام الله فانزل الله سبحانه (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فتلاها عليه قال: لعلي: (ممن لا يشاء) انا في جوارك حتى اسمع كلام الله فانزل (ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم) الآية وقال: الآن لا ارى شرطا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله.

قال ابن مسعـود رضي الله عنه: قلت يوما يارسول الله اي الذنب اعظم؟ قال ان تجعل لله نداً وهو خلقك.

قلت: ثم.

قال: ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك.

قلت: ثم.

قال: ان تزني بحليلة جارك.

وروي (تزني حليلة جارك) ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية.

وفي رواية ان ابن مسعود قال: سأل رجل رسول الله ﷺ وكان الرجل يقول ثم اي؟ فانزل الله الآية تصديقا لرسوله ﷺ.

ومعنى (لا يدعـون) لا يطلبـون او لا يعبـدون او لا ينـادون في حوائجهم غير الله إذ لو كان المراد نفي (اله) غير الله إذ لو كان اله غيره لدعوه فينفي غيره بنفي دعائه ورابط (التي) محذوف اي حرمها على تقدير مضاف اي حرم قتلها.

وروي انه لما نزلت في الزاني وقاتل المؤمن ما نزل قالت الصحابة: أينالم يقتل اينا لم يزني اينا لم يفعل؟ تخوفوا بما فعلوا في الجاهلية فنزلت (قل ياعبادي الذين اسرفوا) فنزل (والذين لا يدعون مع الله الها آخر) اي بعد اسلامهم (ولا يقتلون النفس التي حرم الله) اي بعد اسلامهم (الا بالحق ولا يزنون) بعد اسلامهم.

وبالحق متعلق بيقتلون أو بالقتل المقدر بعد (حرم) والظاهر ان المراد بالنفس التي حرم الله المـوحد وغيره ممن لا يحل قتله ككتابي يعطي الجزية

وكغير بالغ وكالمرأة فمعنى الاستثناء الا النفس التي كانت كذلك لكن فعلت ما يوجب القتل كقاتل غيره والزاني المحصن فان مثل هذا يقتل بالحق.

وفي الآية سلب امهات المعاصي عن المؤمنين الموصوفين بعد اثبات اصول الطاعات لهم اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود لمن كان كذلك وفيها تلويح بان الكفرة ثبتت لهم أصول المعاصي كفروعها وسلبت عنهم اصول الطاعات كذلك والله اعلم.

مبحث اعلم ان الزنى يسهل الوقوع فيه ويدق مدخله من حيث لا ينتبه له ويقصد المرء النكاح ويقع في السفاح فيجب على من يدعي الاسلام وكرمت عليه آخرته ان يتوثق في امر النكاح ولا يعتمد على العاقدين إذا رأوا منهم تساهلا في امر النكاح وتقليد من تقدم بلا علم ومن ذلك التساهل ما يفعله بعض العاقدين وهوأنهم يشترطون من تلقاء انفسهم على الزوج انه ان غاب حولين أو تزوج او تسرى فلامرأته ان تطلق نفسها ولم تأمرهم المرأة ولا وليها ولا مزوجها مطلقا بذلك الشرط ويشترطون بالعربية والزوج بربري ولا يفهم ولا يفسرون له ما قالوا فاذا غاب الحولين او تزوج او تسرى طلقت نفسها وتزوجت.

وهذا التزوج الثاني قريب من الزنى وهب ان المرأة ووليها المزوج لها أو المـزوج لها مطلقا شرط ذلك وامر بشرطه لكن الزوج لم يفهم هذا الشرط فليس بداخل على هذا الشرط فكيف تعقد عليه هذه العقدة العظيمة المبيحة للفروج بغير امره بها وبغير علمه وكيف يحكم عليه بها مع ذلك والذي اطلعنا عليه في كتب المذهب المعول عليها وغيرها ان الذي يشترط ذلك هو الوالي أو المرأة أو نائبها مطلقا الذي يزوجها او من امرأته.

ففي الـديوان ونكاح الشيخ يحيى والنيل وغيرها من كتب المذهب الاشارة إلى هذا والتصريح والشيخ العلامة عبد العزيز لما رأى أهل عصره تشترط عقادهم بغير امر المرأة والولي ونحوه ممن يزوجها كالوكيل.

قال في التاج: نحن نشترط لها في عرف بلدنا فلو رأى في ذلك اثرا لا ستظهر به فكيف يكون عنده اثر في ذلك ويعرض عنه ويتمسك بالعرف فلودعه رحمه الله نسب ذلك للعرف إذ لو لم ينسبه لتوهم الناس انه اثر اطلع عليه فيستوثقون به فنسبة للعرف ليتوقف من كرمت عليه اخرته وهانت نفسه وكان بمراحل عن الكبر من العقاد وغيرهم حتى يرى في كتاب من كتب المذهب نصا في الحوار.

وفي نسبته ذلك للعرف تعريض وازدراء بهؤلاء العقاد وادخال نفسه معهم تأدب حيث لا يلزم ولا يقال فاذا قد اتقى نفسه في التهمة لانه معروف مشاهد انه لا يفعل ذلك ولان كلامه في النيل وغيره كالنص في انه لا يفعل وكأن عقاد زمانه يفعلون كما يأتي عن التاج او اراد انه نشترط معاشر الاولياء أو معاشر الازواج وهو متجه لقوله قبيل ذلك ومن شرط لها قيل عند العقد انه ان غاب عنها اكثر من شهرين الخ (ومن) واقعة على الزوج وها عائدة إلى المرأة كما يدل له قول الماتن من شرط لامرأته فليتهم إذا ارادوا الاشتراط قالوا للمرأة أو لزوجها تشترط كذا وكذا فان قال: نعم اشترطوا وفهموا الزوج حتى تقول قد فهمت هذا الشرط وقبلته ودخلت عليه كما في الباب الحادي والثلاثين من كتاب الشهادات من التاج إذ قال فيه: وإذا زوج رجل رجلا فاستفهمه ليشهد الناس عليه فاذا اقر عند استفهامه له انه قد رضي بالتزويج

وان عليه هذا الحق لزوجته خرج هذا على معنى الاقرار والمزوج أو غيره في هذا سواء (انتهى).

فتراه قد اشترط الاستفهام وهو ان يقول هل فهمت ما شرطت عليك؟ والعقاد الذين رأينا لا يستفهمون الزوج وتراه اشترط ان يقر الزوج اني رضيت بالتزويج وان عليّ كذا وكذا حقا لزوجتي وهؤلاء لا يقر الزوج عندهم بان عليّ الحق الفلاني ولعل العقاد الذين في زمان الشيخ عبد العزيز يستفهمون الزوج ويأمرونه ان يرضى بالتزويج والحق الفلاني عليه أو ينكروا ما قول التاج والمزوج وغيره في هذا سواء فلعل المراد بغيره غيره ممن امره المزوج أو المرأة حملا لكلام العاقد على غير اللغوي فاذا اطلقناه على عمومه فليجز اشتراط كل من شرط ولو غير عاقد وغير مأمور بالشرط وان خصصوه بالعاقدين فتحكم الاول لا يقول به عاقل والثاني يحتاج إلى دليل التخصيص ولله در عقاد أهل غادرته واهل مليكه واهل العطف لما رأوا نصوص المذهب وانه لا يعقد احد عقده على احد بغير امره كانوا يقولون أنشرط لك بامرأة كذا وكذا أو انشرط يافلان لوليتك كذا فيقول أو تقول نعم فيشترطون فيقولون للزوج اقبلت هذا الشرط يقولون ذلك بكلام يفهمه فيقبل. ﴿من يفعل ذلك﴾ اي بعض ذلك .

﴿يلق أثاما﴾ مفرد بمعنى وبال ونكال وعذاب.

وقيل: مفرد بمعنى الاثم فيقدر مضاف اي جزاء اثم.

وفي الحديث رواه بعض قومنا الأثام والغي نيران في جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار.

والأول قول ابن زيد وقتادة.

قال: (الاثام): العقاب.

وقرأ (يلق فيه أثاما) اي في ذلك اي بذلك.

وقـرىء (يلقى) باثبات الالف وهي الف اشباع واما الف الكلمة فمحذوفة للجازم.

وقـرأ ابن مسعـود (يلق ايامـا) اي شديد يقـال يوم ذو ايام اي ذو شدائد * ﴿يضاعف﴾ يكرر وهو بدل من (يلقى) والظاهر عندي انه بدل اشتمال فان مضاعفة العذاب له سببية للقائه (اثاما) لا اجنبيه منه.

وقـال الصبان بدل اشتمال لان (لقى الأثام) ان يحصل له العذاب مضاعفا وهو يشتمل على المضاعفة.

وقيل: بدل الكل ونسبه عياض لسيبويه قال سيبويه مضاعفة العذاب هو (لقى الأثـام) وهـو ضعيف اذ لا يخفى ان (لقاء الأثام) غير مضاعفة العذاب له.

والذي رواه عن سيبويه رواه الشاطبي عن الخليل.

﴿له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه﴾ وقرأ ابن كثير وحفص فيه باشباع الهاء هنا خاصة وغيرهما يختلس.

﴿مهانا﴾ (حال) وقرأ ابن كثير قيل: وابن عامر يضعف بالتشديد.

وقرأ ابو عامر وابو بكر برفع (يضاعف) على الاستئناف أو الحالية على مايأتي ورفع (يخلد) عطف عليه أو هو حال بناء على جواز قرن المضارع بواو الحال أو يقدر المبتدأ.

وقرىء (نضعف) بالنون والتشديد ونصب العذاب.

وقرأ (يخلد) بالبناء للمفعول باسكان الخاء وفتح اللام وبفتح الخاء وفتح اللام مشددة.

وقرىء (تخلد) بالفوقية والبناء للفاعل وذلك على طريق الالتفات إلى الخطاب.

وفي الآية دليل لاصحابنا على خلود العصاة في النار كالمشركين فان قاتل غير نبي والزاني غير مشركين ولعل المخالف يقول (الخلود) هنا مستعمل في حقيقته وهو الدوام جانب المشركين وفي مجازه وهو مطلق الكون في النار جانب العصاة.

وان قيل: حقيقة في المعنيين فقد استعمل في معنييه ومن منع منهم كالحنفية الجمع بين الحقيقة والمجاز أو استعمال الكلمة في معنييها فلا جواب له عن الآية اللهم ان يقول المراد بالخلود مطلق الكون في النار فيكون ذلك من عموم المجاز فتكون الآية متكلمة على مطلق دخولهم النار ولم تميز الخالد من غيره كذا ظهر.

﴿الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا﴾ اي تاب من الشرك واخلص الايمان لله وعمل الطاعات وعن ابن عباس قرأناها على عهد رسول الله ﷺ سنين (والذين لا يدعون مع الله الها آخر؛)الآية ثم نزل (الا من تاب) فما رأيت النبي ﷺ قط فرح بشيء مثلما فرح بها وفرح بـ (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) الآية.

وعنه قتل علي وحمزة رضي الله عنه يوم بدر المطعم بن عدي وطعيمه بن عدي بعد مانزل بمكة (والذين لا يدعون مع الله الها) مهانا ولما تجهز المسلمون إلى احد قال جبير بن مطعم من قتل عليا أو حمزة أو محمدا فله مائة

من الابل ان كان حرا وان كان عبدا فمن مالي وقتل وحشي حمزة ونقر بطنه ونزع كبده وجدع انفه واذنيه وقطع مذاكره فانطلق بكبده إلى مكة فقال لجبير هذه كبـدة حمزة فاعتقني فابى فكتب إلى رسول الله ﷺ يسأله هل لي من توبة؟ فان الله انزل ما يؤنس من كل خير (والذين لا يدعون مع الله) وقد دعوت (ولا تقتلوا) إلى آخره وقد قتلت حمزة (ولا يزنون) وقد فعلت؟ فهل لي توبة؟ فانزل (الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا).

﴿فاولئك﴾ مراعاة لمعنى من * ﴿يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما﴾ فهذه الآية مدنية.

قيل: بدل الله لهم بالشرك ايمانا وبالفجور العفاف فقال وحشي: هذا شرط شديد لعلي لأفي به ولعلي لا ابقى بعد التوبة حتى اعمل صالحا فكتب فهل لي من توبة اوسع من ذلك فانزل الله سبحانه (ان الله لا يغفر ان يشرك به) الخ فبعث رسول الله ﷺ بها إليه فقال: اني اخافُ ان لا اكون من اهل مشيئته فانزل الله (قل ياعبادي الذين اسرفوا) فبعث بها إليه فاسلم ولما ارتد الناس في خلافة ابي بكر رضي الله عنه بعث خالدا إلى أهل الردة من اليمامة فخرج وحشي معه فقتل مسيلمة وقال قتلت خير الناس غير رسول الله ﷺ وقتلت شر الناس مسيلمة لعل الله يجعل هذا بهذا.

والظاهر ان الاستثناء متصل.

واختار الصفاقصي انه منقطع اي لكن من تاب الخ.

قالت العلماء ان الله يبدل مكان كل سيئة حسنة زيادة على ما عمل من حسنات بعد التوبة.

وعن بعضهم ضاعف العـذاب على المشركين لانضمام المعصية إلى الشرك فاذا تابوا وآمنوا وعملوا الصالحات محا سوابق معاصيهم بالتوبة واثبت مكانها لواحق طاعتهم .

وقيل : التبديل ان يجعل في قلوبهم قوة راسخة في الطاعة بعد ما كانت فيها قوة راسخة في المعصية .

وقيل : ان يوفقه إلى اضداد ما سلف منه وذلك كله لكمال غفرانه ورحمته .

﴿**ومن تاب**﴾ عن المعاصي بتركها والندم عليها وذلك خروج عنها .

﴿**وعمل صالحا**﴾ في مقابلة تفريطه وذلك هو دخول في الطاعة ولا اجر ولا مدح لمن ترك المعاصي بلا ندم وعمل صالحا عندنا واجاز بعضهم تركها بلا ندم عنها ولا تمن لها وانه ان عمل صالحا ثبت عليه .

﴿**فانه يتوب**﴾ يرجع بذلك وكان مستقبلا لان الشرط مستقبل معنى ﴿**إلى الله متابا**﴾ عظيما مقبولا مكفرا للخطايا محصلا للثواب ومثاب مصدر ميمي كهو محط الكلام أو المعنى فانه يتوب متابا الله الذي يعرف حق التائب ويحبه ويصطنع به وفي كلام بعض العرب الله افرح اي ارضى بتوبة العبد من المضل الواحد اي ممن اضل راحلته مثلا اي فقدها ثم وجدها والظمآن الوارد والعقيم الوالد فمحط الكلام قوله ان الله او المعنى انه يرجع إلى الله وثوابه مرجعا حسنا واي مرجع أو المعنى يرجع إليه رجوعا فيجازيه خيرا .

وعن بعضهم انما تقدم في كافر (آمن وعمل صالحا) وهذا بخلاف الثاني فانه عام وعلى هذا يكون تعميما بعد تخصيص .

وزعم بعضهم ان قولـه ﴿ومن تاب﴾ انما هو في التوبة عن الشرك وقوله ﴿وعمل صالحا﴾ معناه ادى الفرائض ولم يزن ولم يقتل بعد الايمان وقواه ﴿فانه يتوب إلى الله متابا﴾ معناه يعود إليه بعد الموت عودا حسنا يفضل على غيره من قتل وزنا وتاب فالتوبة في ومن تاب توبة عن الشرك وفي يتوب الخ رجوع إلى الله للجزاء وان قوله ﴿الا من تاب﴾ الخ اريد فيه التوبة عن الزنا والقتل.

وقيل: المعنى من اراد التوبة وعزم عليها فليتب فان باب التوبة مفتوح فقوله انه يتوب الخ في لفظ الخبر في معنى الامر.

وقيل: المعنى فليعلم ان مصيره إلى الله سبحانه.

وروى قومنا ان آخر رجل يخرج من النار رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبائرها فتعرض عليه صغائرها ولا ينكر واشفق ان تعرض عليه كبائرها فيقال له: ان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يارب قد عملت اشياء لا اراها هنا قال الراوي: وهو ابو ذر فلقد رأيت رسول الله ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه قلنا هذا افتراء منه عن ابي ذر ورسول الله ﷺ معا كما يدل عليه تنافر الحديث فانه ان قيل ذلك قيل دخول النار فكيف يدخلها بعد وقد لطف به وابدلت له كل سيئة حسنة وبشر بذلك ولم تعرض عليه سيئاته الكبار.

وان قيل له ذلك بعد الدخول والخروج فكيف تعرض عليه ذنوبه بعد الخروج اعراضا بعد اعراض المحشر فهذان اعراضان اما متوافقان أو مختلفان بان تعرض عليه صغاره وكباره بالمحشر وكباره فقط فكيف يعرض عليه صغارها وحدها بعد أو اعراضا لم يسبقه اعراض فيلزم ادخال المؤمن

المبدل سيئاته حسنات النار بغير حساب فان كان التبديل قبل الدخول فكيف يدخلها وقد بدلت له حسنات وان كان بعدها فباطل لان الله لا تبدو له البدوات .

﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ هو الشرك عند الضحاك لانحرافه عن الصواب والمعنى لا يحضرونه .

وقيل : الباطل والكذب .

وقال الشيخ هود : الزور الشرك والنفاق والعمل السيء .

وقال مجاهد : الزور اعياد المشركين .

وقيل : النوم .

وقال ابن الحنفية : اللهو واللعب والغناء .

وفي رواية عن مجاهد :الزور والغناء والغناء ينبت النفاق كما ينبت الماء الزرع .

وقيل : النوم وهو ضعيف الا ان كان المراد النوم عن الصلاة والقول بان الباطل يعم ذلك كله (ويشهدون) بمعنى يشاهدون وذلك انهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين تنزها عنها وعنهم وصيانة لدينهم لان مشاهدة الباطل شركة فيه فان النظار تلي ما لا يسوغ في الشريعة شركاء فيه لان الحضور له دليل الرضى به وسبب لوجوده والزيادة فيه لان الذي سلط على فعله هو استحسان النظار والرغبة في النظر إليه .

وعن عيسى عليه السلام اياكم ومجالسة الخطائين .

قال قتادة : الزور مجالس الباطل فقدر مضافا .

وقال : على المعنى لا يشهدون شهادة الزور بتقدير مضاف .

قال ﷺ: (الا انبئكم باكبر الكبائر قلنا بلى يارسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال الا وشهادة الزور وقول الزور فما زال يكررها حتى قالت الصحابة ليته سكت).

وكان عمر يجلد شاهد الزور اربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به في الاسواق واصل الزور الانحراف ووضع الشيء بخلاف صفته.

﴿وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾ اللغو كل سقط من قول أو فعل.

قال الثعالبي: ما ينبغي ان يطرح ويلغى من لهو ولعب ومنكر.

وقيل: المعاصي وصفهم الله بانهم إذا مروا بأهل اللغو اعرضوا عنهم مكرمين انفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم اي اذا مروا عنه وجدتهم مروا كراما.

وعن بعضهم كرم المؤمن إذا مر بمنكر ان يغيره.

وقيل: المعنى انهم إذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى في مرورهم مروا معرضين عنهم وصافحين.

وقيل: إذا ذكروا النكاح كنوا عنه فالمرور لساني ولذا زعم بعضهم انها منسوخة بالقتال وهو ضعيف فان الصفح والاعراض والصبر مندوب اليها بعد القتال ايضا.

﴿والذين اذا ذُكِّروا بآيات ربهم﴾ وعظوا بقرآنه * ﴿لم يخروا﴾ لم يكبوا * ﴿عليها صما﴾ جمع اصم وهو من لا يسمع * ﴿وعميانا﴾ جمع اعمى لم يكبوا عليها وهم كالصم العمي لا يعون ولا يتبصرون ما فيها كالمنافقين وغيرهم ترى المنافقين مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها يظهرون الحرص الشديد على استماعها وهم لا يعملون بها بل هؤلاء المؤمنون

يكبـون عليها حرصا بآذان واعية وعيون واعية وذلك نفي للصم والعمي واثبات للخروج على غير طريقتهما كما تقول: (لا يلقاني زيد مسلمًا) بتشديد اللام تريد انه يلقاني ولا يسلم عليك وتلقاه ولا تسلم عليه لأمر ما.

وقيل: (الهاء) للمعاصي المدلول عليها باللغو بل قد فسر بعضهم اللغو بها اي اذا ذكّروا بآيات ربهم لم يقيموا على المعاصي صما وعميانا بل يتذكرون يتحولون عنها وليس المراد إذاً نفى الصم والعمي فقط بل نفي الاقامة على المعاصي مع توابعها من الصمم والعمي.

وقال ابن العربي: المراد الذين قرأوا القرآن قرأوا بقلوبهم قراءة فهم وتدبر وتثبت ولم ينثروه نثرا لا قول: قل فان المرور عليه بغير فهم ولا تثبت صمم وعمى ولا ينافيه بناء (ذكِّروا للمفعول لانهم إذا قرأوه فكأن احدا قرأه عليهم وذكرهم به.

﴿والذين يقولون ربنا هب﴾ اعطي * ﴿لنا﴾ معشر المؤمنين فكل واحد إذا دعا دعا لنفسه وللمؤمنين وان كان كل واحد يدعو لنفسه فانما قال لنا جميعا لقول هذا (هب لي) وقول (هذا هب لي) وهكذا فكأنه قيل: والذين يقول كل واحد منهم ربي هب لي وهكذا فيما يأتي.

﴿من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين﴾ (من) للبيان وفيه تقديم للبيان على المبين الذي هو قرة اعين والمراد بالقرة الازواج والذرية اي هب لنا قرة اعين هي ازواجنا وذريتنا وفي تقديم البيان على المبين خلف.

ويجوز ان تكون تجريدية مثل (من)في قولك (رأيت من زيد اسد) بولـغ في قرورة العين بالازواج والذرية حتى صح ان يتولد منهم آخرون

مثلهم (وان) تكون ابتدائية على معنى (هب لنا من جهتهم) وعلى هذا فالمراد بالقرة المعنى اي الفرح مثلا لا هم.

والقرة الفرح والرضا ويكون ايضا بمعنى ما به الفرح وارضى كما رأيت.

وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر بافراد الذرية.

وقرأ قرات اعين بجمع القرة وانما نكر (اعينا) ليكون قرة نكرة تعظيما ولو عرف (اعينا) لتعرف ما اضيف إليه و(اعين) جمع قلة والمراد الكثرة.

واختار التعبيرية والله اعلم تلويحا إلى ان اعين المؤمنين قلة بالنسبة إلى عيون الكفار قال الله عز وجل: (وقليل من عبادي الشكور) أو نكر الاعين لانها اعين خاصة وهي اعين المؤمنين سألوا ربهم ان يرزقهم ازواجا واعقابا تقـرّ بهم اعينهم بان يوفقهم الله للطاعة ويستعينوا بهم على المصلحة فان المؤمن اذا شاركه اهله في طاعة الله سر بهم لسعادتهم وتوقع لحوقهم به في الجنة.

قال محمد بن كعب القرظي : ليس شيء اقر لعين المؤمن من ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله.

وعن ابن عباس قرة العين من الاولاد من رآه ابوه يكتب الفقه.

وقيل: سألوا ربهم ان يلحق بهم ازواجهم وذريتهم في الجنة ليتم سفرهم.

واصل القرة البرد ضد الحر ويستعمل في الفرح لان العين باردة حين الفرح وحارة هي ودمعها عند الحزن.

وقيل: المراد ان يهب لهم من تقر به اعينهم اي لا تتحرك بل تتوقف عليه لكماله فلا تتحرك إلى غيره.

وعن ابن عباس والحسن والمقداد كان في أول الاسلام يهتدي الاب والولد والزوجة كأقران فكانت قرة اعينهم في ايمانهم وفيه دليل على جواز الدعاء للكافر بالاسلام والهداية وكذا لغيره من العصاة وهو مذهب بعض متأخري مذهبنا والصحيح المنع .

﴿وجعلنا للمتقين﴾ متعلق باجعل أو بمحذوف حال من قوله ﴿اماما﴾ اي قدوة.

قال ابن هشام: بطلق (الأمام) على الواحد وغيره فانظر حاشيتي على الشذور وشرحه واريد به المفرد دالا على الجنس ولا لبس.

وارادوا جعل كل واحد منا اماما أو لما كانوا كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم ولانه مصدر في الاصل طلبوا ان يكونوا ائمة يقتدي بهم المتقون في الدين.

قال بعض قومنا: في الآية ما يدل على ان الرئاسة في الدين يجب ان تطلب ويرغب فيها.

قلنا معاشر الاباضية: لا دليل فيها على ذلك لجواز ان يكونوا طلبوا ان يبلغهم الله مبلغا عظيما في الطاعة وهو المبلغ الذي يحبه المؤمنون ان يكون لهم فيما بينهم وبين ربهم وان ظهر اشير اليه واقتدي به او لأنهم قد علموا انهم لو كانوا ائمة لاستقاموا على الطريقة قووا الشريعة ولا يميلون للرياء والمحمدة وغيرهما مع ان هذا طريق لا امان فيه فلا ينبغي قصده ومن وقع فيه او تعين له فيجتهد ولجواز ان يكون ذلك من باب القلب اي واجعل

المتقين لنا اماما ولجواز ان يكون اماما جمع (آمّ) بهمزة فالف فميم مشدة بمعنى قاصد فلام الجر لام التقوية اي جعلنا قاصدين للمتقين مقتدين بهم.

وعن ابن عباس ان المراد (جعلنا هداة للمتقين) قلت: فالتمييز المنع من ان ينوي احد بقراءته التعليم لغيره بل ينوي نفي الجهل عن نفسه والضلالة.

وفي القناطر اجازه ان ينوي بقراءته ان يعلم غيره ويرشد من ضل وهو الصحيح ان لم يكن في النفس رياء ونحوه من المفسدات واظن ان المقصود في الكتابين واحد فالمجيز مجيز على هذا الشرط والمانع مانع إذا لم يكن هذا الشرط ﴿اولئك يجزون﴾ يثابون ﴿الغرفة﴾ المراد الجنس كما جمعت في قوله: (وهم في الغرفات آمنون).

وقد قرىء (وهم في الغرفة آمنون) فكأنه قيل: يجزون الغرفات وهي بيوت واسعات عاليات فوق بيوت من زبرجد ولؤلؤ وياقوت وغير ذلك وهي علالي الجنة.

وقيل: الغرفة اسم من اسماء الجنة وهو ضعيف.

وعن انس بن مالك عن رسول الله ﷺ: (ان في الجنة لغرفا ليس لها معاليق من فوقها ولا عماد من تحتها قيل: يارسول الله كيف يدخلها اهلها قال: يدخلونها شباه الطيور قيل: يارسول الله لمن؟ قال: لاهل الاسقام والاوجاع والبلوى) رواه القرطبي.

﴿بما صبروا﴾ ما مصدرية اي بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار وجهادهم وعلى الفقر والمصائب.

﴿ويلقون فيها تحية وسلاما﴾ يقال لقيه الشيء بالتشديد اي جعلته لا لقيا له.

وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بفتح الباء واسكان اللام وتخفيف القاف مضارع لقي كرضى والتحتية الدعاء من الملائكة بالتعمير وهو دعاء تهنئة فقط لان داخل الجنة لا يموت ولا يخرج منها وكذا النار والسلام دعاء الملائكة لهم بالسلامة وهو دعاء تهنئة كذلك أو المراد قول الملائكة لهم سلام عليكم وهو ايضا دعاء أو قول بعضهم لبعض سلام عليكم أو كل ذلك أو التحية والسلام شيء واحد أو التحية الملك أو يجيء لهم من الله يهنئهم الله أو يقرأ لهم السلام أو المراد يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة.

وقيل: السلام الخير الكثير.

﴿خالدين فيها﴾ الضمير في (فيها) في الموضعين للجنة المفهومة من المقام أو للغرفة ومعنى خلودهم فيها انها لا تخرج ملكهم.

﴿حسنت مستقرا ومقاما﴾ الجنة أو للغرفة والخلود في الغرفة وتحسينها خلود في الجنة وتحسين لها وذلك مقابل لقوله (ساءت مستقرا ومقاما) واعرابه كاعرابه.

﴿قل ما يعبأ﴾ ما يصنع يقال عبأت الجيش هيأته أو يعتد ويكترث (وما) استفهامية مفعول مطلق ناصبة (يعبأ) واقعة على العبء اي عبء يعبأ ويوافقه قول الزجاج اي وزن يكون لكم إذا جعلها استفهامية وتفسيره تفسير معنى.

ويجوز ان يكون (نافيه) اي لا يكترث أو لا يصنع شيئا.

﴿بكم ربي﴾ الخطاب لجملة الناس منهم المكذب ومنهم العابد كما يشير إليه السياق اللاحق.

﴿لولا دعاؤكم﴾ اي عبادتكم وجواب لولا محذوف دل عليه السياق السابق امر الله سبحانه رسوله ﷺ ان يصرح للناس ان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة وان الاكتراث بهم عند ربهم بالمعرفة والطاعة لا لمعنى آخر ولولاها لم يكترث بهم وكانوا والحيوانات سواء والخطاب للكفار اي ما يعبأ بخلقكم لولا دعاؤكم اي لولا العبادة التي خوطبتم بها وانما خلقكم للعبادة.

وقيل: الدعاء عبادة الاصنام اي ما يعبأ بعذابكم ربي لولا عبادتكم الاصنام أو غيرها من دون الله فالخطاب ايضا للكفار.

وقيل: ما يكترث بكم ياكفار لولا دعاؤكم اياه في الشدائد فبكشفها فكيف يعبأ بكم وانتم مكذبون؟ وهو قول النقاش.

وعن بعضهم لولا ايمانكم اي الايمان المطلوب منكم.

وقيل: لولا دعاؤه اياكم إلى الاسلام.

فالاضافة على هذا للمفعول وهو قول ابن العربي.

وقيل: ما يبالي بمغفرتكم لولا دعاؤكم معه غيره.

وقيل: ما خلقتكم ولي اليكم حاجة لكن لتسألوني فاعطيكم.

والاول قول ابن عيينة.

قال ابن العربي: لولا دعاؤه اياكم إلى الايمان ببعث الرسول وانه ليس المراد لولا سؤالكم اياه وطلبكم منه كما زعم بعض (انتهى) والحق ان الآية محتملة.

﴿فقد كذبتم﴾ للكفار مطلقا ولكفار قريش.

وقرأ ابن الزبير وغيره فقد كذب الكافرون وهو دليل على ان الخطاب (فما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم للناس) ثم خص قريشا أو الكافرين مطلقا بقوله: (كذبتم) كذا قيل.

وقيل: الخطاب في ذلك كله لاهل مكة.

وعلى كل حال المعنى كذبتم بما اخبرتكم به من ان الاعتدال بالعبادة أو كذبتم حكمي أو القرآن والرسول ولما صدق واحد.

وعن بعض ان المعنى فقد قصرتم في العبادة يقال (كذب القتال) إذا لم يبالغ فيه.

﴿فسوف يكون لزاما﴾ واسم يكون ضمير العذاب ولزاما مصدر اللازم بفتح الزاي بمعنى اسم فاعل اي ملازما أو يقدر مضاف أو ذلك مبالغة والمراد عذاب الآخرة وهو الدائم بعد عذاب بدر قتل منهم فيه سبعون وأسر سبعون وهو قول ابن مسعود وابيّ بن كعب.

أو اسم يكون ضمير التكذيب المفهوم من كذبتم اي فسوف يكون التكذيب اي جزاؤه أو اثره ملازما لكم حتى يكبكم في النار.

وانما أضمر ضمير العذاب من غير تقدم او جزاء التكذيب أو أثره من غير تقدم صريح تفخيما بانه لا غاية له توصف.

وقال مجاهد والاكثرون: المراد قتلى بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما.

وقرأ (لزاما) بفتح اللام بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت.

وعن ابن عباس اللزام الموت وعن البخاري ؛ الهلكة .

اللهم ببركة سيدنا محمد ﷺ وبركة السورة اخز النصارى واهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

تم الجزء الحادي عشر من تفسير القرآن العظيم من كلام رب العالمين ويتلوه الجزء الثاني عشر والذي أوله (سورة الشعراء) من تصنيف الشيخ العالم الفقيه النحرير محمد بن يوسف اليسجني الاباضي الوهبي المغربي ـ رحمه الله ـ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وكان تمامها يوم تاسع من شهر جمادى الثانية في سنة ١٣١١ هـ .

المحتويات

رقم الايداع : ١٤ / ٩١

شركة مطبعة عمان ومكتبتها المحدودة ش.م.م